

حديث الذكريات

مواقف وطرائف وعبر

من حياة العلامة الألباني

يروئها بنفسه رحمه الله

جمع وترتيب

محمد حامد محمد

بسم الله الرحمن الرحيم

إن الحمد لله ، نحمده ونستعينه ونستغفره ، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا ، من يهده الله فلا مضل له ومن يضلل فلا هادي له ، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، وأن محمداً عبده ورسوله .

اللهم صلّ على محمد وعلى آل محمد كما صليت على إبراهيم وآل إبراهيم ، وبارك على محمد وعلى آل محمد كما باركت على إبراهيم وعلى آل إبراهيم في العالمين إنك حميد مجيد .

(يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ) آل

عمران / ١٠٢

(يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا) النساء / ١

(يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا (٧٠) يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَمَنْ يُطِيعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا) الأحزاب / ٧٠

، ٧١

ثم أما بعد

فمن المعلوم أن حياة العلماء - على كافة مستوياتهم - مليئة بالأحداث المثيرة ، والوقائع الغريبة ، والتي تجعل المتابع لهم ، والقارئ لسيرهم ، متعطشاً دائماً لمعرفة المزيد عنهم ، وعن حياتهم الخاصة ، وما مروا به من أحداث .

وتصبح هذه الأخبار ، وتلك الأحداث لها المصدقية الكاملة حينما يرويها صاحب الموقف نفسه ، ويسطرها في كتبه وأعماله .

من هؤلاء الأعلام محدث الشام العلامة ناصر الدين الألباني رحمه الله تعالى ،
فقد كان يروي بعض المواقف والأحداث - الهامة والغير هامة ، الكبيرة والصغيرة
- في ثنايا كتبه ومؤلفاته - على تنوعها .
ومن خلال انشغالي بأعمال الشيخ رحمه الله تعالى والعيش مع كتبه ومؤلفاته ،
تتبع هذه الأحداث ، وتلك المواقف ، واستخرجتها في مدونتي الخاصة ، فكان
أن اجتمع لدي الكثير من هذه الأحداث ، وتلك المواقف .
وأحببتُ أن يشاركني إخواني المسلمين في شتى بقاع المعمورة - وخاصة المحبين
للشيخ رحمه الله تعالى - ؛ فجمعت هذه المواقف ورتبتها وأخرجتها في هذا
الكتيب الذي بين يديك الآن ، سائلاً المولى تبارك وتعالى أن يرحم صاحبها
وجامعها وناشرها ، وكل من اطلع عليها ، هو ولي ذلك ونعم الوكيل .

وكتبه

محمد حامد محمد

ترجمة مختصرة عن حياة الشيخ رحمه الله تعالى

اسمُهُ ومولدهُ ونشأتهُ :

هُوَ مُحَمَّدٌ نَاصِرُ الدِّينِ بنُ نُوحِ بنِ آدَمِ نَجَاطِي الألباني ، وُلِدَ في مَدِينَةِ اشقودرة بِشمالِ ألبانيا سَنَةَ ١٣٣٣ هـ المُوافقَ سَنَةَ ١٩١٤ م^(١) .
وَكَانَتْ أُسْرَتُهُ فَقِيرَةً بَعِيدَةً عَنِ الغِنَى ، مُتَدِينَةً يَغْلِبُ عَلَيْهَا الطَّابِعُ العِلْمِيُّ ، فَقد تَخَرَّجَ والِدُهُ الحاجُّ نُوحُ بنُ آدَمِ نَجَاطِي الألباني في المَعاهدِ الشَّرْعِيَّةِ في العاصِمَةِ العُثمانيَّةِ - الأستانة - قَدِيمًا والي تَعْرِفُ اليَوْمَ بِاستانبول ، ثُمَّ رَجَعَ إلى بِلادِهِ لِخِدْمَةِ الدِّينِ وتَعْلِيمِ النَّاسِ ما تَعَلَّمَهُ وتَلَقَّاهُ ، حَتَّى أَصْبَحَ مَرَجِعًا تَفِدُ عَلَيْهِ النَّاسُ وتَأخُذُ مِنْهُ^(٢) .

ويُحدِّثنا الشَّيخُ الألبانيُّ عن مَراحِلِ حَيَاتِهِ وَسِيرَتِهِ الذَّائِغَةِ مُختَصِرًا لَهَا فيقولُ :
((وكذلک في الحديثِ بُشِّرَ لَنَا : آل الوالِدِ ، الذي هاجرَ بأهلهِ مِنْ بِلَدَةِ اشقودرة) عاصِمَةُ (ألبانيا) يَوْمَئِذٍ فِرارًا بالدِّينِ مِنْ ثورَةٍ (احمد زوغو) أزارغِ اللهُ قَلْبَهُ ، الذي بدأ يَسِيرُ في المسلمِينَ الألبانِ مَسِيرَةَ سَلْفِهِ (أتاتورك) في الأتراك ، فَجَنَيْتُ -بِفَضْلِ اللهِ وَرَحْمَتِهِ - بِسَبَبِ هِجْرَتِهِ هَذِهِ إلى (دمشق الشام) ما لا أَسْتَطِيعُ أن أقومَ لربي بِواجِبِ شُكْرِهِ ، ولو عِشْتُ عُمُرَ نُوحِ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ ، فَقد تَعَلَّمْتُ فيها اللُّغَةَ العَرَبِيَّةَ السُّورِيَّةَ أَوَّلًا ، ثُمَّ اللُّغَةَ العَرَبِيَّةَ الفُصْحَى ثانياً ، الأمرُ الذي مَكَّنَنِي أن أعْرِفَ التَّوْحِيدَ الصَّحِيحَ الذي يَجْهَلُهُ أَكْثَرُ العَرَبِ الذين كانوا مِنْ

(١) ينظر : مقالات الألباني لنور الدين طالب ١٩٧ ، وحياة الألباني وآثاره وثناء العلماء عليه ،

لمحمد بن إبراهيم الشيباني ٤٤ .

(٢) ينظر : حياة الألباني ٤٤ .

حولي - فضلاً عن أهلي وقومي - ؛ إلا قليلاً منهم ، ثم وفقني الله - بفضلِهِ وكرمه دون توجيهٍ من أحدٍ منهم - إلى دراسة الحديث والسنة أصولاً وفقهاً ، بعد أن درستُ على والدي وغيره من المشايخ شيئاً من الفقه الحنفي وما يُعرف بعلم الآلة ، كالنحو والصرف والبلاغة ، بعد التخرج من مدرسة (الإسعاف الخيري) الابتدائية ، وبدأتُ أَدعو مَنْ حولي من إخواني وأصحابي إلى تصحيح العقيدة ، وترك التعصب المذهبي ، وأحذرهم من الأحاديث الضعيفة والموضوعة ، وأرغبهم في إحياء السنن الصحيحة التي أماتها حتى الخاصة منهم ، وكان من ذلك إقامة صلاة العيدين في المصلّى في دمشق ، ثم أحيائها إخواننا في حلب ، ثم في بلادٍ أخرى في سوريا ، واستمرت هذه السنةُ تنتشرُ حتى أحيائها بعضُ إخواننا في (عمّان/الأردن) ، كما حذرتُ النَّاسَ من بناء المساجد على القبور والصلاة ، وألفتُ في ذلك كتابي (تحذير الساجد من اتخاذ القبور مساجد) ، وفاجأتُ قومي وبنِي وطني الحديد بما لم يسمَعوا من قبل ، وتركتُ الصلاة في المسجد الأموي ، في الوقت الذي كان يقصده بعضُ أقاربي ؛ لأنَّ قبرَ يحيى فيه كما يزعمون ، ولقيتُ في سبيل ذلك - من الأقارب والاباعد - ما يلقاه كلُّ داعيةٍ للحق لا تأخذه في الله لومة لائم ، وألفتُ بعضَ الرسائل في بعض المتعصبين الجهلة ، وسجنتُ مرتين بسببِ وشاياتهم إلى الحكّام الوطنيين والبعثيين ، وبتصريحٍ لبعضهم حين سئلتُ : لا أؤيد الحكم القائم ؛ لأنَّه مُخالفٌ للإسلام ، وكان ذلك خيراً لي وسبباً لانتشارِ دعوتي .

ولقد يسرَّ الله لي الخروجَ للدعوة إلى التوحيد والسنة إلى كثيرٍ من البلاد السورية والعربية ، ثم إلى بعضِ البلاد الأوربية ، مع التركيز على أنَّه لا نِجاةَ للمسلمين مما أصابهم من الاستعمارِ والذُلِّ والهوانِ ولا فائدةَ للتكتلات الإسلامية ، والأحزاب السياسية إلا بالتزام السنة الصحيحة منهج السلف الصالح - رضي الله

عنهم - ؛ وليسَ على ما عليه الخلفُ اليومَ - عقيدةً وفقهاً وسلوكاً -؛ فنفعَ اللهُ ما شاءَ ومن شاءَ من عبادِهِ الصَّالِحِينَ وَظَهَرَ ذَلِكَ حَلِيًّا فِي عَقِيدَتِهِمْ وَعِبَادَتِهِمْ، وَفِي بِنَائِهِمْ لِمَسَاجِدِهِمْ ، وَفِي هَيْئَاتِهِمْ وَأَلْبَسَتِهِمْ ، مِمَّا يَشْهَدُ بِهِ كُلُّ عَالِمٍ مُنْصِفٍ ، وَلَا يَجْحَدُهُ إِلَّا كُلُّ حَاقِدٍ أَوْ مُخَرِّفٍ ، مِمَّا أَرْجُو أَنْ يَغْفِرَ اللهُ لِي بِذَلِكَ ذُنُوبِي ، وَأَنْ يَكْتُبَ أَجْرَ ذَلِكَ لِأَبِي وَأُمِّي ، وَالْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي بِنِعْمَتِهِ تَتِمُّ الصَّالِحَاتُ))^(٣).

بداية طلبه للعلم :

((بدأ الغلامُ المَهْجَرُ مِنَ البانِيَةِ دِرَاسَتَهُ فِي الشَّامِ ، وَأَوَّلَ مَا بَدَأَ بِدُخُولِ مَدْرَسَةِ الإِسْعَافِ الخَيْرِيَّةِ الإِبْتِدَائِيَّةِ بِدِمَشْقَ ، وَكَانَ مَقْرُوءًا بِجِوَارِ البِنَاءِ الأَثْرِيِّ بِقَصْرِ العَظَمِ فِي حَيِّ البِزْورِيَّةِ ، وَاسْتَمَرَ عَلَى ذَلِكَ حَتَّى أَشْرَفَ عَلَى نِهَآيَةِ المَرْحَلَةِ الإِبْتِدَائِيَّةِ، وَفِي هَذِهِ الأَثْنَاءِ هَبَّتْ أَعَاصِيرُ الثَّوْرَةِ السُّورِيَّةِ بِالفَرَنْسِيِّينَ العُرَاقَةَ ، وَأَصَابَ المَدْرَسَةَ حَرِيقٌ أَتَى عَلَيْهَا ، فَانْتَقَلُوا عَنْهَا إِلَى مَدْرَسَةٍ أُخْرَى بِسُوقِ سَارُوجِ وَهَنَّاكَ أَنهى الشَّيْخُ دِرَاسَتَهُ الأُولَى .

وَنظَرًا لِسُوءِ رَأْيِ وَالدِّهِ فِي المَدَارِسِ النَّظَامِيَّةِ مِنَ النَّاحِيَةِ الدِّيْنِيَّةِ ، فَقَدَّ قَرَّرَ عَدَمَ إِكْمَالِ دِرَاسَتِهِ ، وَوَضَعَ لَهُ بَرْنَامَجًا عِلْمِيًّا مُرَكِّزًا قَامَ مِنْ خِلَالِهِ بِتَعْلِيمِهِ القُرْآنَ وَالتَّجْوِيدَ وَالصَّرْفَ وَفَقَهَ مَذْهَبِ الحَنَفِيِّ .

كَمَا أَنَّهُ تَلَقَّى بَعْضَ العُلُومِ الدِّيْنِيَّةِ وَالعَرَبِيَّةِ عَلَى بَعْضِ الشُّيُوخِ مِنْ أَصْدِقَاءِ وَالدِّهِ مِثْلَ الشَّيْخِ سَعِيدِ البُرْهَانِيِّ إِذْ قَرَأَ عَلَيْهِ كِتَابَ (مِرَاقِي الفَلَاحِ) وَبَعْضَ الكُتُبِ الحَدِيثِيَّةِ فِي عُلُومِ البَلَاغَةِ.

أَخَذَ الشَّيْخُ إِجَازَةً فِي الحَدِيثِ مِنَ الشَّيْخِ رَاغِبِ الطَّبَاخِ ، عِلَّامَةً حَلَبَ فِي زَمَانِهِ، وَذَلِكَ إِثْرٌ مُقَابِلَةٌ لَهُ بِوِاسِطَةِ الأَسَاطِذِ مُحَمَّدِ المُبَارَكِ الَّذِي ذَكَرَ لِلشَّيْخِ

(٣) السلسلة الصحيحة ٦١٥/٧-٦١٧.

الطَّبَّاحُ مَا يَعْرِفُهُ مِنْ إِقْبَالِ الْفَتَى عَلَى عُلُومِ الْحَدِيثِ وَتَفَوُّقِهِ فِيهَا ، فَلَمَّا اسْتَوْثَقَ مِنْ ذَلِكَ حَصَّةً بِإِجَازَتِهِ تَقْدِيرًا وَاعْتِرَافًا))^(٤) .

تَوَجُّهُهُ إِلَى عِلْمِ الْحَدِيثِ وَاهْتِمَامُهُ بِهِ :

تَوَجَّهَ الْفَتَى إِلَى عِلْمِ الْحَدِيثِ فِي نَحْوِ الْعَشْرِينَ مِنْ عُمُرِهِ ، حَيْثُ أَنَّهُ تَأَثَّرَ بِمَجَلَّةِ الْمَنَارِ الَّتِي كَانَ يُصَدِّرُهَا الشَّيْخُ مُحَمَّدُ رَشِيدِ رِضَا -رَحِمَهُ اللَّهُ- .

وَقَدْ لَاحَظَ ذَلِكَ يَوْمٌ وَهُوَ يَتَّحَوَّلُ فِي الْمَكْتَبَاتِ جُزْءًا مِنْ مَجَلَّةِ الْمَنَارِ فَاطَّلَعَ فِيهِ عَلَى بَحْثٍ بِقَلَمِ السَّيِّدِ مُحَمَّدِ رَشِيدِ رِضَا يَصِفُ فِيهِ كِتَابَ الْإِحْيَاءِ لِلْغَزَالِيِّ ، وَيُشِيرُ إِلَى مَحَاسِنِهِ وَمَآخِذِهِ ، فَدَفَعَهُ ذَلِكَ النِّقْدَ الْعِلْمِيَّ إِلَى مُطَالَعَةِ الْجُزْءِ كُلِّهِ ، فَاسْتَهْوَاهُ ذَلِكَ التَّخْرِيجُ الدَّقِيقُ حَتَّى صَمَّمَ عَلَى نَسْخِهِ .

وَقَدْ ذَكَرَ الشَّيْخُ الْمَجْدُوبُ أَنَّهُ اطَّلَعَ عَلَى ذَلِكَ النَّسْخِ فَإِذَا هُوَ فِي أَرْبَعَةِ أَجْزَاءٍ ، فِي ثَلَاثِ مُجَلَّدَاتٍ ، تَبْلُغُ صَفْحَاتِهَا أَلْفَيْنِ وَاثْنَيْ عَشْرَةَ فِي نَوْعَيْنِ مُخْتَلَفَيْنِ مِنَ الْخَطِّ ، أَحَدُهُمَا عَادِيٌّ وَالثَّانِي دَقِيقٌ عُلِّقَ بِهِ فِي الْهُوَامِشِ تَفْسِيرًا وَاسْتِدْرَاكًا ، مَعَ أَنَّ الشَّيْخَ فِي ذَلِكَ الْوَقْتِ لَمْ يَكُنْ قَدْ تَجَاوَزَ الْعَشْرِينَ مِنَ الْعُمُرِ .

وَمُنْذُ ذَلِكَ الْحِينِ وَالشَّيْخُ مُوَلِّعٌ فِي عِلْمِ الْحَدِيثِ ، فَقَدْ زَادَ إِقْبَالَ عَلَى عِلْمِ الْحَدِيثِ وَدِرَاسَةِ السَّنَدِ بِشَعْفٍ شَدِيدٍ ، وَكَانَ وَالِدُهُ -رَحِمَهُ اللَّهُ- يُحَذِّرُهُ قَائِلًا : ((عِلْمُ الْحَدِيثِ صَنْعَةُ الْمَفَالَيْسِ)) ، وَرَغِمَ هَذَا فَقَدْ زَادَ حُبُّ الْفَتَى لِحَدِيثِ رَسُولِ اللَّهِ -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- وَتَمَيَّزَ صَحِيحِهِ مِنْ ضَعِيفِهِ^(٥) .

صِفَاتُهُ وَأَخْلَاقُهُ :

(٤) حياة الألباني ٤٥-٤٦ .

(٥) ينظر : حياة الألباني ٤٦-٥٣ .

ومِنْهَا تَوَاضَعُهُ وَرُجُوعُهُ إِلَى الْحَقِّ وَهَذِهِ أَخْلَاقُ الْعُلَمَاءِ الْعَامِلِينَ ، وَأَهْلِ الْحَقِّ الْمَخْلِصِينَ ، فَإِنَّ الْحَقَّ غَايَتُهُمْ وَهُمْ مَعَهُ حَيْثُمَا حَلَّ وَارْتَحَلَ ، لَا يُبَالُونَ بِمَا قَدْ يُقَالُ عَنْهُمْ إِذَا رَجَعُوا عَنْ بَعْضِ أَقْوَالِهِمْ وَفَتَاوِيهِمْ إِذَا تَبَيَّنَ لَهُمُ الصَّوَابُ فِي خِلَافِهَا ، وَقَدْ كَانَ الشَّيْخُ عَلَى جَانِبٍ كَبِيرٍ مِنْ ذَلِكَ ، وَقَدْ وَقَفْتُ لَهُ عَلَى كَلِمَةٍ لَوْ كُتِبَتْ بِمَاءِ الذَّهَبِ لَمَا وَفَى ذَلِكَ حَقَّهَا وَهِيَ قَوْلُهُ :

((إِنَّ الْعِلْمَ لَا يَقْبَلُ الْجُمُودَ ، أُكْرِرُ ذَلِكَ فِي مَجَالِسِي وَمُحَاضِرَاتِي ، وَفِي تَضَاعِيفِ بَعْضِ مَوْلَانِي ، وَذَلِكَ مِمَّا يُوجِبُ عَلَى الْمُسْلِمِ أَنْ يَتَرَجَعَ عَنْ خَطِيئِهِ عِنْدَ ظُهُورِهِ وَإِنْ لَا يَحْمَدُ عَلَيْهِ... مِنْ أَجْلِ ذَلِكَ فَإِنَّهُ لَا يَصْعَبُ عَلَيَّ أَنْ أَتَرَجَعَ عَنِ الْخَطَا إِذَا تَبَيَّنَ لِي))^(٦).

وَمِنَ الْأَمْثَلَةِ عَلَى رُجُوعِهِ إِلَى الْحَقِّ مَا ذَكَرَهُ فِي كِتَابِهِ صِفَةَ الصَّلَاةِ أَنَّهُ رَجَعَ عَنْ أَرْبَعَةِ مَسَائِلَ اتَّقَدَّهُ عَلَيْهَا الشَّيْخُ حُمُودُ التَّوَيْجِرِيِّ ، وَهِيَ :

- ١- تَفْسِيرُ الْمَأْتَمِ وَالْمَغْرَمِ فِي دُعَاءِ التَّشَهُدِ.
 - ٢- قَوْلُهُ عَنِ الصَّلَاةِ أَنَّهَا أَعْظَمُ رُكْنٍ مِنْ أَرْكَانِ الْإِسْلَامِ.
 - ٣- تَفْسِيرُ جُمْلَةٍ (وَالشَّرُّ لَيْسَ إِلَيْكَ) فِي دُعَاءِ التَّوَجُّهِ.
 - ٤- تَصْحِيحُ مَا جَاءَ فِي نَقْلِهِ عَنِ الْبَدَائِعِ تَعْلِيْقًا عَلَى رَفْعِ الْيَدَيْنِ فِي السُّجُودِ بِلَفْظِ: ابْنِ الْأَثَرِمِ، وَالصَّوَابُ: الْأَثَرِمُ^(٧).
- وَقَدْ وَقَفْتُ عَلَى كِتَابِ جَمَعَ فِيهِ مَوْلَانِي مُحَمَّدٌ حَسَنُ الشَّيْخِ الْأَحَادِيثَ الَّتِي رَجَعَ عَنْهَا الْأَلْبَانِيُّ تَصْحِيْحًا وَتَضْعِيفًا وَهُوَ فِي مُجَلَّدَيْنِ.

(٦) السلسلة الضعيفة ١٠/٥، وكذا المصدر نفسه ٤٤/١. وينظر: الكلم الطيب لابن تيمية بتحقيق الألباني ٨.

(٧) ينظر: صفة صلاة النبي للألباني ٣٠-٣٣.

خامسا : شيوخه :

تتلمذ الشيخ الألباني على شيوخ عدّة وهم :

- ١- والدّه : فقد درسَ عليه شيئا من الفقه الحنفيّ وما يُعرف بعلم الآلة ، كالنحو والصرف والبلاغة^(٨).
- ٢- الشيخ سعيد البرهاني : قرأ عليه كتاب (مراقي الفلاح) وبعض الكتب الحديثية في علوم البلاغة^(٩).
- ٣- راغب الطباخ : علامة حلب في زمانه ، وقد أخذ عنه الإجازة في الحديث^(١٠).

سادسا : تلاميذه^(١١) :

- للشيخ -رحمه الله- تلاميذٌ كثيرٌ ، يصعبُ حصرُهم وعدُّهم ، خاصّةً وأنّه درسَ في الجامعة الإسلاميّة ثلاثَ سنين ، ومنهم على سبيل التمثيل لا الحصر:
- ١- ربيع بن هادي عمير المدخلي.
 - ٢- مُقبل بن هادي الوداعي -رحمه الله-.
 - ٣- حمدي عبد المجيد السلفي ، المحقّق المعروف.
 - ٤- عبد المحسن العباد ، الشيخُ المعروف ، نزيلُ المدينة النبويّة.
 - ٥- الشيخ محمد عيد العباسي ، لازمَ الشيخَ في دمشق.
 - ٦- الدكتور عُمر سليمان الأشقر ، أستاذُ بكلية الشريعة -جامعة الكويت.
 - ٧- خير الدين وانلي.

(٨) السلسلة الصحيحة ٦١٥/٧.

(٩) حياة الألباني ٤٥.

(١٠) المصدر نفسه ٤٥.

(١١) ينظر : حياة الألباني ٩٤-١٠٥ ، وصفحات بيضاء للحلي ٤٧ .

- ٨ - محمد إبراهيم شقرة ، مقيم في عمان .
- ٩ - عبد الرحمن عبد الصمد ، لازمه في حلب وحماه .
- ١٠ - زهير الشاويش ، صاحب المكتب الإسلامي .
- ١١ - علي حشّان ، لازمه في دمشق .
- ١٢ - محمد جميل زينو - رحمه الله تعالى - .
- ١٣ - مصطفى الزربول ، يعمل في وزارة الأوقاف الكويتية .
- ١٤ - إحسان إلهي ظهير ، درّس عليه في الجامعة الإسلامية .
- ١٥ - أحمد السيد الخشاب ، درّس عليه في عمّان .
- ١٦ - محمد مهدي الإستانبولي ، جالس الشيخ في دمشق .
- ١٧ - عزت خضر ، جالس الشيخ في عمّان ومن المقربين إليه .
- ١٨ - محمد إبراهيم الشيباني ، جالس الشيخ وسافر معه كثيراً .
- ١٩ - محفوظ الرحمن زين الله .
- ٢٠ - علي الحلبي ، درّس على الشيخ في عمّان .
- ٢١ - مشهور حسن سلمان ، درّس على الشيخ في عمّان .
- ٢٢ - محمد موسى آل نصر ، درّس على الشيخ في عمّان .
- ٢٣ - صالح طه (أبو إسلام) ، درّس على الشيخ في عمّان .
- ٢٤ - سليم الهلالي ، درّس على الشيخ في عمّان .
- ٢٥ - حسين بن عودة العوايشة ، درّس على الشيخ في عمّان .
- ٢٦ - أبو إسحاق الحويني ، درّس على الشيخ في عمّان . وغيرهم كثير .

نشاطه في الدعوة إلى الله :

لقد كان لإحدى رسول الله - صلى الله عليه وسلم - الأثر الكبير في توجيه الشيخ الألباني علماً وعملاً ، فتوجّه نحو المنهج الصحيح ، وهو التلقي عن الله

ورسوله فقط، مُستعيناً بفهم الأئمة الأعلام من السلف الصالح دون تعصب لأحدٍ منهم أو عليه.

ومن هذا المنطلق تبدأ مرحلة النشاط الدؤوب في عمل الشيخ في الدعوة إلى الله تعالى ، فقد بدأت المناقشات بين الشيخ وغيره من المشايخ وأئمة المساجد ، ولقي المعارضة الشديدة من كثير من المشايخ المذهبيين المتعصبين ، ومشايخ الصوفيّة ، والخرافيين المُبتدعين ، ويشيِّعون عليه بأنه (وهائي ضالٌّ) ويحذرون منه الناس ، في الوقت الذي وافقه على دعوته بعض أفاضل العلماء المعروفين في دمشق ، وحضوه على الاستمرار قُدماً ، منهم العلامة بهجت البيطار ، والشيخ عبد الفتاح الإمام ، والشيخ حامد التقي ، والشيخ توفيق البزرة رحمهم الله تعالى وغيرهم من أهل الفضل.

وقد حمل الشيخ راية التوحيد والسنة ، وزار كثيرين من مشايخ دمشق ، وحرّت بينه وبينهم مناقشات حول مسائل التوحيد والتعصب للمذاهب والبدع ، وكان من آثار دعوته أن وضع مع أصحابه برنامجاً لزيارة بعض المناطق في البلاد ما بين حلب واللاذقية كإدلب وسلمية وحمص وحماة ثم الرقة ، وقد لقيت هذه الرحلات نجاحاً ملموساً ، إذ جمعت العديد من الراغبين في علوم الحديث على ندوات شبيهة دورية ، يقرأ فيها من كتب السنة ، وتتوارد الأسئلة ، ويثور النقاش المفيد^(١٢) ، وقد خرج للدعوة إلى كثير من البلاد العربية والبلاد الأجنبية في أوربا وغيرها^(١٣).

(١٢) ينظر : حياة الألباني ٥٣-٥٦.

(١٣) ينظر : السلسلة الصحيحة ٦١٦/٧ ، سلسلة الأحاديث الضعيفة والموضوعة وأثرها السيئ في الأمة للألباني ٣٢١/١١ ، رفع الأستار لإبطال أدلة القائلين بفناء النار للأمير الصنعاني بتحقيق الألباني ٥-٩.

دروسه ومجالسه العلمية :

كَانَ لِلشَّيْخِ الألبَانِيِّ بَرنامِجٌ أسبوعيٌّ يَعقِدُهُ وَيَحضُرُهُ طَلَبَةُ العِلْمِ وَبعضُ أساتِدَةِ الجامعاتِ ، وَمِنَ الكُتُبِ الَّتِي كانَ يَدْرُسُها فِي هذِهِ المَجالِسِ :

- ١- الروضة التديئة - لصديق حسن خان.
 - ٢- منهاج الإسلام في الحكم - لمحمد أسد.
 - ٣- أصول الفقه - لعبد الوهاب خلاف.
 - ٤- مُصطلح التاريخ - لأسد رستم.
 - ٥- فقه السنة - لسيد سابق.
 - ٦- التَّربُّعُ والترهيبُ - للمنزريِّ.
 - ٧- فَتْحُ المَجدِ شرحُ كِتابِ التَّوْحِيدِ - لعبد الرحمن بن حسن.
 - ٨- الباعثُ الحثيثُ - لأحمد شاكر.
 - ٩- رياضُ الصالحينَ - للنوويِّ.
 - ١٠- الإمامُ في أحاديثِ الأحكامِ - لابن دقيق العيد.
 - ١١- الأدبُ المفردُ - للإمام البخاريِّ.
 - ١٢- اقتضاء الصراطِ المستقيمِ - لشيخ الإسلام ابن تيمية.
- وَأَمَّا طَريقَةُ تَدريسِهِ فَقدَ قالَ أَحَدُ تلاميذِهِ وَهُوَ الأَسْتاذُ مُحَمَّدُ عَيدِ عَباسي :
وَكانَ أَسْتاذنَا - يَعني الألباني - يَشْرَحُ البُحُوثَ شَرحاً عَلميًّا مُحَقِّقاً يَكاذُ لا يَتَرَكُ
مَسْأَلَةً صَغيرةً ولا كَبيْرَةً إلا يُحَلِّيها وَيوضِّحُ غامِضَها ، وَيُعلِّقُ على ما يَقْرَأُ مُوافِقاً أو
مُخْتَلِفاً ، وَهُوَ فِي جَميعِ ذلكَ يَسْتَنِدُ إلى أقوى الحُجَجِ وَأَثبتِ البَراهِينِ^(١٤).

(١٤) ينظر : حياة الألباني ٥٦-٥٨.

تدريسه بالجامعة الإسلامية بالمدينة النبوية :

وبعد أن ذاع صيتُ الشيخ وانتشرت مؤلفاته النَّافعة في أرجاء العالم الإسلاميِّ وأقبلَ عليها أهلُ العلمِ وطلابهُ ينهلون منها ويتفجعون بها ، مما دفعَ المشرفين على الجامعة الإسلامية بالمدينة النبوية وعلى رأسهم الشيخُ العلامةُ الإمامُ مُحَمَّدُ بن إبراهيم آل الشيخ رئيسُ الجامعة الإسلامية والمفتي العامَّ للمملكة العربية السعودية آنذاك على أن يَقَعَ اختيارهم على الشيخ الألباني ليتولَّى تدريسَ الحديثِ وعُلمِهِ وفقهه في الجامعة.

وبقيَ فيها ثلاثَ سنواتٍ أستاذًا للحديثِ وعُلمِهِ ، وذلك من عام ١٣٨١هـ إلى أواخرِ عام ١٣٨٣هـ ، وكانت علاقةُ الشيخ بالطلابِ علاقةَ الزَّميلِ بالزَّميلِ، والصَّديقِ بالصَّديقِ ، فقد رَفَعَ الكلفةَ بينَهُ وبينَهُم ، فحلَّ مكانها الثقةُ والأخوةُ . وكان إذا دخلَ الجامعةَ في الصُّباحِ لا تكادُ تَرى السيَّارةَ من كثرةِ الطلابِ المُلتفِّينَ حولها يُسلمونَ على الشيخِ ويسألونهُ ويستفيدونَ منه.

ومن آثارِ الشيخِ على الجامعة الإسلامية وضعُهُ في منهجِ الحديثِ الذي يُدرَّسُ في الجامعةِ دَرَسَ (علمِ الإسنادِ) ، فكانَ الشيخُ يَخْتارُ من صحيحِ مُسلمٍ حديثًا للسنةِ الثالثةِ ، وآخرَ للسنةِ الثانيةِ من سننِ أبي داودَ ، فيسجِّلهُ على السُّبُورَةِ بالسُّنْدِ ويأتي إلى كُتُبِ الرِّجالِ كالمُخْلِصَةِ والتَّقريبِ ، فيعملُ لهُما دراسةً حَدِيثِيَّةً عَمَلِيَّةً في كَيْفِيَّةِ تَخْرِيجِ الحديثِ وكَيْفِيَّةِ تَقْدِيمِهِ مِنْ رِجالِهِ ، فكانَ يُعطي الطلابَ هذه الدُّروسَ العَمَلِيَّةَ مِنَ الكُتُبِ^(١٥).

صبرُهُ على العِلْمِ والتَّأليفِ وشِدَّةُ تَحْمُلِهِ :

يُحدِّثنا أحدُ تلاميذِهِ وهو مُحَمَّدُ عيد العباسي قائلاً :

(١٥) ينظر : المصدر نفسه ٥٨-٦٢.

((فَقَدْ كَانَ يُنْفِقُ السَّاعَاتِ الطُّوَالَ الَّتِي تُتَوَفُّ عَلَى الْعَشْرِ سَاعَاتٍ يَوْمِيًّا فِي مُطَالَعَةِ الْكُتُبِ وَالرِّسَائِلِ الْمَطْبُوعَةِ وَالْمَخْطُوطَةِ فِي الْمَكْتَبَةِ الظَّاهِرِيَّةِ وَغَيْرِهَا ، وَنَسَخَ مَا يَحْتَاجُهُ مِنْهَا ، وَكَانَ يَأْتِي إِلَى ظَاهِرِيَّةِ دِمَشْقَ مُنْذُ أَنْ تُفْتَحَ أَبْوَابُهَا ، وَيَسْتَمِرُّ حَتَّى نِهَايَةِ الدَّوَامِ الْمَسَائِيِّ))^(١٦).

وَمِنَ الْأَمْثَلَةِ عَلَى شِدَّةِ صَبْرِهِ وَتَحْمُّلِهِ قَوْلُهُ - رَحِمَهُ اللَّهُ - :

((لَقَدْ جَوَّعْتُ نَفْسِي فِي أَوَاخِرِ سَنَةِ ١٣٧٩ هـ - أَرْبَعِينَ يَوْمًا مُتَّابِعًا لَمْ أَذُقْ فِي أَثْنَائِهَا طَعَامًا قَطُّ ، وَلَمْ يَدْخُلْ فِي جَوْفِي إِلَّا الْمَاءُ ، وَذَلِكَ طَلَبًا لِلشِّفَاءِ مِنْ بَعْضِ الْأَدْوَاءِ؛ فَعُوفِيْتُ مِنْ بَعْضِهَا دُونَ بَعْضٍ))^(١٧).

كُتُبُهُ وَمَوْلَفَاتُهُ^(١٨) :

- للشيخ - رحمه الله - العديد من المؤلفات والتَّحْقِيقَاتِ والتَّخْرِيجَاتِ ، مِنْهَا مَا هُوَ مَطْبُوعٌ مُتَدَاوِلٌ ، وَمِنْهَا مَا هُوَ مَخْطُوطٌ ، وَهِيَ :
- ١ - آدَابُ الرِّفَافِ فِي السَّنَةِ الْمَطْهَرَةِ - تَأْلِيفٌ .
 - ٢ - الْآيَاتُ الْبَيِّنَاتُ فِي عَدَمِ سَمَاعِ الْأَمْوَاتِ - لِلْأَلُوسِيِّ - تَحْقِيقٌ .
 - ٣ - الْأَجْرُبَةُ النَّافِعَةُ عَلَى أَسْئَلَةِ لَجْنَةِ الْجَامِعَةِ - تَأْلِيفٌ .
 - ٤ - الْإِحْتِجَاجُ بِالْقَدْرِ - ابْنُ تَيْمِيَّةٍ - تَحْقِيقٌ .
 - ٥ - أَحْكَامُ الْجَنَائِزِ - تَأْلِيفٌ .
 - ٦ - إِرْوَاءُ الْغَلِيلِ فِي تَخْرِيجِ أَحَادِيثِ مَنْارِ السَّبِيلِ - تَأْلِيفٌ .
 - ٧ - إِصْلَاحُ الْمَسَاجِدِ مِنَ الْبَدْعِ وَالْعَوَائِدِ - الْقَاسِمِيِّ - تَحْقِيقٌ .

(١٦) مقالات الألباني لنور الدين طالب ١٧٦-١٧٧.

(١٧) السلسلة الضعيفة ٤١٩/١.

(١٨) ينظر: التقريب لعلوم الألباني لأبي الحسن محمد حسن عبد الحميد الشيخ ٢٠-٥، ومقتطفات من حياة فقيدي الأمة الألباني وابن باز ١٠٣-١٠٩، وحياة الألباني ٥٦٥-٩٠٤.

- ٨ - اقتضاء العلم العمل - الخطيب البغدادي - تحقيق .
- ٩ - الإيمان - ابن أبي شيبة - تحقيق .
- ١٠ - الإيمان - ابن تيمية - تحقيق .
- ١١ - الإيمان - أبو عبيدة - تحقيق .
- ١٢ - الباعث الحثيث - ابن كثير - تعليق .
- ١٣ - بداية السؤل في تعظيم الرسول - العز بن عبد السلام - تحقيق
- ١٤ - تحذير الساجد من اتخاذ القبور مساجد - تأليف .
- ١٥ - تصحيح حديث إفطار الصائم - تأليف .
- ١٦ - تلخيص أحكام الجنائز .
- ١٧ - تلخيص صفة صلاة النبي - صلى الله عليه وسلم - .
- ١٨ - تمام المنة في التعليق على فقه السنة .
- ١٩ - التنكيل بما في تأنيب الكوثري من الأباطيل - المعلمي - تحقيق
- ٢٠ - التوسل أنواعه وأحكامه - تأليف .
- ٢١ - تحريم آلات الطرب - تأليف .
- ٢٢ - حجاب المرأة المسلمة ولباسها في الصلاة - ابن تيمية - تحقيق .
- ٢٣ - حجة النبي - صلى الله عليه وسلم - - تأليف .
- ٢٤ - حديث الأحاد وحجته في العقائد والأحكام - تأليف .
- ٢٥ - الحديث حجة بنفسه - تأليف .
- ٢٦ - الحديث النبوي - محمد الصباغ - تخريج .
- ٢٧ - حجاب المرأة المسلمة - تأليف .
- ٢٨ - حقوق النساء في الإسلام - رشيد رضا - تحقيق .
- ٢٩ - حقيقة الصيام - ابن تيمية - تخريج .

- ٣٠- حُكْمُ الْحَاجَةِ - تَأْلِيفٌ .
- ٣١- دَفَاعٌ عَنِ الْحَدِيثِ النَّبَوِيِّ وَالسِّيَرَةِ - تَأْلِيفٌ .
- ٣٢- الرَّدُّ عَلَى التَّعَقُّبِ الْحَثِيثِ - تَأْلِيفٌ .
- ٣٣- رَفْعُ الْأَسْتَارِ لِإِبْطَالِ أَدْلَةِ الْقَائِلِينَ بِفَنَاءِ النَّارِ - الصَّنْعَانِي - تَحْقِيقٌ .
- ٣٤- رِيَاضُ الصَّالِحِينَ - لِلنُّووي - تَحْقِيقٌ .
- ٣٥- سَلْسَلَةُ الْأَحَادِيثِ الصَّحِيحَةِ وَشَيْءٌ مِنْ فَحْهَيْهَا وَفَوَائِدِهَا - تَأْلِيفٌ .
- ٣٦- سَلْسَلَةُ الْأَحَادِيثِ الضَّعِيفَةِ وَالْمَوْضُوعَةِ وَأَثَرُهَا السَّيِّئُ فِي الْأُمَّةِ - تَأْلِيفٌ .
- ٣٧- شَرْحُ الْعَقِيدَةِ الطَّحَاوِيَّةِ - ابْنُ أَبِي الْعَزِّ الْحَنْفِي - تَحْقِيقٌ .
- ٣٨- الشَّهَابُ الثَّاقِبُ فِي ذَمِّ الْخَلِيلِ وَالصَّاحِبِ - السِّيوطي - تَخْرِيجٌ
- ٣٩- صَحِيحُ الْأَدَبِ الْمَفْرَدِ - تَخْرِيجٌ .
- ٤٠- صَحِيحُ ابْنِ خَزِيمَةَ - تَخْرِيجٌ وَمَرَاجَعَةٌ .
- ٤١- صَحِيحُ التَّرْغِيبِ وَالتَّرْهِيْبِ - تَخْرِيجٌ .
- ٤٢- صَحِيحُ الْجَامِعِ الصَّغِيرِ وَزِيَادَتُهُ - السِّيوطي - تَخْرِيجٌ وَتَحْقِيقٌ .
- ٤٣- صَحِيحُ سَنَنِ ابْنِ مَاجَةَ - تَخْرِيجٌ .
- ٤٤- صَحِيحُ سَنَنِ أَبِي دَاوُدَ - تَخْرِيجٌ .
- ٤٥- صَحِيحُ سَنَنِ التِّرْمِذِيِّ - تَخْرِيجٌ .
- ٤٦- صَحِيحُ سَنَنِ النَّسَائِيِّ - تَخْرِيجٌ .
- ٤٧- صَحِيحُ مَوَارِدِ الظُّمَانِ - تَخْرِيجٌ .
- ٤٨- صَحِيحُ الْكَلِمِ الطَّيِّبِ - تَخْرِيجٌ .
- ٤٩- صِفَةُ صَلَاةِ النَّبِيِّ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - تَأْلِيفٌ .
- ٥٠- صِفَةُ الْفَتَوَى وَالْمَفْتِيِّ وَالْمُسْتَفْتِي - ابْنُ حَمْدَانَ - تَحْقِيقٌ .
- ٥١- صَلَاةُ التَّرَاوِيحِ - تَأْلِيفٌ .

- ٥٢- صلاة العيدين في المصلّى هي السنة - تأليف .
- ٥٣- صيدُ الخاطر - ابن الجوزي - تخرّيج .
- ٥٤- ضعيفُ الأدبِ المفرد - تخرّيج .
- ٥٥- ضعيفُ ابنِ ماجّة - تخرّيج .
- ٥٦- ضعيفُ الجامعِ الصغيرِ وزيادته - السيوطي - تخرّيجٌ وتحقيق .
- ٥٧- ضعيفُ الترغيبِ والترهيب - تخرّيج .
- ٥٨- ضعيفُ سننِ ابنِ ماجّة - تخرّيج .
- ٥٩- ضعيفُ سننِ أبي داود - تخرّيج .
- ٦٠- ضعيفُ سننِ الترمذي - تخرّيج .
- ٦١- ضعيفُ سننِ النسائي - تخرّيج .
- ٦٢- ضعيفُ مواردِ الظمّان - تخرّيج .
- ٦٣- ظلالُ الجنة في تخرّيجِ السنة - ابن أبي عاصم - تأليف .
- ٦٤- العقيدة الطحاوية - شرحٌ وتعليقٌ - تأليف .
- ٦٥- العلمُ - أبو خيثمة - تحقيق .
- ٦٦- غايةُ المرامِ في تخرّيجِ أحاديثِ الحلالِ والحرامِ - تأليف .
- ٦٧- فضائلُ الشّام - للربيعي - تخرّيج .
- ٦٨- فضلُ الصلاةِ على النبيِّ - صلى الله عليه وسلم - - الجهضمي - تحقيق .
- ٦٩- فقهُ السيرة - الغزالي - تخرّيج .
- ٧٠- فهرسُ مخطوطاتِ دارِ الكُتُبِ الظاهريةِ الخاصِ بمخطوطاتِ الحديث .
- ٧١- قيامُ رمضان - تأليف .
- ٧٢- كشفُ النقابِ عما في كلماتِ أبي غَدّة - تأليف .

- ٧٣- الكلمُ الطيّبُ - ابن تيمية - تحقيق .
- ٧٤- كلمةُ الإخلاص - ابن رجب - تخرّيج .
- ٧٥- لفظةُ الكَبَد - تحقيق وتخرّيج .
- ٧٦- ما دلّ عليه القرآن - الألوسي - تخرّيج .
- ٧٧- مختصرُ الشمائلِ الحمديةِ - الترمذي - تخرّيج .
- ٧٨- مختصرُ صحيح البخاريِّ - اختصار وتعليق .
- ٧٩- مختصر صحيح مسلم - اختصارٌ وتعليق .
- ٨٠- مختصرُ العلوّ للعلّيِّ الغفاريِّ - الذهبي - اختصارٌ وتخرّيج .
- ٨١- المرأةُ المسلمة - حسن البنا - تخرّيج .
- ٨٢- مسائلُ غلام الخلالِ التي خالفَ فيها الخرقى - تعليق .
- ٨٣- مساجلةٌ علميةٌ بين إمامين - تخرّيج .
- ٨٤- المسحُ على الجوربين - القاسمي - تأليفٌ وتذييل .
- ٨٥- مشكاةُ المصابيح - التبريزي - تحقيق وتخرّيج .
- ٨٦- المصطلحاتُ الأربعة - المودودي - تخرّيج .
- ٨٧- مناسكُ الحجِّ والعُمرة - تأليف .
- ٨٨- منزلةُ السنةِ في الإسلام - تأليف .
- ٨٩- نصبُ المجانيقِ لنسفِ قصةِ الغرانيقِ - تأليف .
- ٩٠- نقدُ نصوصٍ حديثيةٍ - تأليف .
- ٩١- وجوبُ الأخذِ بحديثِ الأحاديِّ في العقائدِ والأحكامِ - تأليف .
- ٩٢- أحاديثُ البيوعِ وآثاره - تأليف .
- ٩٣- إحكامُ الرِّكاز - تأليف .
- ٩٤- إزالةُ الشكوكِ عن حديثِ البروكِ - تأليف .

- ٩٥- أصلُ صفةِ الصَّلَاةِ - تأليف .
- ٩٦- الأمثالُ النبويَّةُ - تأليف .
- ٩٧- الأحاديثُ المختارةُ - للضياءِ المقدسيِّ - تخرِيج .
- ٩٨- التعليقاتُ الجيادُ على زادِ المعادِ .
- ٩٩- التعليقاتُ على الروضةِ النديَّةِ .
- ١٠٠- الثمرُ المستطابُ في فقهِ السنَّةِ والكتابِ - تأليف .
- ١٠١- الحوضُ المورودُ في زوائدِ منتقى ابنِ الجارود - تأليف .
- ١٠٢- الردُّ المُفجِّم - تأليف .
- ١٠٣- صحيحُ السيرةِ النبويَّةِ - تأليف .
- ١٠٤- قصةُ نُزولِ عيسى عليه السلامُ وقتلهِ المسيحِ الدجَّالِ آخرَ الزمانِ .
- وفاتهُ :

وفي يومِ السَّبْتِ الثاني والعشرينَ من جمادى الآخرةِ سنةَ ١٤٢٠ هـ الموافقَ
لثاني من تشرين الأول سنةَ ١٩٩٩م، وبعدَ العصرِ انتقلَ الشيخُ الألبانيُّ إلى جوارِ
رَبِّهِ ، فهزَّ نبأُ وفاتهِ العالمَ الإسلاميَّ بأسره ، وحزنَ عليه أهلُ العِلْمِ وطلَّابُه ،
فرحِمَهُ اللهُ رحمةً واسعةً وجزاهُ عن الإسلامِ والمسلمينَ خيراً^(١٩) .

(١٩) ينظر : مقتطفات من حياة فقيدي الأمة الألباني وابن باز ٧٦ .

نبذة من حياة الشيخ

وبهذه المناسبة يحق لي أن أقول بيانا للتاريخ ، وشكراً لوالدي - رحمه الله تعالى -:

وكذلك في الحديث بشرى لنا: آل الوالد الذي هاجر بأهله من بلده (أشقودرة) عاصمة (ألبانيا) يومئذٍ، فراراً بالدين من ثورة (أحمد زوغو) أزاغ الله قلبه ، الذي بدأ يسير في المسلمين الألبان مسيرة سلفه (أتاتورك) في الأتراك، فجنيت - بفضل الله ورحمته- بسبب هجرته هذه إلى (دمشق الشام) ما لا أستطيع أن أقوم لربي بواجب شكره، ولو عشت عمر نوح عليه الصلاة والسلام ، فقد تعلمت فيها اللغة العربية السورية أولاً، ثم اللغة العربية الفصحى ثانياً ، الأمر الذي مكّني أن أعرف التوحيد الصحيح الذي يجمله أكثر العرب الذين كانوا حولي - فضلاً عن أهلي وقومي- إلا قليلاً منهم ، ثم وفقني الله - بفضلهِ وكرمه دون توجيه من أحد منهم - إلى دراسة الحديث والسنة أصولاً وفقهاً ، بعد أن درست على والدي وغيره من المشايخ شيئاً من الفقه الحنفي وما يُعرف بعلوم الآلة، كالتحو والصرف والبلاغة ، بعد التخرج من مدرسة (الإسعاف الخيري) الابتدائية ، وبدأت أدعو من حولي من إخوتي وأصحابي إلى تصحيح العقيدة، وترك التعصب المذهبي ، وأحذرهم من الأحاديث الضعيفة والموضوعة ، وأرغبهم في إحياء السنن الصحيحة التي أماتها حتى الخاصة منهم، وكان من ذلك صلاة العيدين في المصلى في دمشق ، ثم أحيائها إخواننا في حلب ، ثم في بلاد أخرى في سوريا ، واستمرت هذه السنة تنتشر حتى أحيائها بعض إخواننا في (عمان/ الأردن) ، كما حذرت الناس من بناء المساجد على القبور والصلاة ، وألّفت في ذلك كتابي " تحذير الساجد من اتخاذ القبور مساجد" وفاجأت قومي وبني وطني الجديد بما لم

يسمعوا من قبل ، وتركت الصلاة في المسجد الأموي، في الوقت الذي كان يقصده بعض أقاربي ، لأن القبر يجي فيه كما يزعمون! ولقيت في سبيل ذلك - من الأقارب والأبعاد- ما يلقاه كل داعية للحق لا تأخذه في الله لومة لائم، وألّفت بعض الرسائل في بعض المتعصبين الجهلة ، وسُجنت مرتين بسبب وشاياهم إلى الحكام الوطنيين والبعثيين ، وبتصريحهم لبعضهم حين سئلت: لا أؤيد الحكم القائم، لأنه مخالف للإسلام، وكان ذلك خيراً لي وسبباً لانتشار دعوتي .

ولقد يسر الله لي الخروج للدعوة إلى التوحيد والسنة إلى كثير من البلاد السورية والعربية ، ثم إلى بعض البلاد الأوربية ، مع التركيز على أنه لا نجاة للمسلمين مما أصابهم من الاستعمار والذل والهوان ، ولا فائدة للتكتلات الإسلامية والأحزاب السياسية إلا بالالتزام السنة الصحيحة وعلى منهج السلف الصالح - رضي الله عنهم- وليس على ما عليه الخلف اليوم- عقيدة وفقهاً وسلوكاً- فنفع الله ما شاء ومن شاء من عباده الصالحين ، وظهر ذلك جلياً في عقيدتهم وعبادتهم ، وفي بنائهم لمساجدهم ، وفي هياتهم وألبستهم ، مما يشهد به كل عالم منصف ، ولا يجحده إلا كل حاقد أو مخرف ، مما أرجو أن يغفر الله لي بذلك ذنوبي ، وأن يكتب أجر ذلك لأبي وأمي ، والحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات (رب اوزعني أن اشكر نعمتك التي أنعمت علي وعلى والدي وأن أعمل صالحاً ترضاه وأدخلني برحمتك في عبادك الصالحين). [الصحيحة ٧ / ٦١٥].

تجويع الشيخ رحمه الله نفسه أربعين يوماً تطبيياً

لقد جوعت نفسي في أواخر سنة ١٣٧٩ أربعين يوماً متتابعاً ، لم أذق في أثناءها طعاماً قط ، و لم يدخل جوفي إلا الماء ! و ذلك طلباً للشفاء من بعض الأدوية ، فعوفيت من بعضها دون بعض ، و كنت قبل ذلك تداويت عند بعض الأطباء نحو عشر سنوات دون فائدة ظاهرة ، و قد خرجت من التجويع المذكور بفائدتين ملموستين :

الأولى : استطاعة الإنسان تحمل الجوع تلك المدة الطويلة خلافا لظن الكثيرين من الناس و الأخرى : أن الجوع يفيد في شفاء الأمراض الامتلائية كما قال ابن القيم رحمه الله تعالى ، و قد يفيد في غيرها أيضا كما جرب كثيرون ، و لكنه لا يفيد في جميع الأمراض على اختلاف الأجسام خلافا لما يستفاد من كتاب " التطبيب بالصوم " لأحد الكتاب الأوربيين ، و فوق كل ذي علم عليم . [الضعيفة

[٤١٩/١]

سبب تسمية ابنة الشيخ " حسانة "

لقد كان الباعث على تحرير القول في هذا الحديث خاصة أن الله تبارك و تعالى رزقني بعد ظهر الثلاثاء في عشرين ربيع الآخر سنة ١٣٨٥ طفلة جميلة ، فلما عزمت على أن أختار لها اسما من أسماء الصحابييات الكريمات ، وقع بصري على هذا الاسم " حسانة " ، فمال إليه قلبي ، لتحقيق الاقتداء به صلى الله عليه وسلم في تسميته " جثامة " به ، و لكن لم أبادر إلى ذلك حتى درست إسناد الحديث على نحو ما سبق ، و تحققت من صحته .

و الحمد لله على توفيقه ، و أسأله تعالى أن يجعلها من المؤمنات الصالحات ، و العابدات العالمات ، السعيدات في الدنيا و الآخرة .

[الصحيحة ٤٢٦/١] .

وفاة أخو الشيخ الأكبر

أقول بهذه المناسبة / لقد توفي شقيقي الكبير محمد ناجي أبو أحمد في موسم السنة الماضية (١٤١٠) على عمل صالح إن شاء الله ، في الجمرات آخر أيام التشريق وهو جالس مع بعض رفاقه الحجاج ، وقد ذكر لي بعضهم أن أحد الجالسين معه قدم إليه بيده اليسرى كأساً من الشاي ، فقال له : يا أخي اعطني بيدك اليمنى ولا تخالف السنة ، أو كما قال ، ومات من ساعته ، رحمه الله وحشرنا وإياه (مع النبيين والصديقين والشهداء والصالحين وحسن أولئك رفيقاً) . [تلخيص أحكام الجنائز : ص ٢٤] .

وقال في مقدمته على " بداية السؤل في تفضيل الرسول " (ص ٨ / ط . المكتب الإسلامي) :

فُوجئتُ أثناء (تحقيقي للكتاب) بـخبر أزعجني جداً، وهو وفاة أخي الكبير محمد ناجي أبو أحمد وهو في موسم الحج، فقد مضيتُ في إتمامها مترحماً عليه صابراً على مصيبي به، فقد مات وهو خير إخوتي، وأخلصهم لي، وأشدّهم استجابة لدعوتي، وغيره عليها، وحماساً في الدعوة إليها، فرحمه الله رحمة واسعة، وصبرنا وسائر إخوتي وأولاده وأحفاده وأصهرته على مصابهم به، وجعلهم خير خلف لخير سلف، وحشرنا جميعاً معه تحت لواء سيد ولد آدم محمد صلى الله عليه وسلّم . اهـ .

سجن الشيخ

وكان قد تبين لي بعد الفراغ منه أن الحافظ المنذري - رحمه الله - لم يقتصر في اختصاره إياه على حذف أسانيده والمكرر من متونه فقط ، بل حذف منه بعض المتون أيضاً ، فلما بدا لي ذلك تمنيت أن لو نتاح لي فرصة ، لأتولى أنا بنفسني اختصاره بطريقتي الخاصة ، وشاء الله تبارك وتعالى ذلك ، حيث قدر علي أن أسجن في عام ١٣٨٩هـ الموافق لسنة ١٩٦٩ م مع عدد من العلماء من غير جريرة اقترفناها سوى الدعوة إلى الإسلام وتعليمه للناس ، فأساقُ إلى سجن القلعة وغيره في دمشق ، ثم يُفرج عني بعد مدة لأساق مرة ثانية وأنفى إلى الجزيرة ، لأقضي في سجنها بضعة أشهر ، أحسبها في سبيل الله عز وجل.

وقد قدر الله ألا يكون معي فيه إلا كتابي الحبيب " صحيح الإمام مسلم " وقلم رصاص وممحة ، وهناك عكفت على تحقيق أميني ، في اختصاره وتهذيبه ، وفرغت من ذلك في نحو ثلاثة أشهر ، كنت أعمل فيه ليل نهار ، ودون كلل ولا ملل ، وبذلك انقلب ما أراده أعداء الأمة انتقاماً منا إلى نعمة لنا ، يتفياً ظللها طلاب العلم من المسلمين في كل مكان ، فالحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات.

كما يسر الله تعالى لي التفرغ لعدد كبير من الأعمال العلمية ما كان يتاح لي أن أعطيها الوقت اللازم لو بقيت حياتي تسير على النهج المعتاد ، فقد قامت بعض الحكومات المتعاقبة بمنعي من الخروج إلى المدن السورية في الزيارات الشهرية التي كنت أقوم بها في الدعوة إلى الكتاب والسنة. وهو نوع مما يسمى في العرف الشائع بـ"الإقامة الجبرية" ، كما أنني قد مُنعت خلال فترات متلاحقة من إلقاء دروسي العلمية الكثيرة التي كان التحضير لها يأخذ جزءاً كبيراً من وقتي ، وهذا كله قد

صرف عني الكثير من الأعمال ، حال بيني وبين لقاء عدد كبير من الناس الذين كانوا يأخذون من وقتي الشيء الكثير. [مختصر البخاري ٨/١] .

أسماء أولاد الشيخ

و إن من توفيق الله عز وجل إياي أن ألهمني أن أعبد له أولادي كلهم و هم :
 عبد الرحمن و عبد اللطيف و عبد الرزاق من زوجتي الأولى - رحمهما الله تعالى -
 و عبد المصور و عبد الأعلى من زوجتي الأخرى و الاسم الرابع ما أظن أحدا
 سبقني إليه على كثرة ما وقفت عليه من الأسماء في كتب الرجال و الرواة ثم اتبعني
 على هذه التسمية بعض المحبين و منهم واحد من فضلاء المشايخ جزاهم الله خيرا
 أسأل الله تعالى أن يزيدني توفيقا و أن يبارك لي في آلي (ربنا هب لنا من أزواجنا و
 ذرياتنا قررة أعين و اجعلنا للمتقين إماما) ثم رزقت سنة ١٣٨٣ هـ و أنا في
 المدينة المنورة غلاما فسميته محمدا ذكرى مدينته صلى الله عليه وسلم و عملا بقوله
 صلى الله عليه وسلم " تسموا باسمي ، و لا تكونوا بكنييتي " متفق عليه. و في سنة
 ١٣٨٦ هـ رزقت بأخ له فسميته عبد المهيمن ، و الحمد لله على توفيقه .
 الضعيفة ١ / ٦٢٩] .

شكوى الشيخ من صاحب المكتب الإسلامي

- و أما الخطأ الآخر ، فهو ما صدر من زهير الشاويش صاحب المكتب الإسلامي ، فإنه أعاد طبع كتابي المذكور آنفا " ضعيف الجامع الصغير " طبعة ثانية دون إذني و علمي ، فوقعت له فيه أمور عجيبة ، و تصرفات غريبة ، و تعليقات و حواش تنبئ عن اعتداء صارخ على مؤلفه و ادعاء للعلم مهلك ، و حسبي الآن مثال واحد ، و هو ما أنا في صدده ، فقد وقع الحديث في طبعته هذه المتوجة بإشرافه كعادته : " لا شيء في البهائم " ! نعم هكذا تحرف عليه لفظ (الهام) في الحديث إلى (البهائم) ! و ليس هذا خطأ مطبعيا حتى يغتفر كما زعم بعض الجهلة ، لأن الطابع أعاده على عجره و بجره في تعليق له على طبعته الجديدة أيضا - و دون إذني أيضا - لكتابي " صحيح الجامع " (٢ / ١٢٤٨) على هذا الحديث قال : " أوله : لا شيء في البهائم " .. " ! فهذا إن دل على شيء فهو يدل - كما يقال اليوم - على أن الرجل يهرف بما لا يعرف ، و ينقل الخطأ الذي وقع فيه أولا ، ينقله بأمانة ثانيا ! و الله المستعان . [الصحيحة ٤٤٨ / ٦] .

- و أما صاحب (المكتب الإسلامي) ، فإنه أيضا أعاد طبع " الرياض " في هذه السنة (١٤١٢) ، و هي نفسها التي صدرت فيها طبعة المذكور قبله ، و لا أدري أيهما غار من الآخر فطبع طبعته منافسا له !

و الشاهد أن صاحب المشار إليه علق على الحديث بقوله : " سكت الشيخ ناصر عن هذا الحديث ، و ليس في روايات مسلم ١ / ٤٥٤ : " فانظر يا ابن آدم " ، و في روايات مسلم زيادة مفادها : فيدركه فيكبه في نار جهنم " . قلت : و فيه ملاحظات عديدة :

الأولى : السكوت الذي نسبه إلي - و قد كرره مرارا ! فيه غمز حيث ما أظنه إلا منه ، و ليس من " جماعة العلماء " الذين ادعى في مقدمة طبعته الجديدة أنها من تحقيقهم ، فهل يقع العلماء في مثل هذا الغمز الذي لا فائدة منه إلا التشفي ، و بغير حق ! لأنه يريد أن يشعر القراء بإخلالي في تحقيقي السابق للكتاب : " الرياض " الذي لم يكن هو قد أراد له كل جوانب التحقيق ، و إنما على ما تيسر ، فضلا عن أنه لم يكن فيه التزام مقابلة أحاديته بأصولها ، و لا الصاحب المذكور يرضى بذلك ، و لو فعل لأفلس ، لأن تأليف الكتاب من جديد أيسر من ذلك التحقيق . و على الباغي تدور الدوائر ، و يؤكد ذلك ما يلي :

الثانية : لقد انتبه لتلك الزيادة أنها ليست في مسلم ، و لكنه لم يعزها لمصدر ، و لا بين ضعفها ، مع أنه زعم في مقدمة طبعته الجديدة أنها من " تحقيق جماعة من العلماء " !

الثالثة : قوله : " مفادها .. " تعبير غير علمي لأنه يساوي قوله : " معناها " ، فالصواب أن يقال : نصها . كما هو ظاهر لا يخفى إلا على جاهل غبي .
الرابعة : هذا النص هو في رواية لمسلم مختصرة جدا ، فكان عليه أو على " جماعة العلماء " - إن كان صادقا - أن يذكروا رواية مسلم الأخرى التي اعتمدها في حديث الترجمة ، لأنها أتم كما ترى . الخامسة : كان عليه أو عليهم ! أن ينبهوا أن هناك في متن حديث " الرياض " مخالفة أخرى لما في " مسلم " ، ففيه : " فلا يطالبنكم " ، و في " الرياض " : " لا يطالبنك " ! لقد ذكرني هذا الغماز اللماز بالمثل العامي : من كان بيته من زجاج فلا يرمي الناس بالحجارة ! رابعا : عزرا المنذري الحديث في " الترغيب " (١ / ١٤١) لأبي داود أيضا ، و هو وهم .
فاقتضى التنبيه . [الصحيحة ٦ / ٣٨٩]

- و قد نبه عليه صاحب المكتب الإسلامي في طبعته الجديدة لـ " الرياض " لسنة (١٤١٢) التي زينها بتصديرها بصفحتين مصورتين من مخطوطتين للكتاب زعم أنه رجع إليهما ، يعني للتحقيق ، و لا أثر لذلك في طبعته هذه ، و إلا فهذا هو المكان المناسب ليثبت للقراء زعمه المذكور بأن يبين ما في المخطوطتين حول هذا الوهم . و تلك شنشنة نعرفها من أحزم فهو كثيرا ما يزين مطبوعاته ببعض الصفحات المصورة من مخطوطات يدعي أنها في مكتبته . و قد تكون مصورات - يوهم القراء بأنه رجع إليها في التحقيق ، و ليس الأمر كذلك ، و أوضح مثال على ذلك طبعه أخيرا السنن الأربعة التي كنت ميزت صحيحها من ضعيفها فقدمت إليه فطبعها طبعا تجارية ظاهرة ، و قسم كل كتاب منها إلى قسمين : " الصحيح " و " الضعيف " ، فخلط في ذلك خلطا عجيبا لأن ذلك ليس من علمه ، و لا أقول من اختصاصه ، فجعل في " الصحيح " ما ينبغي أن يكون في " الضعيف " ، و على العكس ، و لبيان هذا مجال آخر ، و الشاهد هنا أنه زين هذه الكتب بصور صفحات من مخطوطات السنن ، كأنه كلف أن يقوم بطباعتها من جديد محققة على المخطوطات ، و إنما كلف بطبع التصحيح و التضعيف الذي قمت به على السنن ! و لكنه التشيع بما لم يعط ! ثم إن المحقق الجديد المدعو بـ (حسان عبد المنان) لكتاب " رياض الصالحين " قد حذف الحديث من المكان الأول منه - و هو الأتم فائدة - و اقتصر على إيراد إياه في الموضع الآخر منه ، و حذف منه قوله : " متفق عليه " . دون أي بيان منه هل كان الحذف عن رأي منه ، أم عن تحقيق وقع له برجوعه إلى بعض المخطوطات ، و هذا مما لم يعن به ، و لم يدعه - و الحمد لله - كما فعل غيره .

ثم إن الظاهر أنه لم ينتبه للإرسال الذي فيه أو الانقطاع ، و إلا لسارع إلى التثبت به لتضعيف الحديث كما فعل بغيره مما رواه البخاري و مسلم ، فضلا عما

رواه غيرهما من أصحاب السنن ، و قدمت نماذج كثيرة منها في الاستدراكات التي ألحقتها بالمجلد الثاني من " الصحيحة " الطبعة الجديدة و الله المستعان . [الصحيحة ٣٨٤/٦]

- و بهذه المناسبة لا بد لي من كلمة قصيرة حول طبع المكتب الإسلامي لهذا الكتاب " الرياض " طبعة جديدة ! سنة (١٤١٢) . لقد وضع لها مقدمة سوداء ، ملؤها الزور و الافتراء ، و الغمز و اللمز ، مما لا مجال الآن لتفصيل القول في ذلك فإنه بحاجة إلى تأليف كتاب خاص ، و الوقت أضيق و أعز ، و بخاصة أن كل من يقرأها و يقرأ بعض تعليقاته يقطع بأن الرجل محرور ، و متناقض فيما يقول ، و ... إذا كانت الحكمة القديمة تقول : " يغنيك عن المكتوب عنوانه " ، فيكفي القارئ دليلاً على ما أشرت إليه قوله تحت عنوان الكتاب و اسم المؤلف : " تحقيق جماعة من العلماء تخرّيج محمد ناصر الدين الألباني " . فغير و بدل ما كان في الطبعة الأولى : " تحقيق محمد ناصر الدين الألباني " فجعل مكان كلمة (تحقيق) كلمة (تخرّيج) لينسب التحقيق إلى غيره و هم (جماعة العلماء) ! و هذا أقل ما يقال فيه أنه لم يتأدب بأدب القرآن : * (و لا تبنحسوا الناس أشياءهم و لا تعثوا في الأرض مفسدين) * . ثم من هم هؤلاء (العلماء) ؟ لقد أبي أن يكشف عن أسمائهم لأمر لا يخفى على كل قارئ لبيب ، و اعتذر هو عن ذلك بعذر أقبح من ذنب فقال في " المقدمة " (ص ٦) : " اشترطوا علينا أن لا تذكر أسماءهم .. " ! و إن من السهل على القارئ أن يعرف حقيقة هؤلاء (العلماء) بالرجوع إلى تعليقاتهم ، فإنه سوف لا يجد علماً و لا تحقيقاً إلا ما كان في الطبعة الأولى ، و إلا ما ينقلونه من كتيبي مثل " صحيح أبي داود " و غيره ، بل إنه سيرى ما يدل على الجهل و قلة العلم ! و هاكم مثالا على ذلك ، ما جاء في حاشية (ص ٦٤٣)

تعليقا على قول الإمام النووي رحمه الله في آخر الحديث (١٨٩١) : " و في رواية للبخاري و مسلم "

" قلت : رواها مسلم فقط ، فعزوها للبخاري وهم " ! فأقول : بل هذا القائل هو الواهم ، فإن الحديث في " البخاري " (رقم ٢٤٥ - فتح ٦ / ٣١٨) . ثم أقول : من هو القائل : " قلت ... " ؟ و الجواب : مجهول باعتراف الناشر الذي نقلت كلامه آنفا ، فنسأله - و قد حشر نفسه في " جماعة العلماء " باشتراكه معهم في التعليق و التصحيح مصرحا باسمه تارة ، هذا إن لم يكن هو المقصود بقوله : " جماعة العلماء " - فنسأله أو نسأل " جماعة العلماء " - كله واحد ! - : ما قيمة قول المجهول في علم مصطلح الحديث ؟ و هذا إذا لم يكن قوله في ذاته خطأ ، فكيف إذا كان عين الخطأ كما رأيت ؟! و من هذا القبيل قولهم أو قوله (!) تعليقا على الحديث (١٣٥٦) : " يفهم من كلام الشيخ ناصر : أن الحديث ضعيف لتدليس الوليد بن مسلم ، و الأمر ليس كذلك ، فإن الوليد صرح بالتحديث .. " . قلت : فجهلوا أو جهل أن تدليس الوليد هو من نوع تدليس التسوية الذي لا يفيد فيه تصريحه هو بالتحديث عن شيخه ، بل لا بد أن يصرح كل راو فوفقه بالتحديث من شيخه فما فوق ! فاعتبروا يا أولي الأبصار .

[الصحيحة ٦ / ١٥٥]

- وبهذه المناسبة لا بد لي من البيان الآتي :

ما كادت طبعة حسان هذه لـ " الرياض " سنة (١٤١٢ هـ) تتزل إلى السوق ، حتى أنزل صاحب المكتب الإسلامي طبعة جديدة لـ " رياض الصالحين للنووي " تختلف في تحقيقاتها وتعليقاتها كل الاختلاف عن الطبعة الأولى منه لسنة (١٣٩٩) التي كنت أنا الذي قام بتخريجها والتعليق عليها ، اختلافاً ظاهراً وباطناً .

أما الظاهر ، ففي الأولى طبع عليها :

"تحقيق محمد بن ناصر الدين الألباني" . أما هذه فطبع عليها هاتين الجملتين :
تحقيق جماعة من العلماء . تخريج محمد ناصر الدين الألباني !!
فهل كان صادقاً في هذا ؟ ذلك ما ستعلمه مما سأذكره قريباً .

لقد وضع الجملة الأولى لإيهام الناس أن طبعته محققة من العلماء فيضرب بذلك نفاق سوق طبعة حسان ! والحقيقة أن لا علماء لديه ، بل ولا طلاب علم ، وإنما موظفون يفعلون ما يؤمرون . إن لم يكن الفاعل هو نفسه ! [الضعيفة ٦٣٨٣]
- وقد كنت نبهت على هذا في تخريجي لهذا الكتاب الذي كنت سميته "غاية المام في تخريج أحاديث الحلال والحرام" رقم (٧١) . وقد أخرج المكتب الإسلامي طبع كتابي هذا عن أصله "الحلال والحرام" عدة سنين ؛ لأسباب الله أعلم بها ، ثم المؤلف والناشر ! وكان ذلك حاملاً للناشر على أن يدلّس على القراء ويوهمهم بأن التخريج الذي هو في تعليق الطبعة المذكورة (١٣) هو من صناعي ، فطبع على الوجه الأول تحت اسم المؤلف القرضاوي ما نصه :

"الطبعة الثالثة عشرة . تخريج الحديث الشيخ محمد ناصر الدين الألباني" !

وذلك سنة (١٤٠٠هـ - ١٩٨٠م) . وهذا كذب وزور!

فلما راجعته في ذلك في مكتبته في بيروت أجاب بقوله - وهو غير مكترث بما فعل - : "خطأ من بعض الموظفين" !

ثم تبين فيما بعد أنه تعمد ذلك ترويحاً للكتاب ! ولقد آذاني بذلك كثيراً ؛ فإنه نسب إلي كل الأخطاء العلمية الحديثية التي وقعت في كتاب الشيخ القرضاوي ، وكنت بينتها في تخريجي إياه ، وهذا هو المثال بين يديك ، وقد تكاثر إيذاؤه لي في الآونة الأخيرة ، وبخاصة بعد هجرتي من دمشق إلى عمان ، في تعليقاته وتصرفاته بكتبي تصرفاً لا يرضاه ذو عقل ودين . والله المستعان . [الضعيفة ٢٦٠/٧] .

- أما بعد؛ فهذه طبعة جديدة للمجلد الثاني من "سلسلة الأحاديث الصحيحة"، منقحة ومزودة، ومضاف إليها فوائد جديدة؛ توفرت لدي في برهة هذه السنوات العديدة التي مضت دون أن أتمكن من إعادة طبعه على هذه الصورة الجميلة المرضية، لانقطاع علاقتي الطباعية مع ناشره الأول صاحب المكتب الإسلامي، بسبب هجرتي من دمشق إلى عمان الشامية أولاً، ثم قطعت كل علاقتي الأخوية التي كانت قائمة بيني وبينه بعد أن تبين لي من طرق عديدة أنه كان يستغل ثقتي به، وسكني إليه، وانكبني على العلم، فتصرف بتصرفات منافية للثقة والأمانة المنوطة به، والتي كنت أظن أنها متحققة فيه، غير أن واقعه المؤسف العلمي، فضلاً عن المادي، حملني حملاً على إعلاني مقاطعتي إياه، وقد كنت كشفت عن بعض أفاعيله في بعض مقدماتي، مثل مقدمة "آداب الزفاف" نشر المكتبة الإسلامية بعمان، و"مختصر البخاري" المجلد الثاني نشر دار ابن القيم في الدمام. و"مختصر مسلم للمندري"، و"صفة الصلاة" وكلاهما نشر مكتبة المعارف في الرياض، وماذا عسى أن يقول القراء المنصفون إذا علموا أنه مع مقاطعتي المذكورة لا يزال متسلطاً على كتيبي، يطبعها كيف يشاء، وبالعدد الذي يشاء كأنه المالك لها؛ مع إنذاري إياه مراراً وتكراراً بعدم رغبتني في ذلك؟! ولكن لا.. ولم يقف جنفه عليّ وحدي، بل تعداه إلى الإخوة الذين بدأت أتعامل معهم وأتنازل لهم عن بعض كتيبي، بعد أن كنت عرضت ذلك عليه قبل سنوات، فأبى ذلك، واستكبر عليّ واستعلى، وعندني خطابه إلي بما ذكرتُ عنه! فهو لا يزال يطبع الكتب الأربعة المذكورة آنفاً، مع علمه بأنها صارت ملكاً لهم، كما يطبع غيرها مع تزوير له في بعضها كما فعل في كتاب "التنكيل"، فمن شاء قابل بين طبعة مكتبة المعارف، وطبعة المكتب الإسلامي، فإنه سيرى العجب العجاب، وبخاصة إذا قرأ مقدمتي لطبعة المعارف، ومع ذلك فهو مستمر في طبع ما ذكرنا دون أي حق

شرعي، ويُعلن ذلك في فهارسه دون أي رادع أو وازع، فإنك لو فتحت على أول كتاب في فهارسه الأخير لعام (١٩٩١ م) فإنك ستجد كتابي "آداب الزفاف" الذي كنت بينت في مقدمة طبعة "صفة الصلاة" المشار إليها آنفاً ما يكفي لردعه عن استمراره في نشره، لأنه صار ملكاً لصاحب المكتبة الإسلامية، وقد اعترف هو بذلك لبعضهم، ولكنه الكيد والبغي والجشع والطمع. وإن مما يؤكد لك هذا أنه لما حذف منه مقدمتي البالغ عدد صفحاتها (٧٢) صفحة، لم يعد القارئ يستفيد من الأرقام التي تشير إلى نص متقدم أو متأخر، لأنها تشير إلى صفحات الطبعة الشرعية، وبعضها إلى نص في المقدمة المحذوفة!!

فيا معشر القراء! هل ترون من يفعل هذا بالمؤلف وقرائه يكون صادقاً حين يعلن في مقدمة "فهارسه" الآنف الذكر؛ أنه يتعامل معهم بموجب النصح والإخلاص! أم الأمر كما قال تعالى: {إنها كلمة هو قائلها}!؟

وأما حقوقي المتراكمة لديه منذ بضع سنين، وأشياء أخرى هو يعلمها؛ ما كنت أحاسبه عليها لثقتي السابقة به، فإني أرجو من الله تعالى أن يعوضني بديلها من حسناته، {يَوْمَ لَا يَنْفَعُ مَالٌ وَلَا بَنُونَ} ، يوم لا درهم فيه ولا دينار، وإنما هي الحسنات والسيئات، قال - صلى الله عليه وسلم - : "إن كان له عمل صالح أخذ منه بقدر مظلمته، وإن لم تكن له حسنات أخذ من سيئات صاحبه فحُمِلَ عليه".

رواه البخاري، وذلك هو المفلس حقاً، كما جاء في الحديث الآتي في الكتاب برقم (٨٤٧). نسأل الله السلامة، ومعدرة إلى القراء، فإني مصدرور! [الصحيحة ٥ / ٣ ، ٤ ، ٥]

- كنت علّقت على الفصل المشار إليه آنفاً، حين قام بطبعه صاحب المكتب الإسلامي بتعليقي عليه، ألحقه بكتابي "تخريج أحاديث فضائل الشام ودمشق للربيعي

"، وفيه هذا الحديث كما تقدم، وكنت علقت عليه بما خلاصته أنه حديث حسن، ثم خرجته من الطريقتين عن ابن عمرو مبيّناً علتها باختصار، وختمته بقولي:

"ولكن الحديث قوي. بمجموع الطريقتين إن شاء الله تعالى".

ولما قام بطبع مشروعي "صحيح السنن الأربعة" و"ضعيفها" بتكليف من "مكتب التربية العربي" دون علمي؛ أخذ يتصرف بها ويعلق عليها كما يوحى إليه جهله وغروره. بما لا يتسع المجال الآن لبيانها، ولا سيما وقد بينت شيئاً من ذلك في غير ما موضع.

والمقصود الآن أن هذا الحديث، كنت أوردته في "ضعيف أبي داود" لضعف إسناده كما تقدم بيانه، وبناءً على الاتفاق القائم بيني وبين مكتب التربية- كما هو منصوص عليه في مقدمة "ضعيف أبي داود" (ص ٨- ٩) وغيره-؛ فقلت فيه تحت الحديث:

"ضعيف".

أي: ضعيف إسناده، فأضاف صاحب من عنده معتدياً:

" [ضعيف الجامع الصغير] "

وزاد في الاعتداء فعلق عليه بما لا يخرج عن الخلاصة التي ذكرتها آنفاً، ولكن بأسلوب ماكر يفهم القارئ منه أنني متناقض، تماماً كما يفعل ذاك السقاف الجاهل الحاقد مدعي "التناقضات" بجهله المتراكم، فسار على وتيرته صاحب القديم! بالتعليق المشار إليه، وكان حقه- لو اتقى الله وأنصف- أن يبين أنه لا تناقض بين التضعيف؛ فهو بالنظر لسند أبي داود، والتحسين؛ فهو بالنظر لمجموع الطريقتين كما هو صريح في تخريجي على الفصل المشار إليه آنفاً.

ولم يكتف بهذا الاعتداء؛ بل جاء بثالثة الأثافي! فأخذ يوهم القراء التناقض في اسم صحابي الحديث؛ إذ وقع في التعليق المذكور "ابن عمر" خطأ مطبعياً أو قلمياً، قال:

"وذكر في "صحيح (كذا) الجامع" أنه عن ابن عمرو!"
هكذا وقع في تعليقه هذا: "صحيح الجامع"! وهو خطأ أيضاً قلمي أو مطبعي، فكأن الله أراد أن يخزيه فوقه فيما رمى به غيره؛ مصداقاً للحكمة القائلة: "من حفر بئراً لأخيه؛ وقع فيه"! فاعتبروا يا أولي الأبصار! والله المستعان، ولا حول ولا قوة إلا بالله، نسأل الله تعالى أن يحفظنا من فتن هذا الزمان وشرو أهله.]

[الصحيحة ٦١٧ / ٧]

بيان أن الشيخ علي منهج المحدثين

ولما كان موضوع الكتاب إنما هو بيان هدي النبي صلى الله عليه وسلم في الصلاة كان من البدهي أن لا أتقيد فيه بمذهب معين للسبب الذي مر ذكره وإنما أورد فيه ما ثبت عنه صلى الله عليه وسلم كما هو مذهب المحدثين قديما وحديثا وقد أحسن من قال :

أهل الحديث هم أهل النبي وإن لم يصحبوا أنفسهم أنفاسه صحبوا .
ولذلك فإن الكتاب سيكون إن شاء الله تعالى جامعا لشتات ما تفرق في بطون كتب الحديث والفقهاء - على اختلاف المذاهب مما له علاقة بموضوعه - بينما لا يجمع ما فيه من الحق أي كتاب أو مذهب وسيكون العامل به إن شاء الله ممن قد هداه الله لما اختلفوا فيه من الحق بإذنه والله يهدي من يشاء إلى صراط مستقيم .
ثم إني حين وضعت هذا المنهج لنفسي - وهو التمسك بالسنة الصحيحة - وجرئت عليه في هذا الكتاب وغيره - مما سوف ينتشر بين الناس إن شاء الله - كنت على علم أنه سوف لا يرضي ذلك كل الطوائف والمذاهب بل سوف يوجه بعضهم أو كثير منهم ألسنة الطعن وأقلام اللوم إلي ولا بأس من ذلك علي فإني

أعلم أيضا أن إرضاء الناس غاية لا تدرك وأن : (من أَرْضَى الناس بسخط الله وكله الله إلى الناس) (صحيح الصحيحة ٢٣١١) كما قال رسول الله صلى الله عليه وسلم .

ولله در من قال :

ولست بناج من مقالة طاعن ولو كنت في غار على جبل وعر
ومن ذا الذي ينجو من الناس سالما ولو غاب عنهم بين خافيتي نسر
فحسبي أنني معتقد أن ذلك هو الطريق الأقوم الذي أمر الله تعالى به المؤمنين
وبينه نبينا محمد سيد المرسلين وهو الذي سلكه السلف الصالح من الصحابة
والتابعين ومن بعدهم وفيهم الأئمة الأربعة - الذين ينتمي اليوم إلى مذاهبهم
جمهور المسلمين - وكلهم متفق على وجوب التمسك بالسنة والرجوع إليها وترك
كل قول يخالفها مهما كان القائل عظيما فإن شأنه صلى الله عليه وسلم أعظم
وسبيله أقوم ولذلك فإني اقتديت بهداهم واقتفيت آثارهم وتبعت أوامرهم بالتمسك
بالحديث وإن خالف أقوالهم ولقد كان لهذه الأوامر أكبر الأثر في نهجي هذا النهج
المستقيم وإعراضني عن التقليد الأعمى فجزاهم الله تعالى عني خيرا [مقدمة صفة
الصلاة].

بيان مذهب الشيخ الفكري والاعتقادي

وإني لن أنسى - ما حييت - تلك المناقشة التي كانت جرت منذ نحو عشر سنين في المدينة المنورة بيني وبين أحد الخطباء والوعاظ الذين يجنون أن يتصدروا المجالس ويستقلوا بالكلام فيها فقد دخل علينا نحن في سهرة لطيفة جمعت نخبة طيبة من طلاب العلم من السلفيين أمثالي فلم يبق له أحد من الجالسين سوى صاحب الدار مرحبا ومستقبلا فصافح الشيخ الجالسين جميعا واحدا بعد واحد مبتدئا بالأيمن فالأيمن فأعجبني ذلك منه حتى انتهى إلي وكنت آخرهم مجلسا ولكني رأيت وقرأت في وجهه عدم الرضى بتركهم القيام له فأحبيت أن ألطف وقع ذلك عليه فبادرته متلطفًا معه بقولي وهو يصفحني : عزيز بدون قيام يا أستاذ كما يقولون عندنا بالشام في مثل هذه المناسبة فأجاب وهو يجلس وملامح الغضب بادية عليه - بما معناه :

لا شك أن القيام للداخل إكراما وتعظيما ليس من السنة في شيء وأنا موافق لك على ذلك ولكننا في زمن أحاطت فيه الفتن بالمسلمين من كل جانب وهي فتن تمس الإيمان والعقيدة في الصميم . ثم أفاض في شرح ذلك وذكر الملاحدة والشيعيين والقوميين وغيرهم من الكافرين فيجب أن نتحد اليوم جميعنا لمحاربة

هؤلاء ودفع خطرهم عن المسلمين وأن ندع البحث والجدال في الأمور الخلافية
كمسألة القيام والتوسل ونحوهما

فقلت : رويدك يا حضرة الشيخ فإن لكل مقام مقالا فنحن الآن معك في مثل
هذه السهرية الأخوية لم نجتمع فيها لبحث خاص ولا لوضع الخطة لمعالجة المسائل
الهامة من الرد على الشيوعيين وغيرهم وأنت ما كدت تجلس بعد ثم إن طلبك ترك
البحث في الأمور الخلافية هكذا على الإطلاق لا أظنك تقصده لأن الخلاف يشمل
حتى المسائل الاعتقادية وحتى في معنى شهادة أن لا إله إلا الله . فأنت تعلم أن أكثر
المشايع اليوم يميزون الاستغاثة بغير الله تعالى . والطلب من الأموات وذلك مما ينافي
معنى شهادة التوحيد عندنا جميعا - أشير إلى أنه في هذه المسألة معنا - فهل تريدنا
أن لا نبحث حتى في تصحيح معنى الشهادة بحجة أن المسألة فيها خلاف ؟ قال :
نعم . حتى هذا يجب أن يترك موقتا في سبيل تجميع الصفوف وتوحيد الكلمة لدرء
الخطر الأكبر : الإلحاد و . . . قلت : وماذا يفيد مثل هذا التجمع - لو حصل -
إذا لم يقيم على أساس التوحيد وعدم الإلحاد بالله عز وجل . وأنت تعلم أن
العرب في الجاهلية كانوا يؤمنون بالله تعالى خالقا ولكنهم كانوا يكفرون بكونه
الإله الحق { إنهم كانوا إذا قيل لهم لا إله إلا الله يستكبرون } فلم يفدهم إيمانهم
ذلك شيئا ولم ينحهم من محاربة الرسول إياهم . فقال : نحن نكتفي اليوم بجمع
الناس تحت كلمة لا إله إلا الله . قلت : ولو بمفهوم خاطئ ؟ قال : ولو أقول :
فهذه المناقشة تمثل لنا في الحقيقة واقع كثير من الدعاة المسلمين اليوم وموقفهم
السليبي تجاه تفرق المسلمين في فهمهم للدين فإنهم يدعون كل من ينتمي إليهم على
أفكاره وآرائه دون أن يحملوهم بالعلم والحجة من الكتاب والسنة على توحيدها
وتصحيح الخطأ منها وجل اهتمامهم إنما هو في توجيههم إلى الأخلاق الإسلامية
وآخرون منهم لا شغل لهم إلا تثقيف أتباعهم بالسياسة والاقتصاد ونحو ذلك مما

يدور عليه كلام أكثر الكتاب اليوم حوله ونرى فيهم من لا يقيم الصلاة ومع ذلك فهم جميعا يسعون إلى إيجاد المجتمع الإسلامي وإقامة الحكم الإسلامي . وهيهات هيهات إن مجتمعا كهذا لا يمكن أن يتحقق إلا إذا بدأ الدعوة بمثل ما بدأ به رسول الله صلى الله عليه وسلم من الدعوة إلى الله حسبما جاء في كتاب الله وبينه رسول الله صلى الله عليه وسلم ومن البديهي أن مثل هذه الدعوة لا يمكن النهوض بها بعدما دخل فيها ما ليس منها من طريق الدس على النبي صلى الله عليه وسلم باسم الحديث والدس على تفسير القرآن باسم التأويل فلا بد من الاهتمام الجدي العلمي لتصفية المصدرين المذكورين مما دخل فيهما لنتمكن من تصفية الإسلام من مختلف الأفكار والآراء والعقائد المنتشرة في الفرق الإسلامية حتى ممن ينتسب إلى السنة منهم .

وأعتقد أن كل دعوة لا تقوم على هذا الأساس الصحيح من التصفية فسوف لا يكتب لها النجاح اللائق بدين الله الخالد.

ولقد تنبه لهذا أخيرا بعض الدعاة الإسلاميين فهذا هو الأستاذ الكبير سيد قطب رحمه الله تعالى فإنه بعد أن قرر تحت عنوان (جيل قرآني فريد) أن هذه الدعوة أخرجت جيلا مميذا في تاريخ الإسلام كله وفي تاريخ البشرية جميعه وأنها لم تعد تخرج من ذلك الطراز مرة أخرى تساءل عن السبب مع أن قرآن هذه الدعوة لا يزال وحديث الرسول وهدية العملي وسيرته الكريمة كلها بين أيدينا كما كانت بين يدي ذلك الجيل الأول ولم يغيب إلا شخص رسول الله صلى الله عليه وسلم ؟ فأجاب بأنه :

(لو كان وجود شخص رسول الله صلى الله عليه وسلم حتميا لقيام الدعوة وإيتائها ثمراتها ما جعلها الله دعوة للناس كافة وما جعلها آخر رسالة وما وكل إليها أمر الناس في هذه الأرض إلى آخر الزمان)

ثم نظر في سبب عدم تكرر المعجزة عدة عوامل طرأت أهمها ما أشرنا إليه من اختلاف في طبيعة النبع فقال :

(كان النبع الأول الذي استقى منه ذلك الجيل هو نبع القرآن وحده فما كان حديث رسول الله وهدية إلا آثار من آثار ذلك النبع فعندما سئلت عائشة رضي الله عنها عن خلق رسول الله قالت : كان خلقه القرآن . كان القرآن وحده إذن هو النبع الذين يستقون منه ويتكيفون به ويتخرجون عليه ولم يكن ذلك كذلك لأنه لم يكن للبشرية يومها حضارة ولا ثقافة ولا علم ولا مؤلفات ولا دراسات كلا فقد كانت هناك حضارة الرومان وثقافتها وكتبها وقانونها الذي ما تزال أوروبا تعيش عليه أو على امتداده . وكانت هناك مخلفات الحضارة الإغريقية ومنطقها وفلسفتها وفننها وهو ما يزال ينبوع التفكير الغربي حتى اليوم وكانت هناك حضارة الفرس وفننها وشعرها وأساطيرها وعقائدها ونظم حكمها كذلك وحضارات أخرى قاصية ودانية : حضارة الهند وحضارة الصين إلخ . وكانت الحضارتان الرومانية والفارسية تحفان بالجزيرة العربية من شمالها ومن جنوبها . كما كانت اليهودية والنصرانية تعيشان في قلب الجزيرة فلم يكن إذن عن فقر في الحضارات العالمية والثقافات العالمية يقصر ذلك الجبل على كتاب الله وحده . . في فترة تكونه . . . وإنما كان ذلك عن تصميم مرسوم ونهج مقصود . يدل على هذا القصد غضب رسول الله صلى الله عليه وسلم وقد رأى في يد عمر بن الخطاب رضي الله عنه صحيفة من التوراة وقوله :

(حسن) (إنه والله لو كان موسى حيا بين أظهركم ما حل له إلا أن يتبعني) كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يريد صنع جيل خالص القلب . خالص العقل . خالص التصور . خالص الشعور . خالص التكوين من أي مؤثر آخر غير المنهج الإلهي الذي يتضمنه القرآن الكريم .

ذلك الجيل استقى إذن من ذلك النبع وحده فكان له في التاريخ ذلك الشأن
الفريد ثم ما الذي حدث ؟

اختلطت الينابيع صبت في النبع الذي استقت منه الأجيال التالية فلسفة
الإغريق ومنطقهم وأساطير الفرس وتصوراتهم وإسرائيليات اليهود ولاهوت
النصارى وغير ذلك من رواسب الحضارات والثقافات واختلط هذا كله بتفسير
القرآن الكريم وعلم الكلام كما اختلط بالفقه والأصول أيضا . وتخرج على ذلك
النبع المشوب سائر الأجيال بعد ذلك الجيل فلم يتكرر ذلك الجيل أبدا)
ثم ذكر - رحمه الله - عاملين آخرين ثم قال (ص ١٧) :

(نحن اليوم في جاهلية كالجاهلية التي عاصرها الإسلام أو أظلم . كل ما
حولنا جاهلية . . . تصورات الناس وعقائدهم وعاداتهم وتقاليدهم موارد ثقافتهم
فنونهم وآدابهم شرائعهم وقوانينهم . حتى الكثير مما نحسبه ثقافة إسلامية وتفكيراً
إسلامياً . . . هو كذلك من صنع هذه الجاهلية

لذلك لا تستقيم قيم الإسلام في نفوسنا ولا يتضح تصور الإسلام في عقولنا
ولا ينشأ فينا جيل ضخم من الناس من ذلك الطراز الذي أنشأه الإسلام أول مرة .
فلا بد إذن في منهج الحركة الإسلامية أن نتجرد في فترة الحضارة والتكوين من
كل مؤثرات الجاهلية التي نعيش فيها ونستمد منها . لا بد أن نرجع ابتداءً إلى النبع
الخالص الذي استمد منه أولئك الرجال . النبع المضمون الذي لم يختلط ولم تشبه
شائبة نرجع إليه نستمد منه تصورنا لحقيقة الوجود كله ولحقيقة الوجود الإنساني
ولكافة الارتباطات بين هذين الوجودين وبين الوجود الكامل الحق : وجود الله
سبحانه . . . ومن ثم نستمد تصوراتنا للحياة وقيمنا وأخلاقنا ومفاهيمنا للحكم
والسياسة والاقتصاد وكل مقومات الحياة .

ثم لا بد لنا من التخلص من ضغط المجتمع الجاهلي والتصورات الجاهلية والتقاليد الجاهلية والقيادة الجاهلية في خاصة نفوسنا . . . ليست مهمتنا أن نصطلح مع واقع هذا المجتمع الجاهلي ولا أن ندين بالولاء له فهو بهذه الصفة . . . صفة الجاهلية . . . غير قابل لأن نصطلح معه . إن مهمتنا أن نغير من أنفسنا أو لا نغير هذا المجتمع أخيراً .

وسنلقى في هذا عنتا ومشقة وستفرض علينا تضحيات باهظة ولكننا لسنا مخيرين إذا نحن شئنا أن نسلك طريق الجيل الأول الذي أقر الله به منهجه الإلهي ونصره على منهج الجاهلية) .

من أجل ذلك كان لا بد للعاملين من أجل الدعوة الإسلامية أن يتعاونوا جميعاً على الخلاص من كل ما هو جاهلي مخالف للإسلام ولا سبيل إلى ذلك إلا بالرجوع إلى الكتاب والسنة كما يشير إلى ذلك قوله صلى الله عليه وسلم : (تركت فيكم أمرين لن تضلوا ما إن تمسكتم بهما : كتاب الله وسنتي ولن يتفرقا حتى يردا علي الحوض) . فإذا هم فعلوا ذلك فقد وضعوا الأساس لقيام المجتمع الإسلامي وبدونه لا يمكن أن تكون لهم قائمة أو تنشأ لهم دولة مسلحة .

وإنني لأعجب أشد العجب من بعض الكتاب والدكاترة الذين يؤلفون في معالجة بعض أمراض النفوس كمؤلف رسالة (باطن الإثم الخطر الأكبر في حياة المسلمين) ثم لا يقنع بذلك حتى يكشف عن جهل كبير بالخطر الحقيقي الذي يحيط بالمسلمين وهو ما أشار إليه الأستاذ سيد قطب - رحمه الله تعالى - في كلامه المتقدم :

فإن الدكتور المشار إليه لم تعجبه هذه الحقيقة فأخذ يغمز منها ومن المذكر بها تحت عنوان له في الرسالة المذكورة (ص ٨٥) :

(مشكلتنا أخلاقية وليست فكرية) . قال :

(ومعنى كل هذا الذي ذكرناه أننا نعاني من مشكلة تتعلق بالخلق والوجدان وليس لها أي تعلق بالقناعة أو الفكر) .

كذا قال ثم تعجب من الناس الذين يشعرون بمشكلته ويتنبهون إلى ما سماه بالخطر الأكبر في حياة المسلمين ولكنهم بدلا من أن يعالجوه بالسبل التي ذكرها هو في رسالة يعالجونه بمزيد من الأبحاث الفكرية . . . ثم قال مشيرا إلى كلام سيد قطب رحمه الله :

(فماذا يجدي أن نسهب في شرح (المجتمع الجاهلي) أو نتفنن في كشف المخططات العدوانية التي يسير عليها أعداء الإسلام وأرباب الغزو الفكري أو نهتم بعرض المزيد من منهجية الفكر الإسلامي والدعوة الإسلامية وأن البلاء الذي يعانيه المسلمون ليس الجهل بشيء من هذا كله وإنما هو المرض العضال الذي يستحكم بنفوسهم) ؟

ليس بالمسلمين حاجة بعد اليوم إلى أي مزيد من هذه الدراسات الفكرية فالمسلمون على اختلاف ثقافتهم أصبحوا يملكون من الوعي في هذه النواحي ما يتيح لهم الحصانة الكافية لو أن الأمر كان موكولا إلى الوعي وحده وإنما هم بحاجة بعد اليوم إلى القوة الهائلة التي تدفع إلى التنفيذ وهيئات أن يكون أمر التنفيذ بيد الفكر أو العقل وحده والقوة الهائلة التي يحتاجونها إنما هي قوة الأخلاق)

هكذا يقول الدكتور العليم وفي كلامه من المغالطات والخطيئات ما لا يتسع المجال لبسط القول في بيائها فإن أحدا من الإسلاميين لا يتصور أن يقول أن الوعي والفكر وحده يكفي لحل المشكلة خلافا لما أوهمه كلامه ولكن المشكلة التي أنكرها الدكتور هي الأصل لقوة الأخلاق ألا وهو الإيمان والتوحيد الصحيح والعقيدة الصحيحة ولذلك كانت الأنبياء والرسل عليهم الصلاة والسلام وأتباعهم أول ما يبدؤون من الدعوة إنما هو توحيد الله عز وجل فلم يكونوا يعالجون بادئ الأمر

المشاكل الأخلاقية ولا الاقتصادية وغير ذلك مما افتتن بمعالجته كثير من الكتاب اليوم مع الغفلة عن المشكلة الأساسية وهي انحراف الكثير من المسلمين اليوم وما قبل عن العقيدة الصحيحة ولكتب الكلام التي يسمونها بكتب التوحيد ضلع كبير في ذلك وأنا أسأل الدكتور العليم سؤالاً واحداً : هل يمكن لفرد أو أفراد أو جماعة أو أمة أن يحفظوا بالقوة الهائلة التي يحتاجونها اليوم وهي قوة الأخلاق إذا كانت عقيدتهم غير صحيحة فإذا أجاب بعدم الإمكان فنسأله فهل الذي يعلمه هو أن هناك أمة مسلمة لا تزال عقيدتهم صحيحة كما كانت عليه في عهد السلف على الرغم من أن فيهم من هو على عقيدة المعتزلة النفاة والجبرية وغلاة المتصوفة الذي منهم اليوم وفي بلدنا خاصة من يقول بأن المسلم ليس بحاجة إلى أن يتعلم الكتاب والسنة والعلوم التي تساعد على فهمهما وإنما يكفي في ذلك تقوى الله ويحتجون من القرآن بما هو حجة عليهم لو كانوا يعلمون كقوله تعالى : ﴿ واتقوا الله ويعلمكم الله ﴾ وبناء على ذلك ينكرون كثيراً من الحقائق الشرعية كالشفاعة الثابتة للأنبياء والرسل وبخاصة نبينا محمد صلى الله عليه وسلم ونزول عيسى وخروج الدجال وغير ذلك كثير وفي مصر والهند أناس يسمون بالقرآنيين الذين يفسرون القرآن دون الاستعانة على تفسيره بأحاديث النبي صلى الله عليه وسلم وأقوال الصحابة والتابعين والأئمة المجتهدين بل وبدون التزام للقواعد العلمية العربية

فإن أجاب الدكتور بأن عقيدة المسلمين اليوم هي كما كانت في عهد السلف فنسأله هل هذا الذي ذكرته من العقائد الباطلة موجود اليوم وفي بلده خاصة فإن أجاب بالإيجاب كما هو الظن به فيكف يتجرأ على القول المتقدم : (ليس بالمسلمين حاجة بعد إلى أي مزيد من هذه الدراسات الفكرية فالمسلمون اليوم على

اختلاف ثقافتهم أصبحوا يملكون من الوعي في هذه النواحي ما يتيح لهم الحصانة الكافية) ؟

وإذا كابر وححد ورجع إلى القول بأن المسلمين فيهم الخير والبركة من هذه الحثية سقطت مخاطبته لأن الأمر كما قال الشاعر :

وليس يصح في الأذهان شيء إذا احتاج النهار إلى دليل

وأخيرا لا بد من أن أواجه إلى حضرة الدكتور السؤال الذي يكشف له إن شاء الله عن خطئه الذي وضع له ذلك العنوان الخاطيء إن كان لم يتبين له حتى الآن نحن نسألك بسؤال الرسول صلى الله عليه وسلم للجرارية : أين الله ؟ فإن أجبت بالجواب الذي تؤمن به وجعله الرسول صلى الله عليه وسلم دليل إيمان الجارية ألا وهو قولنا: في السماء وفهمه على الوجه الذي فهمه السلف أنه تبارك وتعالى على العرش فقد أصبت الحق واتفقت معنا في هذه المسألة التي علاقتها بالأفكار والعقائد وليس بالأخلاق ولكنك في الوقت نفسه خالفت جماهير المسلمين حتى المشايخ والأساتذة والدكاترة الذين درست عليهم الشريعة فإنهم لا يوافقونك على هذا الجواب الحق وما عهدك بالكوثري وأبي زهرة بعيد .

وإن أنت أنكرت توجيه هذا السؤال الذي سنه لنا الرسول صلى الله عليه وسلم وأبيت أن تجيب عليه بجواب إيجابي أو أجبت بجواب المعتزلة : الله موجود في كل مكان . وهذا معناه القول باتحاد الخالق والمخلوق وهو الكفر بعينه أو تجيب بما في (الجوهرة) وحاشيتها وغيرها من كتب الكلام التي درستها وثقفت بثقافتها حتى (أصبحت تملك من الوعي ما ينسج لك الحصانة الكافية) فقد خالف الكتاب والسنة وإجماع الأمة كما سبق أن أشرنا إلى بعض النقول عن بعض الأئمة الموثوق بهم عندنا جميعا ونحن على مذهبهم في ذلك وباختصار فسواء كنت معنا أو ضدنا في هذه العقيدة فكل من الطائفتين يمثل ملايين المسلمين منذ مئات السنين

حتى اليوم وفي الطائفة التي تؤمن بالسؤال والجواب الوارد في الحديث المشار إليه أنفا شيخ الإسلام ابن تيمية وتلميذه المحقق ابن قيم الجوزية وجميع إخواننا الحنابلة اليوم الذي هم من أتباع الشيخ محمد بن عبد الوهاب وكل من الطائفتين هم بلا شك مما يشملهم ظنك الواسع الذي عبرت عنه بقولك في الرسالة السابقة (ص ٩) :

(وما أظن إلا أننا جميعاً مؤمنون بالله إلهاً واحداً لا شريك له بيده الخير . . .)

(وأما أنا فأعتقد أن كلا من الطرفين إذا تمسك بأداب الإسلام سيقول بلسان حاله أو قاله للطائفة المخالفة : (وإنا وإياكم لعلى هدى أو في ضلال مبين) والدكتور يعلم فيما أعتقد أن إحدى الطائفتين أياً كانت فهي على ضلالة وليس هي بلا شك من حيث الخلق وإنما من جهة الفكرة والعقيدة وكل من الطائفتين يمثل ملايين المسلمين اليوم في هذه المسألة وغيرها من مسائل الاعتقاد أفليس هؤلاء المختلفون بحاجة يا دكتور إلى الدراسات الفكرية ولا أقول كما قلت : (إلى مزيد من الدراسات الفكرية) ؟ لأن الإنسان العاقل يطمع في المزيد عندما يجد المزيد عليه فيكف وهو مفقود أو في حكم المفقود .

فهو يطمع فيه ثم في المزيد عليه أليس هؤلاء جميعاً بحاجة ملحّة إلى تلك الدراسات حتى يتبين الحق للطائفة الضالة أياً كانت هذه الطائفة فتتضم إلى الطائفة المحققة وتزداد هذه إيماناً على إيمان بحقها وصوابها ومعرفة بملتها والدعوة إليها وبذلك نسير إلى المجتمع الإسلامي المنشود وهو لا ينافي إذا قام به بعض الدعاة أن يقوم آخرون بمعالجة أمراض النفوس وأخلاقها كما فعل الدكتور في رسالته السابقة الذكر (باطن الإثم) ولكن بشرط أن لا ينكر على الأولين جهادهم الأكبر ولا أن

يدعوهم بأن يسلكوا سبيلهم في معالجة المشكلة المدعاة } ولكل وجهة هو مولياها
 فاستبقوا الخيرات } . [من مقدمة : مختصر العلو] .

جهود الشيخ المستمرة في الدفاع عن السنة

قال الشيخ رحمه الله : وإني أحمد الله تبارك وتعالى حمدا كثيرا طيبا على نعمة الإسلام أولا وعلى أن هداني إلى السنة ثانيا ، ووفقني - بفضله - إلى نصرتها وخدمتها ثالثا ، وذلك بالدعوة إليها والتفقه فيها ، بعد تمييز صحيحها من ضعيفها ، فإن هذا التمييز هو المنهج الذي ينبغي أن يُقام عليه الفقه الإسلامي ، بله العقيدة الإسلامية ، وإلا اختلط الباطل بالحق ، والخطأ بالصواب ، وتعددت الأقوال والآراء ، حتى يختار فيها كثير من العلماء ، ولا يجدون إلى معرفة الراجح منها سبيلا ، فيذرونها معلقة : قيل كذا، وقيل كذا! أو أنهم يصيرون إلى الترجيح بغير مرجح اتباعا للمصلحة - زعموا - أو الهوى! فقطعا لدابر ذلك كله كان لابد من التزام هذا المنهج السليم من التمييز بين الصحيح والضعيف من الحديث ليكون المسلم

على بصيرة من دينه وقوفاً منه مع أمر ربه (قل هذه سبيلي أدعو إلى الله على بصيرة أنا ومن اتبعني)

وقد تجاوب معنا في ذلك كثير جداً من أفاضل العلماء والمؤلفين والدعاة والطلبة في مختلف البلاد الإسلامية ، ولا أدل على هذا من الطلبات الكثيرة التي تصلني منهم يوماً بعد يوم ، مُلحين بضرورة متابعة نشر ما عندي من السلسلتين وغيرهما ، ليزدادوا بها علماً ، ويأخذوا بالصحيح وفقهه ، ويذروا الضعيف إلى غيره . ومقابل هؤلاء الفاضل بعض الشيوخ ، المقلدين وغيرهم من الصوفيين والطرفيين ، الذين لا حياة لهم إلا بالاعتماد على الأحاديث الضعيفة والموضوعة ، التي يسيطرون بها على قلوب العامة ثم على ما في ٠٠٠٠ لذلك فهم لا يرضون عن ذلك التمييز ، ولازمة من التمسك بالإسلام على ضوء الكتاب والسنة الصحيحة ، ويجاربون الدعاة إليه محاربة شديدة لا هوادة فيها ، ويستبيحون في سبيل ذلك من الكذب والبهت والافتراء ما لا يستحله إلا الكفار الذين قال الله فيهم : ﴿ إِنَّمَا يَفْتَرِي الْكَذِبَ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ ﴾ ، لأنهم يعلمون أن هذه الدعوة ستقضى على مشيختهم وسخافتهم وخرافتهم التي يستغلون بها السذج ، وطبي القلوب من الناس .

ولدى على ذلك أمثله كثيرة ، وحسبى الآن في هذه المقدمة مثالان أثنان ، لهما صلة وثقى بها :

الأول : أن وزير الأوقاف في بعض الإمارات العربية - ولعله صوفي ، أو حوله بطانة صوفية - اصدر مذكرة نشر مضمونها في أوائل شوال سنة (١٤٠٦ هـ) في بعض الجرائد كالبيان وغيرها ، يتهم فيها إخواننا السلفيين في تلك الإمارة بتهم شتى ، منها (التطرف)! والخطورة على العقيدة الإسلامية ! وإنكار المذاهب الربعة !!! وكل كذب وزور ، الهدف منه ظاهر لكل ذى بصيرة

في الدين ، وهو التمهيد الجوهري لمنعهم من الدعوة إلى الله ، وتبصير الناس بدينهم على كتاب الله ، وسنة رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ، ومنهج السلف الصالح ، ومنهم الأئمة الأربعة رضی الله تعالى عنهم أجمعين .

ولم تكتف المذكورة بهذه التهم ، بل أضافت على ذلك تهماً أخرى ، تتعلق بشخصي أنا ، هي أظهر بطلاناً من سابقاتها ، فقالت :

(ويتزعمها خصم يدعى ناصر الدين الألباني)

فهذا كذب وزور ، يشهد به كل من يعنى شخصياً فإن انكبابي على التأليف والتحقيق أكثر من نصف قرن من الزمان يحول بيني وبين التزعم المزعوم ، هذا لو كانت نفسي تميل إليه ، فكيف وهو مناف لطبيعتي العلمية ؟؟

وأوضح ما في المذكورة من الافتراء ، قولها عقب الزعم السابق :

(كما جرى طرده من الإمارات قبل أربع سنوات ومنعه من العودة للبلاد)!

قلت : وهذا كذب له قرون كما يقال في بعض اللغات فإنه لم يكن شئ من ذلك البتة - والحمد لله ، وليس أدل على ذلك من أنني عدت إليها بتاريخ ١٩٨٥/٣/٢٩ بأذن دخول رسمي رقم ٦٠٩٤/أ ، ثم خرجت كذلك بتاريخ ١٩٨٥/٤/٥ كما هو مسجل في جواز سفري رقم ٢٨٤٠٢٤س ر/٧٧ .

ثم إنني أرى أن هذا الخبر الكاذب الذي صدر من شخص مسؤول هناك لا يمسني أنا شخصياً فقط ، بل ويمس الدولة التي هو وزير فيها ، أذ لا يعقل أن يوافق حكامها - وهم مسلمون مثلي - على الطرد المزعوم ، لا لسبب يذكر سوى أنني أقول : [ربى الله] ، وأدعو إليه ، وهو القائل : [ومن أحسن قولاً ممن دعا على الله وعمل صالحاً وقال غنى من المسلمين] ، في الوقت الذي يسمح فيه للكفار بالدخول إلى البلاد على اختلاف أديانهم وغاياتهم ؟! اللهم فإني إليك أشكو غربة افسلام وأهله ، اللهم فاعز المسلمين ، واذل الكافرين والمنافقين .

ثم إن من فريات تلك المذكرة قولها :

(إن هذه الجماعة تنكر المذاهب الأربعة)!

فأقول : هذا كذب وزور ، فنحن نقدر الأئمة الأربعة - وكذا غيرهم - حق قدرهم ، ولا نستغنى عن الاستفادة من علمهم ، والاعتماد على فقههم ، دون تعصب لواحد منهم على الآخرين ، وذلك مما بينته بيانا شافيا منذ أكثر من ثلاثين سنة في مقدمة كتابي : (صفة صلاة النبي صلى الله عليه وآله وسلم من التكبير إلى التسليم كانك تراها) فإليها أحيل من كان يريد التأكد من كذب هذه الفرية وإن من أفرى الفرى قولها عطفا على ما سبق :

(وتشكك بسنة رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم عن طريق تكذيب أحاديث (!) الصحاح المعتمدة ، والتشكيك بصحة بعض الأحاديث النبوية الأخرى)!

فأقول : سبحانك هذا بهتان عظيم و [إفك مبین] ، واعتداء جيم على مسلم نذر نفسه ووقته وجهده لخدمة السنة والدفاع عنها والرد على مخالفيها ، وتمييز صحيحها من ضعيفها ، وقضى في ذلك أكثر من نصف قرن من الزمان ، لا يكل ولا يمل ، والحمد لله . وله في ذلك المؤلفات الكثيرة التي يشهد بفائدتها وأهميتها كبار العلماء والأدباء ، وينتفع بها الملايين من طلاب العلم في كل البلاد الإسلام وغيرها ، وقد اعيد الكثير منها ، وبعضها ينيى عن ذلك صريح اسمها ، مثل (دفاع عن الحديث النبوى) و (منزلة السنة في افسلام ، وأنه لا يستغنى عنها بالقرآن) ، و (الذب الأحمدي عن مسند الإمام أحمد) ولم يطبع بعد ، وهو في الرد على من نفى صحة نسبة (المسند) للإمام أحمد ، وغيرها كثير مما هو مطبوع معروف ، وقد جمع أسماء الكثير منها بعض المحبين في كتب ورسائل ، وقفت وأنا أكتب هذه المقدمة على واحدة منها مطبوعة بعنوان :

(سلم الاماني في الوصول إلى فقه الألباني)

وفي اعتقادي أن تلك المذكرة الجائرة ، تشير بهذه الفرية الباطلة إلى جهودنا المستمرة في خدمة السنة المطهرة التي منها بيان الأحاديث الضعيفة والموضوعة ، الدائرة على ألسنة كثير من الخطباء والمحاضرين والمدرسين وغيرهم من خاصة المسلمين وعامتهم ، متوهمين أنها أحاديث صحيحة ، وهي عند أهل العلم ضعيفة أو موضوعة ، فيتهمهم الجهال بأنهم يكذبون بالأحاديث الصحيحة ، والله المستعان .

وفي ختام هذا الرد لا بد لي من أن أذكر صاحب تلك المذكرة وبطانته إن كانوا مؤمنين بقول رب العالمين :

﴿ وَمَنْ يَكْسِبْ خَطِيئَةً أَوْ إِثْمًا ثُمَّ يَرْمِ بِهِ بَرِيئًا فَقَدِ احْتَمَلَ بُهْتَانًا وَإِثْمًا مُّبِينًا ﴾
ويقول صلى الله عليه وآله وسلم الثابت عنه - وهم لا يكذبون بالأحاديث الصحيحة إن شاء الله :-

(من قال في مؤمن ما ليس فيه أسكنة الله ردغة الخبال حتى يخرج مما قال ن ولي بخارج) . (الصحيحة ٤٣٨ والارواء ٢٣١٨) ، و (ردغة الخبال) جاء تفسيرها في حديث آخر أنها : عصارة أهل النار . نسأل الله السلامة والعافية في الدنيا والآخرة .

ذلك هو المثال الأول من أمثلة محاربة الدعاة إلى الكتاب والسنة وتمييز صحيحها من ضعيفها .

والآن جاء وقت بيان المثال الآخر فأقول :

هناك في المغرب رجل ينتمي إلى العلم ، وله رسائل معروفة ويزعم أنه خادم الحديث الشريف ن وهو الشيخ عبد الله بن الصديق الغماري وهو يختلف عن الرجل الأول المشرقي من حيث أنه معروف بعوائه الشديد منذ القديم لأنصار

السنة ، ولكل من ينتمى إلى عقيدة السلف مما يدل العاقل أنه لم يستفد من الحديث إلا حملة ! ولا أدل على ذلك من كتيب له طبع في هذه السنة (١٩٨٦) بـ (طنجة) بعنوان :

(القول المقنع في الرد على الألباني المبتدع) !

أقول ك عن كل من يقرأ هذا العنوان من القراء مهما كان اتجاهه - يتساءل في نفسه متعجبا : ماذا أرتكب الألباني من البدع - وهو المعروف بمحاربه إياها في محاضراته وكتبه ، ومن مشاريعه المعروفة (قاموس البدع) وقد نص على الكثير منها في فصول خاصة في آخر بعض كتبه ، مثل بدع الجنائز ، وبدع الجمعة وبدع الحج والعمرة ن فما هي البدع التي جاء بها الألباني حتى وصمه الغماوى بـ (المبتدع)؟ مع أنه كان أحق بها وأهلها ، لأنه هو المعروف بالابتداع في الدين ، والأنتصار للمبتدعة والطريقين ، كما يشهد بذلك كل من اطلع على شئ من رسائله ، وحسب القارئ دليلا على ما أقول ، أنه شيخ الطريقة الشاذلية الدارقاوية الصديقية ، وهو يفجر بذلك في بعض كتاباته ، كما يفجر بأنه خادم السنة ! وليته كان خادما لها ، بل نقنع منه أن لا يكون من المهادمين لها !

فإذا بدأ القارئ بقراءة كتيب الغمارى ، فسرعان ما يبدو له ان موضوعه حديثي محض يرد فيه على الألباني بعض ما انتقده عليه في تعليقه على رسالة : (بداية السؤل في تفضيل الرسول صلى الله عليه وآله وسلم) للإمام العز بن عبد السلام ، من بعض الأحاديث الضعيفة والموضوعة ، وغير ذلك ، وأنه لا علاقة له بالبدعة كما سيأتى عن شاء الله تعالى بيانه . م يتابع القارئ القراءة فيجد أن الشيخ الغمارى كأنه شعر بأنه لم ينل من الألباني بغيته من التشهير به ، وبيان جهله الذى يرميه به في ردة عليه من الناحية الحديثية ن لذلك قفز إلى مناقشة اللباني في بغض المسائل الفقهية ، ففيها يجد المسألة التي من أجلها وصم الغمارى الألباني بـ

(المبتدع) ، ألا وهي قوله بعدم شرعية زيادة كلمة (سيدنا) في الصلوات الإبراهيمية ! اتباعا لتعليمه صلى الله عليه وآله وسلم أمته إياها بقوله :

(قولوا : اللهم صلى على محمد (٠٠٠٠))

وهنا يزداد القارئ اللبيب استغرابا مجددا : كيف يكون مبتدعا من التزم تعليم النبي صلى الله عليه وآله وسلم ، ولم يزد عليه شيئا ، ولا يكون الغمارى هو المبتدع حقا وهو لا يرى هذا الألتزام؟! بل هو ينكره على الألباني؟!!

قلت : بل وعلى السلف جميعا من صحابة وتابعين ، وأئمة مجتهدين فإنهم قدوتى فى عدم شرعية ذلك ن وبخاصة الحافظ ابن حجر الذى أفتى بذلك ، وقد نقلت فتواه فى تعليقى على (صفة الصلاة) وختمها بقوله :

(ولو كانت زيادة . سيدنا) مندوبة ما خفيت عليهم حتى اغفلوها والخير كله فى الاتباع) .

وأشار الغمارى إلى فتوى الحافظ التى ذكرت خلاصتها فى تعليقى على (فضل الصلاة على النبي صلى الله عليه وآله وسلم لإسماعيل القاضى (ص ٢٦) ، وتعقب الغمارى هذه الخلاصة بقوله (ص ٢٠ - ٢١) :

(وهذا جمود شديد ، وتزمت ممقوت) ، إلى آخر هرائه الذى ذكر فقيهه حكاية عن فلاح لا تنطبق إلا عليه ن ثم قال :

(فنحن حين نذكر السادة فى الصلاة على النبي صلى الله عليه وآله وسلم لم نزدها من أنفسنا (!) ولكن من قوله صلى الله عليه وآله وسلم : (أنا سيد ولد آدم) ... والمبتدع الألباني وقع فى البدعة التى ينعاها علينا ، وهو لا يشعر ، لضعف فهمه وقلة إدراكه ، فهو حين يصلي على النبي صلى الله عليه وآله وسلم فى خطبة كتبه يصلي على أصحابه معه لا ، وزيادة الصحابة بدعة ، لما تقدم بيانه)

فتأمل أيها الأخ القارئ ! إلي غرور هذا الرجل وجهله وإقدامه على الاستدلال بالحديث المذكور على بدعته ، فإن لازمه أن السلف كانوا غافلين عن دلالة فما أحقه بوعيد قوله تعالي في كتابه : (ومن يشاقق الرسول من بعد ما تبين له الهدى ويتبع غير سبيل المؤمنين نوله ما تولى ونصله جهنم وساءت مصيراً)

وقد زاد عليه أخوه أحمد في ذلك ، فألف كتابا يغنيك اسمه عن مضمونه ودلالة على انحرافه عن السبيل وهو : (تشنيف الآذان باستحباب السيادة في الصلاة والإقامة والآذان) ! ووافقه الغماري الصغير على ذلك (ص ٥١) من رسالته التي سماها : (إتقان الصنعة في تحقيق معنى البدعة) ! على حد قوله صلى الله عليه وآله وسلم : (... يسمونها بغير اسمها) ! .

ذلك قولهم ! وهم يعلمون أن الآذان وما ذكر معه توقيفي بوحى السماء ، وقد بلغه صلى الله عليه وآله وسلم أصحابه وعلمهم إياه كما أنزل ، فلا يجوز التقدم بين يديه صلى الله عليه وآله وسلم والزيادة عليه اتفاقاً ، ولا إخال يخالف فيه إلا ضال مضل ، حتى ولا صاحب هذا الرد المفضع ! فإنه قد صرح فيه بذلك ، ولكنه _ لجهله البالغ _ وضعه في غير موضعه ، فقال (ص ٩ - ١٠) :

(ونبيه هنا على خطأ وقع من جماهير المسلمين ، قلد فيه بعضهم بعضاً ولم يتفطن له إلا الشيعة (!) ذلك أن الناس حين يصلون على النبي صلى الله عليه وآله وسلم يذكرون معه أصحابه ، مع ان النبي صلى الله عليه وآله وسلم حين سأله على محمد وآل محمد) ، وفي رواية : (اللهم صل على محمد وأزواجه وذريته) ، ولم يأت في شيء من طرق الحديث ذكر أصحابه مع كثرة الطرق وبلوغها حد التواتر فذكر الصحابة في الصلاة على النبي صلى الله عليه وآله وسلم زيادة على ما علمه الشارع واستدراك عليه وهو لا يجوز)

قلت :: ليس في هذا الكلام من الحق إلا قولك الأخير: أنه لا تجوز الزيادة على مكا علمه الشارع .. إلخ ، فهذا حق نقول به ونلتزم ، ما استطعنا إلي ذلك سبيلا ، ولكن ما بالك أنت وأخوك خالفتم ذلك ، واستجيبتم زيادة كلمة (سيدنا) في الصلاة عليه صلى الله عليه وآله وسلم ولم ترد في شئ من طرق الحديث ؟ ! أليس في ذلك استدارك صريح عليه صلى الله عليه وآله وسلم يا من تعظيمه بالتقدم بين يديه ؟ !

أما سائر كلامك فباطل لوجوه :

الأول : أنك أثبتت على الشيعة بالفطنة ، ونزهتهم عن البدعة ، وهم فيها من الغارقين الهالكين ، واتهمت أهل السنة بها وبالبلاء والغباوة ، وهم - والحمد لله - مبرؤن ، فحسبك قوله صلى الله عليه وآله وسلم في أمثالك : (إذا قال الرجل : هلك الناس فهو أهلكهم) . رواه مسلم .

(كما صليت على إبراهيم، اللهم بارك على محمد ...) إلخ

الصلوات الإبراهيمية المعروفة عند كل مصل ، ومذكورة في (صفة الصلاة) .

الثالث : فإن قلت : فاتني التنبيه على تمام الحديث .

قلنا لك : هب أن الأمر كذلك - وما اظن - فاستدلالك بالحديث حينئذ باطل ، لأن أهل السنة جميعا الذين اتهمتهم بما سبق لا يذكرون أصحابه صلى الله عليه وآله وسلم في هذه الصلوات الإبراهيمية !

الرابع : فإن قلت : إنما اعنى ذكرهم الصحابة في الصلاة على النبي صلى الله

عليه وآله وسلم وآله في الخطب !

قلنا : هذا وإن كنت قد صرحت به في آخر رسالتك (ص ٢١) ونقلته عنك

فيما سبق (ص ١٠) - فإنه لا يساعدك على إرادة هذا المعنى استدلالك بالحديث

لكونه خاصا بالصلاة لا الخطبة كما بنيت آنفا ، وقولك في آخر تنبيهك المزعوم ك

(فذكر الصحابة في الصلاة على النبي صلى الله عليه وآله وسلم زيادة على ما علمه الشارع ، واستدراك عليه وهو لا يجوز) .

حقا إن ذلك لا يجوز ، ولكن أين تعليمه الصلاة عليه في خطبة الكتاب الذي ذكر فيه هو صلى الله عليه وآله وسلم وآله دون الأصحاب ، حتى يكون ذكرهم واستدراكا عليه صلى الله عليه وآله وسلم وآله وصحابته أجمعين ؟ !

الخامس : فغن قلت : إنما استدلت بالحديث لقوله صلى الله عليه وآله وسلم :

(قولوا : اللهم صل على محمد ...) ، فعم ولم يخص صلاة ولا غيرها .

فأقول : هذا العموم المزعوم أنت أول مخالف له ، لأنه يستلزم الصلاة عليه صلى الله عليه وآله وسلم بهذه الصلوات الإبراهيمية كلما ذكر عليه الصلاة والسلام ، وما رأيتك فعلت ذلك ولو مرة واحدة في خطبة كتاب أو في حديث ذكر فيه النبي صلى الله عليه وآله وسلم ، ولا علمنا أحدا من السلف فعل ذلك ، والخير كله في الصلاة كما أفادته بعض الأحاديث الصحيحة ، ونبه عليه الإمام البيهقي فيما ذكره الحافظ في فتح الباري (١١ / ١٥٤ / ١٥٥ - الطبعة السلفية) ، فليراجعه من شاء ، ولذلك كنت اهترت الصلاة عليه صلى الله عليه وآله وسلم بهذه الصلوات الإبراهيمية في كل تشهد ، وسط وأخير ن وهو نص الإمام الشافعي كما تراه في (صفة الصلاة) (ص ١٨٥) مشروحا .

وكيف يمكن أن يكون هذا الاستدلال صوابا وفيه ما سبق بيانه من المخالفات والمنكرات ؟ مع أنه لم يقل أحد من أهل العلم ببدعية ذكر الصحابة معه صلى الله عليه وآله وسلم في الصلاة عليه تبعا كما تزعم أنت ، بل ما زالوا يذكروهم في كتبهم سلفا وخلفا ، كالإمام الشافعي في (رسالته) على ما ذكره الحافظ السخاوي في (القول البديع) ، والرافعي والشيرازي والنووي وابن تيمية وابن القيم وابن حجر ، وغيرهم كثير وكثير جدا لا يمكن حصرهم ، ما زال كل واحد

منهم (يصلي على النبي صلى الله عليه وآله وسلم في خطبة كتبه ، يصلي على أصحابه معه) كما أفعل أنا أحيانا ، اقتداء بهم ، وبخاصة أن المحافظ ابن كثير نقل في (تفسيره) الإجماع على جوازه ، ومع ذلك كله رميتني بسبب ذلك بدائك .

وبدعتني ، أفهؤلاء الأئمة مبتدعة عندك ! ويحك ، أم أنت تزن بميزانين وتكيل بكيلين ؟ ! وماذا تقول في أخيك الشيخ أحمد فإنه أيضا يفعل مثلي في خطب بعض كتبه ، مثل كتابه (مسالك الدلالة) ورسالته في القبض ، أتراه مبتدعا أيضا ؟ يمكن أن يكون كذلك في غير هذه المسألة ، أما فيها فلا ، وكذلك فعل أخوك الآخر المسمي عبد العزيز في خطبة كتابه (التحذير) وكتابه (تسهيل المدرج إلي المدرج) أمبتدع هو أيضا ؟ ! بل هو ما حققته أنت بذاتك في رسالتك (الأربعين الصديقية) وخاتمة رسالتك الأخرى في (الاستمنا) ! فما قول القراء في هذا الرجل المتقلب كالحرباء ؟ !

وخلاصة الكلام في هذا المقام : أن الغماري اتفق مع أخيه على استحباب ذكر كلمة (سيدنا) في الصلوات الإبراهيمية ، مع كونها زيادة على تعليمه صلى الله عليه وآله وسلم واستدراكا عليه ! وهو لا يجوز في صريح كلامه !! وتفرد هو خلافا لأخويه وجماهير العلماء من قبل ومناقضة لنفسه - على إنكار ذكر الصحابة مع النبي عليه الصلاة والسلام في الخطبة ، وزعم أنه بدعة، وأني لفعلي ذلك مبتدع عنده ! وهو يعلم أن النبي صلى الله عليه وآله وسلم كان

يصلي على أصحابه بمناسبة مختلفة ، ومن ذلك حديث (كان إذا أتاه قوم بصدقتهم قال : (اللهم صل عليهم) ، فأتاه أبو أوفى بصدقته فقال : (اللهم صل على آل أبي أوفى) رواه الشيخان وغيرهما ، وهو مخرج في (الإرواء) (٨٥٣) وغيره . ولا دليل على أن ذلك من خصوصياته صلى الله عليه وآله وسلم ، بل قد صح عن ابن عمر انه كان يقول في الجنائز : (اللهم بارك فيه وصل عليه ، واغفر له ، وأورده حوض رسولك ...) رواه ابن أبي شيبة في (المصنف) (١٠ / ٤١٤) ، (

وسنده صحيح على شرط الشيخين .

وبعد هذا كله ، فيني أرجو أن يكون ظهر للقراء جميعا من هو (المبتدع)؟ وأنه يجوز لي أن أتمثل بالمثل السائر : (رمتني بدائها وانسلت) .

ثم غنى أعتذر إليهم ، فقد طال البحث مع هذا الرجل في هذه المسألة وبيان جهله وزغله فيها أكثر مما كنت ظننت ، ولكن لعل الأمر كما قال تعالى : ﴿ وَعسى أن تكرهوا شيئا وهو خير لكم ﴾ . ولعل من الخير أن يأخذ منه القراء مثالا صالحا لطريقة معالجة هذا الرجل لبعض المسائل الفقهية ، ومبلغ علمه فيها ، وصورة عن أسلوبه في ردة على من يخالفه في الرأي ، وكثرة نبرة إياه بشتى الألقاب ، خلافا لقول الله تعالى في القرآن : ﴿ وَلَا تَنَابَزُوا بِالْأَلْقَابِ بِئْسَ الْأِسْمُ الْفُسُوقُ بَعْدَ الْإِيمَانِ وَمَنْ لَمْ يَتُبْ فَأُولَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ ﴾ ، وحسبك من ذلك عنوان كتيبه ! وأما ما في جوفه مما فاء به فشىء ما رأيته ولا سمعته من فاجر فاسق مل رمية إياى بـ (اللمز ، والتجهيل ، والسفه ، والوقاحة ، والزعارة والعرامة لبقبيحة ، والضلة العمياء ، والأفتراء ، والبهت ، والكذب) ، وغير ذلك مما لا يتصور بذاءة وفحشا ، مما لا فائدة للقارئ من نقل كلامه في ذلك إلا الأسى

والحزن على حال بعض العلماء في هذا الزمان ، ولكن لا بد من نقل شيء منه حتى لا يظن السوء ، قال (ص ١٩) عامله الله بما يستحق :

(وقد أخطأ من زعمه وهابيا بل هو أعمق من الوهابيين تعصبا وأشد منهم تعنتا ، وأحمد على بعض النصوص بغير فهم ، وأكثر ظاهرية من ابن حزم ، مع سلاطة في اللسان ، وصلابة في العناد لا تخطر بخلد إنسان ن وهذا شعار أديعاء السنة والسلفية في هذا الزمان !

قال : (وبلغنا عنه أنه أفتى بمنع إعطاء الزكاة للمجاهدين الأفغانيين نصرهم الله (. . . .) ، إلخ هرائه وافترائه . قال :

فما بال هذا الألباني المبتدع يفرق بين المسلمين ويضلل جمهورهم ... ولم يبق من المسلمين سنى إلا هو ومن على شاكلته من الحشوية والمجسمة الذين ينسبون إلى الله تعالى ما لا يليق بجلاله) .

أعود مرة أخرى لأقول : (سبحانك هذا بهتان عظيم) و [إفك مبین] . ولا مجال للرد عليك في هذه الفريات والأكاذيب سوي ان أحاطبك بقول الله تعالي للمشركين واليهود : [قل هاتوا برهانكم إن كنتم صادقين] ولن تستطيع إلي ذلك سبيلا ، إلا إن استطاع المشركون واليهود أن يأتوا برهانهم ! وإن من عدل الله تعالي وحكمته في الظالم الفاسق من عباده أن يجري على لانه ما يدل الناس على كذبه وبهتانه ، مثل قول الغماري :

(وبلغنا ...) فإنه مخالف لصريح الآية : [يا أيها الذين آمنوا إن جاءكم فاسق نبأ فتنينوا ..] فلو أن الغماري كان مؤمنا حقا لاستجاب لأمر ربه ولتين له ان ما بلغه كذب أيضا وزور ، وهذا أقوله إذا لم يكن هو مصدر هذه الفرية أيضا ، فإنها ليست بأخطر من سابقاتها ! عامله الله بما يستحق ن فإن الذي أفتيت به خلاف ما ادعاه والله المستعان .

وقد يتساءل بعض القراء عن السبب الذي حمل هذا الغماري على ارتكاب كل هذه الرزايا والمخازي ؟

فأقول : لا أعلم لذلك سببا يذكر ، إلا عداؤه الشديد لأنصار السنة والداعين إليها ، والمعروفين في بعض البلاد ب (السلفيين) فهو يبغضهم بغضا شديدا ، ويحقد عليهم حقدا بالغا ، فهو عليهم (أحقد من جمل) كما جاء في المثل ، ولذلك رماهم بالحشوية وبالتحسيم ، كما فعل أسلافه من الجهمية والمعتلة منذ القديم ، وخصني أنا من بينهم فاتهمي بمختلف الأكاذيب ، وبالتفريق والتضليل ! وما نقلته عنه من التهم دليل واضح على أن هذا إنما هو صفته ، فالله حسبي . ولعل القراء يلاحظون معي اتفاق هدف الغماري هذا ، ومع هدف ذاك الوزير الصوفي في التهويش ، وإثارة الناس على السلفيين عامة ، وعلى خاصة ، وفي هذه السنة بالذات ، فهل كان ذلك عن اتفاق سابق بينهما في مكان ما ، كما قال عز وجل : ﴿ أتواصوا به ، بل هم قوم طاغون ﴾ ، أم الأمر كما قال في آية أخرى : ﴿ تشابھت قلوبهم ﴾ ؟ !

وفي اعتقادي ، أن الذي حمله على أن خصني بتلك الحملة الشعواء العمياء أنني كنت أنتقدته لأول مناسبة عرضت لي ، وذلك في مقدمتي لرسالة العز بن عبد السلام ك (بداية السؤل في تفضيل الرسول صلى الله عليه وآله وسلم) ، في بعض ما علقه هو عليها من قبل ، فلما وقف على نقدي هذا ، وتبين له صوابه ، لم يسعه

إلا أن يعترف ببعضه ، ولكن بطريقة خبيثة ، يخفي بها على القراء انه مما استفاده
من نقدي ! وسكت عن بعض وزاغ عنه ، فلم يتعرض له بذكر ! ولا يخفي
على القراء ، أن معنى ذلك انه معترف أيضا بصواب نقدي إياه فيه أيضا ، وأنه
حق ، ولكنه مع ذلك فقد كتمه ، فصفة من يكون هذه يا ايها الغماري ؟ ، والله
عز وجل يقول في كتابه : (٠) ولا تلبسوا الحق بالباطل وتكتموا الحق وأنتم تعلمون
.

وقال : يا أهل الكتاب لم تلبسون الحق بالباطل وتكتمون الحق وأنتم تعلمون
! ؟

وفي بعض آخر زاغ عن الحق ، وجادل بالباطل ، وبطريقة فيها الكثير من
اللف والدوران .

ولا بد لي من بيان ذلك ولو طال بنا الكلام ، فإنه هو المقصود من الرد على
هذا الرجل في هذه المقدمة ، وما قبله كان من قبيل التوطئة له ، والله المستعان .
وقبل الشروع في ذلك ، لا بأس من التنبيه على ان نقدي للغماري لم يكن فيه
شئ من التهجم عليه ن ولا لمزته بأشياء حصلت في تلك الرسالة كما زعم في
مقدمة كتيبه الصغير ، اللهم إلا إن كان يعد الرد العلمي ، وبيان أوهام من يخلط
في هذا العلم ، تهجما ولمزا ، فقد فعلت ذلك ن وهو شأن أهل العلم دائما ، كما
قال مالك رحمه الله تعالى : (ما منا من أحد إلا رد ورد عليه إلا صاحب هذا القبر
صلى الله عليه وآله وسلم) ، فكيف إذا كان المردود عليه من أهل الأهواء يدعي
ما لا علم له به ؟ كهذا الرجل المعجب بعلمه الذي سمح لمن طبع رسالته في الكيائير
أن يلقيه ب (الإمام الحافظ) ! بل قال هو عن نفسه في مقدمتها ! انه تمكن في
علم الأصول ، وبرز فيه على الشيوخ ، بله الأقران ! وقال فيها متعاليا على العلماء
:

(وهذا بحث مهم ، بجهله كثير من أهل العلم) !
 عجيب - والله - أمر هذا الرجل ، يتبحر بكل هذا ، ثم يرمين به دون ما
 خجل أو حياء . انظر كتبيه الصغير (ص ١٢) .
 ومناقشتي إياه - فيما تقدم - حول استحبابه زيادة كلمة (سيدنا) في
 الصلوات الإبراهيمية ، واستنكاره الصلاة على الصحابة ، قد بينت للقراء مبلغة من
 العلم ومعرفته بالفقه ، وأنه دعي في هذا التبجح ونحوه والآن أبدأ - بإذنه تعالي -
 ببيان ما وعدت به آنفا ، وشرح موقفه تجاه نقدي السابق إياه ، وبذلك يظهر
 أيضا للقراء جميعا أن علمه في الحديث وأصوله ، كعلمه في الفقه وأصوله ، ولولا
 تلك الأكاذيب والأباطيل التي رماني بها لما استحسنت . أن أذكر القراء بقول
 الشاعر في مثله وهو يصدق عليه :

زوامل للأشعار لا علم عندهم بجيدها إلا كعلم الأباغر
 لعمرك ما يدرى البعير إذا غدا بأجماله او راح ما في الغرائر
 لقد كان نقدي على الغمارى محصورا في خمسة مواضيع ، الخصها هنا بما يلي

:

الأول : أنه لا يعنى بيان مرتبة الأسانيد والأحاديث من صحة أو ضعف إلا
 نادرا ، أن ذلك هو المقصود من التخريج .

الثاني : أنه يعتمد على تحسين الترمذى ، وظنى به أنه يعلم تساهله فيه

الثالث : إهماله تخريج بعض الأحاديث ن ولعل ذلك كان سهوا منه ، بعضها

في (الصحيحين)

الرابع : يعزو بعض الأحاديث لغير المشاهير كأصحاب (الصحاح) و (السنن)

:

الخامس : تقويته لحديث ابن مسعود : (الخلق كلهم عيال الله ٠٠٠)

بقوله : (إسناده جيد) ! مع أن فيه متروكا ، وكحديث : (أنا سيد ولد آدم ، وعلى سيد العرب) . فإنه قال : (حديث ضعيف ، خلافا لقول الذهبي : إنه موضوع)

فماذا كان جواب الغمارى على نقدى هذا ؟ لم تساعده نفسه الأمانة بالسوء على الإجابة العلمية الهادئة ، فقد أفتتح الجواب باتهامه إياى ببعض تهمة الكثيرة المتقدمة ، فزعم أنني تهجمت عليه ولمزته ! وهذا كذب واضح لمن تأمل تأدبى معه وتلمسى له العذر بقولى : (وطنى به أنه يعلم ٠٠٠) ، وقولى : (ولعل ذلك كان سهوا) فضاع - مع الاسف - الأدب معه ، وجزائى جزاء سنمار ! وإليك الآن جوابه عن تلك المواضيع ، لتزداد معرفة بعلمه فى هذا المجال أيضا ، وبخلقه كذلك :

١- لقد اعترف بما ذكرته ولم يحاول الزوغان عنه - كما هى عادته ولكنه سوغ ذلك بقوله :

(لم أئين الأسانيد ، لأن الرسالة فى الفضائل النبوية ، ولتلك الأحاديث ما يؤيدها من القرآن والسنة الصحيحة . على أن مما قرره العلماء ٠٠٠٠ جواز العمل بالحديث الضعيف فى الفضائل والترغيب ما لم يكن موضوعا ٠٠٠) وجوابا عليه أقول :

أولا : هذا عذر أقبح من ذنب كما يقال ، لأن كون الأحاديث فى الفضائل ٠٠٠٠ كما زعمت ن لا يمنعك - لو استطعت - من بيان مراتبها كما لم يمنعك ذلك من تخريج الكثير منها .

ثانيا : لقد اثبت لك أن هذا الذى فعلته هو من باب الشغال بالوسيلة عن الغاية ، وأن ذلك ليس من شأن المتمكن فى هذا العلم الشريف وضربت لك هناك

مثلا بالذى يتوضأ ثم لا يصلى . فما بالك أعرضت عن الجواب عنه ، ولم تنبس
بينت شفة حوله؟! أليس هذا اعترافا منك أنك لست منهم؟!
ثالثا : أما استرواحك إلى ما نسبته للعلماء من جواز العمل بالضعف في
الفضائل ، فهو من خلطك وزوغانك الذى عرفت به فى ردودك ، وبيان ذلك من
وجهين :

الأول : أن ذكر الحديث دون بيان ضعفه شئ ، والعمل به شئ آخر كما هو
ظاهر بداهة ، فإن العلماء رحمهم الله وإن اختلفوا فى جواز العمل بالحديث
الضعيف فى الفضائل على تفصيل يأتى ذكره أو الإشارة إليه ، فإنه لا قائل مطلقا
بوجوب العلم به ن بخلاف ذكره دون بيان ضعفه ن فغنه لا يجوز بداهة ، لأن
الذى يفعل ذلك - كالشيخ الغمارى مثلا - له حالة من حالتين لا ثالث لهما :
الأولى : أن يعرف ضعفه ثم لا يبينه . فهذا لا يجوز لما فيه من إثم كتمان العلم
، وإيهام من لا علم عنده - وهو جمهور المسلمين خاصتهم وعامتهم - صحته ،
وهو مما صرح الإمام مسلم فى مقدمة (صحيحه) بعدم جواز ن وكنت نقلت
نص كلامه وكلام غيره من الأئمة فى مقدمة كتابي (الأحاديث الضعيفة
والموضوعة) ، ومقدمة كتابي (صحيح الترغيب والترهيب) فليرجع إليهما من
شاء البسط .

والأخرى : أن لا يعرف ضعفه ، لجهله بهذا العلم ، كما الغالب على أكثر
الناس وبخاصة فى هذا الزمان ن وإما لعدم توفر السباب التى تيسر له معرفة ضعفه ،
فى هذه الحالة ينبغى له أن يشير إلى ذلك بصيغة التمريض : (روى عن رسول الله
صلى الله عليه وآله وسلم كذا وكذا) ، كما ذكر ذلك ابن الصلاح وغيره ، وفى
رأى أنه لا بد التصريح اليوم بواقع الأمر ، كان يقول : (روى . . . ولا أدرى

أثبت هو أم لا ؟) ، أو يقول : (و هو ضعيف الإسناد) ، إذا كان يعلم ذلك .
 أنظر تمام هذا البحث في مقدمه (صحيح الترغيب) (ص ٢١ - ٢٢) .
 قلت : فالغمارى إما أن يعلم ضعف تلك الأحاديث الضعيفة وسكت عنها
 فهو آم . وإما أن لا يعلم ن فعلية أن يعترف بذلك ، ولا يدافع عن جهله فيركن
 إلى قول من قال : يجوز العمل بالضعيف في فضائل الأعمال ! فإنه زوغان منه عن
 البحث كما بينت آنفا ، على أنه حجة عليه لو كان يعلم ، وبيانه فيما يأتي بأذنه
 تبارك وتعالى .

الثاني : أنك حكيت عن الذين أجازوا العلم بالحديث الضعيف في الفضائل في
 أثناء تسويغك لعدم بيانك لضعف أحاديثك ما هو حجة عليك لو كنت تدرى ما
 يخرج من فمك ، ويجرى به قلمك ، فقد ذكرت عنهم (ص ٤) أنهم اشترطوا
 لجواز العمل به شروطا منها :

١- أن لا يشتد ضعف الحديث .

٢- وأن لا يعتقد ثبوته عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم .

وهذا منهم شئ جيد جدا ، جزاهم الله خيرا ن وإن كان تحقيق ذلك عسيرا
 جدا على العلماء فضلا عن غيرهم من العامة ومدعى العلم ، بحيث صارت تلك
 الشروط نظرية غير واقعية كما حققت ذلك في مقدمة (ضعيف الجامع الصغير)
 (ص ٤٧ - ٥١) ، و (صحيح الترغيب) (٣٤ - ٣٦) ، وضربت بعض الأمثلة
 وقعت لبعض العلماء قبلنا ، وأذكر الان أمثلة أخرى صدرت من الغمارى هذا :

١- (من جمع بين صلاتين فقد اتى بابا من أبواب الكبائر)

هكذا أورده في (تنوير البصيرة) (ص ٦٢) وقال :

(ضعيف)

وغنما هو ضعيف جدا كما قال الحافظ ابن حجر ، فيه حنش بن قيس وهو متروك ، وقد بينت ذلك في (الضعيفة) (٤٥٨١) .

٢- (ليس منا من خصى أو أختصى ، ولكن صم ووفر عر جسدك) .

قال الغمارى في (الاستمناء) (ص ٣٠) :

(رواه الطبرانى بإسناد ضعيف)!

واقول : بل هو موضوع ن فيه المعلى بن هلال الطحان قال الحافظ :

(اتفق النقاد على تكذيبه) !

ولذلك أوردته في هذا المجلد من (الضعيفة) (١٣١٤) ، وذكرت فيه قول الهيثمى فى الطحان هذا :

(متروك) .

وردت فيه على من حسنه غفلة عن علته ن أو توها أن له طريقا أخرى وإنما هو حديث آخر ! كما استراه مفصلا بأذنه تعالى .

ثم رأيت الغمارى قد أورد الحديث فى كتابه الذى سماه (الكثر الثمين) (رقم ٣٢٠٥) ، وقد صرح فى مقدمته (ص ٤) :

(أنه ليس فيه أحاديث ضعيفة أو واهية) .

فأقول : قد تبين لى أنه غير صادق فيما قال ، وهذا هو المثال بين يديك ن والسبب تقليده للمناوى وغيره ، وهو مما اهتمنى به فى كتيبة الصغير (ص ٤) ، فقد عاد إليه ، وهذا من عدل الله وحكمته فى عبادة كما قيل : (من حفر بئرا لأخيه وقع فيه) ! وقد كنت تتبعت أحاديث حرف اللف من كتابة المذكور (الكثر) ، فوجدت فيه نحو مائتى حديث ضعيف او موضوع من أصل (١٤٠٢) حديثا ، ولو أن فى الوقت متسعا ، لو وضعت عليه كتابا أبين فيه تلك الأحاديث وغيرها مما وقع له من الضعاف فى بقية أحرف الكتاب ، فقد وجدته فيه كالسيوطى فى (

الجامع الصغير) ، الذى قال فى مقدمته : أنه صا نه عما تفرد به كذاب او وضاع ، ثم لم يف بذلك ن كما تراه مفصلا فى (ضعيف الجامع الصغير) ومقدمته ، ومن ذلك هذا الحديث ، ومن (الجامع) نقلة الغمارى دون أى جهد منه أو تحقيق ، ولذلك وقع منه هذا التناقض الفاح الشديد : (ضعيف) ، (صحيح) ، وليس ذلك من قبيل اختلاف الاجتهاد ، كما يقع ذلك لبعض العلماء ، لأسباب معروفة ، وإنما أتى من قبل ركونه إلى التقليد ، وجنوحه عن البحث والتحقيق ، وإلا فكيف يمكن لباحث عارف بهذا العلم أن يضعف فقط ، بله أن يصحح حديثا فيه من اتفق النقاد على تكذيبه؟! وليس له طريق أخرى !

٣- (ركعتان بعمامة خير من سبعين ركعة بلا عمامة) .

ذكره الغمارى فى رسالته (إزالة الألتباس) (ص ٢١) فى أول أحاديث ستة أستدل بها القائلون بأن ستر الرأس من آداب الصلاة ، ولكن الغمارى وهابها كلها فى صدد رده عليهم ، فإنه لا يرى أن ذلك كما قالوا ، إلا أنه قال فى هذا الحديث :

(رواه أبو نعيم والديلمى ، قال الحافظ السخاوى : لا يثبت . وقال المناوى :

حديث غريب . قلت : وهذا الحديث مع ضعفه أقوى ما ورد فى هذا الباب) !
 كذا قال ! تقليدا منه أيضا للمناوى فى (فيض القدير) و (التيسير) ، وقد فاهما أن فيه أحمد بن صالح الشمومى المكى كان يضع الحديث ، ولعلهما توهما أنه أحمد بن صالح المصرى الحافظ الثقة . وفى إسناده علتان أخريان ، وقد بينت ذلك كله فى المجلد الثانى عشر من هذه السلسلة رقم (٥٦٩٩) والغرض مما سبق أمران
 اثنان :

الأول : أن يكون طالب العلم على أنتباه وحذر من حكم الغمارى أو غيره من المستاهلين أو المقلدين والجاهلين على الحديث بالضعف المطلق غير مقرون ببيان شدة الضعف ، ويرتب عليه واز العمل به فى الفضائل ، وهو فى الواقع واه شديد الضعف ، لا يجوز العمل به اتفاقا .

والآخر : أن الشرط الأول الذى تقدم ذكره عن الغمارى يستلزم أمرين اثنين : بيان ضعفه ن وأنه ليس شديد الضعف .

وبيان ذلك أن الغمارى إذا ذكر حديثا ما وهو يعلم - فرضا - أنه ضعيف ن وسكت عنه ، ولكن من أين للقراء أن يعرفوا ضعفه عنده ، وقد كتبه عنهم؟! فهم - والحالة هذه - سيعلمون به ظانين أنه ثابت لسكوته عليه ، كما هو واقع معروف من عامة الناس / فلماذا يجب بيانه ، تفريقا بين الضعيف والقوى اعتقادا وعملا ، وهذا ما صرح به الحافظ ابن حجر عقب الشرط الأول ، فقال فى (تبيين العجب بما ورد فى فضل رجب) (ص ٢١) :

(وينبغى مع ذلك اشتراط أن يعتقد العامل كون ذلك الحديث ضعيفا ، وأن لا يشهر ذلك ، لئلا يعمل المرء بحديث ضعيف ، فيشرع ما ليس بشرع ، أو يراه بعض الجهال فيظن أنه سنة صحيحة ، وقد صرح بمعنى ذلك الستاذ أبو محمد بن عبد السلام وغيره ن وليحذر المرء من دخوله تحت قوله صلى الله عليه وآله وسلم : (من حدث عني بحديث يرى أنه كذب فهو أحد الكذابين) ، فكيف بمن عمل به؟! ولا فرق فى العمل بالحديث فى الحكام أو فى الفضائل ، إذ الكل شرع)

قلت : وهذا الشرط مما تعمد الغمارى طيه وكتمانه أيضا عن قرائه ، لأنه يعلم أنه يدان به أكثر من الشرطين السابقين ، ويؤكد ما قلت من وجوب بيان ضعف الحديث حتى لا يعمل به كما لو كان ثابتا .

وبذلك يتجلى للقراء أن اعتذار الغمارى عن سكوته عن تلك الأحاديث الضعيفة بدعوى أنها فى الفضائل ن أنه - كما سبق - عذر اقبح من ذنب ، ومكابرة عن الاعتراف بالحق ن وهو الكبر الذى من كان فى قلبه ذرة منه لا يدخل الجنة كما صح عن النبى صلى الله عليه وآله وسلم .

فالله اسأل أن يظهر قلوبنا من الشقاق والنفاق ن وسوء الأخلاق .

وفى رد الغمارى هنا أمور أخرى زلت قدماء فيها ، يطول الكلام حولها جدا ، وبخاصة فى هذه المقدمة ن وهو ميله على العمل بالحديث الضعيف فى الأحكام أيضا ! ويزعم أنه كان فى زاويته الصديقية يلفت أنظار الطلبة إلى الأحاديث الضعيفة التى عمل بها الأئمة أو الجمهور وهى ضعيفة مع علمهم بضعفها .

فتأمل أيها القارئ إلى هذا المفترى على الأئمة ، كيف يضل طلبته وقراءة بمثل هذا الكلام المضلل ، فإنه يعلم أن عملهم بالحديث الضعف يحتمل أن يكون لمطابقتهم لما يجوز الاستدلال به عند فقدانهم الحديث كالتقياس مثلا ، أو نحوه مما يقول به بعضهم ، فكيف إذا كان معه عندهم حديث ضعيف؟! وقد ذكر هو نفسه نحو هذا المعنى فى رسالته فى (الاستمنا) (ص ٣٥) ، ومع الاحتمال يسقط الاستدلال ، كما لا يخفى على ذوى العلم والكمال . كما تعلم أيضا أن من المقرر عند علماء أصول الفقه والحديث أنه لا يعمل به فى الأحكام (١) وقد ذكر هذا هو نفسه فى الصفحة المذكورة ، ولكنه عاد لينقض ذلك بقوله (ص ٣٧) : (وقولهم : الحديث لا يعمل به فى الأحكام هو مما خالف فيه العلماء قولهم ، ذلك أنهم استدلووا فى كتبهم بكثير من الأحاديث الضعيفة (٠٠٠٠) إلى آخر ما قال- وبئس ما قال- ، فإنه يتهم علماء الحديث والأصول جميعا بأنهم يقولون بخلاف ما يفعلون ! وتالله إن رأيت مثل هذا الرجل بهتا وافتراء وقلة حياء ، فلقد هانت عندى كل افتراءاته على ، - التى سبق أن ذكرت بعضها - حين رأيت اتهامه المذكور

للعلماء دون أى استثناء ، وما ذلك إلا ليتخذ فعلهم - إن ثبت - حجة له فيما ذهب إليه من الجواز . والحق والحق أقول : هو الذى يفعل بخلاف ما يقول ، فكثيرا ما يرد الحديث الذى عند خصمه بضعف إسناده كما فعل فى حديث (صلاة بعمامة ٠٠٠٠) المتقدم ، فإنه لم يعمل به مع أنه موافق لقوله فى العمل بالحديث الضعيف فى الفضائل والأحكام ، فهذا من الأدلة الكثيرة على أنه يكيل بكيلين ، ويلعب على الحبلين .

ومن تلك الأمور التى زل فيها الغمارى المغمور قوله :

(والجمهور الذين أحازوا العمل بالضعيف فى الفضائل ونحوها اقتدوا بصنيع الشارع حيث تجاوز فى الفضائل ما لم يتجاوز فى الفرائض والأحكام . وغليك أمثلة من ذلك ٠٠٠٠)

ثم ساق سبعة منها كلها تدور حول إباحته تعالى على لسان نبيه فى النوافل ما لم يبيح لهم فى الفرائض !

فأقول : هذا من تدليساته ومغالطاته الخبيثة ، إذ إن التجاوز الذى فى هذه الأمثلة ونحوها لا يعنى الاستحباب المقصود من قول القائلين بجواز العمل بالحديث الضعيف ٠٠٠٠ لأنهم إنما يعنون الاستحباب ، أى أن العمل به أفضل من تركه ، وليس الأمر كذلك فى الأمثلة التى أولها صلاة النافلة ، من قعود مع القدرة على القيام ، فهذا جائز وليس بمستحب ، بل المستحب أن يصلى قائما ، وكذلك القول فى سائر أمثلته . فسقط كلامه برمته .

ثم لو صح كلامه فى الفضائل فما فائدته وهو يقول بما هو أكثر وأدهى وأمر ، وهو جواز العمل بالحديث الضعيف فى الأحكام أيضا ؟!

لعله يقدم للقراء مدركا أيضا لها القول لم يعرفه الأولون والآخرون ، كما فعل فى الذى قبله متجاهلا مدرك العلماء الذين قالوا بعدم جواز العمل بالضعيف فى

الفضائل بله الأحكام ، وهو أن الحديث الضعيف لا يفيد إلا الظن المرجوح ، والعمل بالظن المرجوح لا يجوز بأدلة معروفة في الكتاب والسنة ، بل ذلك من عمل المشركين الذين فيهم رب العالمين : [] إن يتبعون إلا الظن وما تهوى الأنفس [] ، [] إن الظن لا يغني عن الحق شيئاً [] ، وهو أكذب الحديث وقد نهي النبي صلى الله عليه وآله وسلم عن العمل به في الحديث الصحيح : (إياكم والظن فإن أكذب الحديث) . (انظر مقدمة (صفة صلاة النبي صلى الله عليه وآله وسلم) ، و (صحيح الترغيب) ، و (صحيح الجامع) و (ضعيف الجامع) ، فإن فيها بسطاً وافياً للموضوع .

فتجاوز المغمور كل هذه الأدلة وأعرض عنها إلى رأيه الفج ، وهو يعلم قول أهل العلم جميعاً : (لا اجتهاد في مورد النص) ، و (إذا ورد الأثر بطل النظر) ، ولكن ما قيمة قولهم تجاه من ابتلى باتباع الهوى ، وقلب الحقائق ولم يخش الله تبارك وتعالى؟! نسأل الله السلامة .

ولقد قف شعري - والله - من قوله : (اقتدوا بصنيع الشارع) ! فإن التشريع من أفعاله تعالى الخاصة به ، فليس لأحد أن يصنع ، ويشرع للناس ما لم يشرعه [] أم لهم شركاء شرعوا لهم من الدين ما لم يأذن به الله []؟! فهل يعني المغمور بقوله هذا : أنه يجوز لغيره تعالى أن يقتدى به ويشرع للناس مثل تشريعه ، أم أن الهوى أعمى قلبه فنطق بكلمة الكفر ، وما قدر الله حق قدره؟!

بقي شئ واحد مضى من كلامه لم نتعرض له برد ، وهو وقوله :

(ولتلك الأحاديث (يعنى الضعيفة التي سكت عن بيان ضعفها) ما يؤيدها

من القرآن والسنة)!

هذه مجرد دعوى ، يستطيعها البطلة ، ولا يعجز عنها أصغر الطلبة ، ولو كانوا

من المتخرجين من الزاوية (!) فلا تستحق الرد ولو بكلمة .

وبهذا ينتهي ردى على جوابه عن نقدى الأول إياه ن فلننقل على القراء جوابه عن نقدى الثاني له ، وهو اعتمادى على تحسين الترمذى مع تساهله فيه .
فقد قال :

٢- (لم أعتد على تحسين الترمذى فى تلك الرسالة إلا مرة أو مرتين على الأكثر ، ولم يكن تقليدا بل إقرار له لأنه صواب)
أقول : هذا كسابقة مجرد دعوى ، فهى مردودة ، ولو كان صادقا لسارع إلى الدفاع عن نفسه بالدليل والحجة ، فإنه فى موضع التهمة ، فلماذا لا يدفعها عن نفه إن كان قادرا عليها؟! وذلك بأن يأتى بحديث من الأحاديث التى اشار إليها ويبين وجه الصواب فى تحسينه . ومن المؤسف أن رسالة (بداية السؤل) بتعليقه ليست الآن فى متناول يدى ، لنؤكد للقراء أنه غير صادق فيما يدعيه ، بمثال نقله منها ، ولكن من الممكن التمثيل بحديث عرض مفاتيح كنوز الأرض على النبى صلى الله عليه وآله وسلم وأختياره أن يكون نبيا ، وفيه أنه قال : (أجوع يوما واشبع يوما ٠٠٠) الحديث ، فإنه فى الرسالة (الفقرة ٢٩- بتحقيقى) ، وهو مما حسنه الترمذى ، وقد بينت فى تعليقى عليها أن إسناد الترمذى وأحمد وغيرهما ضعيف جدا ، وذكرت له بعض الشواهد ، لكن ليس فيها ذكر الجوع والشبع ، وانتهيت فيه إلى أن هذه الزيادة منكورة ، فإن كان هذا الحديث مما عناه الغمارى فى جوابه المتقدم ، وإلا فهو قد اعتمد على الترمذى فى تحسينه إياه فى كتاب آخر له ، وهو الذى سماه (الكثر الثمين)

(رقم ٢١٤٩) ، وقد زعم فى مقدمته أنه ليس فيه أحاديث ضعيفة ، كما تقدم ، فهو دليل واضح على صحة ما نسبته إليه من اعتماده على تحسين الترمذى المعروف تساهله فيه النقاد .

ثم سود الغمارى نصف صفحة من رسالته يرد فيها على قول الذهبى :

(لا يعتمد العلماء على تصحيح الترمذى) ، بكلام نقله عن الحافظ العراقي استخلص منه أن ما أعتبره الذهبي تساهلا منه هو في الحقيقة اختلاف في الاجتهاد ! ثم ختم الغمارى ذلك بقوله :

(نعم قد تعقبته في تحسينه او تصحيحه في كثير من مؤلفاتي وتعليقاتي)!

قلت : تساهل الترمذى إنكاره مكابرة لشهرته عند العلماء ، وقد تتبعت أحاديث (سننه) حديثا حديثا ، فكان الضعيف منها نحو ألف حديث ، أى قريبا من خمس مجموعها ، ليس منها ما قويته لمتابع أو شاهد ، ومع ذلك فإنه يكفيننا منك الآن اعترافك بتعقبك إياه ، فإنه يعنى أنه كان مخطئا عندك ، وحينئذ فلا فرق بين تسميته متساهلا أو مجتهدا ، لأن التساهل من مثله يكون إلا عن اجتهاد ، وليس عن هوى أو غرض ! وكذلك يقال فى المتشددى منهم ، ومن أجل ذلك ، فانتقادى إياك لا يزال قائما ، وبخاصة أنه كان فيه ما نصه :

(فلا ينبغي للعارف بهذا العلم الشريف أن يسكت عن تحسينه ، بل لا بد له

من التصريح بتأييده أو نقده حسب واقع إسناده (٠٠٠٠) إلخ

وأقول الآن : لماذا سكت عن تلك الأحاديث ، ولم تبين رأيك فيها ما دام أنك تعقبته فى غيرها ، وأدرت الموضوع إلى ما لا فائدة فيه من الرد على الذهبي ؟ ! فهلا جعلته على ما جاء فى رسالة (رفع اليدين فى الدعاء بعد الصلاة) للشيخ محمد بن مقبول الأهدل ، وقد وضعت لها مقدمة فى ست صفحات مؤيدا فيها ما ذهب إليه من مشروعىة الرفع المذكور ، وكتبت عليها بعض التعليقات ، وليس فيها حديث واحد ثابت - ولا أقول : صحيح - بل فيه مثل ذلك الحديث الواهى : (ما من عبد ييسط كفىة فى دبر كل صلاة ٠٠٠٠٠) ، وسكت عنه الغمارى ، لسبب لا يخفى على القارئ ، وفيه رجل اتهمه الإمام أحمد وغيره ، كما بينته فى (الضعيفة) (٥٧٠١) ، فقد جاء فى هذه الرسالة (ص ١٣١) ما نصه :

(وقال الحافظ ابن حجر في نكته على ابن الصلاح :

إن الترمذى حسن أحاديث فيها ضعفاء ، وفيها من رواية المدلسين ، ومن كثر غلطة ، وغير ذلك ، فكيف يعمل بتحسينه وهو بهذه الصفة؟!)
هذا كلامه ، فلماذا لم تعلق عليه ، وهو أحق بالتعليق لو كنت منصفاً لا تكيل بكيلين ، ولا تزن بميزانين؟!)

٣- وأما نقدى الثالث إياه ، وهو : (إهماله تخريج بعض الأحاديث . . . وبعضها في (الصحيحين) . . .) ، فلم يتعرض له بجواب ، فهو اعتراف منه ضمنى بأنه حق ، ولكن أليس كان أشرف له أن يصرح بذلك؟! بلى ، لو أنه كان منصفاً ، أليس هذا وما قبله وما يأتى بعده من الأدلة القاطعة على أنك أنت المتصف بكل تلك التهم الخبيثة التي رميتني بها ، ومنها ما ختمت به كتبيك بقولك :

(أما الإنصاف وعفه اللسان فيسمع عنهما ولا يحسهما من نفسه) ! فالله حسيك ، وهو يتولى الصالحين ، ويدافع عن الذين آمنوا .
٤- وأما نقدى الرابع إياه المصدر بأنه يعزو الحديث لغير المشاهير . . . وذكرت على سبيل المثال حديثين :

الأول : (أنا سيد ولد آدم ولا فخر) ، عزاه هو لابن أبي عاصم في (الأدب) ، وسكت عنه ، ومع أن كتاب (الأدب) هذا غير مطبوع فقد أحال عليه ، وأعرض عن عزوة للترمذى وكتابه مع كونه أشهر ، فهو مطبوع وكذلك ابن حبان ، ولا يجوز مثل هذا العزو مع وجود من هو أولى به عند أهل العلم وبخاصة أن الترمذى حسنة !

الآخر : حديث السدرة عزاه للنسائي وابن أبي حاتم ، وهو في (الصحيحين)!

هذا خلاصة نقدي إياه ، فليتأمل القارئ جوابه الآتي عليه يتبين له علم الرجل وخلقه ! قال بعد أن اختصر نقدي إياه في الحديث الآخر :

(وأقول : هذا التعقب غفلة منه كبيرة ، ذلك أن مؤلف الرسالة قال في الخصلة الأولى : إنه ساد الكل ، فقال : (أنا سيد ولد آدم ولا فخر) ، فعزوت الحديث لمن رواه بهذا اللفظ . . . ولم أخالف القاعدة في العزو . لكن الألباني غفل وذهل)

هذا آخر كلامه ، وما لم أذكره مشيراً إليه بالنقطتين لا علاقة له مطلقاً بجوابه ، مع أنه كما قيل : أسمع جمعجة ولا أرى طحنا ، وإلا فما معنى قوله : فعزوت الحديث لمن رواه بهذا اللفظ ، فهذا وحده يدل على أن الرجل لا يخشى الله ولا يستحي من عباد الله ، لأن قوله هذا مع كونه لا يخفى على القراء ، لأنه إعادة للنقطة التي هي موضع انتقادي عليه ، لأنني سأقول له مرة أخرى : لماذا عزوته لابن أبي عاصم ، ولم تعزه لمن هو أولى بالعزو منه كالترمذي وابن حبان ؟ فهذا هو وجه المخالفة يا من تستغفل الناس وتتهمهم بما فيك .

وأما الحديث الثاني فلم يتعرض له بجواب على الإطلاق . فهذا مع ما فيه من الاعتراف الضمني بأن الرجل حواش قماش لا تحقيق عنده ، فهو أشرف له وأستر من جوابه عن الحديث الأول ، لما فيه من الزوغان والمجادلة بالباطل . والله المستعان .

- ٥- واما نقدي الخامس إياه ن فقد اعترف أيضا بصوابه في الحديث الأول .
ولكن بصورة لا ترفه وتليق بطريقته ! وذلك من ناحيتين :
- الأولى : أنه جرى في اجوبته السابقة أن يبدأ بقوله : (قال الألباني أولا ٠٠٠) ، (قال الألباني ثانيا ٠٠٠) ، (قال الألباني رابعا ٠٠٠٠) ولم يقل : قال الألباني ثالثا . تهربا وتكبرا أن يعترف بالحق كما سبق . فلما جاء على جوابه عن هذا النقد لم يقل أيضا : قال الألباني خامسا ، لكي يغطي اعترافه الصريح بخطئه أنه بسبب نقد الألباني وإرشاده ، فقال عقب جوابه السابق المنتهى بقوله الذي هو أسوأ منه : (غفل وذهل):
- (وقولي في حديث ابن مسعود : (الخلق عيال الله) سنده جيد ، سهولا أدري كيف حصل لي ؟ بل أوقعني فيه صنيع الحافظ السخاوي)!
- فأقول : لو أن غيرك قال : (لا أدري) لم أستجز لنفسى أن أقول له :
إن كنت لا تدري فتك مصيبة أو كنت تدري فالمصيبة أعظم !
وإنما أقول لك بصراحة : إذا كنت صادقا في قولك هذا ، ولم يكن من دسائسك وأهوائك ، فإنك قد أتيت من مخالفتك لقول أئمة الحديث : (قمش ثم فتنش) ، فأنت قماش حواش ، تركز في الغالب إلى التقليد ، الذي ترمى به غيرك ، وأنت فيه غريق ! ولولا ذلك لما وقع منك هذا الخطأ الفاحش الذي يترفع عنه المبتدئ في هذا العلم الشريف ، فإنك لما رأيت السخاوي خرج الحديث من رواية ابن مسعود وأنس وغيرهما ، وسكت عن إسناد ابن مسعود وأعل غيره ، وختم بحثه بقوله : (وبعضها يؤكد بعضا) ، توهمت من ذلك كله ما دفعك على الوقوع في الخطأ فلو أنك فتشت عن إسناد ابن مسعود لوجدت فيه ذاك المتروك (موسى بن عمير أبو هارون القرشي)
تلك هي الناحية الأولى .

وأما الناحية الأخرى : فهي دفاعة عن نفسه بالباطل ، وحمله مسؤولية خطئه على الحافظ السخاوى كما سبق ، وهذا من جنفه وظلمه الذى لا يكاد ينجو منه حتى الموتى ، ولا من تزويره ، فإن السخوى لم يجود إسناده ، كل ما فى الأمر أنه سكت عنه ، وهذا وإن كان منه غير جيد ، فهل يفهم منه أحد مهما كان غريقا فى الجهل : أنه جود إسناده كما يزعم الغماوى !؟

هذا وقد خرجت الحديث فيما يأتى برقم (٣٥٩٠) وتكلمت على طرقة ن وارت على أنه إنما يثبت منه بلفظ : (خير الناس أنفعهم للناس)

وأما الحديث الآخر : (أنا سيد ولد آدم ، وعلى سيد العرب) . وهو الذى كنت انتقدت عليه قوله فيه : (حديث ضعيف خلافا لقول الذهبى : أنه موضوع) ، ومخالفته إياه ، وبينت له هناك أن الحافظ العسقلانى قد أقره على وضعه ! لأن مدار الحديث عند الحاكم الذى عزاه الغمارى إليه - على وضاعين معروفين .

فقد كابر الغمارى أيضا فيه كما سترى فإنه قال ما خلاصته :

وقول الذهبى : موضوع ، غلو غير مقبول لأنه ورد عن غير الوضاعين) .

ثم ذكر له طريقتين آخرين :

أحدهما : عن أنس مرفوعا . قال الهيثمى : (فيه خاقان بن عبد الله ابن الأهمم ضعفه أبو داود) . وذكره ابن أبي حاتم ولم يجرحه .

والآخر : عن عائشة أيضا مرفوعا به رواه الحاكم وقال :

(صحيح الإسناد ، وفيه غمر بن الحسن الراسبي ، وأرجو أنه صدوق ، ولولا ذلك لحكمت بصحته على شرط الشيخين) .

قال الغمارى عقبه من عند نفسه :

(قلت : إسناد الحديث نظيف ليس فيه كذاب ولا متهم ، والراسبي ذكره ابن أبي حاتم برواية محمد بن موسى الجرشي عنه ، ولم يجرحه بشئ وعمقتضى

القاعدة المقررة يكون تعديل الحاكم مقبولا ، لكن الذهبي تعقب قول الحاكم : أرجو أنه صدوق ، فقال : أظن أنه هو الذى وضعه . وهو تعنت شديد وقول بالظن ، والظن أكذب الحديث . والعجب من الحافظ كيف وافق الذهبي على هذا الحكم المتعنت ، وغفل عما تقتضيه القاعدة في هذا المقام ؟ ! فالحديث بهذين الطريقتين : طريق أنس وطريق عائشة ، لا يبعد ان يكون من قبيل الحسن لغيره) .

والجواب وبالله التوفيق على وجهين : مجمل ومفصل :

أما المجمل ، فلا نسلم حسنه .مجموع الطريقتين ، لأن في طريق عائشة راويا واهيا شديدا الضعف توهمه الغماري ثقة ، أو تجاهله كما سيأتي بيانه في (المفصل) .

وأما الضعيف من حيث إسناده فليس البحث الآن فيه ، والغماري نصب الخلاف فيه ، بينه وبين الحافظ الذهبي والعسقلاني ، لغاية في نفسه ، ولي سبحانه وتعالى كذلك ، وإنما هو في متنه لقولهما بطلانه ، مع تصريحهما بأن فيه من لا يعرف كما يأتي ، وذلك يعنى أنه ضعيف السند ، ولا منافاة بينهما كما لا يخفى على العارف بهذا العلم ، ويأتي بيانه قريبا إن شاء الله تعالى

واما الجواب المفصل فهو من وجوه :

١ - تعليله لرد حكم الذهبي على الحديث بالوضع بقوله :

(لأنه ورد عن غير الوضاعين) .

فهو مرفوض من اصله ، وهو بذلك يوهم القراء أن الحديث لا يكون موضوعا إلا إذا كان فيه وضاع ، وهذا خلاف ما صرح به العلماء في أصول علم الحديث وفروعه ، فكم من حديث حكموا عليه بوضعه أو بطلانه ، وليس في إسناده وضاع أو كذاب ن وفي هذه السلسلة عششرات الأمثلة على ذلك ، وقد جاء في (اختصار علوم الحديث) لابن كثير :

(يعرف الموضوع بأمور كثيرة ... ومن ذلك ركافة ألفاظه ، وفساد معناه ، أو مجازفة فاحشة ، أو مخالفته لما ثبت في الكتاب والسنة الصحيحة)
والغماري يعرف هذا جيدا ، لأنه مما لا يخفي على صغار الطلبة ، ولكنه يتجاهل الحقائق ليصدق عليه ما يتهم به غيره ، والمرّة بعد ، انظر مثلا كنيية الآخر : (إتقان الصنعة) (ص ٤٧) ، وكتب (الأحاديث الموضوعية) ، كلها قائمة على هذا ، فما من كتاب منها إلا وفيه أحاديث موضوعة بأسانيد ضعيفة ، لأن الوضع جاء من داخل المتن الدال على بطلانه ، وعلى هذا حكمت أنا على حديث (نعم المذكر السجدة) ، الذي يصر الغماري وبعض تلامذته على أنه ضعيف فقط ، غير ملتفت إلي معناه الدال على بطلانه كما كنت بينته فيما مضى برقم (٨٣) ، وما ذلك إلا محافظة منه على وسائل التمشيح (!) وجلب المريدين السذج الذين يغترون بالمظاهر ، ولأمر ما قال الغماري هذا في رسالته السابقة (ص ٤٨) :
(وتعليق السبحة في العنق ليس فيه شيء ، وهو نظير وضع الكاتب القلم على أذنه) !!

ثم ذكر حديث : (وضع القلم على أذنك فإنه أذكر للمملي) .

وقال :

(رواه الترمذى بإسناد ضعيف) !

وهو يعلم أن فيه هنبسه بن عبد الرحمن الأموي ، قال أبو حاتم :

(كان يضع الحديث) .

وله طرق أخرى تدور أيضا على وضاعين وكذابين كما تراه مفصلا في

المجلد الثاني من هذه السلسلة ، رقم (٨٦١ - ٨٦٢) .

من أجل ذلك لم يسع أخاه الشيخ أحمد الغماري إلا يورد هذا الحديث في كتابه (المغير على الأحاديث الموضوعة في الجامع الصغير) من رواية الترمذى وغيره (ص ١٨ ، ٦٥ - ٦٦) وقال :

(وهذا من وضع العجم ، وقال ابن الجوزي : إنه موضع) .

فعل خفي هذا على الغماري الصغير ، أم تعدد مخالفة اخيه الأكبر لمجرد أنه اتفق مع الألباني في الحكم على الحديث بالوضع ، أم هو الدوران وراء المصلحة مهما كانت المخالفة للعلم والعلماء ، والعياذ بالله تعالي ؟ !

ومن الأمثلة على الحديث الموضوع متنا بشهادة من لا يستطيع الغماري أن يصفه ب (المبتدع) وهو اخوه السابق الذكر ن فقد قال في حديث : (اجعلوا أئمتكم خياركم ...) (ص ١٠) .

وأقرب مثال لما نحن فيه قوله في الحديث : (تحتموا بالعقيق فإنه ينفي الفقر) (صلى الله عليه وآله وسلم ٣٦) :

(قلت : فيه الحسين بن إبراهيم البابي ، قال الذهبي : لا يدري (من هو) ، فلعل الحديث من وضعه ...) وانظر الحديث برقم (٢٢٧) .

وهذا البابي كما تري مجهول ، ومع ذلك حكم عليه الغماري الكبير بالوضع ، وقد قال الذهبي في حديث السيادة في رواية المجهول مثل هذا القول وأقوي منه كما يأتي ، ومع ذلك زاغ عنه الغماري الصغير . والله المستعان وبذلك يسقط تعليله المذكور ، ويتبين لكل ذي عينين أن الغماري هذا لا يراعي في كلامه على الحديث قواعد العلماء ، وإنما يتكلم عليه حسبما يوحى إليه هواه !

٢- قوله في حديث عائشة : إسناده نظيف ، ليس فيه كذاب ولا متهم .

٣- فأقول : هذه الدعوي كاذبة ، حملك عليها جمودك على قول الحاكم ومن بعده بان ذاك الراسبي ، فاستلزمت منه أنه ليس فيه علة أخرى هي أقوى من

الراسبي، فإن الحاكم أخرجه (٣ / ١٢٤) من طريق محمد بن معاذ عنه . وابن معاذ هذا لا أستبعد عنك أن تتوهم أنه العنبري الثقة - إن كنت رجعت إلي (المستدرك) فوقع عيناك عليه ! - وإنما هو الشعراي ابو بكر النهاوندي كما حققته وبسطت عليه فيما سيأتي في المجلد الثاني عشر رقم (٥٦٧٨) وقد قال فيه الذهبي والعسقلاني :

(واه) .

أي شديد الضعف ، فهو في حكم المتهم ، وبذلك يسقط ما ادعاه الغماري من النظافة !

٣ - قوله : والراسبي ذكره ابن أبي حاتم .. ولم يجرحه ، ولم يوثقه أيضا ، فكان ماذا ؟ غاية ما يمكن أن يقال فيه : إنه سكت عنه ، وهو ما يسكت عن أحد إلا لأنه لم يتبين له حاله ، كما ذكر ذلك ابن أبي حاتم نفسه في مقدمة كتابه . على أن الراوي عنه محمد بن موسى الجري مجروح لا يحتج به عنده كما يفيد قوله في ترجمته (١ / ٤ / ٨٤) .

(شيخ) ! فما الراسبي إذا لم يعرفه ابن أبي حاتم من رواية الجرشي الذي لا يحتج به ؟ ! ولذلك قال الذهبي والعسقلاني في الراسبي هذا :

(لا يعرف ن واتي بخبر باطل ، متنه : على سيد العرب)

فأقول : قابل قولهما المتقدم في حديث التختم بالعقيق الذي احتج به الغماري الكبير على وضعه ، وتبين وتؤكد من بطلان إنكار الغماري الصغير عليهما كما يأتي .

٤ - قوله : (ومقتضى القاعدة المقررة يكون تعديل الحاكم له مقبولا . . . الخ

(

فاقول : تأمل أيها القارئ كيف يعمى الأمر على القراء ، فيطلق القاعدة ولا يبينها ن تديسا عليهم ، وإيهاما لهم بأنه متمسك بالقاعدة المقررة في علم المصطلح ، وينسب الحافظ الذهبي إلى التعنت ويلحق به الحافظ العسقلاني في الغفلة !! ولا يشك أحد أنهما أعلم منه واتقى ، وأبعد عن أتباع الهوى الذى ابتلى به هذا الغمارى المسكين فى كثير من كتاباته وبخاصة ما كان منها فى انتقاده للآخرين .
وبيان ذلك هنا من وجهين :

الأول : أن الحاكم لم يجزم بأن الراسى هذا صدوق ن وإنما قال : أرجو .
وفرق واضح بين الأمرين .

والآخر : هب أنه جزم بأنه صدوق ، فما قيمة قوله وهو معروف عند العلماء بأنه من المتساهلين ، ولا سيما إذا لم يعتد بقوله الحفاظ الذين جاءوا من بعده واستدركوا عليه كالذهبي وغيره ، وقد ذكر اللكنوى رحمه الله تعالى فى (الأجوبة (١٦١) : انه إذا تعارض قول الحاكم مع الذهبي ، رجح قل الذهبي ، لأن الأول متساهل والثانى غير متساهل . فالحديث الذى حكم الحاكم بكونه صحيح الإسناد . وحكم الذهبي بكونه ضعيف الإسناد ، يرجح فيه قول الذهبي على قول الحاكم ، وكم من حديث حكم عليه الحاكم بالصحة وتعقبه الذهبي بكونه ضعيفا أو موضوعا إلى آخر كلامه رحمه الله تعالى .

وأقول : هذا إذا كان الذهبي وحده مخالفا للحاكم ن فكيف إذا كان معه الحافظ ابن حجر كما هو الشأن هنا . فسقط بذلك تشبث الغمارى بالحاكم

فإن قيل : ما هى القاعدة المقررة التى اعتمد عليها الغمارى فى رده على الذهبي والعسقلاني ولم يبينها ؟

فأقول : هي قول ابن الصلاح وغيره أنه يكفى الواحد في التعديل على الصحيح . وقد عرفت مما سبق أنها ليست على إطلاقها ، وأن المقصود بها من لم يكن معروفا بالتساهل في التوثيق والتصحيح الحاكم وابن حبان ونحوهما ن وهذا مما لا يخفى على الغمارى ، ولكنه يجادل بالباطل وينساق لهواه . نسأل الله السلامة .
٥- قوله : فالحديث بهذين الطريقتين . . . لا يبعد أن يكون من قبيل الحسن لغيره .

فأقول : كلا ، وذلك لوجهين :

الأول : أن فيه ذلك الواهى محمد بن معاذ كما سبق بيانه في الفقرة ، ومثله لا يفيد في المتابعات والشواهد كما هو مقرر في علم المصطلح .
والآخر : أن البحث في متن الحديث كما تقدم في الجواب المحمل ، فلا فائدة من محاولتك لإخراج سند الحديث من الضعف ، ومثله باطل بشهادة الحافظين الذهبي والعسقلاني ، وهما المرجع في مثل هذا الأمر دونك ، وما أحسن ما قيل في مثل هذه المناسبة :

وابن اللبون إذا ما لز في قرن لم يستطع صولة البزل القناعيس

فإن قيل : فما وجه بطلان هذا الحديث متنا ؟

فأقول مخالفته للسنة الصحيحة الثابتة من طرق عن ابن عمر رضى الله تعالى عنه في (صحيح البخارى) وغيره ، وهى مخرجه في (ظلال الجنة) (رقم ١١٩٠ - ١١٩٨) ، بل قد صح ذلك عن على نفسه رضى الله تعالى عنه ن فروى البخارى بسنده الصحيح عن محمد بن الحنفية قال :

قلت لأبي : أى الناس خير بعد رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ؟ قال : أبو بكر قال : قلت : ثم من ؟ قال : ثم عمر . . الحديث ورواه أبو داود وابن ماجه

وأحمد وغيرهم من طرق عنه ، وهو مخرج في (ظلال الجنة) (١٢٠٠ - ١٢٠٨)

وروى (١١٦٦) بسند حسن عن عمر قال لبي بكر ك لا بل نبايعك ، وأنت سيدنا وخيرنا واحبنا إلى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم . وقد جاء في (الصحيحين) مرفوعا أن أبا بكر كان أحب الرجال إلى النبي صلى الله عليه وآله وسلم فكيف يعقل بعد هذه النصوص القاطعة بأفضلية أبي بكر رضى الله تعالى عنه ان يقال : (وعلى سيد العرب) وقد تقدم أن من علامات الحديث الموضوع أن يخالف السنة الصحيحة ن فهي عندة الذهبي والعسقلاني في قولها ببطلان الحديث . ولقد كنت أوردت معنى ما تقدم من السنة في ردى على الغمارى في مقدمة (البداية) ، واشرت إلى نسبته إلى التشيع ، بسبب تحمسه لهذا الحديث الباطل ن وذكرت أنه من وضع الشيعة . ثم تأكدت من ذلك حين رأيت يرد على الحافظين ويستعلى عليهما ، وينسبها على الغفلة كما تقدم ، ولا يتبرأ من التشيع الذى رمى به ، بل إنه زاد على ذلك - ضغنا على غبالة - فسود ثلاث صفحات في الطعن على أهل السنة وأئمة الحديث كابن تيمية والذهبي ن فيرميهما بالنصب ، وإنكار فضائل فضائل على رضى الله تعالى عنه ، ويصرح بأن كثيرا من أهل السنة انخدعوا بالنواصب ! فردوا أحاديث كثيرة فى فضل على رضى الله تعالى عنه ، ومنها هذا الحديث بزعمه فيتأول بقوله : (فمعنى قوله عليه الصلاة والسلام :) على سيد العرب) أنه ذو الشرف والمجد فيهم ، لأنه من أهل البيت الخ)

فأقول : أثبت العرش م انقش ، فإن التأويل فرع التصحيح كما هو معروف عند العلماء ، والحديث ضعيف الإسناد كما سبق تحقيقه ، فهو لا يستحق التأويل

على أن سياق الحديث يبطله ، فإن قوله صلى الله عليه وآله وسلم : (أنا سيد ولد آدم صريح في تفضيله صلى الله عليه وآله وسلم على جميع ولد آدم ، وهو الذى فهمه العلماء ومنهم العز بن عبد السلام فى رسالته (بداية السؤل) كما سيأتى بيانه تحت الحديث رقم (٥٦٧٨) ، فلو صحت زيادة (وعلى سيد العرب) دلت أيضا على تفضيله بعده صلى الله عليه وآله وسلم على العرب جميعا ن وهذا باطل بشهادة الصحابة كما تقدم ، ومنهم على نفسه رضى الله عنهم أجمعين .

ومثل هذه ال زيادة فى البطلان والمخالفة حديث :

(كان احب النساء على رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فاطمة ، ومن

الرجال على)

وسيأتى فى هذا المجلد إن شاء الله تعالى برقم (١١٢٤) مع تحريجه والكشف عن علته ، ووهم من وهم فيه ، وذكر بعض الأحاديث الصحيحة الدالة على بطلانه . وبعد ن فإن مجال الرد على الغمارى والكشف عن أوهامه وتدليساته على القراء ، وضلالاته وافتراءاته وإثارته للفتن التى شاركه فى بعضها ذاك الخزرجى - مجال واسع جدا ن وفيما سبق من البيان كفاية لكل منصف راغب فى الهداية ن وإين مع ذلك أرجو لهما أن يتراجعا عما رمونا به من البهت والافتراء ، فإن لم يفعلا فإنى داع بما ثبت عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم .

(اللهم متعنا بأسماعنا وأبصارنا وقوتنا ما أحييتنا ، واجعله الوارث منا ، واجعل ثأرنا على من ظلمنا ن وأنصرنا على من عادانا ، ولا تجعل مصيبتنا فى ديننا ، ولا تجعل الدنيا أكبر همنا ، ولا مبلغ علمنا ن ولا تسلط علينا من لا يرحمنا)

[من مقدمة السلسلة الضعيفة / المجلد الثالث]

مقابلته للشيخ أحمد شاكر

وللتاريخ أقول : لقد كنتُ التقيتُ الشيخَ أحمدَ - رحمه الله تعالى - في مكة في حَجَّتي الأولى - وذلك قبل أكثر من أربعين سنة - ، وزرته في الفندق الذي كان نازلاً فيه ، وعرفته بنفسِي وأني أرغب أن أعرف رأيه بالتفصيل في اعتداده بتوثيق ابن حبان ، فاعتذر بمرض زوجته ! ثم قدر لي أن سافرت بعد الحج إلى المدينة لزيارة المسجد النبوي ، فأخبرت بأن لشيخ نازل في فندق لا أذكر اسمه ، فزرته ، وطلبت منه أن يشرح لي وجهة نظره في توثيق ابن حبان ، وذكرته بما قاله فيه الحافظ ابن عبد الهادي ، وابن حجر العسقلاني ، فلم يأت بشيء ! سوى أنه قال : لا يجوز للمتأخرين إلا أن يعتدوا بجهود العلماء المتقدمين وعلمهم ، فوافقته في هذا بداهة ، ولما لفتُ نظره إلى أن هذا شيء وما نحن فيه شيء آخر ؛ لأن ابن حبان خالف العلماء كما شرحه الحافظان المشار إليهما ، فإذا هو - سبحانه الله - شعلة نار ، لا يمكن مناقشته ! فجلستُ قليلاً ، ثم استأذنت منصرفاً بحُفْمِي حُنِين !

[الضعيفة ١٢ / ٥٥٧]

مقابلته للعلامة محمد سلطان المعصومي

العلامة محمد سلطان المعصومي رحمه الله تعالى وهو مؤلف رسالة هداية السلطان 'إلى بلاد اليابان' التي ادعى أحد الدكاترة أنها ليست له وإنما لبعض إخواننا مع أنني تناولتها منه هدية مطبوعة حين زرته في مكة في حجتي الأولى سنة ١٣٦٨ هـ [تحذير الساجد : ص ٦٥] .

أثر استماع اللهو في الصد عن ذكر الله

وقد صدق ابن القيم رحمه الله فإن أثر السماع في المبتلين به ظاهر ومشاهد كما تقدمت الإشارة إلى ذلك وحسي أن أذكر لك مثالا واحدا مما شهدته بنفسي مما يجسد في الأذهان المعنى الصحيح لقوله تعالى : (لهو الحديث) فقد كنت في المسجد يوم الجمعة أستمع إلى الخطبة وبجاني شاب في نحو الثلاثين من العمر وقد جلس متربعا وهو يقطع بأصابعه على الأرض كما لو كان يسمع أغنية فهو يرقص أصابعه معها وأشرت إليه بالامتناع والاستماع إلى الخطبة .

فهذه الحادثة من حوادث كثيرة تدل دلالة قاطعة على أن السماع قد صد أهله عن ذكر الله - كالخمر - وعن الاستماع إليه والله عز وجل يقول : (إذا قرئ القرآن فاستمعوا له وأنصتوا لعلكم ترحمون) ومن المعلوم أن الآية تشمل الجمعة كما في بعض الآثار وهو اختيار ابن كثير فقد صداهم (اللهو) عن الذكر والاستماع إليه والله المستعان [تحريم آلات الطرب : ص ١٥٧]

سماع الشيخ حديث من شيخ دمشقي

" كونوا في الدنيا أضيافا ، و اتخذوا المساجد بيوتا ، و عودوا قلوبكم الرقة ، و أكثروا التفكير و البكاء ، و لا تختلفن بكم الأهواء ، تبنون ما لا تسكنون ، و تجمعون ما لا تأكلون ، و تأملون ما لا تدركون " .

قال الألباني في " السلسلة الضعيفة و الموضوعة " (٣٢٦/٣) :

سمعت هذا الحديث من فم شيخ دمشقي يلقيه على منبر مسجد مضايا يوم الجمعة الواقع في ٧١/١١/١٨ هـ و قد جعله محور خطبته ! فاستنكرت الحديث في نفسي ،

و لكني ما كان تقدم مني تخريجه ، فخرجته بعد يوم فتحقق ظني و أنه منكر ، و الحمد لله على توفيقه ، و وفق مشايخنا لتحري الصحيح من حديث رسوله صلى الله عليه وسلم ، و حفظهم أن يقولوا عليه ما لم يقل .

مناظرته لشيخ أزهري

و من آثار هذه الأحاديث السيئة أنها توحى للمرء بأن يظل على حدته و أن لا يعالجها لأنها من خلق المؤمن ! و قد وقع هذا ، فإني ناظرت شيخا متخرجا من الأزهر في مسألة لا أذكرها الآن فاحتد في أثنائها ، فأنكرت عليه حدته ، فاحتج علي بهذا الحديث ! فأخبرته بأنه ضعيف ، فزاد حدة و افتخر علي بشهادته الأزهريّة ، و طالبني بالشهادة التي تؤهلني لأن أنكر عليه ! فقلت : قوله صلى الله عليه وسلم : " من رأى منكم منكرا ... " الحديث ! رواه مسلم [الضعيفة ١ / ١٠٤] .

عناية الشيخ بكتاب " الأدب المفرد "

ويعود تاريخ اهتمامي بهذا الكتاب الفريد " الأدب المفرد " إلى ما قبل عشرين سنة ، أو يزيد، من يوم قررت أن ألقى منه دروساً على طائفة من النساء المتجلببات ، وكما هي عادتي في أن لا أقدم إلى الناس إلا ما صح من الحديث عن رسول الله صلى الله عليه وسلم. فقد كان بدهياً أن ألتزم هذا المنهج في تدريس الكتاب، ولذلك فقد كان لابد لي من تحضير الدرس ، وتمييز ما صح من أحاديث الكتاب وآثاره مما لم صح، ليتيسر لي تقديم ما صح منه إليهن، تجاوباً مني مع حديث نبي الله صلى الله عليه وسلم " الدين النصيحة " قالوا لمن؟ قال " لله ، ولكتابه، ولنبيه، ولأئمة المسلمين وعامتهم " رواه مسلم وغيره ، وهو مخرج في " الإرواء " (٢٦) ، و " غاية المرام " (٣٣٢) .

ثم جرت أمور حالت دون الاستمرار في تدريسه ، غير أنني استمرت في التمييز المشار إليه على نوبات متفرقة حتى انتهيت منه بتاريخ ٨ جمادى الأولى سنة (١٣٩٤) وأنا في دمشق .

ثم هاجرت إلى عمان ، فأعدت النظر في ذلك كله ، ونقحته ، وفرزت منه ما ضُعب في جزء لطيف ، وما صح في مجلد طريف ، وأضفت إلى كل منهما ، تعليقات مفيدة ، وفوائد فريدة ، حديثية ، وفقهية ، ولغوية استفدت بعضها من كتاب " فضل الله الصمد في توضيح الأدب المفرد " للشيخ فضل الله الجليلاني ، وهو شرح وحيد لهذا الكتاب العظيم .

[مقدمة صحيح الأدب المفرد] .

مدافعة الشيخ أحدهم وهو يصلي في الكعبة

و لقد لمست أثر هذا الحديث الضعيف في مكة حينما حججت لأول مرة سنة (١٣٦٩) ، فقد دخلتها ليلا فطفت سبعا ، ثم جئت المقام ، فافتتحت الصلاة ، فما كدت أشرع فيها حتى وجدت نفسي في جهاد مستمر مع المارة بيني و بين موضع سجودي ، فما أكاد أنتهي من صد أحدهم عملا بأمره صلى الله عليه وسلم حتى يأتي آخر " فأصده و هكذا !! و لقد اغتاز أحدهم من صدي هذا فوقف قريبا مني حتى انتهت من الصلاة ، ثم أقبل علي منكرا ، فلما احتججت عليه بالأحاديث الواردة في النهي عن المرور ، و الأمرة بدفع المار ، أجاب بأن مكة مستثناة من ذلك ، فرددت عليه ، و اشتد النزاع بيني و بينه ، فطلبت الرجوع في حله إلى أهل العلم ، فلما اتصلنا بهم إذا هم مختلفون ! و احتج بعضهم بهذا الحديث ، فطلبت إثبات صحته فلم يستطيعوا ، فكان ذلك من أسباب تخريج هذا الحديث ، و بيان علته . فتأمل فيما ذكرته يتبين لك خطر الأحاديث الضعيفة و أثرها السيئ في الأمة [الضعيفة ٢ / ٣٢٦] .

السفر إلى بيت المقدس

و لقد شددت الرحل إلى بيت المقدس لأول مرة بتاريخ (٢٣/٥/١٣٨٥ هـ) حين اتفقت حكومتا الأردن و سوريا على السماح لرعاياهما بدخول أفراد كل منهما إلى الأقصى ، و زرت الصخرة للاطلاع فقط ؛ فإنه لا فضيلة لها شرعا ، خلافا لزعم الجماهير من الناس و مشايعة الحكومات لها ، و رأيت مكتوبا على بابها من الداخل حديثا فيه أن الصخرة من الجنة ، و لم يخطر في بالي آنذ أن أسجله عندي لدراسته ، و إن كان يغلب على الظن أنه موضوع . [الضعيفة ٣/٤٠٧] .

سفر الشيخ إلى الإمارات

وقد كان الداعي إلى تخريجه : أني سافرت سفرة اضطرارية إلى الإمارات العربية ، فكننت في دعوة غداء عند بعض المحبين في الله في (أبو ظبي) يوم الجمعة ٩ محرم سنة ١٤٠٢ هـ ، وفي المجلس شاب يماني سلفي يدعى بـ (عبدالمجد) ، فسأل أحد الحاضرين : هل (المجد) من أسماء الله تعالى ؟ فقلت : لا أعلمه إلا في رواية الترمذي للحديث الصحيح المتفق عليه عن أبي هريرة :

"إن لله تسعة وتسعين اسماً ، مئة إلا واحداً ، من أحصاها دخل الجنة" ، فزاد الترمذي فيه سرد الأسماء ، وفيها هذا الاسم (المجد) ! لكن العلماء ضعفوا هذه الزيادة ، وهي في "المشكاة" (٢٢٨٨) ، مع بيان ضعفها .

فذكر أحد الحاضرين أنه رأى هذا الاسم في حديث آخر في "مختصر تفسير ابن كثير" للشيخ الصابوني ، فطلبته ، فرأيته قد ساقه محذوف السند كعادته ، غير مشير إلى ضعفه ؛ لأنه من الجمهور الذي لا علم عنده بالصناعة هذه ؛ بل هو يستكثر بما ليس عنده ؛ فإن الحديث يكون في الأصل "تفسير ابن كثير" مخرجاً معزواً لبعض أصحاب الحديث المؤلفين ، فيختصر التخريج من "مختصره" ، ويجعله في أسفل حاشيته ، يوهم القراء أن التخريج له ، وليس له منه إلا التزوير ، كما يشير إلى ذلك قوله صلى الله عليه وسلم :

"من تشبع بما لم يعط ؛ فهو كلابس ثوبي زور" .

ولو أنه فعل ذلك مرة أو مرتين لما تعرضنا له بذكر ، ولكنه جعل ذلك ديدنة ومنهاجاً ؛ فإنه جعل كل التخريجات التي في الأصل في حاشية "مختصره" ! والله تعالى هو المستعان . [الضعيفة ١١ / ٦٢٨]

هجرة الشيخ من عمان إلى دمشق

كان الداعي إلى تخريج هذا الحديث : أني لما أقمت مضطراً في بيروت أواخر سنة ١٤٠١ منفيّاً من عمان إلى دمشق بتاريخ ١٩ شوال من السنة المذكورة ؛ قضيت وقت غربي في تحقيق كتاب "رفع الأستار لإبطال أدلة القائلين بفناء النار" للعلامة الصنعاني . [الضعيفة ١١/٦٣٨] .

من عمان إلى بيروت

إن الله تبارك وتعالى قد جعل بحكمته لكل شيء سببا ولكل أمر سمي أجلا وقد ر كل شيء تقديرا حسنا وكان من ذلك أنني هاجرت بنفسي وأهلي من دمشق الشام إلى عمان في أول شهر رمضان سنة (١٤٠٠) فبادرت إلى بناء دار لي فيها آوي إليها ما دمت حيا فيسر الله لي ذلك بمنه وفضله وسكنتها بعد كثير من التعب والمرض أصابني من جراء ما بذلت من جهد في البناء والتأسيس ولا زلت أشكو منه شيئا قليلا والحمد لله على كل حال والحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات .

ولقد كان أمرا طبيعيا أن يصرفني ذلك عما كنت اعتدته في دمشق من الانكباب على العلم دراسة وتدريسا وتأليفا وتحقيقا لا سيما ومكتبتي الخاصة لا تزال في دمشق لم أتمكن من ترحيلها إلى عمان الصعوبات وعراقيل معروفة فكنت أعلل نفسي كل يوم وأمنيها بأن المياه عما قريب ستعود إلى مجاريها ولكن الرياح كثيرا ما تجري بخلاف ما يشتهي الملاح فإنه ما كاد بعض إخواننا في الأردن يشعرون بأنني استقررت في الدار حتى بدؤوا يطلبون مني أن أستأنف إلقاء الدروس التي كنت ألقها عليهم في السنين الماضية قبل هجريتي إلى عمان حيث كنت أسافر إليها في كل شهر أو شهرين فألقي عليهم درسا أو درسين في كل سفرة وألحوا علي في الطلب وعلى الرغم من أنني ما كنت عازما على شيء من الإلقاء لأوفر ما بقي لي من نشاط وعمر لإتمام بعض مشاريعي العلمية - وما أكثرها - رأيت أنه لا بد من أحقق طلبتهم وورغبتهم الطيبة فوعدتهم خيرا وأعلنت لهم أنني سألقي عليهم درسا كل يوم خميس بعد صلاة المغرب في دار أحد إخواننا الطيبين هناك قريبا من داري . وتحقق ذلك بإذن الله تعالى فألقيت الدرس الأول ثم الثاني من

كتاب (رياض الصالحين) للإمام النووي بتحقيقي وأجبتهم بعد الدرس عن بعض أسئلتهم الكثيرة المتوفرة لديهم والتي تدل على تعطشهم ورغبتهم البالغة في العلم ومعرفة السنة .

وبينما أنا أستعد لإلقاء الدرس الثالث إذا بي أفأجأ بما يضطرين اضطرارا لا خيار لي فيه مطلقا إلى الرجوع إلى دمشق حيث لم يبق لي فيها سكن وذلك أصيل نهار الأربعاء في ١٩ شوال سنة ١٤٠١ هـ فوصلتها ليلا وفي حالة كئيبة جدا وأنا أضرع إلى الله تعالى أن يصرف عني شر القضاء وكيد الأعداء فلبثت فيها ليلتين وفي الثالثة سافرت بعد الاستشارة والاستخارة إلى بيروت مع كثير من الحذر والخوف لما هو معروف من كثرة الفتن والهرج والمرج القائم فيها والوصول إلى بيروت محفوف بالخطر ولكن الله تبارك وتعالى سلم ويسر فوصلت بيروت في الثلث الأول من الليل قاصدا دار أخ لي قديم وصديق وفي حميم فاستقبلني بلطفه وأدبه وكرمه المعروف وأنزلني عنده ضيفا معززا مكرما . جزاه الله خيرا .

[مقدمة رفع الأستار] .

مشاهداته هو وزوجه أم الفضل أثناء العمرة

لما اعتمرت أنا وزوجتي أم الفضل سنة (١٤١٠ هـ) كنا نرى كثيرا من المعتمرات يسعين منقبات فكنت أنصح الرجال وهي تنصح النساء بأن هذا لا يجوز فإن كان ولا بد فعليكن بالسدل ونذكر الحديث الوارد في ذلك فلا نجد منهم تجاوبا وكنت أشعر بأن ذلك أثر من تشديد بعض المشايخ في مسألة الوجه وكان عليهم - إذ أبوا إلا التشديد - أن يضيفوا إلى ذلك تحذير المحرمات من الانتقاب فإنه فاش جدا فيهن كما شاهدت ذلك في كل حجاتي وعمري ورأيت في المسعى شابا يسعى وبجانبه امرأة متنقبة فاقتربت منه وسألته : هذه محرمة ؟ قال : نعم . فقلت : يا أخي قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : " لا تنتقب المرأة المحرمة ولا . . . " . فلم يدعني أكلم الحديث وبادر بقوله : هذه مسألة خلافية قلت : ليس بجثي في وجه المرأة وإنما في انتقاب المحرمة . فلم يعبأ بي وانطلق معها يسعى .

[الرد المفحم : ص ١٤٨] .

الزواج الثاني للشيخ

فإنه لما كان يوم عقد نكاحي على زوجتي الثانية بعد بضعة أشهر من وفاة الأولى - " أم عبد الرحمن " رحمها الله تعالى - عرض علي بعض الإخوان أن يلقي هو خطبة النكاح وذكر أنه لمس غير مرة فائدتها وأثرها حين كان يلقيها .
فقلت : لا مانع عندي ولكن أريد أن ألقى عليها نظري فاعرضها علي فرأيتها لا بأس بما بيد أني أدخلت عليها بعض التحسينات مثل حذف بعض الأحاديث الضعيفة وإقامة أخرى .

صحيحة مقامها وكان أهم ذلك عندي أن قدمتها بخطبة الحاجة التي كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يعلمها أصحابه بعد أن تتبعت طرقها وألفاظها من مختلف كتب السنة المطهرة. [مقدمة خطبة الحاجة] .

مناقشة بين الشيخ وأحد وعاظ المسجد النبوي

وإني لن أنسى - ما حييت - تلك المناقشة التي كانت جرت منذ نحو عشر سنين في المدينة المنورة بيني وبين أحد الخطباء والوعاظ الذين يجنون أن يتصدروا المجالس ويستقلوا بالكلام فيها فقد دخل علينا نحن في سهرة لطيفة جمعت نخبة طيبة من طلاب العلم من السلفيين أمثالي فلم يبق له أحد من الجالسين سوى صاحب الدار مرحبا ومستقبلا فصافح الشيخ الجالسين جميعا واحدا بعد واحد مبتدئا بالأيمن فالأيمن فأعجبني ذلك منه حتى انتهى إلي وكنت آخرهم مجلسا ولكني رأيت وقرأت في وجهه عدم الرضى بتركهم القيام له فأحبيت أن ألطف وقع ذلك عليه فبادرته متلطفًا معه بقولي وهو يصابحني : عزيز بدون قيام يا أستاذ كما يقولون عندنا بالشام في مثل هذه المناسبة فأجاب وهو يجلس وملامح الغضب بادية عليه - بما معناه :

لا شك أن القيام للداخل إكراما وتعظيما ليس من السنة في شيء وأنا موافق لك على ذلك ولكننا في زمن أحاطت فيه الفتن بالمسلمين من كل جانب وهي فتن تمس الإيمان والعقيدة في الصميم . ثم أفاض في شرح ذلك وذكر الملاحدة والشيوعيين والقوميين وغيرهم من الكافرين فيجب أن نتحد اليوم جميعنا لمحاربة هؤلاء ودفع خطرهم عن المسلمين وأن ندع البحث والجدال في الأمور الخلافية كمسألة القيام والتوسل ونحوهما

فقلت : رويدك يا حضرة الشيخ فإن لكل مقام مقالا فنحن الآن معك في مثل هذه السهرية الأخوية لم نجتمع فيها لبحث خاص ولا لوضع الخطة لمعالجة المسائل الهامة من الرد على الشيوعيين وغيرهم وأنت ما كدت تجلس بعد ثم إن طلبك ترك البحث في الأمور الخلافية هكذا على الإطلاق لا أظنك تقصده لأن الخلاف يشمل

حتى المسائل الاعتقادية وحتى في معنى شهادة أن لا إله إلا الله . فأنت تعلم أن أكثر المشايخ اليوم يجيزون الاستغاثة بغير الله تعالى . والطلب من الأموات وذلك مما ينافي معنى شهادة التوحيد عندنا جميعا - أشير إلى أنه في هذه المسألة معنا - فهل تريدنا أن لا نبحت حتى في تصحيح معنى الشهادة بحجة أن المسألة فيها خلاف ؟ قال : نعم . حتى هذا يجب أن يترك موقتا في سبيل تجميع الصفوف وتوحيد الكلمة لدرء الخطر الأكبر : الإلحاد و . . . قلت : وماذا يفيد مثل هذا التجمع - لو حصل - إذا لم يقيم على أساس التوحيد وعدم الإلحاد بالله عز وجل . وأنت تعلم أن العرب في الجاهلية كانوا يؤمنون بالله تعالى خالقا ولكنهم كانوا يكفرون بكونه الإله الحق { إنهم كانوا إذا قيل لهم لا إله إلا الله يستكبرون } فلم يفدهم إيمانهم ذلك شيئا ولم ينحهم من محاربة الرسول إياهم . فقال : نحن نكتفي اليوم بجمع الناس تحت كلمة لا إله إلا الله . قلت : ولو بمفهوم خاطئ ؟ قال : ولو

أقول : فهذه المناقشة تمثل لنا في الحقيقة واقع كثير من الدعاة المسلمين اليوم وموقفهم السلبي تجاه تفرق المسلمين في فهمهم للدين فإنهم يدعون كل من ينتمي إليهم على أفكاره وآرائه دون أن يحملوهم بالعلم والحجة من الكتاب والسنة على توحيدها وتصحيح الخطأ منها وجل اهتمامهم إنما هو في توجيههم إلى الأخلاق الإسلامية وآخرون منهم لا شغل لهم إلا تثقيف أتباعهم بالسياسة والاقتصاد ونحو ذلك مما يدور عليه كلام أكثر الكتاب اليوم حوله ونرى فيهم من لا يقيم الصلاة ومع ذلك فهم جميعا يسعون إلى إيجاد المجتمع الإسلامي وإقامة الحكم الإسلامي . وهيئات هيئات إن مجتمعا كهذا لا يمكن أن يتحقق إلا إذا بدأ الدعاة بمثل ما بدأ به رسول الله صلى الله عليه وسلم من الدعوة إلى الله حسبما جاء في كتاب الله وبينه رسول الله صلى الله عليه وسلم

ومن البديهي أن مثل هذه الدعوة لا يمكن النهوض بها بعدما دخل فيها ما ليس منها من طريق الدس على النبي صلى الله عليه وسلم باسم الحديث والدس على تفسير القرآن باسم التأويل فلا بد من الاهتمام الجدي العلمي لتصفية المصدرين المذكورين مما دخل فيهما لئلا يتمكن من تصفية الإسلام من مختلف الأفكار والآراء والعقائد المنتشرة في الفرق الإسلامية حتى ممن ينتسب إلى السنة منهم .

وأعتقد أن كل دعوة لا تقوم على هذا الأساس الصحيح من التصفية فسوف لا يكتب لها النجاح اللائق بدين الله الخالد.

[مختصر العلو: ص ٥٧] .

قصة طريفة

وعلى سبيل التذكير، ومن جهة بيان شدة تأثير الناس بالعبادات، ومن باب التسلية في أثناء البحث العلمي، أورد لكم القصة الطريفة الآتية: كنت منذ نحو عشرين سنة أو أكثر في قرية تعتبر من مصايف سوريا، تسمى بـ مضايا، نزلت إلى المسجد لصلاة الفجر فلم يحضر إمام المسجد، وكان يوم الجمعة، فقدموني لأصلي بهم إماماً، وأنا أعرف أن من السنة أن يقرأ الإمام في صبح الجمعة سورة السجدة في الركعة الأولى، وسورة الدهر في الركعة الأخرى، لكني لا أتقن حفظ السورتين؛ لذلك رأيت أن أقرأ من سورة أخرى أحفظها، وكان ذلك من سورة مريم، فقرأت نحو صفحة أو أكثر قليلاً، فلما كبرت تكبيرة الركوع وركعت إذا بالناس جميعاً يهوون ساجدين، فالذين خلفي أحسوا بأني لست ساجداً وإنما أنا راعع، فتداركوا أمرهم وقاموا وشاركوني في الركوع، أما الذين وراء المنبر ولا يرون الإمام -ومن البدع الموجودة في بلادنا وفي بلادكم -أيضاً- هذا المنبر الطويل الذي يقطع الصف الأول والثاني- ما زالوا ساجدين إلى أن سمعوا قولي: سمع الله لمن حمده، حين ذاك بدأت الضوضاء والغوغاء في صفهم، وما أدري ماذا تكلموا، ولا شك أنهم نالوا من عرضي.

بعد أن أتممت الصلاة توجهت إليهم أعظمهم فقلت لهم: يا جماعة! هل أنتم عجم أو عرب؟ والله لو أن هذه القصة وقعت من الأعاجم الذين لا يعرفون كلمة من اللغة العربية لكان عاراً عليهم، ألا تفرقون بين قول الإمام: (الم) وبين قوله: (كهيعص)؟ أم أن قلوبكم وعقولكم وراء البقر والزرع والضرع؟ الشاهد: كيف أن العادات تؤثر في الناس، وتجعلهم يغفلون ما يسمعون من القرآن، كذلك إذا قال الإمام: السلام عليكم ورحمة الله سلموا معه، فأنا وجدت أنه من الحكمة أنه لم

ينقل إلينا لا عن الرسول عليه السلام، ولا عن الصحابة جهرهم بالسلام حينما يصلون بالناس، لكنه نقل إلينا عن عمر بن الخطاب جهره بقوله: [أتموا صلاتكم فإننا قوم سفر].

[من دروس الشيخ المفرغة ، وانظر إصلاح المساجد ص ٦٣]

سَبَبُ تَأْلِيفِ كِتَابِ صِفَةِ صَلَاةِ النَّبِيِّ

ولما كنت لم أقف على كتاب جامع في هذا الموضوع ؛ فقد رأيت من الواجب عليّ أن أضع لإخواني المسلمين - ممن همُّهم الاقتداء في عبادتهم بهدي نبيهم صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - كتاباً مستوعباً - ما أمكن - لجميع ما يتعلق بصفة صلاة النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ من التكبير إلى التسليم ؛ بحيث يُسهَّل على من وقف عليه - من المحبين للنبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ حباً صادقاً - القيام بتحقيق أمره في الحديث المتقدم :

" صلوا كما رأيتموني أصلي " .

ولهذا فإنني شَمَّرت عن ساعد الجِدِّ ، وتتبع الأَحَادِيثَ المتعلقة بما إليه قصدت من مختلف كتب الحديث ؛ فكان من ذلك هذا الكتاب الذي بين يديك ، وقد اشترطت على نفسي أن لا أورد فيه من الأحاديث النبوية إلا ما ثبت سنده ؛ حسبما تقتضيه قواعد الحديث الشريف وأصوله ، وضربت صفحاً عن كل ما تفرد به مجهول ، أو ضعيف ؛ سواء كان في الهيئات ، أو الأذكار ، أو الفضائل وغيرها ؛ لأنني أعتقد أن فيما ثبت من الحديث^(١) غنية عن الضعيف منه ؛ لأنه لا يفيد - بلا خلاف - إلا الظن ؛ والظن المرجوح ، وهو كما قال تعالى : { لَّا يُغْنِي مِّنَ الْحَقِّ شَيْئًا } [النجم : ٢٨] . وقال صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ :

(١) الحديث الثابت يشمل الصحيح والحسن عند الحديثين بقسميهما: الصحيح لذاته، والصحيح لغيره، والحسن لذاته، والحسن لغيره.

" إياكم والظنَّ ! فإن الظنَّ أكذبُ الحديث " (١) .
 فلم يتعبدنا الله تعالى بالعمل به ، بل نمانا رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عنه ؛
 فقال : " اتقوا الحديث عني ؛ إلا ما علمتم " (٢) .

فإذا نهي عن رواية الضعيف ؛ فبالأحرى أن ينهي عن العمل به .

هذا ، وقد سميت الكتاب :

" صفة صلاة النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ من التكبير إلى التسليم كأنك تراها " .
 وقد جعلته على شطرين : أعلى ، وأدنى :

أما الأول : فهو كالمثنى ؛ أوردت فيه متون الأحاديث ، أو الجمل اللازمة منها ،
 ، ووضعتها في أماكنها اللائقة بها ، مؤلفاً بين بعضها ؛ بحيث يبدو الكتاب
 منسجماً من أوله إلى آخره ، وحرصت على المحافظة على نص الحديث ، ولفظه

(١) البخاري ، ومسلم . وهو مخرج في كتابي " غاية المرام تخريج الحلال والحرام " (رقم
 ٤١٢) .

(٢) صحيح . أخرجه الترمذي ، وأحمد ، وابن أبي شيبة . وعزاه الشيخ محمد سعيد الحلبي في
 " مسلسلاته " (٢/١) للبخاري ؛ فوهم .

ثم تبين لي أن الحديث ضعيف ، وكنت اتبعت المناوي في تصحيحه لإسناد ابن أبي شيبة فيه ،
 ثم تيسر لي الوقوف عليه ؛ فدا هو بين الضعف ، وهو نفس إسناد الترمذي وغيره .
 راجع كتابي " سلسلة الأحاديث الضعيفة " (١٧٨٣) ، وقد يقوم مقامه قوله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ
 وَسَلَّمَ :

" من حدث عني بحديث يرى أنه كذب ؛ فهو أحد الكاذبين " .

رواه مسلم وغيره . راجع مقدمة كتابي " سلسلة الأحاديث الضعيفة " (المجلد الأول) . بل
 يغني عنه قوله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : " إياكم وكثرة الحديث عني ! من قال عليّ ؛ فلا يقولن
 إلا حقاً ، أو صدقاً ، فمن قال عليّ ما لم أقل ؛ فليتبوأ مقعده من النار " .
 أخرجه ابن أبي شيبة (٧٦٠/٨) ، وأحمد وغيرهما . وهو مخرج في " الصحيحة " (١٧٥٣) .

الذي ورد في كتب السنة ، وقد يكون له ألفاظ ؛ فأوثر منها لفظاً لفائدة التأليف ، أو غيره ، وقد أضم إليه غيره من الألفاظ ؛ فأنبه على ذلك بقولي : (وفي لفظ : كذا وكذا) ، أو : (وفي رواية : كذا وكذا) . ولم أعزها إلى روايتها من الصحابة إلا نادراً ، ولا بينت من رواها من أئمة الحديث ؛ تسهيلاً للمطالعة والمراجعة .

وأما الشطر الآخر : فهو كالشرح لما قبله ؛ خرجت فيه الأحاديث الواردة في الشطر الأعلى ، مستقصياً ألفاظه وطرقه ، مع الكلام على أسانيدنا وشواهدنا ، تعديلاً وتجيئاً ، وتصحيحاً وتضعيفاً ؛ حسبما تقتضيه علوم الحديث الشريف وقواعده ، وكثيراً ما يوجد في بعض الطرق من الألفاظ والزيادات ما لا يوجد في الطرق الأخرى ؛ فأضيفها إلى الحديث الوارد في القسم الأعلى إذا أمكن انسجامها مع أصله ، وأشارت إلى ذلك بجعلها بين قوسين مستطيلين هكذا : [] ، دون أن أنص على من تفرّد بها من المخرجين لأصله ، هذا إذا كان مصدر الحديث ومخرجه عن صحابي واحد ، وإلا ؛ جعلته نوعاً آخر مستقلاً بنفسه - كما تراه في أدعية الاستفتاح وغيره - ، وهذا شيء عزيز نفيس ؛ لا تكاد تجده هكذا في كتاب . والحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات .

ثم أذكر فيه مذاهب العلماء حول الحديث الذي خرجناه ، ودليل كل منهم مع مناقشتها ، وبيان ما لها ، وما عليها ، ثم نستخلص من ذلك الحق الذي أوردناه في القسم الأعلى ، وقد أورد فيه بعض المسائل التي ليس عليها نص في السنة ؛ إنما هي من المجتهد فيها ، ولا تدخل في موضوع كتابنا هذا .

أسأل الله تعالى أن يجعله خالصاً لوجهه الكريم ، وأن ينفع به إخواني المؤمنين ، إنه سميع مجيب .

[مقدمة كتاب صفة صلاة النبي الأصلي ١/١٨]

طباعة كتاب إرواء الغليل في نخريج أحاديث منار السبيل

هذا كتابنا " إرواء الغليل في نخريج أحاديث منار السبيل " نقدمه اليوم إلى قرائنا الكرام بعد أن كثر السؤال عنه وألح بطبعه كثير من أهل العلم والفضل في مختلف البلاد الإسلامية كلما جاء ذكره أو بلغهم اسمه . وقد كنت فرغت من تخريجي منذ أكثر من خمسة عشر عاما ولذلك جريت على الإحالة عليه في تخريج بعض الأحاديث في كثير من مؤلفاتي المطبوعة منها والمخطوطة سواء ما كنت قد سلكت في تخريجه مسلك البسط أو التوسط أو الإيجاز أو الاكتفاء بذكر مرتبة الحديث فقط مثل " الأحاديث الصحيحة " و " الأحاديث الضعيفة) و " غاية المرام في تخريج أحاديث الحلال والحرام " و " ظلال الجنة في تخريج كتاب السنة " و " التعليق الرغيب على الترغيب والترهيب " ومثل بعض الرسائل الصغيرة نحو " الكلم الطيب " و " التوسل : أنواعه وأحكامه " و " الآيات البينات في عدم سماع الأموات على مذهب الحنفية السادات " وغيرها . ولذلك فإنه كان من الضروري إخراجه إلى عالم المطبوعات منذ سنين تيسيرا على في المراجعة عند الإحالة أولا واستجابة لرغبة أهل العلم وإفادتهم ثانيا . ومع أن الفضل في تأليفه يعود إلى الأخ الفاضل الأستاذ محمد زهير الشاويش وكان حريصا على نشره على الناس إلا أنه حال بينه وبين ذلك أسباب منها اضطراره إلى الخروج من سورية ثم من لبنان لمدة طويلة وأخيرا الوضع المضطرب في بيروت منذ بضع سنوات . والآن وقد استقرت الأوضاع بعض الشيء " وتيسرت له سبل الطباعة فقد بادر - جزاه الله خيرا - إلى إخراجه إلى عالم المطبوعات فضم بذلك فضلا إلى فضل أتم الله علينا وعليه نعمه ظاهرة وباطنة . ثم إن الباعث على هذا التخريج كان أمورا أذكر أهمها : الأول : أن أصله : " منار السبيل "

هو من أمهات كتب مذهب الإمام أحمد إمام السنة الذي جمع من الأحاديث مادة غزيرة قلما تتوفر في كتاب فقهي آخر في مثل حجمه - إذ هو جزءان فقط - حتى بلغ عددها ثلاثة آلاف حديث أو زادت جلها مرفوعة إلى النبي صلى الله عليه وسلم

الثاني : أنه لا يوجد بين أيدي أهل العلم وطلابه كتاب مطبوع في تخريج كتاب في الفقه الحنبلي كما للمذاهب الأخرى خذ مثلا كتاب " نصب الراية لأحاديث الهداية " في الفقه الحنفي للحافظ جمال الدين الزيلعي و " تلخيص ابن حجر العسقلاني " فرأيت أن من واجبي تجاه إمام السنة ومن حقه علي أن أقوم بخدمة متواضعة لمذهبه وفقهه رحمه الله تعالى وذلك بتخريج هذا الكتاب . الثالث : أنني توخيت بذلك أن أكون عوناً لطلاب العلم والفقه عامة والحنابلة منهم خاصة الذين هم - فيما علمت - أقرب الناس إلى السنة على السلوك معنا في طريق الاستقلال الفكري الذي يعرف اليوم ب (الفقه المقارن) هذا الفقه الذي لا يعطيه حقه - اليوم - أكثر الباحثين فيه والمدرسين لمادته في (كليات الشريعة) المعروفة الآن فإن من حقه أن لا يستدل فيه بحديث ضعيف لا تقوم به حجة . فترى أحدهم يعرض لمسألة من مسائله ويسوق الأقوال المتناقضة فيه ثم لا يذكر أدلتها التفصيلية فإذا كان فيها شيء من . الأحاديث النبوية " حشرها حشرا دون أن يبين ويميز صحيحها من حسننها بل ولا قويتها من ضعيفها فيكون من نتيجة ذلك وآثاره السيئة أن تتبلبل أفكار الطلاب وتضطرب آراؤهم في ترجيح قول على قول آخر ويكون عاقبة ذلك أن يتمكن من قلوبهم الخطأ الشائع : أن الحق يتعدد (١) بل صرح بعضهم أخيرا فقال : إن هذه الأقوال المتعارضة كلها شرع الله ! وأن يزدادوا

(١) انظر مقدمة كتابي " صفة صلاة النبي صلى الله عليه وسلم "

تمسكا بالحديث الباطل : " اختلاف أمي رحمة " (٢) وقد تتغلب العصبية المذهبية على أحدهم وقد يكون هو أستاذ المادة نفسه فيرجح من تلك الأقوال الموافقة لمذهبه وينتصر له بحديث من تلك الأحاديث وهو لا يدري أنه حديث ضعيف عند أهل الحديث ونقاده والمنهج العلمي الصحيح يوجب عليه أن يجري عملية تضعيفه بين تلك الأحاديث المتعارضة المستدل بها للأقوال المتناقضة فما كان منها ضعيفا لا تقوم به حجة تركت جانبا ولم يجز المعارضة بها وما كان منها صحيحا أو ثابتا جمع بينها بوجه من وجوه التوفيق المعروفة في علم أصول الفقه وأصول الحديث وقد أوصلها الحافظ العراقي في حاشيته على " علوم الحديث " لابن الصلاح إلى أكثر من مئة وجه

الرابع : أن لمثل هذا التخريج العلمي علاقة وثقى بما اصطلحت على تسميته ب " التصفية " وأعني بها أن النهضة الإسلامية المرجوة لا يمكن ان تقوم إلا على أساس تصفية الإسلام مما دخل فيه على مر القرون ومن ذلك الأحاديث الضعيفة والموضوعة وبخاصة ما كان منها في كتب الفقه وقد أقيمت عليها أحكام شرعية فإن تصفية هذه الكتب من تلك الأحاديث مع كونه واجبا دينيا لكي لا يقول المسلم على نبيه (صلى الله عليه وسلم) ما لم يقله أو ما لا علم له به فهو من أقوى الأسباب التي تساعد المسلمين المختلفين على التقارب الفكري ونبذ التعصب المذهبي . الخامس : أننا - بمثل هذا التخريج والتصفية - نسد الطريق على بعض المتدعة الضالة الجهلة الذين يجارون الأحاديث النبوية وينكرون حجية السنة

(٢) انظر كتابي " سلسلة الأحاديث الضعيفة والموضوعة " رقم (٥٧)

ويزعمون أن الإسلام ليس هو إلا القرآن ! ويسمون في بعض البلاد " القرآنيين " .
وليسوا من القرآن في شيء (١) .

ويلبسون على الجهال بقولهم : إن السنة غير محفوظة وإن بعضها ينقض بعضها
ويأتون على ذلك ببعض الأمثلة منها حديث : " خذوا شطر دينكم عن هذه
الحميراء يعني عائشة " (٢) ثم يعارضون به قوله (صلى الله عليه وسلم) في النساء
أنهن " ناقصات عقل ودين " (٣) ويقولون : أنظروا كيف يصف النساء بالنقص
في هذا الحديث ثم يأمر بأخذ شطر الدين من عائشة وهي متهمة في النقص ! فإذا
ما علم المسلم المتبصر في دينه أن الحديث الأول موضوع مكذوب على رسول الله
(صلى الله عليه وسلم) والحديث الآخر صحيح زال التعارض المزعوم أولاً لأنه لا
يصح في عقل عاقل - غير مجنون - معارضة الحديث الصحيح بالموضوع وانكشف
تلبسهم وجهلهم وضلالهم .

ثم إذا رجع إلى الحديث الآخر الصحيح ثانياً وأخذه بتمامه من مصدره الموثوق
به يتبين له أن النقص المذكور ليس إطلاقه كما يتعمد الدجالون أن يوهموا الناس
وإسقاطاً منهم للسنة من قلوبهم زعموا وإنما هو أن المرأة لا تصلي ولا تصوم وهي
حائض وأن شهادتها على النصف من شهادة الرجل كما جاء تفسيره في الحديث
نفسه في " صحيح البخاري " وغيره .

وهذا هو الشأن على الغالب بين الأحاديث الضعيفة والصحيحة وطرق
شياطين الإنس والجن لإضلال الناس كثيرة متنوعة فهذا يضل بمثل حديث عائشة

(١) انظر رسالتي " منزلة السنة في الإسلام وبيان أنه لا يستغنى عنها بالقرآن

(٢) حديث موضوع انظر " المنار المنيف " للعلامة ابن القيم

(٣) رواه البخاري ١ / ٣٤٦ - رقم ٧٢٥ من هذا المختصر

المذكور آنفا وآخر يمثل الحديث المتقدم " اختلاف أمي رحمة " . من أجل كل ذلك كان هذا التخريج النافع إن شاء الله تعالى . واعلم أن فن التخريج ليس غاية في نفسه عند المحققين من المحدثين بحيث يقتصر أمره على أن نقول مخرج الحديث : " أخرجه فلان وفلان و . - عن فلان عن النبي (صلى الله عليه وسلم) كما يفعله عامة المحدثين قديما وحديثا بل لا بد أن يضم إلى ذلك بيانه لدرجة كونه ضعيفا فإنه والحالة هذه لا بد له من أن تتبع طرقه وشواهده لعله يرتقي الحديث بها إلى مرتبة القوة وهذا ما يعرف في علم الحديث بالحسن لغيره أو الصحيح لغيره . وهذا في الحقيقة من أصعب أنواع علوم الحديث وأشقها لأنه يتطلب سعة في الاطلاع على الأحاديث والأسانيد في بطون كتب الحديث مطبوعها ومخطوطها ومعرفة جيدة بعلم الحديث وتراجم رجاله أضف إلى ذلك ذأبا وجدلا على البحث فلا جرم أنه تقاعس عن القيام بذلك جماهير المحدثين قديما والمشتغلين به حديثا وقليل ما هم . على أنني أرى أنه لا يجوز في هذه الأيام الاقتصار على التخريج دون بيان المرتبة لما فيه من إيهاام عامة القراء الذين يستلزمون من التخريج القوة - أن الحديث ثابت على كل حال . وهذا مما لا يجوز كما بينته في مقدمة : " غاية المرام " فراجعه فإنه هام . من أجل ذلك فإني قد حررت في هذا التخريج كغيره على بيان مرتبة كل حديث في أول السطر ثم اتبع ذلك بذكر من خرجته ثم بالكلام على إسناده تصحيحا أو تضعيفا وهذا إذا لم يكن في مخرجه الشيخان أو أحدهما وإلا استغنيت بذلك عن الكلام كما كنت بينته في مقدمتي لتخريج أحاديث " شرح العقيدة الطحاوية " ومقدمتي على " مختصر مسلم " للمنذري . وقد لا يتيسر لي الوقوف على إسناد الحديث وحيث أنقل ما وقفت عليه من تخريج وتحقيق لأهل العلم أداء للأمانة وتبرئة للذمة ولكني في هذه الحالة أبيض للحديث على الغالب فلا

أذكر له مرتبة . والله - سبحانه وتعالى - أسأل أن يسدد خطانا وأن يحفظ علينا ما به من النعم
أولانا وأن يغفر لنا ذنوبنا ويصلح أعمالنا ويخلص نوايانا وأن يعاملنا بفضله إنه
سميع مجيب والحمد لله رب العالمين . وسبحانك اللهم وبحمدك أشهد أن لا إله الا
أنت أستغفرك وأتوب إليك . بيروت غرة رجب ١٣٩٩ . وكتب محمد ناصر
الدين الألباني. [مقدمة إرواء الغليل]

زيارة الشيخ للمنطقة الشرقية بالسعودية

في السنة المذكورة^(١) - وبعد العمرة - قيص لي أن أزور المنطقة الشرقية من السعودية وألقيت فيها بعض المحاضرات وأجبت عن أسئلة السائلين والسائلات أيضا كتابة وهاتفيا فبلغني عن بعض المتزمات منهن لما بلغهن حديث : " لا تنتقب المرأة المحرمة . . . " قلن : تنتقب ولا نكشف عن وجوهنا ونفدي

فقلت : سبحان الله ما يفعل الجهل بأهله فقد جعل الله لمن مخرجا : أن يسترن وجوههن بالسدل ولكن ذلك من آثار تشديد بعض المشايخ في تلك البلاد مع إهمال التنبيه على الجوانب الأخرى المتعلقة بالمسألة والتيسير فيها وإني لأعتقد أن مثل هذا التشديد على المرأة لا يمكن أن يخرج لنا جيلا من النساء يستطعن أن يقمن بالواجبات الملقاة على عاتقهن في كل البلاد والأحوال مع أزواجهن وغيرهم ممن تحوجهم الظروف أن يتعاملن معهم كما كن في عهد النبي صلى الله عليه وسلم كالقيام على خدمة الضيوف وإطعامهم والخروج في الغزو يسقين العطشى ويداوين الجرحى وينقلن القتلى وربما باشرن القتال بأنفسهن عند الضرورة فهل يمكن للنسوة اللاتي ريين على الخوف من الوقوع في المعصية - إذا صلت أو حجت مكشوفة الوجه والكفين - أن يباشرن مثل هذه الأعمال وهن متنقيات ومتقفزات ؟ لا وربي فإن ذلك مما لا يمكن إلا بالكشف عن وجوههن وأكفهن وقد ينكشف منهن ما لا يجوز عادة كما قال تعالى : (إلا ما ظهر منها) كما سنرى في بعض الأمثلة الشاهدة لما كان عليه النساء في عهد النبي صلى الله عليه وسلم. [الرد المفحم :ص ١٤٨ ، ١٤٩]

(١) أي عام ١٤١٠هـ

حجة الشيخ الأولى

ولقد لمست أثر هذا الحديث الضعيف^(١) في مكة حينما حججت لأول مرة سنة (١٣٦٩) ، فقد دخلتها ليلا فطفت سبعا ، ثم جئت المقام ، فافتتحت الصلاة ، فما كدت أشرع فيها حتى وجدت نفسي في جهاد مستمر مع المارة بيني وبين موضع سجودي ، فما أكاد أنتهي من صد أحدهم عملا بأمره صلى الله عليه وسلم حتى يأتي آخر " فأصده وهكذا !! ولقد اغتاض أحدهم من صدي هذا فوقف قريبا مني حتى انتهت من الصلاة ، ثم أقبل علي منكرا ، فلما احتججت عليه بالأحاديث الواردة في النهي عن المرور ، والأمر بدفع المار ، أجاب بأن مكة مستثناة من ذلك ، فرددت عليه ، واشتد النزاع بيني وبينه ، فطلبت الرجوع في حله إلى أهل العلم ، فلما اتصلنا بهم إذا هم مختلفون ! واحتج بعضهم بهذا الحديث ، فطلبت إثبات صحته فلم يستطيعوا ، فكان ذلك من أسباب تخريج هذا الحديث ، وبيان علته . [الضعيفة ٩٢٨]

(١) " رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم يصلي مما يلي باب بني سهم ، والناس يمرون بين يديه ، ليس بينه وبين الكعبة سترة . (وفي رواية) : طاف بالبيت سبعا ، ثم صلى ركعتين بحذاءه في حاشية المقام ، وليس بينه وبين الطواف أحد "

مشاهدات الشيخ في المسجد النبوي

ومما يؤسف له أن هذا البناء قد بني عليه منذ قرون إن لم يكن قد أزيل تلك القبة الخضراء العالية وأحيط القبر الشريف بالنوافذ النحاسية والزخارف والسجف وغير ذلك مما لا يرضاه صاحب القبر نفسه صلى الله عليه وسلم بل قد رأيت حين زرت المسجد النبوي الكريم وتشرفت بالسلام على رسول الله صلى الله عليه وسلم سنة ١٣٦٨ هـ رأيت في أسفل حائط القبر الشمالي محرابا صغيرا ووراءه سدة مرتفعة عن أرض المسجد قليلا إشارة إلى أن هذا المكان خاص للصلاة وراء القبر فعجبت حينئذ كيف ضلت هذه الظاهرة الوثنية قائمة في عهد دولة التوحيد أقول هذا مع الاعتراف بأنني لم أر أحدا يأتي ذلك المكان للصلاة فيه لشدة المراقبة من قبل الحرس الموكلين على منع الناس من يأتوا بما يخالف الشرع عند القبر الشريف فهذا مما تشكر عليه الدولة السعودية ولكن هذا لا يكفي ولا يشفي وقد كنت قلت منذ ثلاث سنوات في كتابي " أحكام الجنائز وبدعها " (٢٠٨ من أصلي) :

فالواجب الرجوع بالمسجد النبوي إلى عهده السابق وذلك بالفصل بينه وبين القبر النبوي بجائط يمتد من الشمال إلى الجنوب بحيث أن الداخل إلى المسجد لا يرى فيه أي مخالفة لا ترضى مؤسسه صلى الله عليه وسلم اعتقد أن هذا من الواجب على الدولة السعودية إذا كانت تريد أن تكون حامية التوحيد حقا وقد سمعنا أنها أمرت بتوسيع المسجد مجددا فلعلها تتبنى اقتراحنا هذا وتجعل الزيادة من الجهة الغربية وغيرها وتسد بذلك النقص الذي سيصيبه سعة المسجد إذا نفذ الاقتراح أرجو أن يحقق الله ذلك على يدها ومن أولى بذلك منها ؟

ولكن المسجد وسع منذ سنتين تقريبا دون إرجاعه إلى ما كان عليه في عهد الصحابة والله المستعان. [تحذير الساجد : ص ٩١]

ظهور أثر الدعوة إلى التصفية

ومن الجدير بالذكر أخيراً أن أقول: إنه وبعد مضي السنوات الطويلة على دعوتنا إلى وجوب الرجوع إلى الكتاب والسنة، و إلى مبدأ (التصفية) بصورة خاصة، تصفية الإسلام من البدع والمنكرات والأحاديث الضعيفة والموضوعة؛ التي حجبت نور الإسلام بعض الوقت، وبددت جهود المسلمين في سبيل عاقت مسيرتهم وتقدمهم، وجل الله القائل: " وَأَنَّ هَذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا فَاتَّبِعُوهُ وَلَا تَتَّبِعُوا السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَنْ سَبِيلِهِ ذَلِكُمْ وَصَّاكُمْ بِهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ "، والتي كان من وسائل تحقيق تلك الدعوة نشر " السلسلتين " : " الصحيحة " و " الضعيفة "؛ نجد أننا بدأنا نلمس انتشار الوعي بين عامة المسلمين، فضلاً عن خاصتهم، وذلك ببزوغ نزعة التحري والتثبت فيما إذا كان الحديث الذي يسمعونه أو يقرؤونه صحيحاً أم ضعيفاً، وما ذلك في ظني إلا بدايات إثمار البذور والغراس التي بذرتها وغرسناها منذ نحو نصف قرن من الزمان، ولازلنا - بحمد الله وفضله - مستمرين على هذا، مؤكداً دوماً وجوب الأخذ بما صح عن رسول الله - صلى الله عليه وسلم -، وترك كل ما هو غير صحيح؛ مع لزوم معرفته خشية اعتباره ديناً، فإن معرفة الصحيح من الضعيف سيكتان متوازيتان على خط واحد، لا تلتقيان؛ نعرف الصحيح ونلتزمه وندعو إليه، ونعرف الضعيف فنحذره ونحذر منه، والله درّ حذيفة رضي الله عنه حيث قال:

كان الناس يسألون رسول الله - صلى الله عليه وسلم - عن الخير، وكنت أسأله عن الشر مخافة أن يدركني، ورحم الله القائل:

عرفت الشر لا الشر *** لكن لتوقيه
ومن لا يعرف الخير *** من الشر يقع فيه

أقول: هذه الصحوة، والحمد لله أصبحت ظاهرة تلمسها وتسمع عنها، فكثير من الكتاب والمدرسين والخطباء تجدهم يعنون بهذا الأمر، ويحرصون على التزام ما صح من حديث رسول الله - صلى الله عليه وسلم - قدر إمكاهم، ناهيك عن ظهور العديد من طلاب العلم الذين أخذوا تخصصون في هذا العلم، والذين نرجو لهم الثبات والفلاح، والإخلاص في طلبهم العلم لله . [الضعيفة ٧/٥]

الألباني يتعرض لرصاصات القناصة

يقول رحمه الله : ولعل من أسباب ذلك الحرب الأخير في لبنان ، والتي لا تكاد أن تهدأ قليلاً ، وتستقر فيها الأحوال ، حتى تعود إلى نحو ما كانت عليه من قبل أو أشد ، الأمر الذي يجعل أعمال الناس ومصالحهم تتعطل أو تتأخر ، ولو ظهر أنها ركبت بعض الشيء فالخوف من عودتها سيطر على الجميع ، والفتنة والقتل بدون أي سبب لا يزال مستمراً ، حتى لقد كدت أن أكون أنا وبعض أهلي من ضحاياها ، برصاصات غادرة أطلقها علينا بعض القناصة من بعض البنايات المتهدمة في بيروت بتاريخ ٢ صفر الخير سنة ١٣٩٩هـ أصابت سيارتي في ثلاثة مواضع منها ، كادت أن تكون قاتلة ن ولكن الله سلم فلم نصب بأذى في أبداننا مطلقاً ن والحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات .

[غاية المرام في تخريج أحاديث الحلال والحرام (المقدمة) ص ٧ ، الطبعة

الثالثة ١٤٠٥هـ - ١٩٨٥م ، المكتب الإسلامي .]

الألباني يفر بدينه ويهاجر

يقول رحمه الله : فإن الله تبارك وتعالى قد جعل بحكمته لكل شيء سبباً ، ولكل أمر سبباً ، وقدر كل شيء تقديراً حسناً ، وكان من ذلك أنني هاجرت بنفسي وأهلي من دمشق الشام إلى عمان ، في أول رمضان سنة ١٤٠٠ هـ فبادرت إلى بناء دار لي فيها آوي إليها ما دمت حياً ، فيسر الله لي ذلك بمنه وفضله وسكنتها بعد كثير من التعب والمرض أصابني من جراء ما بذلت من جهد في البناء والتأسيس ، ولا زلت أشكو منه شيئاً قليلاً ، والحمد لله على كل حال ، والحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات .

[رفع الأستار لإبطال أدلة القائلين بفناء النار للإمام الصنعاني تحقيق الألباني (

المقدمة) ص ٥ ، الطبعة الأولى ١٤٠٥ هـ - ١٩٨٤ م ، المكتب الإسلامي .]

الألباني يسير على طريق الخوف والحذر

يقول رحمه الله: وبينما أنا استعد لإلقاء الدرس الثالث إذا بي أفاجأ بما يضطريني اضطراراً لا خيار لي فيه مطلقاً إلى الرجوع إلى دمشق حيث لم يبق لي فيها سكن ، وذلك أصيل نهار الأربعاء ١٩ شوال ١٤٠١ هـ فوصلتها ليلاً ، وفي حالة كئيبة جداً ، وأنا أضرع إلى الله تعالى في أن يصرف عني شر القضاء ، وكيد الأعداء ، فلبثت فيها ليلتين ، وفي الثالثة سافرت بعد الاستشارة والاستخارة إلى بيروت ، مع كثير من الحذر والخوف ، لما هو معروف من كثرة الفتن والهرج والمرج القائم فيها ، والوصول إلى بيروت مخفوف بالخطر ، ولكن الله تبارك وتعالى سلّم ويسّر ، فوصلت بيروت في الثلث الأول من الليل ، قاصداً دار أخ لي قديم ، وصديق وفيّ حميم ، فاستقبلني بلطفه وأدبه وكرمه المعروف ، وأنزلي عنده ضيفاً معزراً مكرماً ، جزاه الله خيراً .

[رفع الأستار لإبطال أدلة القائلين بفساد النار للإمام الصنعاني تحقيق الألباني (

المقدمة) ص ٦ ، الطبعة الأولى ١٤٠٥ هـ - ١٩٨٤ م ، المكتب الإسلامي .]

اهتمام الإمام الألباني منذ نشأته بقراءة وحفظ القرآن

وابتعاذه عن التغني بالأناشيد

قال الإمام الألباني رحمه الله : أنا أعرف من نفسي - والحمد لله - منذ نعومة أظفاري كما يقولون، عندما كنتُ في الدُّكَّانُ أُصَلِّحُ الساعات، كنتُ أضع المصحفَ أمامي، فأحاول ليس فقط أن أقرأ بل وأن أحفظ شيئاً وأنا في عملي، كنتُ أتأوَّلُ هذا العمل من قول النبي صلى الله عليه وسلم : " تعاهدوا القرآن "، ولم يخطر في بالي يوماً من الأيام أن أتغنّي بنشيد إسلامي ، لكن كنتُ أتذكرُ أحياناً - مثلاً - قصيدةَ ابن الوردِي (ت ٧٤٩ هـ) التي مطلعها :

اجتنبْ ذَكَرَ الأَغَانِي والغَزَلِ وَقَلِّ الفَصْلِ وجَانِبِ مَنْ هَزَلَ
وَدَعِ الذِّكْرَى لآيَامِ الصَّبَا فَلآيَامِ الصَّبَا نَجْمٌ أَقَلِّ

ومن جملة ما يقول هناك :

أنا لا أختارُ تقبيلَ يدٍ قطعُها أجملُ من تلكِ القُبُلِ

فهذا نشيدٌ فيه تربيةٌ وأخلاق، وانظروا اليوم إلى الأناشيد التي تُسمّى إسلامية، وانظروا تلحينها وتوقيعها على القوانين التي على خلاف الإسلام، فإذا فرضنا أنه خَلَّتْ هذه الأناشيد من مخالفةٍ ما، فنحنُ على الأصل المذكور آنفاً، وهو الإباحة .

[سؤالات علي الحلبي لشيخه الألباني " (ص ٣٣٥ - ٣٣٦)]

الشيخ الألباني يُستدعى للتحقيق حول عقيدته ودعوته السلفية !!

كتب الشيخ الألباني رحمه الله في أوراقٍ في إحدى الكتب في مكتبته المحفوظة في مكتبة الجامعة الإسلامية بالمدينة النبوية :

... دُعيتُ صباح يوم الاثنين ١٢ جمادى الأولى سنة ١٣٧٨ هـ إلى الشُّرط، وحققوا معي هناك عن عقيدتي ودعوتي التي أدعو إليها، بناءً على مضبطة قُدِّمَتْ إليهم موقَّعة بعشرات التواقيع، منها كلمة من المفتي أبي اليسر، واستمروا في التحقيق معي حتى بعد الدوام الرسمي بنصف ساعة، ثم أطلقوا سبيلي على أنني أعود إليهم صباح الثلاثاء، بناءً على أن يجيلوني إلى النيابة للمحاكمة ! فعدتُ إليهم وقدمتُ إلى أحدهم هدية كتابي " تحذير الساجد "، ويبدو أنه تبين له منه كذب ما في المضبطة، وكان فيها أشياء كثيرة من الأكاذيب؛ منها أنني أقول :

• إن محمداً صلى الله عليه وسلم رجلٌ عادي ! وإن كل شخص بإمكانه يصير

أفضل منه !!

فدُعيتُ إلى رئيس ديوان الشَّعبة السياسية، فسألني بعض الأسئلة، أحبته عليها بكل (حرية ؟) وتفصيل، فكان جوابه : اذهب مع السلامة . فسبحان ربي الأعلى .

يعطي إجابة لسائل لمدة نصف ساعة

ذكر الشريف إبراهيم الهاشمي الأمير في كتابه " من جهود العلامة الألباني في نصح جماعة التكفير " (ص ١٢ / مؤسسة الريان / ط . ١٤٣٢ هـ) لقاءه الأول بالإمام الألباني في محاضرة له بأحد مساجد جدة سنة ١٤٠٩ هـ، وقال :

لقد أسرني العلامة الألباني في هذا اللقاء وغيره بعلمه الغزير وقوة حجته، وبراعة استدلاله بكتاب الله وسنة نبيه صلى الله عليه وسلم والآثار السلفية في كل مسألة يجيب عليها، وكأن بين يديه ديوان حوى الكتاب والسنة وأقوال السلف، يأخذ منه ما شاء .

وعلى ذكر (كأن بين يديه ديوان)، زُرْتُ العلامة الألباني سنة ١٤١٤ هـ في منزله بعمان الأردن، وكان بحضرته في ذلك اليوم جمعٌ من طلبته وبعض الإخوة من الكويت، فسأله أحدهم عن مسألة تتعلق بالمنهج الدعوي والعمل السياسي، فنظر إلى شيءٍ طاوله مكتبته، وأجابته الشيخ مرتجلاً إجابة عالم راسخ فقيه عارف، وبطلاقة وقوة دون تردد أو تلعثم، كأنه يقرأ من كتاب، واستغرق هذا الجواب قرابة ثلاثين دقيقة لم يرفع فيه رأسه أو ينقطع عن الجواب، فقمْتُ من مكاني لأنظر هل هناك كتابٌ على طاولته يقرأ منه، فلم أرَ كتاباً !! فسبحان الله الذي وهبه سعة العلم والفهم، وسرعة البديهة، وقوة الحافظة، وحسن الجواب على كبر سنه .

كيف نقل الألباني تلميذه الشيخ عبد الرحمن الباني من اتباع أحمد كفتارو والصوفية إلى السلفية النقية

قال الشيخ محمد زياد التكلة :

كان للشيخ عبد الرحمن الباني (توفي ٩ جمادى الآخرة ١٤٣٢ هـ) نشاط متميز في نشاطات مسجد جامعة دمشق، ويتنزه فرصة مجيء كبار الشخصيات الإسلامية عند زيارة دمشق، فكان مرافقاً لمجيزنا الشيخ أبي الحسن الندوي في دمشق، وقد أثنى عليه في مذكراته، واستفاد من العلامة تقي الدين الهلالي، وكذلك رافق الشيخ المحدث أحمد محمد شاكر المصري- وكان لقيه في مصر قبل- وزار بمعينته الشيخ الألباني، وقال: أعجب كل منهما بالآخر. ومثله سيد قطب، ويقول: دعوته لحضور درس الألباني في بيبي، فجاء، وسر كل منهما بالآخر أيضاً.

وهذا يجزنا للحديث عن علاقته بالشيخ الألباني:

التعرف إلى الشيخ الألباني، والانتقال للسلفية:

رجع شيخنا إلى دمشق سنة ١٩٥١ كما تقدم، وهناك عرفه زميله الشيخ الدكتور محمد أمين المصري بالشيخ الإمام المحدث محمد ناصر الدين الألباني رحمهما الله تعالى، ويقول شيخنا الفقيه: إن هذا أكبر معروف أسداه لي الشيخ المصري. يقول شيخنا: «وجدتُ عند الشيخ الألباني ما لم أجده عند علماء مصر، خاصة في السنّة وتحقيقها، والاهتمام بالتصفية والاقتصار على الصحيح، وحفظ الوقت، وما أعرف في المعاصرين أشد حفاظاً على وقته منه، ولما وجدته على هذا العلم الغزير بالسنّة والعقيدة رجوتُه أن يعمل عندي درساً في بيبي، فاستجاب لي في حدود سنة ١٣٧١-١٣٧٣ (١٩٥٢-١٩٥٤)، وأول ما درّسناه لمعة الاعتقاد،

ولكن أهم من ذلك كتاب التوحيد للشيخ محمد بن عبدالوهاب، فكنا نقرأ في الكتاب، ويحل لنا كلام المؤلف، لا سيما فهم وجه استنباط المسائل، وله فضل كبير علينا.

وصرنا نلتقي مع الإخوة على حفظ القرآن ودراسته، ومنهم الأستاذ محيي الدين القُضْماني.

فبقيت أدرس على الشيخين أحمد كفتارو والألباني معاً، وكان درس كفتارو في جامع أبي الثور بعد العصر، ودرس الألباني بعد المغرب في بيتي قرب جامع الشَّمْسِيَّة، فإذا فرغت من الدرس الأول أركض ركضاً لأدرك ضيوفي عند بيتي! فلم تكن هناك مواصلات، وأحياناً أجدهم واقفين عند الباب ينتظرونني فأعتذر لهم، وكان الألباني لا يتكلم أمامي بشيء على كفتارو والتصوف، ويكتفي بالتدريس، وبعد مدة وجدت بطريقته المنهجية الحكيمة المقنعة أن الإسلام الصافي النقي شيء، وأن التصوف شيء آخر، وأثر في أيضاً رؤية الفارق من تعفف الشيخ الألباني الذي قلّ نظيره، وبين مد غيره للتقيل و(كبس اليد) بالنقود! وتعريضه قائلاً: إذا ذهب أحد للطبيب ألا يدفع له؟

ومما أثر في أيضاً وصدني عن التصوف تركيز الشيخ الصوفي على إلغاء عقل المرید، وترسيخ فكرة أن الشيخ محفوظ - لا يقولون معصوم، لكن هذا الواقع - حتى لو جاء بما يخالف الشرع في ظاهره، فعلى المرید أن يتبعه».

ويستشهد شيخنا بثلاث قصص شنيعة سمعها من شيخه كفتارو عشرات المرات كان يرددّها ويرسخها في مریده، إحداها: قصة ذلك الشيخ الصوفي الذي كان يسيح في الأرض ويمشي على الماء، وأصر مرید له أن يصحبه، والشيخ يرفض، ومع الإلحاح وافق بشرط أن يطيعه في كل شيء، فمضيا، ولما وصلا للماء قال له الشيخ: أنا أقول: «يا الله» فأمشي على الماء، وأنت اتبعني وردّد: «يا شيخني»

وستمشي مثلي، فلما انتصف في البحيرة جاء الشيطان ووسوس للمريد: أنت تقول: «يا شيخى»! طيب شيخك يقول: «يا الله»، فلماذا لا تقول أنت مباشرة مثل شيخك: «يا الله»؟ فلما قالها سقط في الماء! وصار يستغيث بشيخه، وأقبل هذا يسبه ويقرّعه، ويقول له: هل أنت كفؤ أن تقول بلسانك: «يا الله»؟ أنت ورؤدك أن تقول: «يا شيخى»! فتاب المريد من التوحيد! ورجع إلى قول «يا شيخى»، فنجا من الغرق!

فهذه القصة يقول شيخنا الفقيد: ((إنه سمعها من شيخه أكثر من مئة مرة))، وكان عندما يحكيها لنا يشتد غضباً وحرقة، وفي مرات عدة تدمع عيناه، ويقول: صار التوحيد وسوسة الشيطان ومهلكة! والشرك والاستغاثة بغير الله ديناً وخلاصاً! ولا حول ولا قوة إلا بالله.

وهكذا انتقل شيخنا للسلفية عن علم وقناعة وتجربة، وكان في مجالسه كثير الترداد لهذه القصص ولتجربته .

ومن الجدير أن يُذكر أن الإمام الألباني ألف كتابه «آداب الزفاف» بمناسبة زواج الشيخ الباني وبطلبه، وألف لأجله أيضاً «أحكام الجنائز»، وكتابين آخرين. وقال لنا شيخنا قبل وفاته بأشهر في ١٤/١١/١٤٣١: فضائل الألباني عليّ أوجزها في ثلاث: ((نقلني من الصوفية إلى الاتجاه الصحيح السلفي، وأفادني العلم بالسنة على قدر إمكانياتي، واستفدت من خلقه وسيرته نموذجاً مثالياً، فما كان يمد يده لأحد، ويستغل وقته، كنتُ أزوره في جامع الجرزة قرب القَصَّاع في محل الساعات المتواضع له، عنده "عدة" العمل، وخلفه رفوف فيها كتب، فإذا فرغ من عمله اشتغل وقرأ في كتبه. (١)

(١) من إحدى مشاركات الشيخ محمد زياد التكلة في ملتقى أهل الحديث .

قصة الشيخ الألباني مع أحد كبار الصوفية في الأردن

قال الشيخ أبو اليسر أحمد الخشاب :

كان شيخنا الألباني رحمه الله موضوعياً و جاداً في التعليم و المناقشة و الردود، وكان يصحح السؤال للسائل، وأشرطته تشهد بذلك، وكان يحاصر المخالف بالأدلة الصحيحة ويحاول المخالف الرد الضعيف فينقض عليه الشيخ بالأدلة و الفهم الصحيحين، فقد يتهمه بعض هؤلاء (غير المنصفين) بأنه شديد أو حديد، وإنما هو وقّاف عند الحق الذي يظهر له ولا يجاري أحداً فيه، وبعض مواقف شيخنا التي تبين مدى رحمته بمخالفه هذه القصة :

اتصل هاتفياً بالشيخ الألباني رحمه الله أحد المشايخ الصوفيين في الأردن قبل عشرين عاماً في بداية مقدم الشيخ إلى عمان، قائلاً له : " يا شيخ ناصر! الغريب لا بد أن يكون أديباً " .

فقال الشيخ الألباني رحمه الله : " ما هذه الإقليمية التي عندك يا شيخ فلان؟! " .

قال الشيخ الصوفي : " لأنك و تلاميذك تكفرون المسلمين " .

فقال الشيخ الألباني رحمه الله : " نحن؟! " .

فقال الشيخ الصوفي : " نعم " .

فقال الشيخ الألباني رحمه الله : " إني سائلك سؤالاً " .

قال الشيخ الصوفي : " سل " .

قال الشيخ الألباني رحمه الله : " ماذا تقول في رجل يقف أمام قبر يقول ناوياً

بصوت مرتفع : نويت أن أصلي ركعتين لصاحب هذا القبر؟! " .

قال الشيخ الصوفي : " هذا كافر مشرك " .

فقال الشيخ الألباني رحمه الله : "نحن لا نقول: كافر مشرك ! نحن نقول: جاهل، ونعلمه، فمن الذي يكفر الناس يا شيخ فلان؟! نحن أم أنت؟".
فإذا بهذا الشيخ الصوفي يستسمح الشيخ الألباني رحمه الله عما بدر منه ويأتي إلى الشيخ في بيته و يعتذر إليه ويقبل يده . وهذا معناه أن الشيخ يرى أن الصلاة لصاحب القبر كفر مخرج من الملة و لكن لا يكفر الفاعل حتى يقيم عليه الحجة .
اهـ .

عظم مكانة الشيخ في عين أبي إسحاق الحويني

قال الشيخ المحدث أبو إسحاق الحويني شفاه الله وعافاه في مقدمة :
" بذل الإحسان "

ولست أنسى ما وقع لي مع شيخنا الإمام حسنة الأيام ناصر الدين الألباني حفظه الله رحمه الله لما أهديته كتاب (البعث) لأبي داود، وكان الناشر كتب على لوحة الكتاب (خرج أحاديثه الشيخ أبو الحويني السلفي).
قال لي : ما هذا ؟ وأشار إلى كلمة (الشيخ) فاعتذرت عنها بأنها ليست من صنيعي ، فأنكرها عليّ ؛ ووالله لقد عظم الشيخ بعدها في عيني ، وقد كان - قبل - مكانه في القلب كذلك مني ، وحسبك أنه مع شهادة التّاهمين له بالإمامة في هذا الفن ، لم يكتب على لوحة كتبه إلا اسمه المجرد ، مع أن غيره - ممن قولهم بجانب قوله كصيرير باب ، أو طنين ذباب ، يكتب على كتبه : تأليف الإمام الحافظ الفقيه الأصولي النظار المجتهد ... ؛ زاعماً أنه من التحدث بنعمة الله تعالى ، وهنا تزل الأقدام ، وتكثر الأوهام .

الشيخ يلعب كرة القدم

قال الشيخ عبدالله بن صالح المحسن :

.....وقد زاملني في عملي في المدينة علماء أجلاء من أحبهم إلى قلبي الشيخ محمد ناصر الألباني .

فقد كنت وإياه متجاورين ، وهو شيخ لي وزميل ،وقد كان واسع الاطلاع لا تباحثه في مسألة إلا ويذكر لك أدلتها من القرآن والسنة ، ويصحح ويضعف الأسانيد ويتكلم على الرجال وكأنما يقرأ من كتاب، وقد سافرت معه مراراً، وكنا نخرج مع طلاب الجامعة في البر، وكان الطلاب يلعبون الكرة، وكان الألباني ربما لعب معهم بثوبه فأقول تلعب الكرة وأنت الألباني؟! فيقول: نعم أتقوى بها على الطاعة وهي لا تلهيني عن ذكر ربي، وله أخبار كثيرة قد كتبت مقالة عن بعض أخباره ومناقبه عندما كان في المدينة لم تنشر بعد.

كيف رضي الألباني أن يكتب له الشيخ الشيباني ترجمة عن حياته وهو حي ؟

قال الشيخ محمد بن إبراهيم الشيباني : لم يكن ليرضى بعمل الترجمة عن حياته وهو حي، إلا أن إلحاحي وإبداء الأسباب المقنعة لذلك أدّيا إلى موافقته شريطة أن أقرأ عليه كل سطر أسطره في الكتاب، قضيتُ أربع سنوات وأنا في شغل دائم دائم، وكلما كتبتُ مجموعة من الورقات فوق المئة .. ركبتُ الطائرة متوجّهاً إليه في جبل هملان في عمان لأقرأ عليه ما تم، وبدأً بالنقاشات التي أستطيع أن أخرج منها مرة سليماً دون هزيمة ومرات كثيرة يحاججني وينتصر عليّ، وكنا نتناقش في كلِّ شيء؛ في السياسة والاقتصاد والاجتماع والقصائد والتاريخ والحديث والفقه، وعلم المخطوطات الواسع الذي هو فارسه حيث استفاد من المكتبة الظاهرية في شبابه .

الشيخ محمد ناصر الدين الألباني (يرحمه الله) كان يحب الطبخ والتترّه وإكرام الضيف، فقد قضينا معه بضع نزهات عندما كان يعيش في الشام؛ نذهب إلى غابات اللاذقية البحرية الجميلة، وعندما كنّا في الأردن كانت أغلب نزهاته قريباً من البحر الميت حيث نرى من بُعد بيسان ونخلها .

[مجلة الفرقان (٣ / ٥١ - ٥٢)]

بين الشيخين سيد سابق والألباني رحمهما الله

قال محمد أحمد حسن شرشر :

تقتضي الأمانة العلمية أن أكتب إليكم أمراً قد ينتفع به الباحثون وطلاب العلم:

فقد التقيت الشيخ "سيد سابق" - رحمه الله - في مكة المكرمة، وقد أفدت من علمه الغزير، وشهد لي شهادة أعتز بها، وأحتفظ بها لنفسي، غير أنني سألته عن كتاب "تمام المنة" الذي أصدره الشيخ الألباني - رحمه الله - في التعليق على كتاب فقه السنة، فكان جوابه أن:

أ - نصحني بشراء كتاب "تمام المنة" لتمام الفائدة التي أحصل عليها من كتاب فقه السنة.

ب - وأخبرني أنه طلب من الشيخ الألباني أن يحمل تحقيق كتاب فقه السنة كاملاً، ولكن الشيخ الألباني اعتذر له بأن تحقيق كتاب الصلاة فقط أجهده أشد الإجهاد، وهذا دليل على أن العلاقة بينهما كانت علاقة ود وصفاء، وقائمة على محبة العلم، على عكس ما يتصوره بعض القارئین لكتاب الألباني.

ج - وأضاف الشيخ: "إن تمام المنة وإن ضَعَّف بعض الأحاديث فإنه لم يغيِّر أحكاماً".

وقد أملاني الشيخ - رحمه الله - أسماء مؤلفاته كلها، وكان آخرها تحت الطبع عن الدعاء، وقد نُشِر في أواخر ١٩٩٨ م.

وهذه شهادة لعلها تفيد القارئ والباحث في الفكر الإسلامي، وحتى يدرك الشباب أن أخلاق العلماء الأصل فيها المحبة والمودة، ولو اختلفت أوجه النظر في ميدان العلم.

من اختراعات الإمام الألباني العلمية الدنيوية

قال الأستاذ محمود رضا مراد :

وإلى جانب تفرس الشيخ في العلوم الشرعية ، فقد حذق في علوم دنيوية
كتصليح الساعات وتصميم الأجهزة :

١ - فقد صعد بي مرة إلى سطح بيته فأراني جهازا لتسخين المياه بحرارة الشمس صممه بنفسه ، وهو عبارة عن صندوق مسطح أشبه ما يكون بعلبة الكبريت _ وليس بحجمها طبعا_ مطلية بالقار يمر فيها الماء البارد ، فيمتص القار حرارة الشمس فترتفع حرارة الماء فيندفع يصب إلى أعلى ليصب في الانبوب الرئيس الذي يمد منافع البيت بالماء الساخن يظل الماء يحتفظ بحرارته مهما بردت حارة الجو .

٢ - كما صمم مزولة لمعرفة أوقات الصلاة .

٣ - ولكن ما يلفت انتباه الزائر هو الرافعة التي صممها لنفسه لتحمله من الطابق الأرضي حتى الطابق العلوي حيث كان يشق على الشيخ صعود الدرج لضخامة حجمه ، وهي عبارة عن قاعدة يقف عليها يرفعها كابل معدني بواسطة محرك يشبه (الدينمو) فإذا ضغط زر ارتفعت القاعدة إلى أعلى أو أسفل حسب مكان القاعدة!)

(الدعوة عدد ١٧١٧ شعبان ١٤٢٠)

٤ - قال عصام هادي في كتابه (الألباني كما عرفته) (ص ١٩) :
والله يا شيخنا إنك لبارع وذكي حتى في الصناعات، ولا أدلّ على ذلك من
هذا (الدوّار) الذي تضع فيه كتبك - وهو دوّار كان شيخنا يضع عليه الكتب
المهمة والتي يُكثر من تناولها مثل " تهذيب الكمال " و " تهذيب التهذيب " و
تاريخ البخاري " و " الجرح والتعديل " وغير ذلك من كتب التراجم - ، فما كان
من شيخنا إلا أن قال لي :

" يا أستاذ، للإصاف هذا ليس من ابتكاري، فقد رأيته عند الشيخ أحمد
شاكر، لكن بحجم أصغر، وأنا كبرتته " .

فتأمل حفظك الله كيف لمثلي بل ولمن هو أكبر سنًا منّي أن يعلم أن شيخنا
أخذ فكرة الدوّار من الشيخ أحمد شاكر، ومع ذلك لم يسع شيخنا السكوت، بل
أبان لي الأمر حتى لا أبقى معتقدًا أن الدوار من أفكاره .
اهـ .

بل إن الشيخ رحمه الله كان يدري بعمل القابلة التي تولّد النساء، فقد ولّد
زوجته بنفسه وأنجبت ابنه محمدًا، كما ذكر عصام هادي عنه في كتابه (الألباني
كما عرفته) (ص ١٠٤) . اهـ .

ومن اختراعات الإمام أيضًا ما ذكره أبو خالد السلمي فقال :
من تلك النوادر :

ما حدثني به الشيخ الفاضل الدكتور فاروق السامرائي رئيس قسم أصول الفقه
بكلية الشريعة جامعة اليرموك (سابقا) وهو ممن له صلوات عائلية بأهل الشيخ
الألباني ، وكان يزور الشيخ في بيته ، وزاره الشيخ في بيته كذلك ، حدثني أن
الشيخ كان يربي في بيته أنواعا من الطيور كالبط والدجاج والحمام يأكل منها

رحمه الله هو وأهل بيته ، وقد احتاج الشيخ وأهله إلى السفر للعمرة لمدة أسبوعين ، فصنع الشيخ الألباني بيده ومن تصميمه جهازاً في غاية البراعة مؤقتاً ومبرمجاً بحيث إنه في ساعة محددة يومياً يفرغ في كل قفص أنواعاً معينة وكمية محددة من الحبوب لكل نوع من الطير ، وكذلك في أوقات محددة يومياً يصب هذا الجهاز كميات من الماء في آنية الطيور ، فسافر الشيخ ورجع والطيور على ما يرام تأكل وتشرب في الأوقات المحددة !

وكذلك ما حدثني به غير واحد من أن الشيخ قد صنع بنفسه مصعداً داخلياً وتولى تصميمه وتنفيذه بيده وكان يستعمله في منزله للصعود من الطابق السفلي إلى الطابق العلوي . اهـ .

وقال د . عبد العزيز السدحان في كتابه " الإمام الألباني، دروس ومواقف وعبر " (ص ١١١ / ط . دار التوحيد للنشر) :

كان في منزل الألباني طيورٌ، وكان مكان الطيور يُبعد عن شرفته قرابة عشرين متراً، وقد وضع ماسورة - أنبوب نقل السوائل - طرفها عند شرفته ونهايتها في مكان الطيور، فكان يضع الحب في رأس الماسورة فيترل إلى الطيور، وإذا أكل شيئاً من الحبّ أو اللوز وما شاكله جعل ما بقي من فضلاته في رأس الماسورة ليرتل إلى الطيور . اهـ .

وقال د . عبد العزيز السدحان (ص ١١١ / ط . دار التوحيد للنشر) :

كان في منزله في عمّان شجرة تين، وكان يأخذ ثمر التين منها وهو جالسٌ في شرفة المنزل، وذلك عن طريق عصا طويلة من ابتكاره، وذلك أنه جعل العصا مقسّمة متداخلة بحيث يتحكّم في طولها وقصرها حسب اختياره، ووضع في نهايتها كأساً مديّبة حادّة، بحيث يسقط فيها التين إذا مسّه برأس تلك العصا .

زيارة الشيخ محمد جميل زينو للإمام الألباني في المستشفى قبل وفاته ببضعة أشهر

قال أبو الحارث السمعاني : كنت ذاهباً لزيارة الشيخ الإمام محمد ناصر الدين الألباني في المستشفى الإسلامي - العبدلي/عمان برفقة الشيخ الفاضل: محمد جميل زينو ومعنا أخوين.. قبل وفاته رحمه الله ببضعة أشهر لا أكثر .

دخلنا على الشيخ في غرفته في المستشفى !

كان جالساً على كرسي .. حاسر الرأس .. المغذي في يده وكذا أذكر لعله كيساً آخر (أظنه من الدم) .. وكان يصلي صلاة الظهر .. وعنده في الغرفة حفيده عبادة ! .. كان التعب بادياً عليه رحمه الله .

أثناء صلاة الشيخ .. دار حديث بيني وبين الشيخ زينو مفاده .. استغراب الشيخ زينو من كون الشيخ الألباني يصلي حاسر الرأس مع ما عرف عنه من التأكيد على سننية غطاء الرأس في الصلاة .. فأجبتة : هذا الشيخ أمامنا فلنسأله .
أنهى الشيخ صلاته فبادره الشيخ زينو بالسلام فرد عليه الشيخ بصوت ضعيف متعب .

الشيخ زينو : عارفين يا شيخ !؟

الشيخ الألباني: زينو .

الشيخ زينو: لا زلت أذكر فضلكم علينا يا شيخ ! فأنت كنت سبباً في هدايتي في سوريا .. فجزاك الله عنا خير الجزاء .

الشيخ الألباني : الحمد لله الذي جعل من خلقه من يحفظ الفضل .

بادرت حفيد الشيخ بأن يسأل لنا الشيخ عما استشكله الشيخ زينو من كون الشيخ الألباني يصلي حاسر الرأس !!
 وفعالاً وجه الحفيد السؤال إلى الشيخ :
 عبادة : جدّو، عم يسألك الشيخ ليش عم تصلي وأنت حاسر الرأس ؟
 الشيخ الألباني (موجهاً نظره إلى الشيخ زينو) : ومثلك يسأل ؟
 فاستغرب الشيخ زينو رد الشيخ الألباني وقال : إيه إيه لا زال السؤال قائماً !
 فأجاب الشيخ الألباني : (ليس على المريض حرج) !!!
 فضحكنا كلنا بصوت رجل واحد - دون أن نشعر والله - وقلت للشيخ زينو :
 فعلاً يا شيخ ! كيف فاتنا أن الشيخ مريض بل ها هو يصلي الفريضة قاعداً !
 أفنطالبه بسنة ؟!

قال الشيخ زينو: إيه إيه .. لكن ماذا لو مر رجل من أمام غرفة الشيخ الألباني
 وراه يصلي حاسر الرأس ! لاستدل علينا بفعل الشيخ !
 فسألت حفيد الشيخ أن ينقل الكلام بصوته للشيخ الألباني ففعل جزاه الله خيراً

فكان جواب الشيخ الألباني : وهل إذا رأوني أتمم يتممون مثلي !
 فوالله ما ملكنا أنفسنا ضحكاً من جواب الشيخ المفحم .. رحمه الله .
 ثم دار بيني وبين الشيخ الألباني حوار كان كالاتي:

السمعاني : شيخنا حفظك الله ! الشيخ زينو لا زال يؤكد علينا وعلى كل
 طالب علم ضرورة الخروج مع جماعة التبليغ بهدف نصحتهم وتعليمهم ! وأنا لا
 زلت أخالف الشيخ فيما يراه ! فما قولكم حفظكم الله ؟

الشيخ الألباني : إذا خرج التوحيدى معهم .. صبروا عليه ثم صبروا عليه ثم صبروا عليه .. ثم طردوه .

فما تمالكت نفسى أن قلت : أقسم بالله يا شيخ أنك صادق فوالله إنهم طردوني

السمعاني: يا شيخنا - بارك الله فيك - ! أريد قولاً فصلاً من فيك إلى أذني في جماعة التبليغ أقول فيه : حدثني الألباني !

الشيخ الألباني: قد تكون هذه الجماعة عندها من الإخلاص ما ليس عند غيرها من الجماعات الأخرى ! وقد يكون عندهم من العمل ما ليس عند غيرهم من الجماعات الأخرى ! لكن حالهم كحال ذاك الكردي المتحمس الذي خرج يدعو للإسلام .. فالتقى ييهودي في الطريق .. فسل الكردي خنجره على اليهودي وقال له : ويلك أسلم .

فقال اليهودي: نعم أسلم ! لكن ماذا أقول ؟

فقال الكردي: ها لا أدري .

فوالله دمعت عيني لهذا التفصيل المبدع والحكم العدل الحق في هؤلاء.

كنا أنا والشيخ زينو قد التقينا بأحد رؤوس جماعة التبليغ فحدثنا أنه عاد برفقة الشيخ أبو مصطفى الرفاتي أمير التبليغ في الأردن حينها .. عادوا الشيخ الألباني في بيته فما كان من الشيخ الألباني إلا أن طلب من أمير جماعة التبليغ المسامحة !!

فاستغللناها فرصة للتأكد من الشيخ الألباني حول ما زعمه هذا المتهم !

فما كان من الشيخ الألباني إلا أن نفى ذلك تمام النفي .

وأذكر يومها أن الشيخ زينو استأذن الشيخ الألباني في إدراج بعض مجهودات

الشيخ في مؤلفاته ؟

فأجابه الشيخ الألباني: بشرط العزو .
رحم الله شيخنا رحمة واسعة فوالله كان الإمام بحق.

بين الإمام الألباني والشيخ أحمد السالك الشنقيطي

كتب الشيخ عصام موسى هادي في ترجمته لشيخه أحمد السالك الشنقيطي :
الالتقاء بالإمام الألباني رحمه الله :

ولما عاد شيخنا الألباني رحمه الله إلى دمشق بعد تركه التدريس في الجامعة الإسلامية وكان خالنا الشيخ محمد إبراهيم شقرة قد حدث الشيخ السالك عن الشيخ الألباني رحمه الله وما حباه الله إياه من سعة علم واطلاع على الأحاديث مما جعل الشيخ السالك تتشوف نفسه للتعرف على هذا العلم وفي أول فرصة سنحت له قام بذلك قال شيخنا السالك فذهبت في سنة ١٩٦٧م إلى دمشق ودخلت على الشيخ ناصر في مكتبة الظاهرية فلما عرفته بنفسه هش وبش وأرسل إلى بيته من يخبرهم بقدم ضيف يريد أن ينزله عنده وبيننا شيخنا مجالسه في الظاهرية عرضت بعض المسائل وخصوصاً الأصولية منها فتباحثنا فيها فأعجب شيخنا الألباني رحمه الله بسعة الشيخ في العربية والأصول وكانت من المسائل المبحوثة في الأصول قاعدة الأصل في الأشياء الإباحة فكان شيخنا السالك يعترض عليها ويقول الأدق أن نقول الأصل في الضار المنع والأصل في النافع الإباحة.

ثم جاء شخص فسأل شيخنا الألباني سؤالاً فقال له شيخنا الألباني وجه السؤال للأستاذ أحمد.

ثم ذهب إلى بيت شيخنا الألباني ونزل عنده ضيفاً أياماً حظي فيها بالكرم ومجالسة الشيخ ومرافقته والمباحثة معه والتعرف على تلامذته وكذا عرفه بالمكتبة الظاهرية وكتبها وكنوزها.

ثم عاد شيخنا إلى عمان بعد تعرفه بالشيخ الألباني وبعد مدة عاد خالنا من الجامعة الإسلامية ثم تم الاتفاق مع شيخنا الألباني رحمه الله أن يزور الأردن ثلاثة أيام كل شهر فكان يأتي ويتزل في بيت خالنا ويلتقي بالشيخ أحمد السالك ووالده محمد السالك ووالله لقد سمعت شيخنا محمد السالك يقول عن شيخنا الألباني هذا رجل صالح مع مخالفته له.

وذات مرة نزل شيخنا الألباني شهراً كاملاً في بيت خالنا والذي هو في بيت الشيخ السالك وكانوا في كل يوم يجلسون لمذاكرة العلم خالنا وشيخنا الألباني وشيخنا أحمد السالك ولما كانا يذهبان للعمل كان شيخنا الألباني يمكث في مكتبة شيخنا أحمد السالك مع شيخنا محمد السالك يبحث ويكتب ويواصل عمله في خدمة سنة النبي صلى الله عليه وسلم.

وقال في آخر ترجمته : ... وفي فجر يوم السبت ٢٥/٩/٢٠١٠م الموافق ١٦/شوال أصابته (دوخة) في المسجد ثم طلع إلى بيته ومكث فيه وبقي في بيته طيلة يومه وفي يوم الأحد قام لصلاة الفجر فتعب فصلى في بيته جالساً ثم قبيل الظهر هاتفه ابنه الدكتور منير وطلب منه الذهاب إلى المشفى مع أحد إخوته فذكر أن الأمر لا يحتاج وأن حالته لا تستدعي ذلك فطلب منه أن يعمل فحوصات فقال غداً إن شاء الله أذهب فقال له ولده: وعداً فقال: إن شاء الله ثم أقفل الهاتف وبعد فترة وجيزة أذن المؤذن لصلاة الظهر فقام الشيخ يتوضأ للصلاة فلما فرغ من وضوءه وبعد لحيته تقطر ماء فارق الحياة رحمه الله فقبضه الله على عمل صالح وهذه بشرى وعلامة من علامات حسن الخاتمة ويبعث المرء على ما مات عليه.

ثم رغب خالنا وشيخنا محمد شقرة أن يدفن بجوار قبر الألباني رحمه الله وكان هذا أشبه بالمستحيل لأن المقبرة مغلقة ولا مكان فيها لدفن الموتى فحصلنا والله الحمد الموافقة القانونية في دقائق وذهبت إلى المقبرة وعثرت على مكان فوق رأس

شيخنا الألباني رحمه الله وأنا لا أصدق ذلك ثم اتصلت بالشيخ أحمد مصلح حفظه الله فجاء وقلت له هنا ندفن الشيخ وتدارسنا هل هذا المكان فيه قبر ثم توكلنا على الله وأمرنا بحفر القبر فكان والله الحمد لا يوجد قبر لأحد فكأن هذا المكان عمي عنه الناس ليحظى شيخنا السالك بمجاورة من كان يجب من أهل العلم والفضل فدفن بجوار شيخنا الألباني رحمه الله.

الشيخ الألباني يدوّن ولادة ابنته (أنيسة) والسنن التي فعلها عند ولادتها

كتب الشيخ الألباني رحمه الله :

وفي الساعة الخامسة والربع (عربية ؟) من ليلة الخميس الواقع في ١٢ ربيع الأول سنة ٧٣ هـ رزقني الله منها (يقصد الشيخ زوجته الثانية ناجية بنت لطفي جمال التي كتب أنه تزوّجها ليلة يوم الجمعة ٢٩ جمادى الأولى سنة ١٣٧٢ هـ = ١٣ شباط سنة ١٩٥٣ م) طفلة جميلة، جعلها الله تعالى من بنات السعادتين الدنيوية والأخروية، ومن لطائف الاتفاقات أن والدتها كانت ولادتها أيضاً في التاريخ والشهر المذكورين كما ذكرت لي ذلك أمها .

وفي اليوم السابع من ولادتها سمّيتها (أنيسة) على اسم والدته أبي سعيد الخدري رضي الله عنهما، وذبحت عنها شاة، وحلقت شعر رأسها حسب السنّة، وتصدّقتُ بوزنه ذهباً. (١)

(١) من مشاركة أبي معاوية مازن البحصلي البيروتي من ملتقى أهل الحديث .

الشيخ الألباني يؤمّ الناس فيكبّر للركوع، وأكثر من خلفه يهوي للسجود !!

قال الشيخ الألباني في " أصل صفة الصلاة " (٢ / ٤٤٧ / ط . مكتبة المعارف) - في معرض كلامه على عدم مداومة قراءة سورة السجدة في كل صلاة فجر يوم الجمعة - :

كنتُ صيف سنة ١٣٦٩ هـ في المصيف المشهور (مَضَايَا)، وحضرت لصلاة الصبح، فصلّيت بهم إماماً، فقرأت في الأولى من سورة (يوسف)، ثم كبرت للركوع، وإذا بمن خلفي يهون أكثرهم إلى السجود، لغفلتهم عمّا يُقرأ عليهم، وكأنهم أعاجم، ولغلبة العادة عليهم !!

من احترام الشيخ إحسان وتقديره لشيخه الإمام الألباني رحمهما الله

قال الإمام الألباني لعابد أخو الشيخ إحسان : " لقد كان من الأذكياء، ولا أنسى أخلاقه وتأدبه معي "، وذكر له أن الشيخ إحسان سافر معه - أي مع الألباني - إلى مدينة لندن، فكان يُدكِّك قَدَمَي الشيخ الألباني احتراماً وتقديراً له .

" الشيخ إحسان إلهي ظهير، منهجه وجهوده في تقرير العقيدة والرد على الفرق المخالفة " (ص ١١٤ / ط . دار المسلم)

أمر الشيخ المعروف ونهيه عن المنكر وهو في حادث سيارة !

قال الشيخ علي خشّان : والله ما أبصرت عيناي فيما أعلم أحداً أحرص على السنة، وأشدّ انتصاراً لها، وأتبع لها من الألباني .

لقد انقلبت به السيارة ما بين جدّة والمدينة المنورة، وهرع الناس وهم يقولون : يا ستّار يا ستّار، فيقول لهم ناصر الحديث وهو تحت السيارة المنقلبة : (قولوا يا ستّير، ولا تقولوا يا ستّار، فليس من أسمائه تعالى الستّار)، وفي الحديث : " إن الله حيي ستّير يحب الستير "، رأيتم من ينصر السنة والحديث في مثل هذا الوطن في عصرنا هذا ؟ اللهم إلا ما سمعنا عن عمر بن الخطّاب وأحمد بن حنبل وغيرهما من سلف هذه الأمة . اهـ .

" مقالات الألباني " (ص ١٩١ / دار أطلس للنشر والتوزيع)

الإمام الألباني يناقش شيخه بجرمة الصلاة على القبور حتى هداه الله تعالى

قال في " تحذير الساجد من اتخاذ القبور مساجد " (ص ١٧٣ / ط . مكتبة المعارف) : كنت أذهب مع بعضهم - وأنا صغير لم أتفقه بالسنة - بعد إلى قبر الشيخ ابن عربي لأصلي معه عنده ! فلما أن علمت حرمة ذلك باحثت الشيخ المشار إليه كثيراً في ذلك حتى هداه الله تعالى وامتنع من الصلاة هناك، وكان يعترف بذلك لي ويشكرني على أن كنتُ سبباً لهدايته، رحمه الله تعالى وغفر له . والحمد لله الذي هدانا لهذا وما كنا لنهتدي لولا أن هدانا الله . اهـ .

رحلة الإمام الألباني إلى بريطانيا

قال رحمه الله :

ولما سافرت في رمضان سنة ١٣٩٦ إلى بريطانيا سرّني جداً أنني رأيت المسلمين في لندن يقيمون صلاة الجمعة والعيد أيضاً، وبعضهم يصلون الجمعة في بيوت اشتروها أو استأجروها وجعلوها (مصليات) يصلون فيها الصلوات الخمس والجمعات، فقلت في نفسي : لقد أحسن هؤلاء بالمحافظة على هذه العبادة العظيمة هنا في بلاد الكفر، ولو تعصّبوا لمذهبهم - وجلّهم من الحنفية - لعطلوها وصلّوها ظهراً ! فازددت يقيناً بأنه لا سبيل إلى نشر الإسلام والمحافظة عليه إلا بالاستسلام لنصوص الكتاب والسنة، واتباع السلف الصالح، المستلزم الخروج عن الجمود المذهبي إلى فسيح دائرة الإسلام، الذي بنصومه التي لا تبلى يصلح لكل زمان ومكان، وليس بالتعصب المذهبي، والله ولي التوفيق .

[السلسلة الضعيفة ٢/٣١٨]

إجازة الشيخ الطباخ للألباني

روى أبو داود في سننه (١٥٢٢) من حديث الصُّنَابِجِيِّ عن معاذ بن جبل رضي الله عنه: أن رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أخذ بيده، وقال: " يا معاذُ! والله إني لأُحِبُّكَ، والله إني لأُحِبُّكَ ". فقال:

" أوصيك يا معاذ! لا تدعَنَّ في دُبُرِ كل صلاة تقول: اللهم! أعِنِّي على ذِكْرِكَ وشُكْرِكَ وحُسْنِ عبادتك ".
وأوصى به الصُّنَابِجِيُّ أبا عبد الرحمن . اهـ .

قال الألباني في " صحيح أبي داود " (٥ / ٢٥٣ - ٢٥٤ / ط . غراس) :
والحديث أخرجه أحمد (٢٤٤/٥ - ٢٤٥) ، وابن خزيمة في " صحيحه " (٧٥١) ،
وكذا ابن حبان (٢٣٤٥) ، وأبو نعيم في " الحلية " (٢٤١/١ و ١٣٠/٥) من طرق
أخرى عن عبد الله بن يزيد المقرئ ... به؛ وزادوا: وأوصى أبو عبد الرحمن عُقْبَةَ
بن مسلم .

وزاد أبو نعيم : وأوصى عُقْبَةُ حيوَةَ، وأوصى حيوَةَ أبا عبد الرحمن المقرئ،
وأوصى أبو عبد الرحمن المقرئ بِشَرِّ بن موسى، وأوصى بشر بن موسى محمد بن
أحمد بن الحسن، وأوصاني محمد بن أحمد بن الحسن .
قال أبو نعيم رحمه الله: وأنا أوصيكم به .

قلت (أي الألباني) : وهذا الحديث من المسلسلات المشهورة المروية بالمحبة،
وقد أجازني بروايته الشيخ الفاضل راغب الطباخ رحمه الله، وحدثني به ... وساق
إسناده هكذا مسلسلاً بالمحبة .

الشيخ محمد موسى نصر يتحدث عن جوانب من سيرة الألباني

هذه جوانب من سيرة الإمام الألباني رحمه الله ذكرها الشيخ محمد موسى نصر أثناء محاضرة ألقاها في بيروت بتاريخ ١٤ شعبان ١٤٣١ هـ (الموافق ٢٦ تموز ٢٠١٠):

الشيخ الألباني رحمه الله إمامٌ ربّاني، وكان الشيخ رحمه الله متمسكاً بالكتاب والسنة تمسكاً صحيحاً كاملاً، فلم يكن يقول شيئاً ثم يخالفه في مجالسه الخاصة وإذا اختلى بنفسه، بل كان رحمه الله السنّة بين عينيه ومنهج السلف مطبق في حياته؛ في بيته وخارج بيته، وكان رحمه الله أكثر ما يصرف وقته في العلم، ومدارسة العلم، والبحث والمطالعة، حتى كنا إذا زرنا الشيخ، ووجدنا لا نسأله - بعد أن يقدم الضيافة - يقول : ما عندك من سؤال يا فلان ؟ فإذا استنفدنا الأسئلة وجلسنا ننظر إليه هكذا فإنه كان رحمه الله - حرصاً على الوقت - يقول : انصرفوا راشدين، لأن الأوقات ضيقة والواجبات كثيرة، كان الشيخ رحمه الله حريصاً على الوقت حرصه على عينيه، وكان رحمه الله تعالى يؤذيه ما يسمع من خلافات بين المسلمين وبين السلفيين، وكثيراً ما كنت أسمع شيخنا يقول : أزمنا أزمة أخلاق، وكثيراً ما كنا نسمع شيخنا يقول : (حبّ الظهور يقصم الظهور)، وكثيراً ما كنا نسمع شيخنا يذكر قول الله : (أما الزبد فيذهب جفاء وأما ما ينفع الناس فيمكث في الأرض) .

كان شيخنا رحمه الله لا يبالي بأهل الدنيا، يتعامل مع المليونير كما يتعامل مع الفقير الذي يسأل الناس، وإذا جلسنا إليه لا تشعر أنك غريب، يعامل الجميع معاملة واحدة، الشيخ رحمه الله تعالى كان قوام صوام بكاء، كم من رؤيا قُصّت عليه فبكى رحمه الله تعالى وقال : (اللهم اجعلني خيراً ممّا يظنون، واغفر لي ما لا

يعلمون)، قد رأيتُ شيخنا رحمه الله في رؤيا قصصتها عليه فتأثر واغرورقت عيناه بالدموع، قلتُ له: يا شيخنا، رأيتُ فيما يرى النائم جمعٌ كبيرٌ، وهذا الجمع الكبير كانوا ينظرون إلى باب يطل على شرفة يُصعد إليه بدرج، فقلتُ له: يا شيخنا، فحجّتُ فقلتُ للناس: (ماذا تنظرون؟) قالوا: سيخرج الرسول من هذا الباب، فاخترقتُ صفوفهم وصعدتُ الدرج ووقفتُ قبالة الباب أنتظر خروج النبي صلى الله عليه وسلّم، فإذا بالباب يُفتح ورأيتُ يطل منه شيخنا الألباني رحمه الله، فأولتُ الحديث على أن الألباني هو الرباني الذي يسير على خطى النبي صلى الله عليه وسلّم، ويعمل بهدي النبي صلى الله عليه وسلّم، وأن من أراد هدي النبي صلى الله عليه وسلّم فعليه بمنهج الألباني وعليه بالسير على منهج الألباني ومدرسة الألباني.

الشاهد أن الشيخ له في حياته مواقف جليلة وعظيمة، يكفي أنه كان يصدع بالحق ولا يخشى في الله لومة لائم، إذا تبّنى الحق أو مسألة، فإنه لو وقفت الجبال أمامه فإنه لا يرجع عمّا يعتقد، وكان كالطود العظيم، وكان رحمه الله تعالى ابتلي ابتلاءات كثيرة، ولكنه صبر، وربنا عز وجل مكّن له، ومكّن لدعوته، الآن الدعوة السلفية بفضل الله في الأردن من أقوى الدعوات، ولها حضورٌ عظيم، وقد سمعت الشيخ - في أواخر حياته - يقول: (إذا مات الألباني عرفه الناس). فالناس الآن عرفوا الألباني بعد موته، بيت الألباني في منطقة، وجيرانه لا يعرفونه، يأتي السائل عنه فيقولون: الشيخ الألباني لا نعرفه، لما مات الشيخ بعدها الناس عرفته.

واحد ذهب إلى جزر البهاما - بلد في حدود كوبا - فوجد هناك مئتين وخمسين أسرة مسلمة في هذه الجزيرة كلّهم سلفيون، من أين وصلهم الألباني؟ أشرطة الألباني وصلت إليهم، ما رأوا الألباني بعينهم ولكنهم عاشوا على أشرطته، فكلهم كانوا على الكتاب والسنة، ما في واحد منهم من الجماعات الخزبية أو الصوفية، فهذا يدل على أن صدق الألباني وإخلاصه نشر دعوته في العالم.

وهكذا وجدنا شباب يتبعون هذا المنهج المبارك من خلال أشرطة شيخنا الألباني في أمريكا وفي بريطانيا وفي أستراليا وفي كندا وفي بلدان كثيرة، حتى في جزر بعيدة غربية - جزيرة ترينيداد (قال أبو معاوية البيروني : هكذا فهمتها من كلام الشيخ) -، هذه الجزيرة ست ساعات من نيويورك إلى هذه الجزيرة، وجدنا فيها سبعة من السلفيين، وبنوا مسجداً سَمَّوه " مسجد الغرباء "، وبعضهم حُرِّجوا الجامعة الإسلامية، كلهم على الكتاب والسنة .

فهذه الدعوة بحمد الله ستصل ما وصل إليه بإذن الله، ولكن كما قلت، أهلها مدعون إلى أن يتقوا الله فيها، ويتقوا الله في أنفسهم، وأن يتقوا الله في إخوانهم، وأن يكونوا ... هذه الاختلافات، وهذه الطعونات، وهذا التبديع والتفسيق قد آذى هذه الدعوة، ونفّر الناس منها، ودينُكم بين الغالي فيه والجافي عنه، فما أحوجنا إلى أن نكون على وسطية السلف الصالح واعتدالهم ولطفهم ورفقهم .
اهـ .

الألباني يكتب أبحاثه على الأوراق الملقاة في الطريق !!

قال الشيخ مشهور حسن حفظه الله : أوكلني شيخنا رحمه الله أن أراجع أجزاء من السلسلة الضعيفة قبل أن تطبع، فناولني المجلد الخامس من الضعيفة، فأخذت الكتاب بخطه قبل أن يُطبع، فلما أخرجته من الكيس ونظرت بكيته، فسألني الشيخ رحمه الله : ما لك ؟

قال الشيخ مشهور: فما تكلمت ، ورأى الشيخ الدموع في عيني .
الشيخ رحمه الله يكتب الضعيفة الخامس على أوراق هدايا ، وعلى ظروف السكر والأرز، الظروف الحمراء التي كانت الناس تزن فيها السكر والأرز .
فقال لي الشيخ : كان عندي خيوط أضعها في الحبر، ثم أجعل الخيوط على ورق، فتصبح الورقة مسطرة،

وقال الشيخ رحمه الله : ما كان عندي مال اشترى ورق . اهـ .
وأضيف ما ذكره الشيباني في " حياة الألباني " (١ / ٤٣)، قال :
ومن شدة العنت والفقر الذي عاشه الشيخ أنه كان لا يملك ورقة يشتريها ليسودها بما منَّ الله تعالى عليه من علمٍ فيها، فكان يطوف في الشوارع والأزقة يبحث عن الأوراق الساقطة فيها من هنا وهناك ليكتب على ظهرها، وذلك لأن وجه الورقة يكون عادة مكتوباً فيه إما دعوة لافتتاح معرض أو حفلة زواج أو دعاية لمصنوعة من المصنوعات، وقد أطلعني الشيخ على بعض الكتب المخطوطة التي كُتبت بها بهذه الأوراق، وأغلبها قد تقطعت أطرافها وتساقطت .
وقال لي مرّة : كنتُ اشتري الأوراق (سقط المتاع) بالوزن لرخصه . اهـ .

لقاء الشيخ عبد الله آدم ابن أخ الألباني مع مجلة الفرقان الكويتية

بداية اللقاء : في البداية نود أن تحدثنا عن الشيخ محمد ناصر الدين الألباني بصفتك ابن أخيه .

قال الشيخ عبد الله آدم ابن أخ العلامة الألباني : الشيخ محمد ناصر الدين الألباني هو من مواليد مدينة شكودار في شمال ألبانيا، وعاش فيها مدة ثلاثة عشر سنة مع والده، إذ كان والده إماماً لمسجد من المساجد هناك، وكان عالماً من علماء المذهب الحنفي، وفي بدايات هذا القرن هبَّت رياح الحرية كما يزعمون على البلاد التي كانت تحت سيطرة الدولة العثمانية؛ ومنها ألبانيا، فقام الملك أحمد زوغو بالعمل على استقلال هذه الدولة عن الدولة العثمانية، وكان له ما أراد، ولم يقتصر الأمر على الاستقلال فقط، وإنما تعدّاه إلى تغريب الدولة، والأخذ بها في طريق الدول الغربية الكافرة، فألزم الناس مثلاً بلبس القبعة الغربية، وأيضاً ألزمهم بأن يؤدّونوا باللغة الألبانية بدلاً من العربية .

وهنا شعر والد الشيخ - واسمه نوح - بخطورة الأمر، وأنه لا يقف عند هذا الحد، فصار يجمع حاجاته لأجل الهجرة، فسأله الناس هناك : يا شيخ نوح، أتخشى على نفسك من الكفر؟ قال : لا أخشى على نفسي، ولكن أخشى على أولادي من الكفر .

وهكذا جمع متاعه وحاجاته المهمة وركب البحر قاصداً بلاد الشام، فترل بيروت، ثم من بيروت إلى الشام، واختار الشام من بين سائر البلاد مع أن مكة والمدينة أشرف منها، لكنها كانت موافقة لمناخ ألبانيا، وهناك أيضاً أصبح راعياً لمسجد من مساجد الشام، وافتتح دكاناً لإصلاح الساعات، لأنه كان قد تعلّم هذه المهنة في فيينا عاصمة النمسا .

لماذا هاجر الشيخ من الشام قاصداً الأردن ؟

قال الشيخ عبد الله آدم ابن أخ العلامة الألباني : في أوائل ١٩٦٠ م كان الشيخ يقع تحت مرصد من الحكومة، وقد سبّب له ذلك نوعاً من الإعاقة، واستمر هذا الوضع حتى أواخر عام ١٩٧٠ ، ثم فكّر الشيخ في الهجرة إلى الأردن - عمان بعد أن كان مهّداً لذلك، واستقر به المقام في الأردن، لا سيما أن هناك حرية نسبية، ممّا أعطى الشيخ فرصة ليجتمع بطلبة العلم، وظهر له تلاميذ ولهم الآن العديد من المؤلفات .

من المعروف عن الشيخ أنه كان بعيداً عن السياسة، فهل تعرّض الشيخ للاعتقال ؟

قال الشيخ عبد الله آدم ابن أخ العلامة الألباني : تعرّض الشيخ للاعتقال مرتين؛ الأولى كانت قبل ٦٧ حيث اعتُقل لمدة شهر في نفس القلعة التي اعتُقل فيها شيخ الإسلام ابن تيمية؛ قلعة دمشق، وعندما قامت حرب ٦٧ رأت الحكومة أن تفرج عن جميع المعتقلين السياسيين، ولكن بعدما اشتدّت الحرب عاد الشيخ إلى

المعتقل مرة ثانية، ولكن هذه المرة ليس في سجن القلعة، بل في سجن الحسكة شمال شرق دمشق، وقد قضى فيه الشيخ ثمانية أشهر، وخلال هذه الفترة حقق مختصر صحيح مسلم للحافظ المنذري واجتمع مع شخصيات كبيرة في المعتقل .

[مجلة الفرقان (٣ / ٩٦ - ٩٧)]

بين الشيخين الألباني وحماد الأنصاري رحمهما الله

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على نبينا محمد وعلى آله وصحبه
أجمعين .

أما بعد فإن من الصعوبة بمكان أن يجمع شخص ثناء أهل العلم على الشيخ
المحدث الألباني وذلك لكثرة من عرف قدره وعلمه من أهل الفضل والعلم أمثال
الشيخ ابن باز وابن عثيمين وعبد العزيز آل الشيخ .. وغيرهم كثير فزكوه عن
معرفة به واطلاع على ما قام به من نصرة السنة والذب عنها وقد جمع أخونا نفع
الطيب الشئ الكثير منها .

ومن أهل العلم والفضل الشيخ العلامة حماد بن محمد الأنصاري رحمه الله فقد
جمع ابنه عبد الأول نقولاً عديدة عن الشيخ حماد يثني على الألباني رحمه الله فيها ..
في كتابه (المجموع..) وقد وجدت منها ما يلي :

قال الشيخ حماد رحمه الله :

١ - إن الشيخ الألباني قد سهّل لنا المسند تسهيلاً جيداً جداً حيث عمل
فهرساً للصحابة المذكورين فيه ، وكنا قبل ذلك نتعب تعباً كبيراً في الحصول على
الحديث . (٦١٧/٢)

٢ - إن الشيخ الألباني خرج من المدينة المنورة قبل أن أسكن بها ودرس في الجامعة قبلي وما اجتمعت به ((. قال عبد الأول ابن الشيخ حماد :علق الوالد رحمه الله تعالى بقوله :((وقد تعرفت عليه بعد ذلك وعرفته حق المعرفة.(٦١٨/٢)

٣ - إن الشيخ ناصر الألباني أعرفه جيداً، ولم أدركه في الجامعة الإسلامية لأنني لما جئت إليها كان قد خرج منها).(٦٢٢/٢)

٤ - ما كنت في دمشق كنت أزور الألباني في بيته في سفح جبل قاسيون ، أسهر عنده بعد العشاء حتى يذهب الليل ، وذلك لأنظر في كتبه ، ومكتبته لا بأس بها . وإن الشام حُرمت من الشيخ ناصر الألباني فهو لا يوجد مثله في الشام ، خاصة في تخصصه)).(٦٢٥/٢)

٥ - لما كنا بدمشق سهرنا عند الشيخ ناصر الألباني في مكتبته للاطلاع عليها لعلنا أن نجد شيئاً نصوره منها ، وكان الشيخ الألباني نشيطاً واشتغل معنا ((.(٧٥٠/٢)

٦ - الألباني كان حنفيّاً ، ثم دخل في علم الحديث حتى وصل فيه إلى الغاية ، وهو ممن يقال في مثله دَرَسَ بنفسه)).(٥٩٧/٢)

٧ - قال عبد الأول ابن الشيخ حماد : (وفي عام ١٤٠٠ هـ خاطب مركزُ الملك فيصل للبحوث والدراسات الإسلامية رحمه الله يستشيرهُ من يرشح لجائزة الملك فيصل في علم الحديث وعلومه ؟

فكتب الوالد لهم جواباً أنه يرشح الشيخ العلامة : محمد ناصر الدين الألباني ،
ولكن لم يرشح في هذه السنة ، ثم رشح بعد وفاة الوالد عام ١٤١٩هـ -
(٥٩٨/٢).

٨ - إن الشيخ الألباني درس العلم دراسة وافية ، واتخذ اصلاح الساعات
معيشة له كما كان يفعل الأئمة الأوائل ، فإن كل واحد منهم له صنعة لمعيشته ،
فمثلاً أبي حنيفة - كذا - كان قماشاً . (٦٢٣/٢)

٩ - أول مرة رأيت الألباني فيها سنة ١٣٧٤هـ عند الشيخ عبد العزيز بن باز
في الرياض ، وكان عندما رأيته يحمل معه تخريج سنن أبي داود له ، وهو يقرأ منه
على الشيخ ، فقال له الشيخ عبد العزيز : هذا الكتاب ينبغي أن يقرأ كله ثم يطبع
. ثم انفض المجلس ولم أر الشيخ الألباني بعدها إلا لما أصبح يدرس في الجامعة
الإسلامية)) . (٦٢٣/٢)

قال عبد الأول : (لعل الوالد زار المدينة تلك الفترة فرأى الشيخ الألباني فيها)

١٠ - إن صاحب كتاب "تنبيه المسلم على تعدي الألباني على صحيح مسلم
ليس له ذوق ولا علم)) (٦٢٣/٢)

اتصال العلامة الفقيه ابن عثيمين بالإمام الألباني رحمهما الله، وبعض كلام ابن عثيمين فيه

قال العلامة ابن عثيمين في اللقاء الشهري أثناء إجابة سؤال رقم ٢٩٠ :
إننا نسمع ما ينسب إلينا وما ينسب إلى شيخنا عبد العزيز بن باز وما ينسب
إلى الشيخ ناصر الدين الألباني أشياء إذا محصناها وجدنا أنها كذب، قد تكون
متعمدة وقد يكون الذي نقلها أخطأ في الفهم، أو أخطأ في صيغة السؤال الذي بني
عليه الجواب، أو ما أشبه ذلك.

اتصلت بالشيخ الألباني أسأل عن صحته فقال: إنه بخير، وقال: إن رجلاً من
الناس قال لي إن معه كتاباً منك إليّ، وإني قد قلت له: صلّ معي يوم الجمعة
الماضية، فقال: لا أستطيع، ولكن آتيك به يوم السبت، يقول الشيخ: فهل كتبت
إليّ شيئاً؟ قلت له: ما كتبت لك شيئاً، وإذا جاءك هذا الكتاب فليس مني، فأنا لا
أدري ما في هذا الكتاب! وقد يكون فيه طامات كثيرة لا تقوى على حملها
السيارات ولا السفن ولا الطائرات .

فقال: لكن هو قال لي هذا .

فقلت له: يا شيخ! الناس يكذبون عليّ ويكذبون على غيري، وأنا قد كذبوا
عليّ! وقالوا: إن الشيخ الألباني مات!! فقلت له: لعلهم يريدون وفاة النوم؛ أن الله
توفاك بالليل وأيقظك بالنهار .

ثم قال ابن عثيمين :

فالمهم أن الناس يتقولون على العلماء؛ لكن أوصيكم بكل شيء تسمعونه عني
وأنتم تستنكرونه أن تصلوا بي حتى تتحققوا هل هو صحيح، أو غير صحيح فقد

يكون كذباً، وقد يكون حقاً صدقاً ولكن لي وجهة نظر لا يعرفها، وإذا سمعتم أيضاً ما تستكرونه عن العلماء الآخرين أن اتصلوا بهم، وألا تشيعوا كل ما يقال، فنسأل الله السلامة، قال بعض العلماء في قوله صلى الله عليه وسلم دعاء القنوت: (وعافني فيمن عافيت) ، قال: لا أجد عافية أكمل من أن يعافيك الله من الناس ويعافي الناس منك.

ابن عثيمين و الدفاع عن الألباني رحمه الله

في لقاء إدارة الدعوة بوزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية في دولة قطر مع فضيلته ، بتاريخ : ٧/٥/٢٠٠٠م سئل ابن عثيمين يقول البعض : عن الشيخ الألباني -رحمه الله- أن قوله في مسائل الإيمان قول المرجئة ، فما قول فضيلتكم في هذا؟!
فكان جواب فضيلة الشيخ ابن عثيمين ما نصه :
(أقول كما قال الأول :
أقلوا عليهم لا أبا لأبيكم من اللوم أو سدوا المكان الذي سدوا

و الألباني -رحمه الله- عالم ، محدث ، فقيه - وإن كان محدثاً أقوى منه فقيهاً ، ولا أعلم له كلاماً يدل على الإرجاء - أبداً - لكن الذين يريدون أن يكفروا الناس يقولون عنه ، وعن أمثاله : إنهم مرجئة ! فهو من باب التلقيب بألقاب السوء ، وأنا أشهد للشيخ الألباني -رحمه الله- بالاستقامة ، وسلامة المعتقد ، وحسن المقصد، ولكن مع ذلك ؛ لا نقول : إنه لا يخطئ ؛ لأنه لا أحد معصوم إلا الرسول - عليه الصلاة والسلام .)
وقال في موضع آخر :

" من رمى الشيخ الألباني بالإرجاء فقد أخطأ ، إما أنه لا يعرف الألباني ؛ وإما أنه لا يعرف الإرجاء ، الألباني رجل من أهل السنة -رحمه الله- مدافع عنها ، إمام في الحديث ، لانعلم أن أحداً يباريه في عصرنا، لكن بعض الناس -نسأل الله العافية- يكون في قلبه حقد ؛ إذا رأى قبول الشخص ذهب يلمزه بشيء ؛ كفعل

المنافقين الذين يلمزون المطوعين من المؤمنين في الصدقات ، والذين لا يجدون إلا جهدهم؛ يلمزون المتصدق الكثير من الصدقة ، والمتصدق الفقير! الرجل -رحمه الله- نعرفه من كتبه ، وأعرفه -بمجالسته -أحيانا- : سلفي العقيدة ، سليم المنهج؛ لكن بعض الناس يريد أن يكفر عباد الله بما لم يكفرهم الله به ، ثم يدعي أن من خالفه في هذا التكفير فهو مرجئ -كذبا وزورا وبهتان- ؛ لذلك لاتسمعوا لهذا القول من أي إنسان صدر " .

[شريط " مكالمات هاتفية مع مشايخ الدعوة السلفية " رقم : ٤ - إصدار : مجالس الهدى للإنتاج والتوزيع - الجزائر ، وكان ذلك بتاريخ : ١٢ / ٦ / ٢٠٠٠ م

[

تدوين الشيخ الألباني لوفاة زوجته الأولى وكيف ماتت على حالة تُبَشِّرُ بِحُسْنِ خاتمتها

كتب الشيخ الألباني رحمه الله : ... كان وفاتها ليلة الجمعة في ١٤ شهر المحرم سنة ٧٢ هـ = ٣ تشرين أول سنة ٥٢ م ، عند الساعة الثانية والرابع عريية بعد العشاء، متأثرة بمرضها " السل " الذي صبرت عليه صبراً جميلاً حتى جاءها الأجل المحتوم، وقد ماتت (رح) في حالة تُبَشِّرُ بِحُسْنِ خاتمتها حيث كان آخر كلامها (لا إله إلا الله) و (الله، الله، ...) وذلك حين عجزت عن إتمام الشهادة بلسانها، ثم أشارت إلى التوحيد بأن رفعت إصبعها المسبحة، وذلك كله بعد أن أوصت ببعض الوصايا، ثم انتفضت انتفاضة الموت وأسلمت الروح، وكان موتها بعرق جبينها، وهذه بشارة أخرى كما جاء في الحديث " موت المؤمن بعرق جبينه "، رحمها الله تعالى وغفر لها وأوسع لها في قبرها، وجمعني وإياها في جنة الفردوس مع الذين أنعم الله عليهم من النبيين والصديقين والشهداء والصالحين وحسن أولئك رفيقاً "، اللهم أجرني في مصيبي واخلف لي خيراً منها، وإنا لله وإنا إليه راجعون .

ضحى الأحد ١٦ محرم سنة ٧٢ هـ (١)

(١) من مشاركة للأخ أبي معاوية البيروتي من ملتقى أهل الحديث .

بين الألباني والشيخ محمد حامد الفقي

كتاب " نظرية العقد " لشيخ الإسلام ابن تيمية الذي قام بطبعه محمد حامد الفقي، فيه قول الفقي رحمه الله :

(فكتبْتُ إلى الأخ السلفي البحّاث ناصر الدين الأرناؤوطي بدمشق أطلب إليه معونتي في العثور على نسخة أخرى، فكتب إليّ أن عند آل الشطي الأجداد نسخة جيدة سليمة، فأرسلتُ إليه النسخة بالطائرة فراجعها مراجعة دقيقة وكمل مواضع النقص فيها، وعندئذٍ اطمأننت أني أستطيع أن أخرج الكتاب النفيس باسم " نظرية العقد " ...) كتب هذا في شوال سنة ١٣٦٨ هـ / أغسطس ١٩٤٩ .
وفي آخر الكتاب :

(انتهى مقابلة وتصحيحاً يوم الثلاثاء ٨ شوال سنة ١٣٦٨ / ٢ آب ١٩٤٩ على يد محمد ناصر الدين الأرناؤوطي) .

فهذا النص وسن الشيخ رحمه الله ٣٥ سنة، وانظر كيف وصفه حامد الفقي بالسلفي والبحّاث، وقوله قابله مقابلة دقيقة .. ممّا يدلّك على ما وصل إليه الشيخ رحمه الله تعالى وهو في تلك السن، فرحمه الله .

بين الشيخين الألباني وعبد الرزاق عفيفي رحمهما الله

قال الدكتور محمد الصباغ : " كان الشيخ عبد الرزاق عفيفي (ت ١٤١٥ هـ) - رحمه الله - يتصف بسعة الصدر وحسن المناقشة والحلم وإلانة القول لمن يألفه ويناقشه فقد ذكر لي الشيخ ناصر الدين الألباني - حفظه الله - أنه في أول قدمه جاء فيها إلى المملكة من بضع وأربعين سنة قابل عدداً من المشايخ وذاكرهم في مسألة قررها شيخ الإسلام ابن تيمية - رحمه الله -، وهي مشكلة في نظره، وقد أنكرها، فاشتدوا عليه إلا واحداً، وكان هو الشيخ عبد الرزاق عفيفي الذي تَلَطَّفَ به، وناقشه في الموضوع، وكان الشيخ الألباني يذكر هذه القصة مشيداً بالصفات الكريمة التي تميز بها الشيخ - رحمه الله - . "

وقال الشيخ المحدث محمد ناصر الدين الألباني - حفظه الله - عن الشيخ عبد الرزاق عفيفي - رحمه الله - : " إنه من أفاضل العلماء ومن القلائل الذي نرى منهم سمّت أهل العلم وأدبهم ولطفهم وأناهم وفقههم . " .
وقال فيه : " التقيت به غير مرة في مراسم الحج، وكنتُ أستمع أحياناً إلى إجابته العلمية على استفتاءات الحجاج المتنوعة، فكانت إجابات محكمة تدل على فقه دقيق واتباع ظاهر لمنهج السلف . "

نقلا من ["إتحاف النبلاء بسيرة العلامة عبد الرزاق عفيفي "]

لقاء الشيخ محمد عمرو بن عبد اللطيف الوحيد الألباني

قال الشيخ محمد عمرو بن عبد اللطيف الشنقيطي (ت ١٤٢٩ هـ) : كنت متجهاً إلى مسجد أنصار السنة بعبادين، حين رأيت رجلاً أبيض مشرباً بحمرة، له لحية بيضاء، والناس مجتمعون حوله، وهو يتكلم عن حديث السبعين ألفاً، فقال: (وفي رواية: (الذين لا يرقون ولا يسترقون) وزيادة لا يرقون شاذة والشذوذ من سعيد بن منصور - رحمه الله - ...)

يقول الشيخ محمد عمرو:

(وبعدها بمدة عرفت أن هذا الكلام لشيخ الإسلام، أنه حكم على زيادة يرقون بالشذوذ.

وكانت هذه هي المرة الأولى والأخيرة التي أرى فيها الشيخ، والطريف أنني رأيت ثم بعد ذلك عرفت أن هذا هو الشيخ الألباني..

كان عمري حينها ٢٠ أو ٢١)

لقاءً واحد؟!!

نعم هو كذلك، وكان عمر الشيخ محمد يومها عشرين عاماً أو واحداً وعشرين..

لكن العلاقة بين الشيخين لم تكن هكذا فقط..

فإنه ليس بمقدور أحد أن ينكر استفادة أهل العلم وطلبته، وبخاصة أهل الحديث، من كتب وتحقيقات الشيخ الألباني - رحمه الله -.

والذي أعلمه أن شيخنا محمداً - حفظه الله - قد أكثر من مطالعة كتب الشيخ - رحمه الله - ودراستها، والذي سمعته أن الشيخ محمداً يجلب الشيخ الألباني ويوقره.

إذا علمت ذلك أيها القارئ الكريم، فتعجب معي من شخصٍ يحط من قدر الشيخ محمدٍ لأنه يخالف الشيخ الألباني في أشياء!!
وما علم هذا المتهوك أن أهل السنة بعضهم لبعض كاليدين، تغسل إحداهما الأخرى، وأنه ليس ثمَّ عالم إلا وهو مستدرك عليه، وأن الشيخ الألباني نفسه هو الذي علمنا أنه (كم ترك الأول للآخر).

... وذكر الشيخ محمد عمرو أنه سمع في بعض الأشرطة المسجلة بين الشيخ أبي إسحق والشيخ الألباني، والشيخ أبو إسحق يسأله عن كتاب: (القسطاس في تصحيح حديث الأكياس) للشيخ محمد عمرو، فقال الشيخ الألباني: باحث جيد، له مستقبل جيد في اعتقادي . اهـ .

وهذا الكتاب من كتب الشيخ القديمة التي لا يرضى عنها .
... عكف الشيخ عمرو على دراسة كتب الشيخ الألباني وكان به مغرمًا، محبًا معظّمًا، وهكذا كل طلبة علم الحديث في هذا العصر، ما من أحد إلا وهو عالية على الشيخ الألباني في فهم العلم ووجهه والتعمق فيه.. ولا أعد مغاليًا إن قلت إنه لولا مؤلفات الشيخ الألباني وما قدره الله تعالى لعمله من الانتشار ما كان لعلم الحديث أن تقوم له قائمة في هذا العصر الحديث ...

فجزى الله الشيخ الألباني خير الجزاء ...

نقلا من [القول اللطيف في التعريف بالشيخ محمد عمرو عبد اللطيف]

اللقاء الأخير بين الإمامين ابن باز والألباني رحمهما الله

كان سماحة الشيخ عبد العزيز محباً للعلامة المحدث الألباني، عالماً بفضله، كثير الثناء عليه، كثير السؤال عنه، كثير الرجوع إلى تحقيقاته وكتبه. وكان لا يرضى أن يذكر عنده إلا بكل خير، وكان يشرف على صرف مستحقاته التي تجرى له من الجامعة الإسلامية، ويتابعها بنفسه. وكان يقول: الشيخ ناصر من خواص إخواننا.

وكان سماحة الشيخ عبد العزيز يكنُّ للشيخ العلامة الألباني التقدير، والمودة، ويعرف فضله وعلمه منذ زمن طويل، وكان يرسل السلام إليه على البعد، ومما يشهد لذلك ما جاء في رسالة كتبها وأرسلها سماحة الشيخ في ٢/٥/١٣٧٧هـ للشيخ عبد الفتاح الإمام من أهل العلم في الشام، حيث جاء في آخرها قول سماحته :

وأرجو إبلاغ سلامي لمن حولكم من خواص المشايخ والإخوان، وأخص منهم فضيلة أختينا، ومحبونا في الله الشيخ العلامة محمد ناصر الدين الألباني .
... وفي عام ١٤١٠هـ تقريباً جاء الشيخ الألباني إلى مكة، واجتمع بسماحة الشيخ بعد صلاة الجمعة، وكان من عادة الشيخ يوم الجمعة أن يكون له درس في تفسير ابن كثير، ويستمر الدرس إلى الساعة الثانية تقريباً، فلما انتهى الدرس أخذ سماحته بيد الشيخ الألباني، وجلسا في ناحية من المجلس، وأخذ يناقش الشيخ ناصرأ في بعض المسائل، والشيخ ناصر منصت لسماحته، متأدب معه غاية الأدب، وبعد أن انتهى الحديث قال له الشيخ عبد العزيز: والله يا شيخ ناصر إنني لا أحب أن

أسمع عنكم إلا ما يسر، ففرح الشيخ ناصر بما سمع من سماحته، ودعا للشيخ،
رحمهما الله جميعاً .

[" جوانب من سيرة الإمام عبدالعزيز بن باز "]

العلاقة بين الإمام الألباني والشيخ عبد العظيم بن بدوي

كان للشيخ عبد العظيم بن بدوي حفظه الله علاقة وثيقة بالشيخ ناصر الدين الألباني رحمه الله، وقد تكلم الشيخ عن ذلك في الحوار الذي أجراه معه سكرتير التحرير بمجلة التوحيد (عدد صفر ١٤٢٢ هجرية) فقال حفظه الله :

(من فضل الله عز وجل أن الشيخ عليه رحمة الله ، بدأ بالإقامة في عمان بالأردن في سنة ألف وتسع مئة وثمانين ميلادية ، وهي نفس السنة التي قدر الله لي فيها الدخول إلى الأردن ، وقد تشرفت بزيارة الشيخ في بيته ، وصارت بعد ذلك لنا مودات وزيارات ولقاءات مع الشيخ في بيته ، وخارج بيته أحياناً ندعوه إلينا ، وأحياناً نأخذ معه زيارات ، وكان الشيخ ربما صلى الجمعة في المسجد الذي كنت أخطب فيه في عمان ، وكنا دائمي الصلة بالشيخ عليه رحمة الله ، وكان للشيخ الفضل - بعد الله عز وجل - علينا في العلم والفقہ ، وخاصة في الرفق ، وفي الصبر والنهي عن الاستعجال والتأني ، وعدم استعجال الشيء قبل أوانه ، وكان دائماً يدعو إلى الحلم والرحمة ، وينهى عن الشدة والغلظة والقسوة . تعلمنا من الشيخ في الحقيقة كثيراً من الأخلاق ، فضلاً عن العلم الذي تعلمناه منه مما آتاه الله ، ووضع الله له القبول في الأرض .

الشيخ الألباني وإحياء السنة

يقول شيخنا أبو إسحاق الحويني حفظه الله :

أول معرفتي بشيخنا -رحمه الله- كانت سنة (١٣٩٥هـ) كنت أصلي في مسجد (عين الحياة) خلف الشيخ عبد الحميد كشك رحمه الله، وبعد انتهاء الصلاة كنت أطوف على البائعين الذين يبيعون الكتب، ففي يوم من الأيام وقفت على كتاب (صفة صلاة النبي صلى الله عليه وسلم من التسليم إلى التكبير كأنك تراه) فأخذت الكتاب بيدي وقلبته، ولكنه كان باهظ الثمن، فتركته ومضيت أبحث عن كتاب آخر، فإذا بي أجد كتاباً لطيفاً بعنوان (تلخيص صفة صلاة النبي صلى الله عليه وسلم للشيخ الألباني) فاشتريته بخمسة قروش، وتصفحته وأنا في طريقي إلى مسكني، فوجدت ما فيه يخالف ما ورثته من الصلاة عن آبائي؛ إذ أن كثيراً من هيئات الصلاة لا تمت إلى السنة بصلة؛ فندمت ندامة الكسعي أنني لم أشتري الآخر.

و الكسعي هذا رجل يضرب به المثل في الندم، وقصته أنه كان رجلاً رامياً، وكان لا يخفق في رميه، فرمى بالليل ظباء، فظن أن السهم لم يصب الظباء فكسر قوسه، وقيل: قطع إصبعه، فلما أصبح وجد الظباء ميتة وسهمه فيها، فندم أنه كسر السهم، وصار مثلاً يقال: ندامة الكسعي ومنه قول الفرزدق: ندمت ندامة الكسعي لما غدت مني مطلقاً نوار فندمت ندماً شديداً أنني لم أشتري ذلك الكتاب، وظللت أبحث عن ثمن الكتاب طيلة الأسبوع حتى وفقني الله عز وجل لشرائه في الجمعة التي بعدها، فلما قرأت الكتاب كنت كما قال القائل: (ألقى الألواح، ولاح لي المصباح من الصباح) ووجدت نموذجاً فريداً في التصنيف، مع أنني ما كنت أفهم شيئاً قط من الحاشية التي كتبها الشيخ رحمه الله، ولكنني أحسست

بفحولة وجزالة لم أعهد لها في كل ما قرأته من قبل، فملك عليّ هذا الكتاب حواسي، وكنت في كل جمعة أبحث عن مصنفات الشيخ ناصر الدين الألباني، حتى وقفت على كتاب (سلسلة الأحاديث الضعيفة والموضوعة وأثرها السيئ في الأمة) وقفت على المائة الحديث الأولى، وهذا الكتاب هو الذي فتح عيني وأنار بصيرتي.

وكان لهذا الشيخ رحمه الله الفضل ليس عليّ فقط، ولكن على أبناء جيل الإسلام، فإن هذا الشيخ المبارك كان له من الأثر ما لم يفعله كثير من العلماء، فما من رجل ينسب إلى السنة في هذا الزمان إلا وللشيخ عليه فضل، دق أو حل. ومن بعدها لم أكن أصلي في مسجد عين الحياة خلف الشيخ عبد الحميد كشك رحمه الله؛ لأن الشيخ رحمه الله كان على رغم ما له من فضل، فكل المنتسبين إلى الصحوة هو الذي أضح فيهم نار الالتزام والحمية للإسلام، إلا إن أكثر من ستين أو سبعين بالمائة من الأحاديث التي يذكرها الشيخ رحمه الله كانت من الأحاديث الضعيفة والموضوعة.

وللشيخ كشك رحمه الله عذر في ذلك؛ لأنه حفظ أحاديث كتاب (إحياء علوم الدين) لـ أبي حامد الغزالي، و أبو حامد الغزالي كان تام الفقر في علم الحديث، وكتابه من أكثر الكتب كذباً على النبي صلى الله عليه وسلم، وتستطيع أن تدرك ذلك بالنظر إلى حاشية الكتاب، وإلى تخريج الحافظ زين الدين العراقي المسمى بـ(المغني عن الأسفار في الأسفار بتخريج ما في الإحياء من الأخبار) فإن الحافظ زين الدين العراقي حكم على كل أحاديث هذا الكتاب، وأكثر من ستين أو سبعين بالمائة من أحاديث هذا الكتاب إما موضوع أو باطل أو منكر أو ضعيف أو لا أصل له، والقليل منها صحيح.

وقد ذكر الشيخ الألباني رحمه الله في الجزء الأول من السلسلة الضعيفة الأحاديث المشهورة على ألسنة الناس، وإذا بي أفاجأ أن أغلب الأحاديث التي حفظتها من الخطباء في الجمعة تدور ما بين المكذوب على النبي عليه الصلاة والسلام والموضوع والباطل والضعيف والشاذ والمنكر .

إلى آخر هذه الأقسام التي هي من نصيب الأحاديث الضعيفة.

فَعَكَرَ عَلِيٌّ كِتَابَ الشَّيْخِ الأَلْبَانِيِّ هَذِهِ الخُطْبَ، حَتَّى أَنِّي أَصْبَحْتُ أَشْكَ فِي كُلِّ حَدِيثٍ أَسْمَعُهُ، وَفِي يَوْمٍ مِنَ الأَيَّامِ سَمِعْتُ الشَّيْخَ يَقُولُ عَلَيَّ المُنْبِرَ حَدِيثًا وَهُوَ: (إِنْ اللهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى يَتَجَلَّى لِلنَّاسِ عَامَةً، وَيَتَجَلَّى لـ أَبِي بَكْرٍ خَاصَةً) لِأَوَّلِ مَرَّةٍ أَشْكَ فِي حَدِيثٍ أَسْمَعُهُ وَأَقُولُ فِي نَفْسِي: تَرَى هَلْ هَذَا الحَدِيثُ صَحَّ عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَمْ لَا؟ وَمَعَ ذَلِكَ فَقَدْ انْفَعَلْتُ لَهُ لَمَّا أَسْمَعُهُ مِنْ صَرَخِ الجَمَاهِيرِ مِنْ حَوْلِي إِعْجَابًا وَاسْتِحْسَانًا.

فلما رجعت إلى بيتي نظرت في سلسلة الأحاديث الضعيفة للشيخ ناصر الدين فلم أجد هذا الحديث، فواصلت بحثي فوجدت هذا الحديث في كتاب (المنار المنيف في الصحيح والضعيف) لـ ابن القيم رحمه الله، وقد حكم عليه ابن القيم بأنه موضوع على النبي عليه الصلاة والسلام.

وكان قد استقر عندي ببركة القراءة في كتب الشيخ الألباني أن التحذير من الأحاديث الضعيفة والموضوعة واجب أكيد، فقلت في نفسي: لا بد أن أذهب إلى الشيخ وأبلغه أن هذا الحديث مكذوب.

وكان للشيخ كشك رحمه جلسات في مسجده بين المغرب والعشاء، فلحقت بالصف الأول حتى أكون في أوائل الناس الذين يسلمون عليه، فسلمت عليه وهمست في أذنه إلى أن الحديث الذي ذكره في الجمعة الماضية وسميته قال عنه ابن القيم رحمه الله: إنه موضوع على النبي عليه الصلاة والسلام، فقال لي الشيخ: بل

هو صحيح، وقال لي كلاماً لا أضيفه الآن، لكن خلاصة هذا الكلام أن ابن القيم لم يكن مصيباً في حكمه علي هذا الحديث بالوضع، ولم يكن هناك وقت للمجادلة؛ لأن هناك طابوراً طويلاً خلفي، وكلهم يريد أن يسلم علي الشيخ ويسر إليه بما يريد.

وكان مما حز في نفسي أن الشيخ كشك رحمه الله سألني عن العلة في وضع هذا الحديث، فقلت له: لا أدري.

فقال لي: يا بني! تعلم قبل أن تعترض.

فمشيت من أمامه مستخزياً، وخرجت من عنده وكلني إصرار أن أدرس هذا العلم، حتى أعلم ما هو السبب في أن الحديث موضوع أو ضعيف أو باطل. فكان من بركات الشيخ الألباني عليّ وعلى كثير من أمثالي أنني تمذهبت بمذهب أهل الحديث؛ لأن التمذهب بمذهب أهل الحديث بمثابة طوق النجاة، ولم أتقلب يميناً ولا شمالاً، ولا تعدد انتمائي للجماعات المختلفة أبداً، وكان الفضل في ذلك بعد الله للشيخ الألباني رحمه الله.

فطفقت أسأل إخواني عن شيخ يدرس هذا العلم، فدللت في ذلك الوقت علي شيخنا الشيخ محمد نجيب المطيعي رحمه الله، وكان يعقد هذه المجالس في بيت طلبة ماليزيا، وكان يدرس كتباً أربعة: كان يشرح صحيح البخاري، والمجموع للنووي، وإحياء علوم الدين للغزالي، والأشباه والنظائر للسيوطي.

فوجدت في هذه المجالس ضالتي المفقودة، ودرست عليه نبذاً كثيرة من علم الحديث، ولكن قلبي متعلق بكتب الشيخ ناصر الدين الألباني رحمه الله.

الحوييني ورحلته إلى الشيخ الألباني

حتى من الله تبارك وتعالى بأول رحلة إليه، وكانت في شهر محرم (١٤٠٧) من هجرة النبي صلى الله عليه وسلم، وقد كنت التقيت قبلها بصهره وزوج ابنته الأخ

نظام ، فقلت له: إن كان هناك إمكانية للدراسة عند الشيخ وملازمته، فذكر لي أن المسألة في غاية الصعوبة، وأن ملازمة الشيخ مسألة صعبة، ولكن تعال وجرب، فكتبت للشيخ رسالة قلت له فيها كلاماً معناه: (إنني علمت أنكم تطردون الطلبة عن داركم، وأنا عندي أكثر من مائتي سؤال في علل الأحاديث و معانيها، ولست أقنع إلا بجوابكم دون غيركم) أو كلاماً نحو هذا المعنى، وسلمها الأخ للشيخ، وقرأها عليه، وكان مما تألم منه الشيخ في هذه الرسالة كلمة (الطرد).

و كنت قبلها قد صنفت ثلاثة كتب، وكانت جميعها قد وصلت إلى الشيخ الألباني قبل أن أذهب إليه، فذهبت في الثاني من محرم، وكان ذلك في سنة (١٤٠٧هـ)، ونزلت في عمّان، وكلمت الشيخ بالهاتف، وقد هيأت نفسي على الرضا بالطرد إذا فعل الشيخ ذلك، فباغتني بأن بدأ، فألقى عليّ السلام، فرددت عليه السلام بمثل قوله، فقال لي: لم تحسن الرد.

فقلت: لم يا شيخنا؟! قال: اجعل هذا بحثاً بيني وبينك إذا التقينا غداً. وظللت طوال الليل أتأمل لم أسأت الرد، فهو قال: السلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

فقلت: وعليكم السلام ورحمة الله وبركاته. ولم أكتحل بنوم حتى أذن المؤذن للفجر، وقررت في نفسي أن الذي يرد السلام يزيد شيئاً على الملقى، يعني: أن أزيد بعد: (وبركاته) لفظ: (ورضوانه) (ومغفرته) ولم أكن وقفت على بحث الشيخ في سلسلة الأحاديث الصحيحة (الجزء الثالث) لماذا؟ لأنه لم يصلنا في ذلك الوقت.

وراح عليّ لقاء الفجر مع الشيخ بسبب أنني نمت قبل الفجر بقليل ولم أستيقظ إلا بعد الفجر، فأخذت منه موعداً آخر بعد صلاة العشاء في يوم الثالث من محرم،

فبعد صلاة العشاء التقيت بالشيخ، وإن لساني ليعجز عن وصف شعوري عندما رأيته لأول مرة.

وقد كتبت ترجمة للشيخ الألباني سميتها (الثمر الداني في الذب عن الألباني) وقد نشرت قبل سنتين وحتى هذه اللحظة أشعر أنني عاجز عن وصف الشيخ مع أنني أمهلت نفسي كثيراً حتى أكتب ما شعرت به أول مرة رأيت الشيخ فيها، وكأني رأيت رجلاً من القرون الثلاثة الأولى، عليه نضارة أهل الحديث، والشيخ ناصر كان بهي الوجه أبيضه، مشرباً بحمرة، ربعة من الرجال، خفيف اللحية أبيضها -لحيته بيضاء- عيناه زرقاوان، وزرقتهمما رائقة كأنها بحر، ثم هو قوي البنية، فلما صافحني صافحني بقوة، وظل قوياً إلى آخر حياته رحمه الله، وكان شاباً فتياً بمهته، وكان يقود السيارة بسرعة عالية، ويحكى لي بعض الإخوة الذين كانوا يذهبون معه إلى العمرة بسياراتهم، فكانوا يتبادلون القيادة، فكان الشيخ أكثرهم قيادة، وكان التعب والملل يدرکہم، وأما الشيخ فكان يقود سبع ساعات متواصلة لا يعمل ولا يكل، مع ما كان عليه من الشيخوخة وكبر سنه.

وفي الحقيقة أني لما رأيته تذكرت حديث النبي صلى الله عليه وسلم: (نضر الله امرأ سمع منا مقالة فوعاها، فأداها كما سمعها).

قال ابن حبان رحمه الله بعد رواية هذا الحديث: (وإني لأرجو أن تدرك بركة دعوة النبي صلى الله عليه وسلم كل من نقل عنه حديثاً، فترى تلك النضرة في وجهه) ولقد كانت نضرة الحديث على وجه الشيخ باهرة ظاهرة.

فلما اقتربت منه -اقتربت منه على حذر؛ لأن له هيبة شديدة- ففوجئت بأنه يعانقني وكان لقاءً حاراً، ولم أتوقع أن يتلقى الشيخ تلميذاً صغيراً. يمثل هذه الحفاوة، فتكلمت معه ساعتين، وكانت هذه هي أول جلسة مع الشيخ الألباني رحمه الله، وبعد هذه الجلسة تنحيت به جانباً وأخبرته أنني لم أخرج من بلدي إلا

للقائه والاستفادة من علمه، فلو أذن لي أن أخدمه، وأكون معه سنداً له أقضي له حاجياته، فاعتذر بعدم وجود الوقت الكافي، فقلت له: إذا أعطني قليلاً من الوقت سأسألك عن الأسئلة التي جئت من أجلها، فاعتذر أيضاً؛ لضيق وقته.

فقلت له: أعطني شيئاً من وقتك ولو كان قليلاً، فاعتذر أيضاً؛ فأحسست برغبة حارة في البكاء، وأحسست أن رحلتي ضاعت، وأنا لم أخرج من بلدي إلا بأعجوبة، وكان حتماً لا أستطيع تحقيقه، فخروجي إلى الأردن كان معجزة، فقد كابدت فيه الأهوال وذقت المر حتى وصلت إلى الشيخ الألباني .

فقلت له -وقد حنقتني العبرة-: يا شيخنا! والله ما خرجت إلا لطلب العلم، فإن كنت أخلصت نيتي؛ فإن الله عز وجل سيفتح لي، وإن كانت الأخرى فحسبي عقاباً عاجلاً أن أرجع إلى بلدي بخفي حنين، وسأدعو الله عز وجل.

فافترقنا ولم أذق طعم النوم في تلك الليلة، وكاد رأسي أن ينفجر من الصداع. فلما صليت الفجر معه في اليوم التالي قابلني، فصافحته وقبلت يده، فقال لي مبادراً: لعل الله استجاب دعائك.

ففرحت فرحاً عظيماً بأن الشيخ رحمه الله قد سمح لي بالجلوس، وأنه سيأذن لي بالاستفادة منه وسؤاله.

الألباني ورحلته إلى بلاد الشام

فكان من جملة فوائد الرحلة أنني سألته عن ترجمة لحياته، ولا أعلم أحداً سبقني إلى هذه الترجمة إلا الأخ محمد بن إبراهيم الشيباني، وهو أحد إخواننا من الكويت، وقد ألف في ذلك كتاباً وهو (حياة الألباني) ويقع في مجلدين، وهذا هو الذي سبقني في سؤال الشيخ الألباني ولكن لا أعلم أحداً سبقني في تسجيل حياة الشيخ رحمه الله بتوضيح، وهذه الترجمة موجودة في خمسة أشرطة.

فحياته رحمه الله - كما سردها لي - أنه ولد عام (١٩١٤م) أي: أن الشيخ الألباني رحمه الله توفي عن خمس وثمانين سنة.

قال: وكنا في ألبانيا، وكان الحاكم أحمد سوغو بدأ يفرض على الألبانيين (القبعة) بدلاً من العمامة، وكان يضايق النساء في لباسهن، وكان والد الشيخ الألباني رحمه الله شيخ الحنفية في بلده، وكان هو المفتي الذي يرجع إليه، فلما رأى والده هذا النذير - نذير الشؤم - بفرض (القبعة) بدلاً من العمامة، وهذا هو شأن العلماء الناهيين، فالمسألة ليست مجرد عمامة أو قبعة كما يتصور بعض الناس الذين يهمشون المسائل الخطيرة، ويقولون: المهم القلب لا، فالعمامة مظهر إسلامي والدين الإسلامي أصيل، بينما القبعة من أزياء أعدائنا، والقبعة إنما توضع على الرأس، وأعلى ما في المرء رأسه، فأنت حين تضع شيئاً على رأسك فكأنما وضعت عنواناً، وأعلى ما فيك هو الرأس، فلا يرى الناس إلا (القبعة).

وهذه الغفلة قد سرت إلى بلادنا، وحتى في بعض الناس الذين يوصفون بالالتزام، فتجد ابنه يلبس (فنيلة) - مثلاً - عليها العلم الأمريكي، ويوضع العلم على صدر أبنائنا، وأنت تعلم أنه لا يوضع على الصدر إلا الوسام، فعندما أضع علم عدوي اللدود على صدر ابني، فكأنني أعطيته وساماً، أو يكون على ظهره، والولد يتحرك ليلاً ونهاراً وهو يرفع العلم الأمريكي مجاناً، ويصير لون العلم لوناً مستأنساً بالنسبة له، وليس غريباً، وهذا له تأثير خطير في مسألة الانتماء.

فالمسألة ليست مسألة قماش يوضع على الرأس وإنما هو رمز تحمله، وأنت ترى كل دولة لها علم يرفرف باسمها، تكون حريصة على أن يظل العلم مرفوعاً، وأكبر جريمة أن شخصاً يمسك هذا العلم وينظف به الحذاء؛ لأن هذا يدل على أنه ليست له قيمة عنده.

فلما رأى والد الشيخ الألباني هذا قرر أن يرحل إلى بلاد الشام لما كان قد قرأه من الأحاديث في فضائل الشام عامة وفي فضائل دمشق خاصة، فرحل إلى دمشق واستوطنها، وكان عمر الشيخ الألباني آنذاك تسع سنوات، ولم يكن يعرف عن العربية شيئاً، فبدأ تعليمه في جمعية اسمها (جمعية الابتعاث الخيري) وكان كما يقول: كأن الله عز وجل فطرني على محبة اللغة العربية، فتفوقت على أقراني من العرب السوريين من أول سنة، وقال: وأخذت الابتدائية في سنتين، وكان المدرس يعير الطلبة السوريين بي؛ لأنني رجل أعجمي، ومع ذلك أتقنت العربية خلال سنتين.

و لم يواصل الشيخ رحمه الله تعليمه فخرج من المدرسة، وكان أبوه يمارس مهنة تصليح الساعات، فلما خرج من المدرسة بدأ يعمل مع خاله، وكان نجاراً يصنع البيوت التي سقفها من الخشب على نحو ما هو موجود في باريس.

قال: فحتمت ذات يوم مبكراً.

فقال: ما جاء بك؟ فقلت: لأعمل، فقال: هذه المهنة لا تصلح لك، تعال معي، وبدأ الشيخ ناصر الدين رحمه الله يعمل مع والده في تصليح الساعات، حتى برع فيها، وكان الشيخ رحمه الله يقول: إن مهنة تصليح الساعات علمتني الدقة. وهو حقاً كان دقيقاً جداً، فعندما ذهبت إليه في بيته إلى (الفيلا) التي يسكن فيها في مازدا الجنوبية في الأردن، ودخلت الحديقة لمست أثر مهنته عليه.

شدة الشيخ الألباني على المخالفين للدليل

فالشيخ ناصر مشهور عند الناس أنه صارم، نعم كان الشيخ صارماً؛ لأن أكثر الذين خالطوه ما كانوا يتأدبون مع الدليل، ولا أقول: يتأدبون معه؛ فالشيخ لم يكن يهتم بذلك، وقد رأيت أناساً في مجلس الشيخ الألباني وأحدهم نائم على ظهره

وهو واضح إحدى رجله على الأخرى أمام الشيخ الألباني ! وآخر قدمه موجهة إلى وجه الشيخ الألباني .

وأما أن يعترض أحدهم على الشيخ بعد ظهور الدليل، ويجادل بالباطل، فكان يصير قاسياً جداً.

بعض إخواننا أراد أن يناظره في مسألة في (كتاب المحلى) فجمع بحثاً وذهب إلى الشيخ ناصر وظن أنه سيقوم عليه الحجة، وقد سمعت الأشرطة، ولما سمعتها تعجبت من طريقة الشيخ الألباني في إقامة الدليل وإقامة الحجة، ولقد سأله عن أشياء في بحثه لم يستطع أن يرد عليها، وجعل يناظره فيها، وكانت المناظرة حامية جداً، فعندما أخرج الأخ قال وهو يسأل الشيخ: يا شيخنا! قال النبي صلى الله عليه وسلم: (ليس منا من لا يرحم صغيرنا)، فكانت لفتة طيبة، فضحك الشيخ ناصر ضحكة تشعر أنها من القلب، قال له: هات ما عندك.

رقة الشيخ الألباني في آخر حياته ورؤيا رؤيت له

فالشيخ الألباني كان صارماً، ولكن في المناظرات مع المخالفين، ولكنه كان رقيقاً جداً في آخر حياته، وغلب عليه الزهد، ورق قلبه كثيراً، وكان سريع الدمعة في آخر حياته، وقد حدثني إخواني كثيراً عنه، وسمعت في أشرطة مع أخت جزائرية اتصلت به، وقالت: يا شيخ! أنا رأيت في المنام أنا وأخت لي - وكنا في شرفة - أن النبي صلى الله عليه وسلم يمشي في الطريق، وبعد ذلك بقليل رأيت شيخاً يمشي خلفه، فسألته صاحبي: من هذا؟ قلت: الشيخ الألباني، فرأيتك تمشي خلف النبي صلى الله عليه وسلم على نفس الطريق.

فالشيخ لم يتمالك نفسه من البكاء، وبكى وانتحب بصوت عال، وفض المجلس الذي كان معقوداً آنذاك لطلبة العلم في بيته أو في بيت أحد إخوته، فكان سريع الدمعة غزير العبرة في آخر حياته.

نسأل الله تبارك وتعالى أن يرحم الشيخ الكبير، وأن يجزيه عما فعل من تنقية لسنة النبي صلى الله عليه وسلم من الأحاديث الضعيفة والموضوعة والمنكرة، ومن تعظيم الدليل، ومن تعظيم النبي صلى الله عليه وسلم، أن يجزيه عنا خير الجزاء، وأن يخلف على المسلمين في مصابهم الجلل، لاسيما وقد فقدنا ركناً رشيداً أيضاً بوفاة شيخ جليل قبل أربعة أشهر وهو سماحة شيخنا العلامة عبد العزيز بن باز رحمه الله، فمات أكبر علمين من علماء المسلمين في هذا العصر، فنسأل الله تبارك وتعالى أن يرحم من مضى، وأن يبارك فيمن بقي.

أقول قولي هذا، وأستغفر الله العظيم لي ولكم، وصلى الله وسلم وبارك على نبينا محمد، والحمد لله رب العالمين.

الشيخ الألباني والتمذهب

وكان من الأسئلة المهمة التي سألتها الشيخ في هذا اليوم سألته عن التمذهب؛ لأنه شاع بين الناس أن الشيخ ناصر الدين الألباني يجارب المذاهب الأربعة، ويجارب التقليد، وكانت -في الحقيقة- شائعة قوية جداً وصلتنا إلى مصر، وكنت أريد أن أعرف رأي الشيخ فيها، فلما تكلم الشيخ في هذه المسألة تكلم بكلام هو الذي عليه الأئمة الأربعة، فالشيخ ناصر لا يقول للمسلمين: لا تتمذهبوا وإنما يقول: لا تتخذوا المذهب ديناً، بمعنى: أن تجمد على المذهب، وإذا علمت الحق في غيره تقول: لا، أنا لا أخالف المذهب، فهذا هو الذي كان الشيخ ناصر ينكره، وقد أنكره العلماء المتقدمون، وتبرعوا من مخالفة النبي صلى الله عليه وسلم أحياناً وأمواتاً، وقالوا قولتهم المشهورة: (إذا صح الحديث فهو مذهبي).

فالشيخ ناصر كان يقول: إذا كنت أنا شافعي المذهب، وظهر الحق في المسألة عند المالكية أو الحنابلة أو الحنفية، فليس معنى ذلك على الإطلاق أن أحمد على

مذهبي وأقول: أنا شافعي ولا أخالف المذهب، وأترك الحق الذي قامت عليه الدلائل وأخالفه.

فالشيخ ناصر كان يجارب هذا أشد المحاربة، كما كان الأئمة المتقدمون أيضاً يجاربون هذا أشد المحاربة.

قال رجل للشافعي رحمه الله: (إذا جاءك الحديث عن رسول الله صلى الله عليه وسلم يخالف قولاً لبعض العلماء الذين من قبلك، أتأخذ بالحديث؟ قال: فصاح الشافعي وعلا صوته وغضب وقال: تراني في كنيسة؟! تراني في بيعة؟! ترى على وسطي زناراً؟! إذا قلت بقول علي خلاف الحديث فاعلم أن عقلي قد ذهب).

فالأئمة كلهم كانوا يجذرون من مخالفة النبي عليه الصلاة والسلام، فجاء الشيخ الألباني وأخذ هذا ومضى على نفس المنوال، ولكن الحياة العلمية كانت جامدة، وقد كان الناس ركنوا إلى التقليد، وأصحاب المذاهب كلهم لا يتركون المذهب، حتى لو كان علي خلاف الحديث الصحيح، بل كانوا يأخذون بفتاوى بعض المتأخرين التي لا يجوز أن تكتب في كتب الفقه أبداً، فمثلاً هناك كتاب من أهم كتب الأحناف المتأخرة ذكر فيه الإمامة في الصلاة ومن أحق الناس بها، ووصل به الحال أن يقول بعدما يؤم القوم أقرؤهم لكتاب الله، فأكرههم سنأ، فأقدمهم هجرة، فأجملهم زوجة، فأكرههم رأساً، فأصغرهم عضواً! وهذا مكتوب في كتب الفقه، فهل هذا الكلام يكتب في كتب الفقه ويكون عمدة؟! (أجملهم زوجة) ولا يتأتى هذا إلا إذا كشفنا عن وجوه النساء وقلنا: أجمل واحدة هي امرأة الشيخ الفلاني، إذاً فهو الذي يؤم الناس، ولماذا أجملهم زوجة؟ قالوا: هذا يدل على أنه عفيف.

ولا ينظر إلى النساء لأنها تكفيه، فهل يعقل هذا الكلام؟! وهل هذه الآراء تسمى فقهاً؟ وهناك كثير من الآراء التي لا تصل في الفساد إلى هذا، ولكنها آراء تعتمد على أحاديث ضعيفة موضوعة ومنكرة باتفاق علماء الحديث، ومع ذلك

جاء الفقهاء الذين لا يعلمون الصحيح من الضعيف، فأسسوا عليها أقوالاً وأحكاماً فقهية، ولقد وقف الشيخ ضد هؤلاء وقفة قوية صامدة، ولذلك فإن أعداءه كثيرون، لماذا؟ لأنه فل جمعهم بالحجة القوية البالغة.

فالشيخ ناصر لا يقول: بأنه لا يجوز لأحد أن يتمذهب بأحد المذاهب الأربعة، بل يقول: تمذهب، ولا بأس أن تتخذ المذهب وسيلة لدراسة الفقه، ولكن إذا علمت أن الحق في مذهب آخر فإنه يجب عليك أن تتبع الحق مهما كان.

ولقد سألته: أي المذاهب تختار -أي: لو أن هناك طالب علم أراد أن يدرس الفقه ويتخذ المذهب سُلماً لدراسة الفقه، مع الشرط الذي ذكرناه، وهو أنه إذا علم الحق في مذهب آخر فيجب عليه أن يتبع الحق حيث كان.

قلت له: فأأي المذاهب تفضل لطالب العلم؟ قال: المذهب الشافعي، هو أثرى المذاهب جميعاً، ثم المذهب الحنبلي، ثم المذهب المالكي، ثم المذهب الحنفي، وهذا مع رعاية الدليل والنظر إليه.

تواضع الشيخ الألباني وبساطته

فلما كان في اليوم الثاني لم يأت الشيخ الألباني رحمه الله لصلاة الفجر، وكان يأتي من على بعد (خمسة عشر كيلو) ليصلي في هذا المسجد الذي كان يؤخر الصلاة نصف ساعة، وكان الشيخ الألباني يرى أن الصلاة تصلى قبل الوقت بحوالي نصف ساعة في بقية المساجد، فكان لأجل هذا يأتي من سكنه إلى هذا المسجد ليصلي فيه.

فالشيخ لم يأت لصلاة الفجر في هذا اليوم، فخشيت على ضياع هذا اليوم بلا استفادة، فقررت أن أذهب إليه، فاستشرت إخواني فأجمعوا ألا أذهب، وقالوا: الشيخ لا يفتح الباب لأحد ليس له موعد سابق.

وأنت بعد المكانة التي وصلت إليها لا يليق بك أن يقول لك: ارجع، فلا عليك أن يضيع عليك اليوم، ولكن لا تخرج نفسك، وكذلك رفيقي في هذه الرحلة، استشرته قلت: ما رأيك؟ قال: أنا رأيي أن تذهب، فقوى من عزمي أمران: الأمر الأول: أن صاحبي -الذي كان معي- أشار عليّ بالذهاب.

الأمر الثاني: أنني تذكرت وقتها قصة وقعت لـ ابن حبان مع شيخه ابن خزيمة، وذكرها ياقوت الحموي في مادة (بست) -المدينة التي كان منها ابن حبان البستي- فلما ذكر مدينة بست، وذكر من فيها من العلماء ذكر ابن حبان وذكر له هذه الواقعة مع شيخه كليب، أما ابن حبان رحمه الله كان بعثه لسفر لهما، وكان ابن حبان يكثر من سؤال ابن خزيمة ويخزيه، فسأله سؤالاً: فقال له ابن خزيمة: يا بارد ! تنح عني -أي: اتركني- قال: فكتبها ابن حبان (يا بارد تنح عني)، فقالوا له: أي فائدة في هذه العبارة؟ قال: لا أدع لفضة تخرج من فم الشيخ إلا كتبتها.

فأنا قلت: ومالي لا أفعل مثلما فعل ابن حبان، وحتى لو قال لي: ارجع كما قال ابن خزيمة لـ ابن حبان لعددت هذه من فوائد هذا اليوم، وانطلقنا، وكانت المفاجأة أنه الذي فتح الباب واستقبلنا هاشماً باشاً، وجلسنا في حديقة منزله. وأنا أوصي إخواننا المتصدرين للدعوة أن يتيسطوا في معاملة الغرباء، فأنت لا تعلم ظروف هذا الغريب، ولا تدري كيف وصل إليك.

فأجلسنا الشيخ وأصر على أن نفطر معه، فكان يأتي بالطعام، فكنت أريد أن أقوم بمساعدته، فكان يأبى عليّ ويقول: اجلس.

فأقول: يا شيخ! هذا من سوء الأدب أنني أجلس وأنت الذي تخدمني.

فقال لي عبارة حفرت في ذهني قال: (الامتثال هو الأدب، بل هو خير من الأدب) الامتثال: أي أن تمتثل أمره، أفضل من سلوكك الذي تظنه أدباً؛ لأن الطاعة والامتثال هنا هي الأدب بعينه.

ومرة شخص من الذين يقولون: أشهد أن سيدنا محمداً رسول الله في التشهد والأذان جرى بيبي وبينه مناقشة، فقلت: إن النبي عليه الصلاة والسلام كان يعلم الصحابة التشهد كما يعلمهم السورة من القرآن، وكل صيغ التشهد ليس فيها (سيدنا) أبداً، وهو سيدنا بلا شك، ولكن علينا أن نقف عند حدود ما علمنا، فقال: لا، الرسول كان لا يقول: سيدنا؛ لأنه كان متواضعاً.

فقلت له: حسناً الصحابة بعدما مات النبي صلى الله عليه وسلم هل ظلوا على سوء أدبهم معه صلى الله عليه وسلم؟ ولماذا لم يقولوا: أشهد أن سيدنا محمداً رسول الله؟! فأحد الذين معه قال: يا أخي! يقول الرسول: (لا تسيدوني في الصلاة)، وهذا حديث لا أصل له، وتصحيح الكلمة: (لا تسودوني) من السؤدد، فانظر إلى سيء الأدب، الذي ليس عنده رائحة الأدب بماذا يرد، يقول: هو قال: لا تسيدوني وأنا سأسيده.

إذاً هذا سيء الأدب؛ لأنه إذا سلمنا أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: (لا تسيدوني في الصلاة) فلا يجوز لأحد أن يخالف أمره؛ لأنه إذا خالف أمره لم يدع له اعتباراً، فمسألة الوقوف عند الأمر والنهي هي التي تبين أن الإنسان يجعل للأمر الناهي اعتباراً عنده.

فكان يقول: (الامتثال هو الأدب، بل هو خير من الأدب) وكان هذا اليوم هو أفضل أيام الرحلة على الإطلاق، ففيه تلمظ الشيخ رحمه الله، ولقد كنا متعودين من الشيخ الألباني الصرامة العلمية في الكلام، ولا تحس أن فيه لطفاً ووداً، والأشرطة التي سجلتها في ترجمة الشيخ ناصر فيها أن الشيخ ضحك وتبسم، حتى إن الشيخ محمد إسماعيل المقدم حفظه الله لما سمع الأشرطة في أول مرة قال لي: كنت أتمنى أن تحذف ضحكات الشيخ الألباني .

فقلت له: لماذا؟ قال: لأننا ما تعودنا هذا من الشيخ، ونحن متعودون أن نسمع كلاماً علمياً، وما تعودنا على مسألة الرقة ومسألة الضحك.

علاقة الشيخ الألباني مع طلابه الغرباء

وقد كنت أصحبه في زيارته فكان يقدمني لعلمه بأني غريب، وكان يواسيني، ومرة دعاه جماعة من الأثرياء في منطقة جبل عمان، وهذه المنطقة يسكن فيها الناس الأثرياء، فقلت له: يا شيخنا! هل يمكن أن أصحبك؟ قال: نعم، انتظري تحت الجسر الفلاني في الساعة الفلانية، وكان دقيقاً في مواعيده، فجاء وكان معه زوجته أم الفضل في الكرسي الخلفي، فجلست بجانبه وشعرت بالحرَج أنني أركب معه وامراته في السيارة، فلاحظ ذلك فجعل يسري ذلك عني ويسألني عن حياتي الشخصية، مثلاً: (هل تزوجت؟ هل عندك سيارة؟ موديل كم؟ كيف تعلمت القيادة؟ وفي كم أيام تعلمتها؟ كيف تأكل؟ وكيف تشرب؟ ومن أين تكسب قوتك؟) لا تتصور كيف كان وقع هذا الكلام وما له من الأثر عليّ! وأنت إذا شاء الله سبحانه وتعالى وجعل لك في القلوب مكاناً، وجعل لك في الأفئدة ودّاً فأعظم ما ترقق به هذا الود أن تهتم بالحياة الشخصية لمريدك، فلا تجعل العلاقة بينك وبينه علاقة محاضرة أو تدريس كتاب لا، ليس هذا هو الذي يربطك به، والنبي صلى الله عليه وسلم كان كثيراً ما يهتم بمثل هذا، ولعلكم تعلمون الحوار الذي دار بينه وبين جابر بن عبد الله الأنصاري لما رجع هو و جابر من غزوة من الغزوات بعدما أعيا جمل جابر، فجعل يقول له: (ما أعجلك يا جابر ! قلت: يا رسول الله! أنا حديث عهد بعرس.

قال: بكرةً تزوجت أم ثيباً؟ قال: قلت: بل ثيباً، قال: فهلا بكرةً تلاعبها وتلاعبك وتضحكها وتضحكك! فقلت: يا رسول الله! إن أبي ترك لي تسع نسوة حمق، فكرهت أن آتيهن بحمقاء مثلهن، فقلت: هذه أجمع لأمرى وأرشد.

قال: أصبت.

قال: ما ترك عبد الله من الدين؟ قلت: يا رسول الله! ترك ألف ألف وسبعمائة ألف، -على والده عبد الله بن حرام (مليون وسبعمائة ألف درهم)- فسأله: كيف سيرد هذا الدين؟ قال: إن عندنا حائطاً -بستاناً- فيه نخل.

فقال صلى الله عليه وسلم: إذا جاء جذاذ نخلكم فأتني -إذا طلع الثمر فادعني- ثم قال له: بعني حملك يا جابر .

فقال: هو لك يا رسول الله.

قال: لا، بعنيه.

قال: هو لك.

قال: بعنيه.

فباعه بثنتي عشرة أوقية، واشترط ظهره إلى المدينة -أي: بشرط أن يركبه مجاناً إلى المدينة- فلما وصلوا إلى المدينة ووصل النبي صلى الله عليه وسلم إلى بيته جاء جابر بالجمل إلى النبي، فقال له: خذ الجمل والدرهم (إنما أراد النبي صلى الله عليه وسلم أن يسهم في قضاء دين عبد الله بن حرام والد جابر بن عبد الله .

فكان النبي صلى الله عليه وسلم كثيراً ما يفعل ذلك، فمثلاً: قال يوماً في مجلس فيه عمر بن الخطاب : (دخلت الجنة البارحة -أي: في المنام- فرأيت قصرًا، ورأيت على القصر جارية تتوضأ -في بعض الروايات: جارية وضئة تتوضأ- فقلت: لمن هذا القصر؟ فقيل: لـ عمر ، قلت: ومن هذه؟ قيل: جارية لـ عمر .

قال: فلما ذكرت غيرتك وليت مدبراً.

فبكى عمر وقال: يا رسول الله! أعليك أغار؟! (فمثلك في وفائه لأصحابه حتى في المنام لا يغار منك، فقد كان رسول الله وفيًا لأصحابه حتى في المنام، قال: (فلما ذكرت غيرتك وليت مدبراً).

وفي الصحيحين من حديث أبي هريرة : (بينما رجل يسوق بقرة إذ ركب عليها، فالتفتت إليه البقرة وقالت: ما لهذا خلقنا، إنما خلقنا للحرث.

فقال الناس: سبحان الله بقرة تتكلم! فقال صلى الله عليه وسلم: فيني أو من بهذا أنا و أبو بكر و عمر ، وليسا ثم -أي: لم يكونا موجودين في المجلس- قال: وبينما راع في غنمه إذ عدا الذئب على غنمه فأخذ شاة، فطلبه الراعي حتى أخذها منه، فأفغى الذئب على ذنبه وقال للراعي: أما تتقي الله؟! تأخذ مني رزقاً ساقه الله إلي؟! فقال الراعي: ما رأيت كاليوم عجباً: ذئب يتكلم! وقال الصحابة: سبحان الله ذئب يتكلم! قال: فيني أو من بهذا أنا و أبو بكر و عمر).

فهذه المحاورة التي جرت بيني وبين الشيخ كنت أحس فيها بالدهشة، فالأصل أنك إذا رأيت الرجل مندهشاً مستغرباً أن تسكن من روعه.

وقال لي: كم عندك من الولد؟ وكانت ابنتي الأولى -التي رزقت بها- رزقت بها قبل أن أسافر بيومين، فقلت له: رزقت ابنة.

قال: ما اسمها؟ قلت: سلمى .

قال: سلمها الله.

فاستبشرت بيني وبين نفسي لعل دعوة الشيخ تدركها، وظل يسألني في ذلك حتى وصلنا إلى الباب، فقال لي: أنا أعلم حرصك على السؤال، ولكن أنا وأنت ضيوف، وليس من الأدب أن تنتزع الوقت لنفسك من صاحب البيت، ولكن إذا انتهت من الأسئلة فلا بأس؛ فهو يعلم أنني جئت من بلدي وأنا حريص على طلب العلم، فيرشدني ويدلني كيف أستثمر الوقت، وفعلاً لم يسأل صاحب البيت غير سؤال واحد؛ لأن صاحب البيت كان يريد أن يحظى ببركة دخول الشيخ عنده وزيارة الشيخ لبيته، وكان هذا اليوم من أظرف الأيام التي قضيتها.

الشيخ الألباني في المكتبة الظاهرية

قال: وخرجت من البيت وليس معي درهم ولا دينار، ولا أدري إلى أين أذهب، حتى استأجرت من بعض إخواننا، وكان الشيخ الألباني رحمه الله له أيضاً دروس يعقدها في دمشق، وكان يشرح في تلك الأيام كتاب (زاد المعاد) لـ ابن القيم ، وكان من ثمرة تدريسه هذا الكتاب الذي وضعه على زاد المعاد باسم (التعليقات الجياد على زاد المعاد) خرج فيه أحاديثه، ونقحه، واعترض عليه في بعض المسائل وأدلى بحجته، وما لم يظهر دليله أظهر دليله، ولكن الشيخ - كما أخبرني - لم يتم هذا الكتاب ولم يطبعه حتى الآن.

ودرس أيضاً كتاب الباعث الحثيث في شرح اختصار علوم الحديث للشيخ أحمد شاكر رحمه الله.

قال: وتزوجت ولم يساعديني أبي بشيء إلا بمائتي (ليرة) سورية، قال: ولكني كنت دقيقاً في مهنتي فبسط الله علي الرزق، فكثرت الزبائن وتحسن الحال. ثم بدأ الشيخ يرتاد المكتبة الظاهرية، والمكتبة الظاهرية تساوي دار الكتب المصرية، فهي مكتبة عامرة بنفائس المخطوطات النادرة، فكان يذهب إلى هذه المكتبة ويمضي يومه كاملاً إلى وقت متأخر من الليل، حتى إن الموظفين في المكتبة إذا أرادوا كتاباً ولم يعلموا بمكانه كانوا يسألون الشيخ الألباني عنه وهم الموظفون المختصون بالمكتبة! حتى وصل به الحال إلى أن أخذ مزية لا أعلم أحداً في الدنيا أخذها غير الشيخ الألباني ، وهي أن مدير المكتبة الظاهرية أعطاه مفتاح المكتبة، مع أنها مؤسسة حكومية، وأنت تعلم أن المخطوطات ثمينة، فالمخطوطة الواحدة تباع بمليون (جنيه) وهذه المخطوطات هي تراث أمتنا الذي جاء المستعمرون وسرقوه ومضوا، والحملة الفرنسية لما أتت شغلونا بالكلام الفارغ، يقولون: اللغة الهيروغليفية! ماذا فعلت لنا هذه اللغة؟ عرفنا ماذا كان يأكل القدماء، وماذا كانوا يشربون، وكيف كانوا ينامون فما قيمة هذا الكلام؟ ولكن المستعمرين لما رحلوا

إلى فرنسا سرقوا آلاف المخطوطات معهم وذهبوا لينصبوا المكتبات في باريس، ويوجد في العالم مئات المكتبات التي تضم آلاف المخطوطات الإسلامية. فمدير المكتبة الظاهرية أعطى الشيخ ناصر الدين الألباني المفتاح، وأعطاه غرفة خاصة في المكتبة، ولم يشغل نفسه كثيراً بالبحث عن القوت.

فيا ليت طلاب العلم يتأسون به في ذلك، فالشيخ ناصر الدين الألباني لم يصل إلى هذه الرتبة بسهولة، إنما وصل إليها بعد جهد جهيد وعناء شديد وعزم لا يلين.

الشيخ الألباني وتجرده للحق وبعض ما لقي من الإيذاء وكان هذا العزم واضحاً حتى في تصميمه على آرائه الشكلية التي خالف فيها الناس، فعندما كان يقتنع بمسألة فقهية فلا يتركها أبداً إلا إذا ظهر له دليل آخر يرجعه عنها، حتى ولو أؤذي بسببها، وهذا فيه دلالة على صلابة الشيخ رحمه الله في الحق، وحسبك أنه مع نباهته ومع شدة تأثيره في الناس عاش غريباً إلى أن مات، فالشيخ الألباني قبل أربع سنوات كاد أن يطرد من الأردن بسبب فتوى له حرفت بها بعض الجماعات الإسلامية ممن يسيطرون على مجلس الأمة الأردني، وزعموا أن الشيخ الألباني يوجب على الفلسطينيين الهجرة من فلسطين وتركها لليهود.

وحتى أن بعض إخواني سمع هذه الفتوى في إذاعة إسرائيل، فالمذيع في إذاعة إسرائيل ذكر الشيخ الألباني وترجم له ترجمة لطيفة وظريفة وقال: إنه أكبر محدث في العالم الإسلامي، وقد أفتى بوجوب هجرة الفلسطينيين من فلسطين.

مع أن الشيخ الألباني ما أفتى بذلك، وإنما الفتوى خرجت على مقتضى السؤال الذي وجه إليه، وأنت تعلم أن العالم أسير السؤال، والجواب إنما يخرج على مقتضى السؤال.

السؤال الذي سمعته بأذني من السائل أنه قال للشيخ: إننا نعاني من الاضطهاد في الأرض المحتلة، ونخاف على أنفسنا، حتى لا نستطيع الواحد منا أن يقيم الصلاة

في المسجد خوفاً على أهله؟ فقال له الشيخ: إذا لم تستطع أن تقيم الصلاة فيجب عليك أن تهجر، فإن هذا النوع من الهجرة أوجه لجميع علماء المسلمين، وهذا النوع لم ينقطع: الهجرة من بلاد الكفر إلى بلاد الإسلام، ومن بلاد المعصية إلى بلاد الطاعة، ومن بلاد البدعة إلى بلاد السنة، فهذه الهجرة الواجبة ينبغي على المسلم أن يسعى إليها ولا تسقط عنه إلا بعجزه عن الهجرة.

فالجواب واضح، قال: إذا عجزتم عن عبادة الله فاخرجوا من دياركم وارجعوا إليها فاتحين.

وكاد الشيخ رحمه الله أن يطرد بسبب هذه الفتوى، لولا تدخل بعض كبار تلاميذه، مثل الشيخ: أبي مالك محمد بن إبراهيم الشقرة، وهو مدير المسجد الأقصى في الأردن، وخطيب مسجد صلاح الدين ومن أفضل تلاميذ الشيخ ومن أشدهم وفاءً له، وكان هذا الشيخ له حظوة عند الملك حسين، ودخل إلى الملك حسين أكثر من مرة، بل ما دخل الشيخ الألباني الأردن إلا بضممان الشيخ أبي مالك؛ لأنهم رفضوا أيضاً استقباله في الأردن، وظل الشيخ ثلاثة أشهر على الحدود لا يدري إلى أي بلد يدخل؛ لأن كل بلد ترفض دخوله.

ولما عقد مؤتمر السنة والسيرة النبوية عام (١٤٠٠هـ) هنا في مصر دعي إليه كل الناس إلا الشيخ الألباني، مع أن أغلب هؤلاء المؤتمرين الذين حضروا المؤتمر ليس لهم أي جهد يشكر في خدمة هذه الأمة فيما يتعلق بسنة النبي صلى الله عليه وسلم، فكيف لا يدعى مثل هذا الشيخ العظيم؟ وظل هذا التجاهل الرسمي للشيخ الألباني حتى العام الماضي، فأعطوه جائزة الملك عن خدمة الحديث، وهو الذي شرف الجائزة، والجائزة لم تشرفه يوماً من الأيام، ولقد ظل الشيخ يخدم السنة أكثر من ستين عاماً وهو إمام للسنة وإمام للعقيدة وإمام في الفقه وفي تعظيم النبي، وظل رد الفعل الرسمي هذا ضعيفاً جداً، ولكن الله عز وجل جعل له من المحبة في قلوب

المسلمين ما ظهر مقتضاه حين مات، فيوم موته كانت فجيعة، وكثير من الناس لم يصدق أن الشيخ الألباني رحمه الله عليه مات، ولقد وصلت كتبه إلى آخر مكان في الدنيا، وجعل الله تبارك وتعالى لها القبول في الأرض، ورزقه الله عز وجل حسن التصنيف، بحيث أنه لو عرض مسألة ما، فإنك تقتنع بها ولو كان الشيخ مخطئاً فيها، وإنك إذا قرأت كلامه وقع في قلبك أنه الحق، وهذا لم يبدع فيه إلا قليل من أهل العلم ممن رزق حسن العبارة في التصنيف.

فالشيخ رحمه الله ظل غريباً، ولم يتحرك بعز الدولة -أي دولة- إلى أن مات، وكان رأيه في حرب الخليج رأياً واضحاً، وقد أودى بسببه أيضاً، ولم يتراجع فيه لأنه يعتقد أنه الحق في المسألة.

والشيخ الألباني رحمه الله كان إذا اعتقد مسألة أنها حق لا يفارقها أبداً ولو أدى ذلك إلى حرمانه من سكنى آمنة، أو إلى طرد من البلد، وكان ذلك أيضاً سبباً في محنته لما سجن في سوريا فإنه كان مترعماً للتدريس، وجمع الله عز وجل حوله الأفتدة، وكان رجلاً ناهماً، قال لي: كان عندي سيارة قديمة وكنت أطوف سوريا كلها بهذه السيارة، ومرة اختلف إخواني السلفيون في حلب -وكان هو يسكن في دمشق- فقالوا: إن لم تتدارك إخوانك تفرقوا.

وذهب إلى هناك وسهر الليل كله، وظل هناك أكثر من أسبوع حتى فصل التراع بين إخوانه ورجع.

فكان قد أوقف حياته كلها لهذه الدعوة المباركة، ولما سجنوه استثمر وقته في السجن وأخرج لنا كتاباً وهو (مختصر صحيح الإمام مسلم رحمه الله) درس الكتاب دراسة دقيقة، وجرّد الكتاب من أسانيده، وجمع وضم الروايات بعضها إلى بعض، وأخرج مختصر صحيح مسلم بقلمه، ولا أظن أن هذا الكتاب قد طبع حتى الآن.

والذي طبع هو مختصر صحيح مسلم بتحقيق الشيخ الألباني ، أما (مختصر صحيح مسلم) للشيخ الألباني نفسه فلم يطبع.

الشيخ الألباني وبداية الطريق إلى علم الحديث

أول مرة يبدأ الشيخ ناصر فيها يقرأ في علم الحديث، كان سببها أنه قرأ مقالةً في مجلة المنار التي كان يصدرها آنذاك الشيخ محمد رشيد رضا رحمه الله، وكان الشيخ محمد رشيد رضا استوطن أهله الشام، ثم رحل إلى مصر، وأي شخص يريد أن يبرز في أي فن حتى المغنين ويريد أن يكون له صيت، وله شهرة، وأن يكون له احترام في مهنته يأتي إلى مصر.

فترح الشيخ محمد رشيد رضا ، والشيخ محب الدين الخطيب من الشام إلى مصر.

وكان الشيخ محمد رشيد رضا يكتب في مجلة المنار، وكان قد كتب مقالاً عن كتاب (إحياء علوم الدين) وعن تخريج الحافظ زين الدين العراقي له، وهذه كانت أول مرة الشيخ الألباني يقرأ عن علم الحديث.

قال الشيخ: فجعلت أبحث عن هذا الكتاب كالعاشق الوهان، حتى ظفرت به عند رجل كان يؤجر الكتب، لأنه لم يكن أحد يهتم بعلم الحديث؛ لأن علم الحديث من أصعب العلوم في ذلك الوقت، ويضاف إلى صعوبته أن دارسه لا يحصل على وظيفة بعد ذلك، والإنسان لو درس الفقه فرمما يكون مفتياً، أو واعظاً، أو خطيباً، ولكن إن كان محدثاً - كما قال ابن معين وقال أحمد بن حنبل وقال الدارقطني - فأين يبيع بضاعته؟! فلم يكن أحد يقبل على دراسة علم الحديث.

والناظر إلى المدارس التي بنيت في بلاد المسلمين قديماً يعلم غربة علم الحديث، فإذا نظرت إلى مدرسة نظام المفتي في بغداد، وكل المدارس التي جرت على هذا المنوال حتى الأزهر، فإنهم كانوا يهتمون بشيئين: الشيء الأول: الفقه وأصوله.

والشيء الثاني: علم الكلام.

بينما الحديث لا يدرس، فكان الذي يقبل على دراسة علم الحديث يدفع من جيبه، ولا يقبل عليه إلا إذا كان له هدف وكان محتسباً.
فالشيخ الألباني بحث عن هذا الكتاب عند رجل فأجره منه لمدة سنة؛ لأنه لم يكن يستطيع شراؤه، فبدأ الشيخ الألباني يفتح عينيه على علم الحديث.

بين الشيخ الألباني ووالده

فبدأ يحصل بينه وبين والده مجادلات، فوالده كان حنيفياً جليلاً، (جلد) أي: لا يخالف مذهب الأحناف في قليل أو كثير، ومن المعروف أن مذهب الأحناف يخالف كثيراً من الأحاديث الصحيحة، حتى إن العلماء أخرجوا كتباً في الرد على أبي حنيفة منهم الأوزاعي، ومنهم أبو بكر بن أبي شيبة له في كتاب المصنف كتاب كبير اسمه (الرد على أبي حنيفة فيما خالف فيه حديث النبي صلى الله عليه وسلم) فكانت تحصل مجادلات بين الشيخ وبين أبيه.

يقول الشيخ الألباني: فكان والدي كلما عجز عن الإتيان بحجة في مقابلي كان يرفع صوته ويقول: علم الحديث صنعة، ويأبى عليه أن يعارضه في شيء من الحديث، حتى كثرت مخالفته مع أبيه.

ثم في يوم من الأيام، كان والد الشيخ الألباني على سفر، فجعل الشيخ البرهاني -وهو أحد مشايخ الشيخ الألباني - خلفاً له في صلاة الجماعة، وكان الشيخ الألباني في ذلك الوقت تبنى كراهة الجماعة الثانية في المسجد الذي له إمام راتب، وعلم مع دراسة الأدلة أن هذه المسألة مكروهة، وكان من شؤم تفرق المسلمين إلى شيع وأحزاب أن المسجد الواحد كان فيه أربعة محاريب: محراب للمالكية، ومحراب للحنفية، ومحراب للشافعية، ومحراب للحنابلة، وكان إمام الشافعية يصلي أولاً، لأن الشافعية يصلون الفجر بغلس -أي: في أول الوقت- والحنفية يصلون الفجر بإسفار

-أي: في آخر وقت صلاة الصبح بعدما يسفر الفجر- فلما علم الشيخ الألباني أن الجماعة الثانية في المسجد لا تجوز وأراد خليفة والده أن يستخلفه إماماً؛ لأنه يريد السفر أبي ذلك، وقال: أنا لا أحالف ما أعتقده، فأنتم تؤخرون الصلاة، وإمام الشافعية يصلي قبلكم وكل هذا في مسجد واحد!! وقد قال الشيخ أحمد سالم رحمه الله: ولقد رأيت هذه المحاريب الأربعة في الجامع الأزهر، وكانت هذه المسألة جارية ومسألة عادية لا تعارض فيها ولا إشكال، وكل هذا بسبب غياب الدليل وعدم الرجوع إلى النص، وعدم الوقوف عند حدود ما قاله رسول الله صلى الله عليه وسلم.

فبدأت هذه المخالفات تظهر في رفض الشيخ الألباني أن يصلي بدل الشيخ البرهاني، بل كان يصلي مع الشافعية؛ لأنها أول جماعة تقام، فلما رجع والده من السفر حكى له الشيخ البرهاني الذي كان من ابنه، فأضمرها الوالد في نفسه، ولكنه بدأ يحصل نوع من الشقاق والتراع بين الشيخ وبين أبيه.

ولقد قرأ الشيخ الألباني -وهو يواصل القراءة في عقيدة السلف- أن الصلاة في المسجد الذي فيه قبر لا تجوز، وشاع في دمشق أن المسجد الأموي دفن فيه سبعون نبياً، قال الشيخ ناصر: فجعلت أفتش عن أصل هذا الكلام، فإذا سنده ضعيف جداً ولا أصل له، وأن هذه الحكاية لا تصح عن أحد من أئمة المسلمين ولا من المؤرخين.

قال: فجمعت بعض ورقات في هذا الباب كانت نواة لكتابي (تحذير الساجد من اتخاذ القبور مساجد) قال: ورفعت هذه الأوراق إلى الشيخ البرهاني وكان شيخني، وقلت له: في هذا البحث حرمة الصلاة في المسجد الذي فيه قبر، فقال: هات الأوراق، وقال: سأرد عليك بعد العيد.

فلما كنا بعد العيد قال: لم تصنع شيئاً، ونحن إنما نأخذ الدين من كتب الفقه لا من كتب الحديث.

قال الشيخ: وفي يوم من الأيام وبعد أن تعشينا قال لي والدي بلسان عربي مبين: إنك أكثرت مخالفتي ومخالفة الموروث من المذهب، فيما أن توافق وإما أن تهاجر.

فقلت له: أمهلني ثلاثة أيام حتى أنظر في أمري.

قال: ولما مضت الأيام قلت لوالدي: أنا لا أستطيع أن أترك ما أعتقد أنه الحق، ولا أستطيع أيضاً أن أزعجك، فسأهاجر.

وهذا هو الذي نقوله لإخواننا الذين يتعرضون للضغط والإرهاق في بيوتهم من قبل آبائهم المناوئين لهم في التزامهم وإن كثيراً من الآباء يحلف بالطلاق إن لم يخلق ابنه لحيته ونحن نقول لهذا الولد: أطع ربك وأطع أباك، أطع ربك لأنه هو الذي أمرك على لسان النبي صلى الله عليه وسلم أن تعفي لحيتك، وأطع أباك إذا أمرك بالخروج من البيت، فلا تخلق لحيتك واخرج من البيت، وبذلك تكون قد أطعت رسول الله صلى الله عليه وسلم، وتكون قد أطعت أباك أيضاً الذي أمرك بالخروج.

[محاضرة " بدر التمام في ترجمة الشيخ الإمام "]

الشيخ محمد المختار الشنقيطي يذكر موقفاً طريفاً حصل مع الإمام الألباني يدل
على تواضعه

قال الشيخ محمد المختار الشنقيطي : أذكر موقفاً طريفاً :

ذات مرة الشيخ ناصر الألباني حفظه الله، حصلت حادثة في المدينة -حريق- بسوق بجوار المسجد وقام رجل من العوام بجوار باب السلام -لا زلت أذكر ذلك بعد صلاة الظهر- فقام يتكلم ويعظ الناس، عامي ولكنه رجل محافظ على الصف الأول وأراه صاحب سنة؛ لما ترى -سبحان الله- فيه من الوقار، وتلك اللحية البيضاء الجميلة الوقورة، والمحافظة على الصف الأول، والمحافظة على حلق العلم، شخص صالح وفيه خير، فقام هذا الرجل وأظنه كان رجلاً باكستانياً عامياً من العوام؛ فتكلم كلاماً عامياً وكنا جالسين، لكن مع أنه عامي وعادي ينفذ إلى القلوب والله أعلم بقلب الرجل، وقد تُوفي رحمة الله عليه، والله -أيها الأحبة- يكاد يكون المجلس كله بكى، تكلم كلاماً لامس شغاف القلوب، فما شعرنا فجأة إلا به يضع يديه على رأسه وقال: الشيخ ناصر - الشيخ ناصر كان موجود في الحلقة - فاستعظم أن الشيخ موجود، فقال له الشيخ وكان بعيداً عني قليلاً تكاد

تكون فيه عبرة، يقول له : استمر، بالله استمر، ما قال: أنا الشيخ ناصر ، ولا افتخر، ولا قام من الحلقة، هكذا صنيع أهل الفضل؛ لأن الله عز وجل إذا رفعك بالهداية فتدلل لهذه الهداية لله جل وعلا، لا تستكف عن مجلس خير، لا يكن جلوسك في مجالس الخير للمشهورين، ولكن اجلس لكلام الله رب العالمين، حتى ولو حلقة قرآن، وثق أنك إذا حضرت مجالس الذكر، أنك لا تجد -ياذن الله- تغييراً إلا إلى كمال، حتى ولو كان عند الإنسان نقص وعيوب لعل الله أن يسترها ويغفرها بمثل هذه المجالس، فإن النبي صلى الله عليه وسلم يقول عن الله تعالى : (هم القوم لا يشقى بهم جليسهم) .

[أحد دروس الشيخ محمد المختار الشنقيطي المفرغة من موقع الشبكة

الإسلامية]

تعليق الإمام ابن باز على محاضرة حديثية للإمام الألباني واعتراف الألباني له بغزارة العلم

قال د . محمد لقمان السلفي : ألقى في تلك الأيام شيخني المحدث العلامة محمد ناصر الدين الألباني محاضرة علمية على طريقة المحدثين، واستمع الحضور إليها استماع التلاميذ إلى درس شيخهم وهابوا لمكانته واعترفوا له بعلو الكعب في مجال الحديث رواية ودراية؛ وكنتُ أظنُّ ألاَّ أحد يجرؤ على الحديث بعده، وإذا بشيخي ابن باز رحمه الله قام من مكانه وعلّق على محاضرة العلامة المحدث الألباني تعليقا علميا دقيقا، وأبدى ملاحظات حديثية، كلّها كان يتعلّق بعلوم الحديث سنداً وممتناً؛ ثم قام المحدث ناصر الدين الألباني وشكر الشيخ رحمه الله واعترف له بغزارة العلم، فكانت هذه الواقعة بمثابة دليل قاطع على علو كعب شيخي ابن باز وبروزه من بين معاصريه في علوم الكتاب والسنة، وهكذا ارتسخ في ذهني علو مكانته، وأنه الشيخ الذي يجب أن يُحتذى .

[" مجلة الدعوة " (١٧٠٦) ، نقلاً عن كتاب " الإنجاز في ترجمة الإمام ابن باز

" (ص ٣١٧ / ط . دار الهجرة) لعبد الرحمن بن يوسف الرحمة]

من رحلة الشيخ الألباني في بريطانيا

قال الألباني رحمه الله : كما يقال: إن أنسى فلن أنسى، القصة التالية التي وقعت لي ثم أتيت لي أن أسافر سفرة إلى بلاد أوروبا في سبيل الاتصال بالجاليات الإسلامية هناك وخاصة في بريطانيا، فانتهدت رحلتي إلى بلد تبعد عن لندن نحو مائة وعشرين كيلو متر، نسيت اسمها، قيل لي بأن هناك داعية مسلماً طيباً صالحاً فذهبت إليه والوقت رمضان، فلما جلسنا على مائدة الإفطار جلسنا جلسة شرعية على الأرض، هو رجل باكستاني أو هندي لست أذكر، منظره ملتحي لكن لابس الجاكيت والبنطلون وزيادة على ذلك الجرافيت، أنا الحقيقة سررت بسمته وبهدية ومنطقه وإلى حد كبير بفهمه الإسلام، لكن ما أعجبتني مظهره اللا إسلامي، ونحن على مائدة الإفطار تكلمت على ما يشبه الموضوع السابق فيما يتعلق خاصة بنهي الشارع عن تشبه المسلم بالكافر وفصلت بشيء من التفصيل أن التشبه أنواع؛ أسوأها ما يفعل مجرد التشبه بالكفار وليس فيه فائدة للمتشبه، وضربت على ذلك الجرافيت، العقدة هذه، ومن طيب الرجل أنه استجاب فوراً، ففك العقدة ورمها أرضاً، فسررت جداً لهذه الاستجابة السريعة، لكن سرعان ما أزعجني باعتذاره عن وضعه لعقدته، قال: نحن نعيش هنا في بريطانيا والبريطانيون ينظرون لإخواننا الفلسطينيين نظرة خاصة، ومن عادة الفلسطينيين أنهم لا يضعون هذه الجرافيت

ويفكون زر القميص ويبقى الصدر مبين من أعلى، فهم ينقمون على الفلسطينيين، ولذلك فهو لكي لا يتشبه بالفلسطينيين الذين يمقتون من قبل البريطانيين وضع هذه العقدة، فقلت له سامحك الله ليتك سكت عن هذا التعليل؛ لأن هذا التعليل أفتح من الفعل، يعني أنت تهتم بنظرة الأوروبيين الكفار البريطانيين لإخواننا الفلسطينيين المسلمين نظرة تحقير لما بينهم من عداة للحق ... مع إخواننا الفلسطينيين، فأنت تهتم برأي هؤلاء الكفار ولذلك لا تريد أن ينظروا إليك نظرهم إلى إخوانك المسلمين، هذا أكبر دليل على أن البيئة تؤثر في الساكنين فيها والعائشين معها؛ لذلك نهي الرسول - صلى الله عليه وآله وسلم - عن معاشرة الكفار؛ لأن ظاهرهم يؤثر في باطن المسلمين، ويؤثر في أخلاقهم وفي مفاهيمهم .

[شريط سلسلة الهدى والنور (٦٢٥)]

لقاء الألباني بقسيس لبناني على متن قطار، ومحاورته له حول مسألة التشبه
بلاآخرين وموقف الإسلام منها

يقول الإمام الألباني رحمه الله وأسكنه الفردوس الأعلى :

جمعتني مرة قطار مع رجل من النصارى من قسيسي «لبنان» وهو ركب ودخل في غرفة وأنا ما انتبهت له وكان معي بعض الشباب فأسراً لي قال الآن صعد إلى القطار قسيس فدخل غرفة من غرف القطار طبعاً فهتت أنا لسان حاله يقول عليك به فأنا قمت ودخلت الغرفة «اللي» كان هو جالس فيها تعرف القطار فيه صفيين من الكراسي طوال هو جالس هناك في الزاوية وأنا دخلت «وين» أجلس قلت في نفسي ما ينبغي أن أجلس تجاهه لان هذا سيثيره فأنا جلست بعيداً عنه جلست أفكر كيف أدخل معه في الموضوع .

ثم الله عز وجل تفضل وجاء بالمناسبة دخل شخص من المنطقة التي وقف القطار هناك ليركب الركاب وكنت أنا أعلم مسبق أن في الأمس القريب بني بزوجه فهو يسلم على إخواننا قلت وأنا أتقصد «بقي» الآن تحريك القسيس قلت: أخوكم هذا بني بأهله في الأمس فباركوا له بتبريك الرسول عليه السلام ولا تباركوا له بتبريك الجاهلية الأولى وجاهلية القرن العشرين فأنا أقول وقولوا معي بارك الله لك وبارك عليك وجمع بينكما في خير أما تبريك الجاهلية الأولى والأخيرة «بالرفاء والبنين» وكم مرة كان البنون وباءً على الآباء وانطلقت أتكلم بما يسر الله عز وجل .

وأذكر جيداً بدأت اذكر بعض مناقب وفضائل الإسلام في الأمة الجاهلية الأمية التي لا تكتب ولا تحسب، بينما هناك فارس و الروم فرسول الله صلى الله عليه وسلم علمهم خير الدنيا والآخرة نهاهم أن يشربوا من الإناء أو الكأس المثلوم فيه ثلثة فانتهوا لم ؟ ما يدرون والشعوب كلها ما كانت تدري إلا في هذا القرن العشرين ماهو السبب تبين لهم أن هذا الكسر تتراكم عليه جراثيم ميكروبات دقيقة ودقيقة جداً لا ترى إلا بالمكبر المحهر فالإسلام باسم الدين نهاهم عما يضرهم باسم الطب قال لا تفعلوا كذا أفضت في مثل هذا حتى شعرت بأن القسيس امتأاً و«بدّه يتكلم " وذلك ما أبغي .

فأخذت «شوية» (قال أبو معاوية البيروتي : كلمة عامية شامية يُقصد بها : بعض أو قليل) نفس فانطلق هو انظروا الآن الفرق بين المسلم الذي هداه الله وبين الكافر الذي أضله الله كيف أنا تسلسلت حتى وصلت لهدفي «شوف» (قال أبو معاوية البيروتي : كلمة عامية يُقصد بها : انظر) هو كيف فجأني قال: إذا كان الإسلام هكذا فلماذا المسلمين يكفرون «أتاتورك»؟ «شوف»، ما في ربط أبداً و لا فيها التسلسل العلمي المنطقي ، دخلنا معه في الموضوع من الشاهد قلت — بسمونها منا يا أبونا بقولوا له ومن حكمة الله أن كان موجود يومئذ عسكري في الجيش الانجليزي «ها» «اللي» (قال أبو معاوية البيروتي : كلمة عامية يُقصد بها : الذي) جاء إلى سوريا بعد خروج «فرنسا» في الجيش الفيش الفرنسي إلى آخره المهم كان في واحد نصراني لبناني أيضاً عسكري — وتحدث معه بينت له أن المسلمين ما كفروا «أتاتورك» لأن هو مسلم لا لأن هو تبرأ من الإسلام حينما فرض على المسلمين نظاماً غير نظام الإسلام و من جملتها مثلاً انه سؤى في الإرث بين الذكر والأنثى والله يقول عندنا: [للذكر مثل حظ الأنثيين] [النساء: ١١] ثم فرض على الشعب التركي المسلم القبعة قال هو : ايش فيها؟ القبعة هذا لباس —

سماه هو — بأنه لباس أممي ما عاد يعني خاص بمن يخالف الإسلام إلى آخره و«بعدين» هذه العادات والأزياء ما لازم يكون فيها التشدد هذا .

قلت له : الجواب من ناحيتين: الناحية الأولى — هو مثقف الحبيث يعني وتعرف أن القسيسين دراستهم تكون دراسة واعية خاصة إذا كانوا نسبوا للتصير الذي يسمونه بالتبشير — قلت له أنت تعلم أن مقومات الشعوب هي المحافظة على لغتها و تاريخها وتقاليدها فالإسلام من كماله ذكرت له «بقي» الأحاديث التي دائماً نحن نذكرها معكم في سبيل المحافظة على الشخصية المسلمة «من تشبه يقوم فهو منهم»... إلى آخره ولذلك فالإسلام يريد للأمة المسلمة أن تحافظ على شخصيتها حتى في مظهرها لأن الظاهر عنوان الباطن وهذا ثابت في الفلسفة الحديثة اليوم هذا الذي ثبت عندنا في الشرع اليوم وصلوا إليه أن الظاهر يؤثر في باطن الإنسان، كنت قرأت قديماً كتاب لأهل الأوربيين طبعاً أنا لا أحسن اللغة الأجنبية إلا لغتي الألبانية طبعاً، مترجم هذا الكتاب اسمه فلسفة الملابس الحقيقية أنا استفدت من هذا الكتاب التالية: يقول شئ مشاهد بالعين ما يحتاج إلى إيمان بالغيب رجل فقير يكون عليه الثياب البالية تلاقيه ماشى بمسكنة وبتواضع و إلى آخره، ألبسه ثياب جديدة جميلة بتلاقيه انتصب «هيك» (قال أبو معاوية البيروتي : كلمة عامية شامية يُقصد بها : هكذا) ومشى وكأنه لسان حاله مثل ما يقولوا عندنا في الشام «يا أرض اشتدي ما حد عليك قدي» هذا تعبير بهذا اللباس الظاهر تأثر في الباطن بالأول كان يمشى ذليلاً حقيراً وإذا به ينتصب هكذا قوياً تكلمت معه في هذا الموضوع لذلك الإسلام يأمر المسلمين بالمحافظة على زيهم ولباسهم ، فرضنا.

قلت له — وهنا الشاهد الآن وقد طال المجلس فنختصر على هذا إن شاء الله:
قلت له: نفترض أن فيه هناك مصلحة للشعب التركي المسلم في أن يفرض هذا
الحاكم المسلم — زعم — الذي أبي أن يستمر على اسمه الإسلامي «مصطفى جمال
باشا» فحذف هذا الاسم وسمى حاله «أتاتورك»: لو كان حقيقة هناك في مصلحة
للشعب التركي أن يلبسه هذا الزي الكافر كان باستطاعته أن يضع شعره قلت له
في «برنيطات» (قال أبو معاوية البيروني : كلمة عامية شامية يُقصد بها : قبعات)
يتعرفوا إلى الظل والى "زيق: مثل شاطئ من قماش كان باستطاعته.

السائل: أن يبقى الرأس عادي:

الجواب : لا هي نفس القبعة «بس» في عليها مثل ما أدري «شو» بتسموه
قمماش ابيض اخضر ازرق إلى آخره فكان بإمكانه هذا الحاكم إذا أراد فعلاً أن
يحقق مصلحة هؤلاء الأتراك المسلمين بوضع قبعة أن يميز القبعة المسلمة من القبعة
الكافرة بأن يضع الشريط الأبيض فكل من رآه يقول إن هذا مسلم قلت له المجتمع
الإسلامي كتلة واحدة ولذلك لتحقق هذه التكلفة ربطهم بنظام متفرع لكن كله
يجمع الأمة ويجعلها أمة واحدة ، من ذلك «حق المسلم على المسلم خمس: يسلم
عليه إذا لقيه» هذا السلام حينما المسلم في الشعب المسلم يُضَيِّع شخصيته المسلمة
بدأ ينفك هذا الرباط الذي ربطه الإسلام. يمثل هذا النظام وهو «إذا لقيته فسلمَّ
عليه» فأنا إذا مشيت في الطريق ورأيت مسلماً مترنط بالبرنيطة (قال أبو معاوية
البيروني : كلمة عامية شامية يُقصد بها : لابس قبعة) أنا «راح» أقول في نفسي
هذا «مو» هو أحمد هذا انطونيوس أو جورجوس أو ما شابه ذلك فسوف لا أسلمَّ
عليه لكن لما يكون عليه شعار الإسلام حينئذ يكون الرباط مستمر بيني وبينه فلا
يجوز إذا نحن أن نعامل المسلمين كما ترى أنت في معاملة النصارى أن هذا لباس
وليس له علاقة بالدين ثم ضربت له المثال الذي كَبَّله بالحديد قلت له : هل أفهم

من كلام أن أنت الآن — هو واضع القلنسوة السوداء ولايس جبة سوداء عريضة مثل بعض المشايخ بلا تشبيه يعني — قلت رأيت أنت الآن لو رفعت هذه القبعة من رأسك ووضعت العمامة البيضاء على الطربوش الأحمر وضعته بديلها هذا «معليش» عندكم؟ قال: لا لا قلت لم؟ هذا لباس ما له علاقة بالعقيدة وبالدين قال: لا نحن رجال دين «هون بقى أنا كمشته» قلت له: هذا هو الفرق بيننا وبينكم نحن أكبر مسلم و أصغر مسلم هو رجل دين أما أنتم فرجال دين ورجال لا دين فما لا يجوز لكم يجوز لغيركم وكانت القاضية وهذا الحديث كله من دمشق إلى «مضاية» (قال أبو معاوية البيروني : هي قرية من قرى محافظة دمشق على مقربة من الحدود اللبنانية) مسافة خمسين كيلو متر والحديث تمنيت أن أستطيع أجلس مع شيخ مسلم مثل هذه الجلسة أقدر أتفاهم أنا و إياه شئ مؤسف جداً، «هداك» الجندي اللبناني الانجليزي في الجيش الانجليزي لما دخلنا معه في مناقشته في عقيدة التثليث ما التثليث «شو» يقول هداك: والله يا أبونا كلام الشيخ أو الأستاذ ما ادري «شو» قال يومها والله كلامه مقبول وهو نصراني، لان فطرة الله يعني مثل الإسلام كله فطره، فالحمد لله يعني نحن يجب أن نفهم الإسلام ونطبق منه ما نستطيع .

[من شريط إبراهيم بن منصور الهاشمي ولقائه مع الشيخ الألباني، والذي تمّ في

عمان / الأردن في ١٢ / ٥ / ١٤١٣ هـ]

قصة الورقة الضائعة التي لم يعثر عليها الإمام الألباني

قال العلامة الألباني رحمه الله في مقدمة كتابه (فهرس مخطوطات المكتبة الظاهرية) :

(ولم يكن ليخطر على بالي، وضع مثل هذا الفهرس، لأنه ليس من اختصاصي، وليس عندي متسع من الوقت ليساعدني عليه، ولكن الله تبارك وتعالى إذا أراد شيئاً هيباً أسبابه، فقد ابتليت بمرض خفيف أصاب بصري، منذ أكثر من اثني عشر عاماً، فنصحتني الطبيب المختص بالراحة وترك القراءة والكتابة والعمل في المهنة (تصليح الساعات) مقدار ستة أشهر.

فعملت بنصيحته أول الأمر، فتركت ذلك كله نحو أسبوعين، ثم أخذت نفسي تراودني، وتزين لي أن أعمل شيئاً في هذه العطلة المملة، عملاً لا ينافي بزعمي نصيحته، فتذكرت رسالة مخطوطة في المكتبة، اسمها ((ذم الملاهي)) للحافظ ابن أبي الدنيا، لم تطبع فيما أعلم يومئذ، فقلت: ما المانع من أن أكلف من ينسخها لي؟ وحتى يتم نسخها، ويأتي وقت مقابلتها بالأصل، يكون قد مضى زمن لا بأس به من الراحة، فيإمكاني يومئذ مقابلتها، وهي لا تستدعي جهداً ينافي الوضع الصحي الذي أنا فيه، ثم أحققها بعد ذلك على مهل، وأخرج أحاديثها، ثم نطبعها، وكل ذلك على فترات لكي لا أشق على نفسي! فلما وصل الناسخ إلى منتصف الرسالة، أبلغني أن فيها نقصاً، فأمرته بأن يتابع نسخها حتى ينتهي منها، ثم قابلتها معه على الأصل، فتأكدت من النقص الذي أشار إليه، وأقدره بأربع صفحات في ورقة واحدة في منتصف الكراس، فأخذت أفكر فيها، وكيف يمكنني العثور عليها؟ والرسالة محفوظة في مجلد من المجلدات الموضوعة في المكتبة تحت عنوان (مجاميع)، وفي كل مجلد منها على الغالب عديد من الرسائل والكتب، مختلفة الخطوط

والمواضيع، والورق لوناً وقياساً، فقلت في نفسي، لعل الورقة الضائعة قد خاطها المجلد سهواً في مجلد آخر، من هذه المجلدات! فرأيتني مندفعاً بكل رغبة ونشاط باحثاً عنها فيها، على التسلسل. ونسيت أو تناسيت نفسي، والوضع الصحي الذي أنا فيه! فإذا ما تذكرته، لم أعدم ما أتعلل به، من مثل القول بأن هذا البحث لا ينافيه، لأنه لا يصحبه كتابة ولا قراءة مضمينة!

وما كدت أتجاوز بعض المجلدات، حتى أخذ يسترعي انتباهي عناوين بعض الرسائل والمؤلفات، لمحدثين مشهورين، وحفاظ معروفين، فأقف عندها، باحثاً لها، دارساً إياها، فأتمنى لو أنها تنسخ وتحقق، ثم تطبع، ولكني كنت أجدها في غالب الأحيان ناقصة الأطراف والأجزاء، فأجد الثاني دون الأول مثلاً، فلم أندفع لتسجيلها عندي، وتابعت البحث عن الورقة الضائعة، ولكن عبثاً حتى انتهت مجلدات (المجاميع) البالغ عددها (١٥٢) مجلداً، بيد أني وجدتني في أثناء المتابعة أخذت أسجل في مسودتي عناوين بعض الكتب التي راقنتي، وشجعتني على ذلك، أنني عثرت في أثناء البحث فيها على بعض النواقص التي كانت من قبل من الصوارف عن التسجيل.

ولما لم أعر على الورقة في المجلدات المذكورة، قلت في نفسي: لعلها خيطت خطأ في مجلد من مجلدات الحديث، والمسجلة في المكتبة تحت عنوان (حديث)! فأخذت أقلبها مجلداً مجلداً، حتى انتهيت منها دون أن أقف عليها، لكنني سجلت عندي ما شاء الله من المؤلفات والرسائل.

وهكذا لك أزل أعلل النفس وأمنيتها بالحصول على الورقة، فانتقل في البحث عنها بين مجلدات المكتبة ورسائلها من علم إلى آخر؛ حتى أتيت على جميع المخطوطات المحفوظة في المكتبة، والبالغ عددها نحو عشرة آلاف (١٠٠٠٠) مخطوط، دون أن أحظها بها!

ولكني لم أياس بعد، فهناك ما يعرف بـ (الدست)، وهو عبارة عن مكدسات من الأوراق والكراريس المتنوعة التي لا يعرف أصلها، فأخذت في البحث فيها بدقة وعناية، ولكن دون جدوى.

وحينئذ يأس من الورقة، ولكني نظرت فوجدت أن الله تبارك وتعالى قد فتح لي من ورائها باباً عظيماً من العلم، طالما كنت غافلاً عنه كغيري، وهو أن في المكتبة الظاهرية كنوزاً من الكتب والرسائل في مختلف العلوم النافعة التي خلفها لنا أجدادنا رحمهم الله تعالى، وفيها من نوادر المخطوطات التي قد لا توجد في غيرها من المكتبات العالمية، مما لم يطبع بعد.

فلما تبين لي ذلك واستحکم في قلبي، استأنفت دراسة مخطوطات المكتبة كلها من أولها إلى آخرها، للمرة الثانية، على ضوء تجربتي السابقة التي سجلت فيها ما انتقيت فقط من الكتب، فأخذت أسجل الآن كل ما يتعلق بعلم الحديث منها مما يفيدني في تخصصي؛ لا أترك شاردة ولا واردة، إلا سجلته، حتى ولو كانت ورقة واحدة، ومن كتاب أو جزء مجهول الهوية! وكأن الله تبارك وتعالى كان يعدني بذلك كله للمرحلة الثالثة والأخيرة، وهي دراسة هذه الكتب، دراسة دقيقة، واستخراج ما فيها من الحديث النبوي مع دراسة أسانيده وطرقه، وغير ذلك من الفوائد. فإني كنت أثناء المرحلة الثانية، ألتقط نتفاً من هذه الفوائد التي أعثر عليها عفواً، فما كدت أنتهي منها حتى تشبعت بضرورة دراستها كتاباً كتاباً، وجزءاً جزءاً.

ولذلك فقد شمرت عن ساعد الجد، واستأنفت الدراسة للمرة الثالثة، لا أدع صحيفة إلا تصفحتها، ولا ورقة شاردة إلا قرأتها، واستخرجت منها ما أعثر عليه من فائدة علمية، وحديث نبوي شريف، فتجمع عندي بما نحو أربعين مجلداً، في كل مجلد نحو أربعمئة ورقة، في كل ورقة حديث واحد، معزواً إلى جميع المصادر

التي وجدتها فيها، مع أسانيده وطرقه، ورتبت الأحاديث فيها على حروف المعجم، ومن هذه المجلدات أغذي كل مؤلفاتي ومشاريعي العلمية، الأمر الذي يساعدي على التحقيق العلمي، الذي لا يتيسر لأكثر أهل العلم، لا سيما في هذا الزمان الذي قنعوا فيه بالرجوع إلى بعض المختصرات في علم الحديث وغيره من المطبوعات! فهذه الثروة الحديثية الضخمة التي توفرت عندي؛ ما كنت لأحصل عليها لو لم ييسر الله لي هذه الدراسة بحثاً عن الورقة الضائعة! فالحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات. (

الشيخ علي الحلبي يُري (الورقة الضائعة) لشيخه الألباني

قال الشيخ علي الحلبي حفظه الله في شريط " الهمة في طلب العلم " : لكن سُبْحَانَ اللَّهِ إِذَا شَاءَ اللَّهُ أَمْرًا هَيَأُ أَسْبَابَهُ، كُنْتُ مَرَّةً أَقْرَأُ فِي جَرِيدَةِ سُعُودِيَّةٍ أَظُنُّهَا جَرِيدَةُ الْجَزِيرَةِ فَإِذَا بِأَحَدِ الْمُحَقِّقِينَ-لأن فيها صفحة تُرَائِيَّة- من يعرف جريدة الجزيرة يرى أن فيها صفحة تراثية أو صحيفة المدينة عفوا-صحيفة المدينة- فإذا بأحد المحققين ينتقد طبعة ذمّ الملاهي التي طبعا شيخنا لم يُحَقِّقْهَا لِأَنَّ الْوَرَقَةَ ضَائِعَةٌ وَنَسِيَ الْكِتَابَ وَشَفِيَّتْ عَيْنُهُ بَعْدَ ذَلِكَ وَلِلَّهِ الْحَمْدُ لِكَثْرَةِ مَا كَانَ يَدْعُو-اللهم عافنا في أَسْمَاعِنَا وَأَبْصَارِنَا وَاجْعَلْهُمَا الْوَارِثَ مِنَّا- هذا كان شيخنا شديد اللهج به ، فأنا مرة رأيت في صحيفة المدينة وأنا في العادة لا أقرأها لكن إذا كنت في عمرة أو حج ويتيسر لي أشتريها وأنظر ما فيها فإذا بمحقق باحث من علماء المدينة فيما أذكر ينتقد الطبعة المصرية من كتاب ذم الملاهي ويقول وقفت على نسخة تُرْكِيَّةٍ كَامِلَةٍ-وهو اعتمد نسخة الظاهرية التي فيها ورقة مفقودة- وهذه صُورَةُ الْوَرَقَةِ الْمَفْقُودَةِ وَوَضَعَهَا فَأَتَيْتُ بِالْجَرِيدَةِ لِشَيْخِنَا وَقُلْتُ لَهُ هَذِهِ صُورَةُ الْوَرَقَةِ الضائعة التي أنتجت كتاب مُعْجَمِ الْحَدِيثِ فِي أَرْبَعِينَ مُجَلِّدًا وَهَكَذَا الْعِلْمُ وَانظُرُوا صَبِرَ الْعُلَمَاءُ .

من رسائل الألباني إلى ابن باز رحمهما الله

الرسالة الأولى:

كتابٌ من الشيخ الألباني إلى الشيخ ابن باز حول ترشيح الشيخ الألباني ليُقومَ على تصحيح نسخة «فتح الباري» المُعدَّة للطَّبْع، وتتضمن اقتراحات للإمام ابن باز حول طباعة وإخراج " فتح الباري " لابن حجر :

بسم الله الرحمن الرحيم

من محمد ناصر الدين الألباني إلى فضيلة الشيخ عبد العزيز بن باز
وعليكم السلام ورحمة الله وبركاته .

فإني أحمّدُ إليكمُ اللهَ الذي لا إله إلا هو، وأسألهُ أنْ يُدبِّمَ علينا وعليكمُ نِعْمَهُ
ظَاهِرَةً وَبَاطِنَةً.

أما بعد؛

فقد تَلَقَّيْتُ منذُ أمدٍ كُتَابَكُمْ الكَرِيمَ المُوَرَّخَ فِي ٢٠ شَوَالِ سَنَةِ ١٣٧٨ هـ، وَقَدْ
عَلِمْتُ مَا فِيهِ مِنْ عَزْمِكُمْ عَلَى طَبْعِ «فَتْحِ البَارِي» طَبْعَةً جَيِّدَةً، وَأَشْكُرُ لَكُمْ حُسْنَ
ظَنِّكُمْ بِأَخِيكُمْ؛ حَيْثُ رَشَّحْتُمُونِي لِأَقُومَ عَلَى تَصْحِيحِ نُسخَتِهِ المُعدَّةِ لِلطَّبْعِ،
وَمَقَابَلَتِهَا بِالنُّسخِ المطبوعة، والمخطوطة .

وَلَكِنِّي أَرَى أَنْ تَعْفُونِي مِنَ القِيَامِ بِذَلِكَ، وَتُكَلِّفُوا بِهِ غَيْرِي؛ لَا لِشَيْءٍ إِلَّا لِأَنِّي
أَرَى أَنَّ الوَقْتَ الذي يَتَطَلَّبُهُ هَذَا العَمَلُ الهَامُّ، إِذَا صَرَفْتُهُ فِيمَا هُوَ أَمْسُّ بِاخْتِصَاصِي،
مِنْ خِدْمَةِ السُّنَّةِ، وَتَمْيِيزِ الصَّحِيحِ مِنَ الضَّعِيفِ مِنْهَا، وَاسْتِنْبَاطِ الأحكام، وَالتَّفَقُّهِ
فِيهَا أَوْلَى مِنْ ذَلِكَ .

ولهذا أقترح عليكم أن تنظروا في اقتراحنا الآتي:

أن تأمروا بإرسال المزمرة بعد الانتهاء من تصحيحها، وإعدادها للطبع؛ لألقيَ عليها نظرة سريعة؛ لعلِّي أعثرُ على بعض الأخطاء؛ فأصححها، ثم أعلقُ على بعض المواطنين التي يبدو لي ضرورة التعليق عليها، ويُمكنُ حصرُ ذلك بالأسس التالية:

- ١ - التنبيه على حديث صحيح ضعفه المؤلف، أو سكت عنه.
- ٢ - التنبيه على حديث ضعيف قواه المؤلف، أو سكت عنه.
- ٣ - التصريح بالحق الموافق للكتاب والسنة في المسائل التي تعرض الشارح لها بتفصيل دون أن يرجح قولاً.

٤ - توضيح بعض المواطن التي تحتاج إلى إيضاح — لا سيما ما كان فيها ذا صلةً بالعقيدة السلفية —، وليس ذلك على طريقة الاستقصاء والتتبع؛ فإن هذا يتطلب فراغاً وجهداً كبيراً، وإنما على قدر ما يتيسر لنا.

وباختصار: نرى أن إخراج الشرح بهذه التحقيقات أنفع للناس، لا سيما وقد بلغني من مصدر ثقة، أن أحد المغاربة من المحدثين من المتصوفة، قد أعدَّ العدة لطبع هذا الكتاب أيضاً، ولا شك أنه سيعلقُ عليه تعليقا يوجه فيه القراء إلى ضلالاته وبدعيه، التي منها: حملُه الحديث: «اللَّهُمَّ بَارِكْ لَنَا فِي شَامِنَا...» قالوا: وفي نجدنا يا رسول الله؟ قال: «هناك الزلازلُ والفتنُ» الحديث... مما يحمله على إخواننا الموحدين من أهل نجد، ويسميهم؛ بل يُلقبهم بالقرنين.

وهذا الحديث في البخاري — كما تعلمون —، أفلا ترون ضرورة التعليق عليه، وعلى أمثاله مما يصرِّفه المبتدعون عن حقيقته، ويستغلونهُ للرد على الموحدين، وتأييد إشرارك الضالين من المسلمين؟

ثم إننا نعتنم هذه المناسبة لنقدم إليكم بعض الاقتراحات المتعلقة بطبع الكتاب، حتى يخرج أنيقاً مرضياً:

- ١ - ذكُرُ الباب في نصف السطر.
 - ٢ - ترقيم الكتب والأبواب بأرقام متسلسلة بحيث ينحصر عدد أبواب كل كتاب؛ فإن ذلك ممَّا يُسَاعِدُ على الانتفاع من الفهارس الموضوعه للبخاري ككتاب "مفتاح كنوز السنة"
 - ٣ - إعطاء كُلِّ حديثٍ رقماً متسلسلاً إلى آخر الكتاب - وبذلك يتَّضِحُ عددُ أحاديثِ البخاري - على أن يكون أول السطر.
 - ٤ - ذكر الباب كعنوان في منتصف الشرح.
 - ٥ - ذكر الباب في رأس كل صفحة.
 - ٦ - تشكيل ما يُشكِلُ من الشَّرْحِ.
 - ٧ - إصدارُ كُلِّ مجلِّدٍ على عِدَّةِ أجزاءٍ، كما فعلوا أخيراً بلسان العرب، والطبقات الكبرى؛ تيسيراً على الرَّاغِبِينَ في شراء الكتاب أن يشتروه .
 - ٨ - تغليفُ كُلِّ جُزْءٍ بغلافٍ ملوَّنٍ منقُوشٍ، على نمط «اللسان» و«الطبقات».
- هذا ممَّا يَحْسُنُ لنا ذِكْرُهُ، ونسألُ الله تعالى أن يُوفِّقَكُم لطبَعِ الكتاب على غايةٍ من الصَّحَّةِ والكمال، والله تبارك وتعالى يتولَّى جزاءكُم .
- والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته، وعلى مَنْ كان عندكُم من الشيوخ والأساتذة والإخوان.

أخوكم / محمد ناصر الدين الألباني

دمشق ٢٨/١١/١٣٧٨هـ

الرسالة الثانية

كتاب من الشيخ الألباني إلى الشيخ ابن باز يتضمن شكراً ودعاءً على جهود
بذلها الشيخ ابن باز في سبيل تيسير زيارة الشيخ الألباني وعلاجه .

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله، وعلى آله وصحبه ومن والاه.
إلى سماحة الأخ الشيخ أبي عبد الله عبد العزيز بن عبد الله بن باز الموقر قوأكم
الله، وثبتكم، وأحسن إليكم .
السلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

وبعد؛

فإني أتقدم إلى سماحتكم بالشكر الأخويّ الجزيل، على ما بذلتموه من جهودٍ
حَثِيَّةٍ في سبيل تيسير شأن زيارتي للمملكة العربية السعودية، وتسهيل ظروف
معالجتي في مستشفياتها.

وإني أسأل الله سبحانه وتعالى أن يختار لي الصالح من أمري، وأن يهني لي في
هذا الشأن خير ما ينفعني في ديني ودنياي .

وعملاً بقول النبي صلى الله عليه وسلم: «مَنْ لَا يَشْكُرُ النَّاسَ: لَا يَشْكُرُ اللَّهَ»؛
أقول لسماحتكم: جزاكم الله خيراً على ما تبذلونه لإخوانكم وأبنائكم، وسددكم
بالحق إلى الحق، وثبت خطاكم إلى مزيد من الحق.

أقول ذلك أيضاً من باب قوله صلى الله عليه وسلم: «مَنْ صَنَعَ إِلَيْكُمْ مَعْرُوفاً
فَكَافَتْوهُ، فَإِنْ لَمْ تَسْتَطِيعُوا أَنْ تُكَافِئُوهُ، فَادْعُوا لَهُ حَتَّى تَعْلَمُوا أَنْ قَدْ كَافَأْتُمُوهُ»،
وخير الدعاء في هذه المناسبة، أن أقول — كما في الحديث الآخر —: جزاكم الله

خَيْرًا؛ لِقَوْلِهِ: «مَنْ صُنِعَ إِلَيْهِ مَعْرُوفٌ، فَقَالَ لِفَاعِلِهِ: حَزَاكَ اللَّهُ خَيْرًا؛ فَقَدْ أَبْلَغَ فِي الثَّنَاءِ».

وكذلك أقدم شكري إلى كل أخ في الله — مهما كان موقعه — ممن بذلوا، ويبدلون من جهد في تسهيل ما أشرت إليه سابقاً .

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين، والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته .

عمان ٢٨ شوال ١٤١٨هـ —

أخوكم / محمد ناصر الدين الألباني

نقلًا عن كتاب «الرسائل المتبادلة بين الشيخ ابن باز والعلماء» لمؤلفه الشيخ

محمد بن إبراهيم الحمد

الشيخ الألباني يقل بسيارته أمريكي في إحدى طرق سوريا، ويناقشه في عقيدة أن الله في كل مكان

يقول رحمه الله : كنت مرة منطلق من حلب إلى إدلب، ومن إدلب إلى اللاذقية غرباً هناك في سوريا، وكان معي أحد إخواننا اسمه عبد الرحمن شليبي، ذهبنا إلى اللاذقية من إدلب، تعرفون الأوروبيين عندهم طريقة الشحاذة، الذي يكون في سيارة مجاناً ماذا يعملوا.

مداخلة: ... ستوب ببسموها.

الشيخ: ما أعرف، يوقف شحاذ في الطريق بس بطريقة عصرية، وأنا ماشي بسيارتي وبجاني صاحبي، طبعاً مسرعين بعض الإسراع، أو كثير الإسراع، ما أدري ... ، المهم بعدما قطعنا شوطاً سمعنا أن هناك شخصاً رافع إبهامه، وقفنا هكذا وتطلعنا بالمرآة، فعلاً: ما رأيك يا عبد الرحمن، دعنا نأخذ معنا، السيارة فاضية، الشاهد، رجعنا والله، وإذ بالرجل أمريكي، وزوجته واقفه ... ، ولكن ليست واقفة علناً، (واقفة) جانباً، فلما أوقفنا السيارة أشار إليها، فقلت (لأخينا) عبد الرحمن، إذاً: سنقطع الطريق معهما بعدما عرفنا أنهم أجنب، الشاهد: ركبوا الاتنين ومشينا، صاحبي يرطن الانجليزية، أما أنا لا أرطنها، حسي ألبانيتي.

بدأ قلت له: اسألهم من أين هم، ... حتى وصلنا: ما هي عقيدتك أنت في الله عز وجل، قال: في كل مكان. هذه عقيدة الدكتور، غرابة أن تكون عقيدة واحد كافر أمريكي، ليس هناك غرابة، فقلت أنا لصاحبنا: قل له كذا .. قل له كذا .. وهو يترجم ... حتى وصلنا إلى بيت القصيد، قال لي: والله هذا هو المعقول،

المعقول أن الله فوق المخلوقات كلها؛ لأنه كان وليس هناك خلق، لا زمان ولا مكان، كيف يقال أن الله في كل مكان .

[سلسلة الهدى والنور (٢٨٢)]

الشيخ أبو إسحاق الحويني يتحدث عن شيخه الألباني

قال في شريطٍ مفرّغ :

بعد نحو عشر سنوات تقريباً جاء الشيخ الألباني حفظه الله إلى مصر سنة (١٩٧٦م) وحاضر في أنصار السنة في عابدين، لكنني ما استطعت أن ألتقي به، لكنني التقيت بالشيخ حفظه الله أول مرة (سنة ١٤٠٧هـ) لما رحلت إلى الأردن، وكان بصدد إصدار بعض الكتب، وأذكر أنه كان يوجد هناك طالب غال في حب الشيخ ناصر ، والغلو لا يأتي بخير أبداً، وهو الآن عدو للشيخ الألباني ، وهذا الطالب ذكره الشيخ ناصر في مقدمة كتابه (مختصر الشمائل) ذكر أنه لما نزل الأردن أدخل داره للشيخ الألباني وأهله، وذهب يستأجر لنفسه داراً أخرى لمدة ثلاثة أشهر، حتى بنى الشيخ الألباني داره التي يسكن فيها.

فهذا الذي تطوع هو الذي أعطى الشيخ الألباني فكرة سابقة عني، وهو الذي سهّل لي أن ألتقي به، وإلا كانت المسألة صعبة جداً .

كان أعظم شيء اكتسبته في الرحلة إلى الشيخ الألباني الأدب، لا العلم، فمصاحبة العلماء مسألة في غاية الضرورة، وعندما رأيت الشيخ قلت في نفسي: إن هذا الرجل سقط سهواً من القرون الأولى، نظرة الحديث واضحة على وجهه، وتواضعه الشديد وهضمه لحجم نفسه .

قلت له مرة : يا شيخ ! أنت قلت بأنه يجوز تقبيل يد العالم .

قال: العالم، وهل رأيت عالماً ؟ قلت له: أنا أرى الآن عالماً .

قال: لا، أنا طوئيلب علم .

لا أنسى أبداً هذه الجملة، كم أثرت هذه الجملة في نفسي ! هذه الرحلة بالرغم أنها كانت قصيرة قرابة شهر، إلا أنها كسرت هذا الأمر تماماً، وندمت أن

الإنسان لم يبقَ في الأردن فترة طويلة يلازم الشيخ حتى يتعلم منه الأدب، لكن على أية حال هذا جاء مجمل الكلام على طلب الحديث خاصة .
وقد كنا نحضر في الجامع الأزهر عند كثير من المشايخ، ندرس الفقه والقراءات والنحو، وليس في سيرتي شيء أكثر يستحق الذكر .
والله أعلم .

وقال في شريطٍ مفرّغٍ آخر :

مهمة العالم الرباني شاقة جداً، وهم مبتلون بتحريف النص عنهم أيضاً، وإشاعة الإشاعات أيضاً عنهم، فلا يكاد يسلم عالم رباني من إشاعات مغرضة تشوه تاريخه، وحسبنا بالشيخ ناصر الدين الألباني محدث العصر .
هذا الرجل افتري عليه كثيرون جداً ما لم يقله، وبسبب هذه الافتراءات شرد في بلاد الأرض، فلا ترى له وطناً ولا سكناً، وحياته في الفترة الأخيرة مؤلمة جداً، عالم مثل هذا العالم يشرد في بلاد الأرض؛ ولأنه يرى حرمة السفر إلى بلاد الكفر فهو لم يتجه إلى أمريكا وفرنسا أو غيرها وإلا لوجد حرية كبيرة، فظل على حدود الإمارات ستة أشهر! ممنوع من دخولها! وممنوع من دخول الكويت! وممنوع من دخول السعودية! وممنوع من دخول سوريا! كيف لهذا الرجل أن يعيش؟ وما دخل الأردن إلا بتزكية خاصة من تلميذه الشيخ محمد بن إبراهيم الشقرة وكيل وزارة الأوقاف وإمام مسجد دار الصفوة، فدخل إلى الملك حسين بصفته الشخصية يطلب منه دخول الشيخ ناصر الدين الألباني إلى الأردن مع التعهد بالآ يلتقي بأحد، وأجبروه أن يكتب على باب (الفيلا) : (ممنوع مجيء أكثر من اثنين) !! لأنه تجمهر، ولا بد من موعد على الهاتف .

وفي الأيام الأولى ضيقوا عليه بشدّة، لكن في الأيام الأخيرة وبعدها أنسوا جانبه تركوا له هذا الأمر، حتى أنه - في زيارتي لعمان - دعا مجموعة للغداء وصادف أن كنت فيهم، وكنا خمسة وعشرين فرداً، فخرجوا، فقلت للشيخ: هذه اللافتة تقول : ممنوع دخول أكثر من اثنين .

قال: هم دخلوا اثنين اثنين ! هو سريع البديهة جداً ! فهذا العالم لا يوجد له مكان يستريح فيه، وقبل ذلك منعوا دروسه العامة في مسجد عمر في الزرقاء، حتى أنه لم يتمكن أن يلقي دروساً على طلاب العلم إلا في بيت أحدهم جلسة بعد صلاة العشاء .

وعندما وقع مؤتمر السنة والسيرة النبوية في مصر لم يستدعوا الشيخ ناصر الدين الألباني، وهو أعظم الناس مئة على المسلمين في هذا العصر للسنة والسيرة النبوية، وما قالوا للشيخ ناصر : تعال وشرفنا حتى ولو عضواً، لا تتكلم .

لقاء الألباني مع مجلة البيان

فضيلة الشيخ محمد ناصر الدين الألباني من أعلام الدعوة الإسلامية في هذا العصر، ومن كبار علماء الحديث، أمضى عمره في تعلم الحديث وتعليمه والتصنيف فيه، ووضع السنة بين يدي الأمة، وكان لكتبه ودروسه ولقاءاته الفضل والأثر الكبير في التوجه نحو السنة الصحيحة والابتعاد عن الضعيف والموضوع. ولا يزال -حفظه الله- صاحب هممة عالية في التحقيق والبحث والإجابة على الأسئلة الواردة من شتى بلدان العالم الإسلامي وإن شغفه بالعلم ودأبه العجيب ليذكرنا بالعلماء السابقين.

وقد كانت رغبة قديمة عند (البيان) في اللقاء به والاستفادة من علمه، وتعريف القراء بعلمائنا البارزين الذين لا ينكر دورهم التجديدي في هذا العصر وقد جاءت الفرصة المناسبة والتقاءه رئيس التحرير وكان معه هذا الحوار.

س: فضيلة الشيخ عندما قمتم بتدريس مادة الحديث في الجامعة الإسلامية في المدينة النبوية كان لكم دور بارز في إيجاد تيار من الشباب المتعلم الذي يبحث عن الدليل الشرعي، ويهتم بالحديث، والبحث عن تخريجه وتمييز الصحيح من الضعيف، هل أنتم راضون عن هذا التيار، وهل هو في ازدياد وانتشار؟

ج: ليس لي صلة بالجامعة، ولما تركتها أو تركتني، كنت أتردد ما بين آونة وأخرى في سبيل مراجعة بعض المحاضرات هناك.

لم تعد الظروف تساعدني على التردد عليها لذلك لا أعرف واقعها الآن. ولكن بصورة عامة لا تزال قائمة بواجبها في نشر الثقافة الإسلامية السلفية، ولا شك أن بعض إخواننا من الطلاب الذين كانوا يوم كنا ندرس هناك مادة الحديث، هم الآن

أساتذة ودكاترة، ولا أدري هل التأثير ما يزال مستمراً كما كان في العهد الأول أم ازداد، هذا مما لا سبيل لنا إلى معرفته إلا بالتردد على الجامعة والاطلاع على مسيرتها.

س: ولكن هناك ملاحظة، على بعض هؤلاء التلاميذ أو تلامذتهم، عندهم خشونة أو قسوة في عرض المنهج، ألا ترون أن هذا يجب أن يصحح؟
ج: نعم، نحن نقول كما قال رب العالمين [ادْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحُكْمَةِ
وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ] وهذا يجب أن يوجه إلى جميع الدعاة.

س: هل لكم ملاحظات على التيار السلفي في البلاد العربية والعالم الإسلامي؟
وما هي؟

ج: باعتقادي أن التيار السلفي والحمد لله اكتسح الأجواء الإسلامية كلها، وأكبر دليل على ذلك أن الذين كانوا بالأمس القريب يعادونه أصبحوا يتزلفون إليه، ويتبنون اسمه، هذا يبشر بخير، لكن في الواقع أرى أن الدعوة السلفية والتي يعود إليها الفضل فيما يسمى اليوم بالصحة الإسلامية، وإن كان كثير من الدعاة الإسلاميين يتجاهلون هذه الحقيقة، ولا يربطون الصحة بالدعوة السلفية الحقة، لكن الحقيقة هي أن الصحة الموجودة اليوم والتي يعبر عنها بالرجوع إلى الأصل (الكتاب والسنة) ، ونحن نعبر عن هذا الرجوع بعبارة أدق كما هو معلوم من محاضراتنا.

إن الدعوة إلى الكتاب والسنة يجب أن يقرن بها الدعوة إلى منهج السلف الصالح في فهم هذين المصدرين الوحيين، وإن كان الآخرون لا يدندنون حول هذا المنهج مع أنه ضروري جداً، إذ عدم الاهتمام به هو سبب الفرقة القديمة المعروفة تاريخياً، والفرق الحديثة الموجودة اليوم، ولم يكن سبب هذا وذاك إلا عدم الرجوع إلى فهم الكتاب والسنة على منهج السلف الصالح.

أقول: إن الدعوة السلفية - مع انتشارها وما نتج عنها من هذه الصحوة ...
العصرية - مجملة تحتاج إلى علماء يبينون أولاً تفصيل الكلام حولها، وتوسيع دائرة
الدعوة السلفية، إنها هي الإسلام بكل تفاصيله تجمع كل شؤون الحياة.
هذا التعميم في البيان للدعوة السلفية بحاجة إلى علماء عاشوا حياتهم يدرسون
الكتاب والسنة ويدعون الناس قولاً وكتابة وعملاً، فإن كثيراً من الشباب الذين
يتبنونها، يستعجلون الدعوة إليها قبل أن يفهموا تفاصيلها، ومن آثار ذلك كثرة
الرسائل والمؤلفات التي تطبع في العصر الحاضر من مؤلفين عديدين جداً، ولا تكاد
تجد في هذه الكثرة الكاثرة من هؤلاء من يشار إليه بأنه شيخ، وأعني بكلمة شيخ
المعنى اللغوي (مسن وكبير) وأعني أيضاً المعنى العرفي: أنه متمكن في علمه، هذا
الشباب المتحمس لم يدرس الإسلام دراسة على الأقل تسوغ له أن يؤلف وأن
يدعو الناس سواء بكتابه أو بمحاضراته.

* ظاهرة الكتب الكثيرة الآن ظاهرة غير صحية؟

ج: أبداً أبداً تنبئ بصحوة، وتندر بأن واحد، ومن نتائج هذه الظاهرة كثرة
الناشرين والطابعين مع قلتهم في الزمن السابق، القلة السابقة وإن كانوا اتخذوا
الطباعة والنشر مهنة للعيش - وهذا لا بأس به شرعاً - ولكن كانوا في الغالب
يشكلون لجناً علمية، لا يطبع الكتاب إلا بعد مروره على هذه اللجنة. أما الآن مع
الأسف الشديد نجد الأمر أن النشر هو للتجارة وليس لخدمة العلم، وتجد لافتات
ضخمة يقال أن هذا الكتاب قام على تحقيقه أو التعليق عليه لجنة من أهل
الاختصاص وحينما تقرأ تحزن لكثرة الأخطاء المطبعية، مع شعورك بأنه لم يحقق!
تعاون المؤلفون المحدثون مع الناشرين في غزو المكتبات بشتى المؤلفات، تجد
رسائل متعددة في موضوع واحد، هذا يأخذ من هذا وهذا يأخذ من ذاك وليس
هناك علم جديد.

قبل أمس اتصل بي أحد الجزائريين، أعجبني لغته. مع أن لغة الجزائريين صعبة فلهجتهم غير لهجتنا ولكن هذا الأخ كانت لهجته عربية فصحي لا يلحن، ماذا سألني، قال: أنا بصدد جمع أوهام الحافظ الذهبي في تلخيصه للمستدرک التي أشرت إليها في كتبك حيث تقول أنت مثلاً: أخرج الحاکم وقال صحيح على شرط مسلم ووافقه الذهبي، فما رأيك؟ قلت له: لا تفعل، ولئن فعلت فاجمع لنفسك، لأنني أريدك ألا تكون إمعة، ولا مقلداً، لا ليكر ولا لزيد ولا لناصر، نريد منك أن تنشر جهدك واجتهادك وكل إنسان يستطيع أن يجمع قول فلان مع قول فلان ويؤلف رسالة، ماذا يستفيد الناس من هذا الجهد هكذا أقول لطلاب العلم، لا تتسرعوا في التأليف والنشر وأضرب لهم مثلاً: عندي كتاب هو أول كتاب يمكن أن يقال أنه تألفي وهو في مجلدين واسمه: (الروض النضير في ترتيب وتخريج معجم الطبراني الصغير) ألفته وكان عمري ٢٥ سنة، حينما يراه الإنسان يتعجب من الجهد ومن العناية بالخط، أما الآن بعد أن بلغت من الكبر عتياً أستفيد منه كثيراً، ولكن لا أرى أنه صالح للنشر، لماذا؟ ، لأنني أستدرک على نفسي بنفسي، وهناك مثال واضح جداً، كنت أنا مع الجمهور الذين إذا رأوا حديثاً بإسناد كل رجاله ثقات إلا شخصاً واحداً وثقة ابن حبان، كنت أقول هذا إسناد صحيح، على هذا جريت في هذا الكتاب، لكن فيما بعد، رأيت أن توثيق ابن حبان لا يوثق به، والآن من فضل الله علي وعلى الناس أن كثيراً ممن عنوا بعلم الحديث أصبحوا يقولون كما صرت أنا أقول لا كما كنت أقول، ثم جدّ معي شيء عثرت عليه منذ بضع سنين أن وجه الصواب في الذي نشرته وانتشر عن ابن حبان، الصواب فيه أنه ليس على إطلاقه (يعني لا يقول أحد أن توثيق ابن حبان لا يوثق به) تبين لي هذا من الممارسة العملية، هذه نقطة لم تذكر في علم المصطلح، صرت أقول: توثيق ابن حبان لا يوثق به إلا إذا كان هذا الموثق له رواة كثيرون عنه، إذا كانوا ثقات،

عندئذ تطمئن النفس إلى الاعتداد بتوثيق ابن حبان ثم حصلت عجائب، الناشئون الذين أخذوا تنبيهي الأول صاروا يردون علي: أنت لماذا تصحح هذا الحديث وفيه فلان، لم يوثقه إلا ابن حبان؟! طبعاً أبين لهم الآن أنه تكشف لي كذا وكذا.. وليس بشيء تفردت به، هذا غير مذكور في علم مصطلح الحديث، لكن يفهمه الإنسان بالممارسة..، الخلاصة، نحن نريد الآن من... الناشئ ألا يتسرع.

س: بعض الناس ينتقدون منهج الجامعات الإسلامية في طرق التعليم، وأنهم لا يخرجون طلبة علم مؤهلين ليكونوا علماء، ما هي الطريقة المثلى للتعلم برأيكم؟
ج: الجامعات ليس بإمكانها أن تخرج علماء، لكن الجامعات تهيب الطلبة ليكونوا علماء، والحق أن الذين يتخرجون لا يقومون بواجبهم، لا يتابعون الاستفادة من القواعد العلمية والتوجيهات التي تلقوها من أساتذتهم لينكبوا على العلم، ثم عند النضج العلمي كتابة ومحاضرة ونشراً، فأصبح جل هؤلاء المتخرجين همهم أن يصبحوا أساتذة ومعلمين أو أن يصبحوا موظفين كبار في بعض الدول.

إن مصيبة العالم الإسلامي اليوم هي فقدان التقوى، فقدان التربية، وفي اعتقادي أن الناس لا يختلفون في أن العلم وحده لا يكفي بل قد يضر صاحبه.
س: أعتقد أن هناك ضعفاً في طرق التعليم، وكذلك في المناهج المقررة، ما رأيكم؟

ج: ليس عندي دراسة للمنهج حتى أفيدك، ولكن عليك أن تلاحظ في الجامعات عدد السنين التي وضعوها والأوقات التي حددوها والتي لا تساعد على دراسة العلم كما كانوا قديماً يدرسون، في بعض جامعات الهند أو في بعض الحلقات على الطريقة القديمة كنت أسمع أنهم يدرسون الكتب الستة فعرفت فيما بعد أنهم كانوا يدرسونها للدركة، الأوقات التي تنظم في الجامعات لا تساعد على التوسع في المناهج، أضرب لك مثلاً بشخصي: أنا يوم كنت هناك بالجامعة، كان

من المقررات الجزء الأول من (سبل السلام) فأنا ما استطعت أن أنهى من المقرر إلا أقل من الربع، لأني كنت أدرس الحديث الواحد في حصتين، ضاق الطلاب ذرعاً، فراحوا يشكونني إلى الشيخ عبد العزيز بن باز رئيس الجامعة يومها، وكنا نلتقي بالرئيس والأساتذة فقال لي: إن الطلاب يشكون من تطويلك، فقلت له: صحيح، لكن هناك أقوال وأحكام مختلف فيها بين المذاهب، لا بد أن أذكر دليل كل واحد وأعمل تصفية، فقال لي: اكتف بما يحضرك، ولا تذكر كلام العلماء بالتفصيل.

الطلاب الذين يتخرجون إن لم يتابعوا الخطأ في الدراسة ويتوسعوا فيها لانجد بينهم علماء، والسبب أن الطالب عندما يأخذ شهادة الدكتوراه يصبح أستاذاً في الجامعة أو يتوظف في دائرة من الدوائر، فهو لا يستثمر المفاهيم والقوانين التي تلقاها، كما لا يتفرغ للعلم وللعلم فقط.

س: ألا ترون إحياء حلقات العلم إتماماً للدراسات الجامعية؟

ج: نعم، ولكن نعود إلى المشكلة، من الذي يدرّس؟

س: نعود إلى بعض النواحي العلمية، سمعت من بعض الإخوة الدكاترة في الجامعات الإسلامية وطلبة العلم نقداً لطريقتكم في تقسيم كتب السنن إلى صحيح وضعيف يقولون: ربما يتبين لكم بعدئذ أن هذا الحديث ضعيف أو العكس، فما رأيكم؟

ج: هذا ممكن وواقع وماذا يريدون؟

س: لو تبقى سنن أبي داود وتعلقون عليه في الهامش فيبقى الكتاب كاملاً كما ألفه أبو داود؟

ج: هذه مشكلة، ولكن لنترك صحيح أبي داود وضعيفه.

أنا عندي الآن سلسلتان: الصحيحة والضعيفة كما تعلم، وكثيراً ما يقع أن أنقل حديثاً من الصحيحة إلى الضعيفة، وبالعكس، وهذا مستنكر عند الجهلة،

ومقبول مشكور جداً عند أهل العلم؛ ما الفرق بين الصورة الأولى والصورة الأخرى؟ ربما بعد سنوات نعيد طبع سنن أبي داود وأنا من فضل الله علي نادراً ما أعيد طباعة كتاب إلا وأعيد النظر فيه، لأنني متشبع أن العلم الصحيح لا يقبل الجمود، وأنا أتعجب من مؤلف ألف كتاباً من عشرين سنة خلت ويعيده كما هو لا يغير ولا يبدل، ما هذا العلم، هل هو وحي من السماء؟ أم جهد إنسان يخطئ ويصيب، ولنفرض أننا استجبنا لهؤلاء وأعدنا طباعة الكتاب وانتقلت أحاديث من الضعيف إلى الصحيح وبالعكس فنعود لنفس القضية، ومن الممكن أن ننقل هذا الاقتراح إلى مختصري للبخاري، ولكنهم لم يقولوا: دع البخاري كما هو؛ ولكنهم يقرونه ولا ينكرونه، وأنا أقول الحقيقة انني لما بدأت بتقسيم سنن أبي داود من نحو أربعين سنة إلى صحيح وضعيف، عرضت وجوه النظر أمامي تماماً، قلت: أفعل هذا أو هذا، ثم ترجح عندي وأيديني في ذلك بعض الأدباء الحريصين على العلم مثل الأخ حمدي عبيد، أيديني في جعل السنة قسمين، ترجح عندي وفي داخل مشروعني تقريب السنة بين يدي الأمة من جهة، ومن جهة ثانية تقريب السنة الصحيحة وليس الضعيفة، وبعدها لا خوف، لأن عامة الناس ليسوا بحاجة إلى معرفة الضعيف، وإنما يحتاج ذلك خاصتهم، فإذا كان رجل من عامة الناس أقدم له صحيح أبي داود وأقول هذا حسبه، أما الخاصة فيجب عليهم معرفة الضعيف، فالمفروض أنهم موجهون للناس. لقد ترجح عندي ذلك وقدوتي في ذلك الأئمة:

أئمة الصحاح مثل البخاري ...

س: أستاذنا، هل هناك بعض الفتاوى الفقهية، قلت بها من زمن ثم رجعت عنها

لإطلاعكم على أدلة أقوى؟

ج: ربما بلغك عني إشاعة أبي تراجع عن القول بتحريم الذهب المحلق على النساء، فهذا كذب، وربما هناك إشاعات أخرى وكلها ليس لها أصل.

س: نعود إلى النقطة التي ذكرتموها في أول الحديث، وهي أن منهج أهل السنة يحتاج إلى تفصيل حتى يساعد المسلمين على حل مشكلاتهم. هل نستطيع أن نقول أن الخطوط العريضة لهذا المنهج، وأعني طريقة تفكير واستدلال أهل السنة هو ما كتبه الشافعي في الرسالة أو الشاطبي في الموافقات أو ابن تيمية في كثير من كتبه وخاصة (درء تعارض العقل والنقل)؟

ج: نعم هؤلاء العلماء الذي ذكرتم من نوادر علماء المسلمين، الذين يمثل المنهج العلمي السلفي في كتبهم.

س: أستاذنا هل عندكم زيادة عما كتبه الأخ الشباني بالنسبة لحياتكم الشخصية؟ ...

ج: ليس عندي زيادة وما كتبه فيه الكفاية.

س: سؤال أخير، ما هي نصيحتكم للشباب المسلم في هذا العصر؟ ...

ج: نصيحتي في ناحيتين: ربما فهمت الأولى من كلامي السابق، أن يتفقهوا بالدين اعتماداً على قوله -عليه الصلاة والسلام-: «من يرد الله به خيراً يفقهه في الدين» وأن لا يكتفوا بالعلم دون العمل، لأن الحقيقة التي ألمسها لمس اليد كما يقال أن أكثر شبابنا الناهض اليوم همته في النواحي الفكرية دون الناحية العلمية والعملية لذلك أنا أنصح هؤلاء أولاً أن يتوسعوا ما استطاعوا بمعرفة العلم الصحيح المستقى من الكتاب والسنة إما بأشخاصهم إذا أمكنهم أو بالاستعانة بأهل العلم، وأن لا يقدموا على شيء يصدر عنهم عن جهل اعتماداً على ثقافتهم القليلة الضحلة، هذا من جهة، ومن جهة أخرى أن يهتموا بالعمل أكثر مما يهتمون بالعلم، لأننا نرى مع الأسف الذين يهتمون بالعلم أكثرهم لا يعملون، وبالأولى أن

الذين لا يهتمون بالعلم ألا يعملوا، فليعكسوا الأمر، عليهم أن يهتموا بالعمل أكثر من العلم، فإذا كان أهل العلم يتركون العمل، فالأحرى بغيرهم ممن لا يعلم أن يترك العمل أيضاً، فعلى أهل العلم وطلبته أن يصرفوا جهودهم إلى العمل ويعكسوا الحال الحاضرة إلى علم وعمل كثير لتتعدل كفة النقص في المجتمع.

فكما لا ينفع علم بلا عمل فكذلك لا ينفع عمل دون علم وهذه حقيقة - والله الحمد - متفق عليها بين علماء المسلمين، هذه نصيحتي للشباب المسلم الناشئ في هذا العصر.

وشكرنا الشيخ على هذه الفرصة الطيبة. فجزاه الله خيراً ومد الله في عمره وبارك فيه. ونرجو أن يكون لنا معه لقاء آخر.
وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين. (١)

(١) العدد (٣٣) ربيع الآخر ١٤١١هـ -

لقاء الشيخ الألباني الأول بالشيخ محمد حامد الفقي في أول حجة حجّتها

قال الشيخ الألباني : أقول ما أدركتموه ، أول حجّة حججتها زرته مع فهد المالك ، أيضا ما عرفتموه ، زرته في فندق ما أدري شو كان اسمه نسيت ، فجلست أنا وصاحبي فهد المالك ، هو قائد الجيش السعودي الذي جاء محارباً في فلسطين زعموا ، فلما سمع بي الشيخ حامد وكان جالس على سرير وأنا مقابله في السرير الثاني ، فما كاد يسمع الألباني إلا قام وعانقني و ... إلخ ، ما كنا نعرف بعضنا ، وما أدري كيف جاءت المناسبة فذكرت الإخوان المسلمين في سوريا ،

قال : الخوان المسلمين ؟

أنا الحقيقة ما إستحسنت منه هذه اللفظة ، وتكلمت معه بصراحة قلت يا شيخ : إطلاق هذا الإسم لا يخلو من غلو ، لأنه قد يكون فيه ناس مخلصين وطيبين وصالحين ، لكن شُبّه لهم ، أما نقول حوان !! فنحن لا نقول هذا الكلام لكنه يعبر عن واقعهم أنهم ليسوا على المنهج السلفي القائم على الكتاب والسنة وعلى منهج السلف الصالح ، ثم يصرون على ما هم عليه ، لا يتقدمون إطلاقا .

[شريط سلسلة الهدى والنور (٦٠٠)]

أطفال الإمام الألباني الذين توفوا قبل بلوغهم السنين

١ - ولدت ابنتي بشيرة يوم الاثنين / ١٠ شوال سنة ١٣٦٤ هـ / الموافق / ١٧ أيلول سنة ١٩٤٥ ميلادية،
ثم ماتت إلى رحمة الله تعالى مساء نهار الاثنين / ١٢ ذي القعدة سنة ١٣٦٥ هـ الموافق / ٧ تشرين أول سنة ١٩٤٦ ميلادية، وذلك بعد مرضٍ دامَّ قريباً من تسعة أشهر،

فإنَّا لله وإنا إليه راجعون، اللهم أجرني في مصيبي واخلف لي خيراً منها

٢ - ولدت بنتي أميمة قبيل صلاة الجمعة / ١١ ربيع الآخر سنة ١٣٧٠ = ١٩ كانون الثاني سنة ٥١ م ،
ثم ماتت (مسلولة ؟؟ - قال أبو معاوية البيروني : هكذا قرأتهما -) العدوى من أمها ليلة الاثنين ٢٢ شعبان سنة ١٣٧٠ هـ = ٢٨ أيار سنة ١٩٥١ م .

٣ - وفي يوم الثلاثاء / ١٨ ذي الحجة سنة ٧٣ = ١٨ آب سنة ٥٤ م الساعة الثامنة وربع بعد الظهر رزقني الله تعالى غلاماً تام الحلقة ولكنه صغير الحجم، ممَّا حمل القابلة وبعض الأطباء على القول بأنه جاء قبل مواعده، وأشاروا إلى ضعف احتمال حياته، وممَّا دلَّ على ذلك أنه لم يلتقم الثدي، فكنا نعصر له في فمه شيئاً يسيراً جداً فيبتلعه بصعوبة، وفي اليوم السابع أجرينا في حقه السنّة إلا أننا لم نختنه برأي المزيّن، ولمَّا لاحظنا أن صحته في تأخر عرضناه على بعض الأطباء فوصف له بعض الأدوية فكأثما زادت في المشكلة حيث إنه امتنع عن الابتلاع بالكلية، ثم

جرى منه نزيف دم من أنفه وفمه ممّا أدى إلى وفاته، وذلك قبيل غروب شمس يوم السبت / ٦ محرم سنة ٧٤ = ٤
 أسأل الله تعالى أن يجعله لنا فرطاً وذخراً، وإنا لله وإنا إليه راجعون، اللهم أجرني في مصيبي واخلف لي خيراً منها .

٤ - رزقني الله تعالى في الساعة الرابعة والنصف عربية من ليلة الاثنين الواقع في ١٦ محرم سنة ١٣٧٥ = ٥ أيلول سنة ١٩٥٥ م ابنة سميتها رفيدة، وذبحت عنها وتصدقتُ بوزن شعرها ذهباً في اليوم السابع من ولادتها، أسأل الله أن يجعلها قرّة عين لوالديها .
 ثم توفاه الله تبارك وتعالى . (١)

(١) من مشاركة أبي معاوية البيروتي من ملتقى أهل الحديث .

الشيخ الألباني يتحدث عن المكتبة الظاهرية

قال رحمه الله :

عشت بين مخطوطات الظاهرية ، وفيها نفائس المخطوطات ، كنت أجد بعضها نسخت ثم لم تفتح مطلقاً ، والدليل أفتح وإذ بالورقة ملصقة بالأخرى ، لأن الحبر إلي كانوا يستعملونه فيه مادة صمغ ، فأفتح الورقة تكاد تتمزق من اللصق ، فأفتح بيسر وبطء حتى لا يتمزق ، دليل أن هذا الكتاب مهمل لم يدرس إطلاقاً ، هذا من حيث الكتاب ، ومن حيث الرواد ، ما رأيت ولا عمامة تردد على المكتبة الظاهرية طيلة حياتي ، هذا شيء مؤسف جداً .

[شريط سلسلة الهدى والنور (٥٩٨)]

الألباني وتلميذه الباني

قال الشيخ محمد عيد عباسي : امتازَ الشيخ عبد الرحمن الباني بالوسطية والاعتدال والإنصاف في وجهته العامة، وفكره الإسلامي، فهو بعيدٌ عن الغلو والتطرف بجميع أنواعه وأشكاله، فكان مُنصفًا في حكمه على الأشخاص والاتجاهات، يذكرُ الحسنات والسيئات، لا يَعْمِطُ حقًا لصديق ولا عدو، ولا يتحاملُ على أحد، ولا يبخسُه فضله، ولا يدعُ عاطفته تميل به كما تشاء، بل يضبطُ ذلك بميزان الشرع، يصدرُ عنه وَيَزُنُ به .

ولا شك أن للدعوة السلفية التي آمنَ بها منذ استوى عودُه ونَضِجَ فكرُه أثرًا كبيرًا في ذلك، فهي الدعوة التي تقوم على منهج ربّاني علمي قويم ثابت أصيل، مُستندٍ على الكتاب والسنة وفهم سلف الأمة، وهو منهج الإسلام نفسه، الذي هو وسطٌ بين الأديان، وأتباعه هم الوسط بين الأمم والمذاهب ﴿ وكذلك جعلناكم أمةً وسطًا ﴾ [البقرة: ٢٨٣] .

وقد استفاد هذا المنهج من حضوره مجالس العلامة المحدث محمد ناصر الدين الألباني في دمشق، ومن مُطالعاته لكتب شيوخ الدعوة السلفية ورجال الإصلاح والبعث الإسلامي الحديث، فوعاها تمامًا، ووجدت لديه استجابةً كاملة، وصار داعيةً لها قويا. وكان الشيخ الألباني يُعرف له حقه وفضله، فيستشيرُه في أمور الدعوة ونشاطها، وكان إذا انتهى الدرس كثيرًا ما سَمَّى عددًا من خُلص أصحابه

للاستشارة، وكان أولهم مترجمنا عبدالرحمن الباني، وطلب من الآخرين الانصرافَ راشدين .

وقد عرض على الشيخ الألباني أن يكون بيته في حيِّ المهاجرين على سفح جبل قاسيون مقرًّا للدعوة، فكانت تُعقد فيه الدروس، حتى استأجر الإخوة مقرًّا متوسطًا في مدينة دمشق نُقلت إليه الدروس .

... وكان الشيخ الباني سببًا في تأليف ونشر بعض الكتب والرسائل النافعة؛ باقتراح تأليفها ككتاب ((آداب الرِّفَاف في السنَّة المطهَّرة)) للعلامة الألباني رحمه الله، وسنَّ الأستاذ الباني سنَّةً حسنة حين وزَّعه على المدعوِّين إلى حفل زفافه .

... وقد حدَّثنا فقيدنا السابق الشيخ الداعية الكبير عبدالقادر الأرنؤوط - رحمه الله تعالى - أن أهمَّ ما دفعه إلى تبني العقيدة السلفية هو الأستاذ الباني رحمه الله، حيث كان يزور الشيخ الألباني الذي كان يسكن في الحيِّ الذي يخُطَّب في مسجده الجامع الشيخ عبدالقادر، فكان إذا صلَّى فيه ورأى في خُطبته بعض الملحوظات، أتاه وكلمه فيها بكلِّ مودَّة ولطف وحكمة واحترام، وأبان له رأيه مُرفقًا بالدليل الشرعي، وقد يدلُّه على بعض المصادر العلمية، فحبَّب إليه بذلك تلك الدعوة، فصار فيما بعد إمامًا فيها وداعيًا لها. (١)

(١) من مشاركة أحد أعضاء ملتقى أهل الحديث .

مع الإمام الألباني في حجته الأخيرة

قال الأخ عبد الرحمن الفاهوم حفظه الله :
سألت عمي الشيخ (عزت حضر أبو عبد الله) ... فقال أنه كان برفقة الشيخ
- رحمه الله - في حجته الأخيرة ...

قال الشيخ عزت حضر : أنا لم أفارق الشيخ الألباني - رحمه الله - في حجته
هذه إلا عندما كان يزور ابنته في جدة ،
وفي آخر يوم قال الشيخ الألباني للشيخ عزت : نريد أن نرجع إلى عمان ولن
نرجع إلى المدينة ، لأنه كان قد وعدهم بالرجوع إليهم وإلقاء بعض الكلمات ،
ولكنه لم يستطع لأنه كان متعباً جداً، حتى أن صوته قد ذهب - بُحَّ صوته من
كثرة الكلام - فرجعوا مباشرة من جدة إلى عمان .

قال الشيخ عزت حضر : دعى الشيخ ابن باز الشيخ الألباني على طعام في
منطقة العزيزية ، فكان الشيخ الألباني متعب ولم يستطع الذهاب لتلبية الدعوة ،
فقال للشيخ عزت حضر : اذهب للشيخ ابن باز وبلغه سلامي واعتذر له عني لأي
متعب ولن أستطيع الذهاب ، فذهب الشيخ عزت لتلبية الدعوة وتلبية طلب الشيخ
الألباني .

وأيضاً قال الشيخ عزت أنه قال للشيخ الألباني وهم في منى وقد كانوا داخل الخيمة : لماذا لا نخرج خارج الخيمة ؟ فقال الشيخ الألباني : لا أريد الخروج ، أريد أن أذكر الله تعالى ، فلعلّي لا أحج بعد عامي هذا .
وبالفعل لم يحج الشيخ بعد حجته هذه، فكانت آخر حجة حجها رحمه الله (١).

(١) من مشاركة أحد أعضاء ملتقى أهل الحديث .

كلمة الشيخ مساعد بن بشير عن الألباني رحمه الله

قال الشيخ مساعد بن بشير حاج السديرة عن الإمام الألباني رحمه الله :
... الرجل تشهد له الأمة الإسلامية بفضلته وعلمه وورعه وتقواه وحبه الشديد
للسنة والتفاني فيها.

كما عرفته رحمه الله صبوراً على الدأب العلمي والتمحيص وقد عرفته من عام
تسعين وثلاثمائة وألف أو قبلها بعام وأنا آنذاك كنت مع جماعة أنصار السنة
المحمدية ثم تركتها ومع ذلك ما كنت استغني عن كتابات الألباني رحمه الله وربما
أراه آنذاك عدواً ! لكن هذا أمر أعرفه عند كثير من الجماعات الإسلامية ربما
كادت له لكنها لا تستغني عنه، فإن الرجل مليٌّ {ثقة} يحتاج الناس لمعاملته كما
يحتاج لمعاملة صاحب المال .

ويدل على ذلك هؤلاء نفر الذين حققوا كتاب " الترغيب " للمنزري فكانوا
ينقلون نقلاً لا مرية فيه، كما يقال عندنا في السودان { نقل مسطرة }، ولما توقف
الشيخ بحيث لم يكمل الكتاب، تحبط هؤلاء الدكاترة كما فضحهم الشيخ لما حقق
الكتاب وأتمه .

وللشيخ مآثر كثيرة جداً، وقد لقيته عام ١٣٩٧هـ والعام الذي يليه وكان في
بيت { البنا } بجدة، وكان منزلاً عامراً بارك الله فيه، وكنت قد سألته عن
الإجازات وكنت ذا شغفٍ بها، فجزاه الله خيراً لم يكن ذا اهتمامٍ بها، وإن كان

هذا رأي جماعة من إخواننا السلفيين المعاصرين، وهو مما لا شك فيه خطأ غفر الله لنا ولهم، ومع ذلك فقد أجازني بكتبه، وأعلمني بإجازته عن علامة العصر الشيخ أحمد محمد شاكر رحمه الله، والحق أحق أن يتبع . هذا منهج الشيخ رحمه الله وهذا يوجد في المراجعات التي حصلت للشيخ تصحيحاً أو تضعيفاً فرح بها أصحاب الأهواء وطيروها كل مطير لما ربحهم الفاسدة ، ونسوا وتجاهلوا أو أنهم حقيقة على جهل ولعله هو الصواب في كثير ممن انتقد الشيخ كما يقول هو بنفسه رحمه الله { العلم لا يقبل الحمود } . مثال تصحيحه لبعض الأحاديث ثم يطالع على آفاتها وعللها والسبب عدم وجود المراجع أو غياب كثير من المراجع وهو بما أُوتِيَ من همة ، يسر الله له كثيراً من المراجع، والناقمون على الشيخ في حقيقة الأمر إنما هم جهال ، وتغير الحكم في المسألة كأنها قاعدة معلومة عند أهل الفن ...

[مقتطف من مقالة للشيخ مساعد بن بشير حاج السديرة عن الشيخ الألباني رحمه الله، كتبها في الكويت فجر الخامس عشر من ربيع الثاني لعام ست وعشرين وأربع مئة وألف .] (١)

(١) من مشاركة أحد أعضاء ملتقى أهل الحديث .

دقة الشيخ الألباني رحمه الله في المواعيد

قال الشيخ أبو إسلام صالح طه : كان الشيخ الألباني رحمه الله يُربينا على الدقة في المواعيد، ومن أمثلة لك أنني كنت إذا دعوته الى زيارتي أو صحبته الى دعوة كان رحمه الله لا يتأخر ولا يتقدم عن الموعد المضروب له ويقول: الذهاب قبل الموعد كالتأخر عن الموعد، فالتأخر عن الموعد يُربك صاحب الدعوة، وحدث أن دعوته يوماً عندي الساعة الواحدة ظهراً فوصل بسيارته قبل الموعد بربع ساعة فبقي في سيارته جالسا ولم يتزل حتى حان الموعد ...

ولم أكن أعلم بوجود الشيخ إلا أن الذين كانوا برفقة الشيخ ذكروا لي ذلك، فلما سألتُ الشيخ عن ذلك فقال: لأنك قبل الموعد تكون مشغولاً بالاستعداد لاستقبال الضيوف في الموعد المحدد ... فإذا دخلنا عليك قبل الموعد شغلناك عما أنت فيه من استعداد وتجهيز لاستقبال ضيوفك ...

فرحم الله شيخنا ...

ما أدق فقهه! وما أشدَّ حرصه على العمل بسنة رسول الله صلى الله عليه وسلم.

وكان رحمه الله إذا دُعِيَ لا يأخذ أحداً معه حتى يستأذن له صاحب الدعوة، وذات مرة دعوته قاتلاً: يا شيخنا، أدعوكم للغداء عندي غداً، وأنا أقصد دعوته هو وزوجته أمُّ الفضل، وفي اليوم الثاني جاء في الموعد وحده، فقلت له: أين أمُّ الفضل؟

فقال: أنت لم تذكر لي أن أحضر أم الفضل معي، ونحن نلتزم الدقة في الكلام
(١).

(١) من مشاركة أحد أعضاء ملتقى أهل الحديث .

فتوى الشيخ في هجرة الفلسطينيين

قال في " السلسلة الصحيحة " (٣٢١٤) : الصاحب ساحب، والطبع سراق، ولذلك جاءت الأحاديث تترى في النهي عن مجاورة الكفار، ومخالطتهم، ومساكنتهم، وهي معروفة، ولذلك كنا- وما زلنا- ننصح المسلمين أن لا يستوطنوا بلاد المشركين، وبخاصة منهم المتحللين خلقاً ومكراً كاليهود مثلاً في أمريكا، بل وفي فلسطين المحتلة منهم؛ لفسقهم وفجورهم، وتماونهم في أعراضهم، مما هو مشهور عنهم، وقد ظهرت عدواهم في بعض من يساكنهم من المسلمين في (حيفا) و (يافا) و (تل أبيب) وغيرها من البلاد التي احتلّوها وتغلّبوا عليها، فلا صلاة ولا حشمة ولا حياء، حتى لا تكاد تميز الفتاة المسلمة من اليهودية لشدة المشاهدة بينهما في التبرج! ومما يلاحظه المسافرون إلى هناك أنه كلما كان المسلمون بعيدين في مساكنهم عن البلاد المذكورة؛ كانت الفتنة باليهود ومداهمتهم للبيوت ليلاً أقل تأثراً وانحرافاً. والقصاص في ذلك معروفة لا ينكرها إلا جاحد مكابر، ولولا ضيق المجال لسردنا الكثير الكثير منها.

وبهذه المناسبة أقول:

لقد تجاهل هذه الحقيقة الشرعية- من جهة-، والواقعية المؤسفة- من جهة أخرى- جماعة من ذوي الأهواء والحزبية العمياء، وعلى رأسهم ذاك (الفقير) حقاً، الذي أثارها حرباً شعواء على كاتب هذه السطور؛ لقوله بهجرة المسلمين الفلسطينيين من ظلم اليهود وطغيانهم إلى بلد إسلامي يجدون فيه الطمأنينة والخلاص من فسادهم، وذلك في خطبة ألقاها في مسجد حمزة في عمان يوم الجمعة في العشرين من ذي الحجة سنة (١٤١٣)، أدارها خطبة سياسية لمصلحة الانتخابات القادمة الشخصية، لا يستفيد منها أحد من السامعين للخطبة علماً ولا

ذكرًا، وإنما ما يلقي العداوة والبغضاء في قلوبهم ضد أخ لهم مسلم، يبهته الخطيب بما ليس فيه زاعماً أنه "يطالب تفرغ الأراضي المحتلة حتى تصبح خالصة لبني إسرائيل!" ثم أخذ يرميه بكل باقعة فيقول:

"يا عميل! يا شيخ الخيانة! يا شيخ الشياطين وشيطان المشايخ! يا فتوى الضلال! يا مفتي يا دجال! يا.. يا.. " إلخ ما هو مسجل في شريطه، حتى وصل به الأمر إلى أن حضهم على لعنه! مما يرجع عليه بنص الحديث الصحيح المرفوع- إن شاء الله تعالى-، كيف لا، وقد بلغ به طغيانه إلى أن صرح بأن كل البلاد الإسلامية لأتعدُّ ديار إسلام؟!!

وبناءً عليه حض الناس على الهجرة إلى اليهود! فقال ما نصه:

"ما أرى إلا أن الهجرة واجبة من الجزائر إلى (تل أبيب)!"

وقال:

"والله! لو خُيرتُ- أقسم بالله- بين أن أعيش في القدس تحت احتلال اليهود، وبين أن أعيش في أي عاصمة عربية؛ لاخترت أن أعيش في القدس تحت احتلال اليهود...".

ومع كل هذه التصريحات الخطيرة شرعاً وسياسةً واجتماعياً؛ استمر الرجل ينشر سمومه بين الناس في خطبه ومجالسه، حتى تأثر بها كثير من الناس وظنوها حقاً، ولعل من آثار ذلك أن كُبت داري من (المخابرات)، وفتُشت تفتيشاً دقيقاً في سبع ساعات وأكثر، وصادروا نحو ستين خطاباً من مختلف البلاد الإسلامية وغيرها، وكذلك صادروا عديداً من الأشرطة لي ولغيري من طلاب العلم؛ بدعوى البحث عن أسلحة ومفرقات!! والله المستعان.

ولقد كان من تلك الآثار السيئة: أن تتابع الخطباء في كثير من المساجد، وبعض الكُتّاب في بعض الجرائد يضربون على أوتاره وينفخون في ناره، افتراءً وكذباً، حتى كتب أحد الحزبيين ما نصه - دون أي حياء أو حجل -:

"وأخشى أن يكون قد وصل مرحلة الخرف في أرذل العمر التي لا يعلم صاحبها شيئاً!"

(جريدة اللواء ١٧ محرم ١٤١٤م ٠٠١٤١٤ العدد ١٠٥٣)، وصدق رسول الله - صلى الله عليه وسلم - القائل: "إذا لم تستح فاصنع ما شئت". رواه البخاري.

واستمرت الآثار السيئة تنتشر في الشعب وتتطور حتى قال أحدهم: إنه زنديق! وقال آخر: إنه ماسوني!! حتى كاد أن تقع في المجتمع فتن لا تحمد عقباها؛ لولا لطف الله تعالى! عامل الله المثيرين لها بما يستحقون.

وإن مما يلفت نظر الألباء المخلصين: أن أحداً من أولئك الخطباء والكتّاب المثيرين للفتنة لم يسق قولي في الهجرة، واحتجاجي بالقرآن والسنة، وقوله عليه الصلاة والسلام: "لا تنقطع الهجرة ما دام الجهاد"؛ لأنهم يعلمون في قرارة نفوسهم أنهم لو فعلوا ذلك لانكشف للناس زغلهم وجهلهم، واصطيادهم في الماء العكر - كما يقال -، وبخاصة منهم كبيرهم (الفقيه) الذي أرجو الله تبارك وتعالى أن يريني فيه يومه الأسود، أو يتوب إلى الله مما جنته يده، ونطق به، وسكت عنه مناصروه، إنه خير مسؤول.

كتبت هذا للعبرة والموعظة، ولله عاقبة الأمور.

صوت العرب تسأل والألباني يجيب

بسم الله الرحمن الرحيم

إن الحمد لله ، نحمده ، ونستعينه ، ونستغفره ، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا ، ومن يهده الله فلا مضل له ، ومن يضلل فلا هادي له ، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، وأن محمدا عبده ورسوله .

أما بعد ، فقد دعت وزارة أوقاف الإقليم الجنوبي في الجمهورية العربية المتحدة الأستاذ محمد ناصر الدين الألباني للمشاركة في مباحث لجنة الحديث بالقاهرة .

ولما عاد فضيلته إلى دمشق ، سأله مندوب جريدة (صوت العرب) عدة أسئلة تتعلق بمهمة لجنة الحديث ، وبحياة الشيخ العلمية ، فأجاب عنها فضيلته ، وقد نشرت (صوت العرب) الأسئلة والأجوبة في العدد (١٨٤٩) المؤرخ بـ ٨ من ربيع الآخر سنة ١٣٨٠ هـ الموافق ٢٨ من أيلول سنة ١٩٦٠ م .

ونحن الذين عرفنا الشيخ ناصر الدين في مجالسه وندواته وكتبه ومقالاته مدافعا عن السنة أشد الدفاع ، محبا لها عظيم الحب ، ساعيا إلى نشرها ما وسعه الجهد ، حربا على خصومها ألهب الحرب ، كل ذلك في قوة عارضة وسلاسة بيان ، وتطبيق دقيق لما رسمه علماء المصطلح رحمهم الله تعالى ، ولما قرره علماء أصول الفقه من القواعد الفقهية ، المستخرجة من أدلة الكتاب والسنة ، نحن الذين عرفناه كذلك ننشر هذه الأسئلة والأجوبة تنويرا للرأي العام ، وكشفا للحقيقة ، وتذكيرا بالسنة وعلومها وبعض كتبها ، وبيانا لبعض علم الشيخ ناصر الدين في خدمة السنة الحبيبة

ولقد ذكرنا الشيخ _ جزاه الله خيرا ، بمعرفته للحديث وهمته العصامية العالية
أعلام المشتغلين بالسنة المطهرة ، الذين طالما انحنوا على كتب الحديث _ والناس
نيام _ يضمونها إليهم ويتفقهون فيها ، ويبينون الصحيح من الضعيف ، وينفون
عنه تحريف الغالين ، وانتحال المبطلين ، وتأويل الجاهلين ، وألعيب المبتدعين !! لا
يبتغون من وراء ذلك إلا أداء الأمانة ، والثواب من عند الله تبارك وتعالى .

والسنة اليوم في محنة ، فهي بين جهل الناس بها ، وخصومة المستشرقين وأذناهم
لها ، غير أنها كما ثبتت في الأزمنة الخوالي للأعاصير ، وسلمت من فتنة المتفلسفة
والمعتزلة وتأويل الجهمية والمعتلة ودسائس المشبهة ، فستتبت اليوم بإذن الله تبارك
وتعالى وتنتصر ، ويتهاها لها رجال يؤثرونها على كل نفس ونفيس ، { كتب الله
لأغلبين أنا ورسلي } ، { والله غالب على أمره ولكن أكثر الناس لا يعلمون } .
وإن من مصائب هذا الزمن المليء بالفتن ، أن طلع علينا ناس من جلدتنا ،
ويتكلمون بلغتنا ، بإيقاظ بدعة نابية الملامح ، شوهاء الوجه ، ألا وهي المنع من
الأخذ بأحاديث الأحاد الصحيحة في العقيدة وأمور الغيب ، أو على الأقل عدم
إيجاب الأخذ بهذه الأحاديث فيها ! فكانوا كما قال الشاعر :

كناطح صحرة يوما ليوهنها فلم يضرها وأهوى قرنه الوعل

ولم يكتف قوم حرموا عقولهم بالوقوف في هذا المزلق الخطر ، بل أنكروا السنة
جملة واحدة ، وسموا أنفسهم قرآنيين _ وما أبعد القرآن عنهم ! _ وأنحوا باللائمة
على أئمة الحديث !

أقلوا عليهم لا أبا لأبيكم من اللوم أو سدوا المكن الذي سدوا

وإننا لننتهز هذه الفرصة ، فنذكر السادة العلماء _ والذكرى تنفع المؤمنين _
أن يضطلعوا بهذه المكرمة العظيمة ، والمأثرة الخالدة ، ويهتموا بالسنة : أسانيدهم
ومتونها ومخطوطاتها ومطبوعاتها ، وليعتنوا بها ، ويقربوها للناس ، وينشروا بينهم

هديها ، بما آتاهم الله تعالى من علم ومعرفة وحكمة ، ويجعلوا الناس والعامّة يألفون سماع ما ترتقي إليه مداركهم منها ، ويقربوهم رويدا رويدا من السنة ليأخذوا منها بحظ وافر ، وإذا فعل العلماء ذلك _ وإنهم لفاعلون إن شاء الله تعالى _ فعسى أن يسلكوا في عداد أهل الحديث .

أهل الحديث هم أهل النبي وإن لم يصحبوا نفسه أنفاسه صحبوا وليس شيء أبرد لقلب رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وأثلج لصدرة من انتشار السنة ، وانقماح البدعة .

ونحن إذ نزجي هذه الذكرى لعلمائنا وقادة الرأي فينا ، نرجو أن تتجه قلوبهم إلى خدمة السنة ونشرها ، فإن أحدا من المؤمنين لا يزهّد في الأجر العظيم ، والثواب الجزيل الذي كتبه الله لمن فعل ذلك ، وإن كل واحد من العلماء لا بد أن يرغب في أن يكون ممن دعا له رسول الله صلى الله عليه وسلم ، حين قال : (نضر الله امرءا سمع منا حديثا فبلغه غيره ..) الحديث

هذا ظننا بعلمائنا ، وهذا هو أملنا ، ومن أولى بهذا الظن وهذا الأمل الذي يداعب القلوب من أتباع محمد صلى الله عليه وآله وسلم وأنصاره ومحبيه ؟ والعمل الطيب هو الذي يخلد ، وغيره يزول ولو ثبت إلى حين ، { فأما الزبد فيذهب جفاء وأما ما ينفع الناس فيمكث في الأرض كذلك يضرب الله الأمثال } .

فإلى السنة أيها المسلمون حتى يرضى الله عنكم ، وتقر عين نبينا محمد صلى الله عليه وآله وسلم ، وتسخر عين خصومه وخصومنا ، علموها أهلكم وأبناءكم ، وأحبوا من يحبها ، وعادوا من يعاديها ، وحكموها بينكم ، واجعلوها فيصل قضاياكم ، { فلا وربك لا يؤمنون حتى يحكموك فيما شجر بينهم ثم لا يجدوا في أنفسهم حرجا مما قضيت ويسلموا تسليما } .

٢٣ من جمادى الآخرة سنة ١٣٨٠ هـ —

عمر العطار

مقدمة صوت العرب

في الجمهورية العربية نهضة عظيمة تشمل سائر جوانب الحياة ، فهناك نهضة سياسية ، ونهضة اجتماعية ، ونهضة صناعية ، وهناك أيضا نهضة علمية مباركة لا تقف عند حدود الاهتمام بالعلوم الحديثة ، بل إن هذه النهضة تشمل فيما تشمل بعث ثقافتنا الماضية الجليلة ، وخدمة تراثنا الإسلامي الجليل الذي أحلنا مكان الصدارة بين الأمم ، وجعل لنا القيادة الفكرية والتشريعية والإنسانية حقبة طويلة من الزمن .

ومن أهم مظاهر هذه النهضة المباركة ما تقوم به وزارة الأوقاف في الإقليم الجنوبي ، فقد أنشأت مجلسا إسلاميا من صفوة علماء الجمهورية ، وأصدرت مجلة راقية ، كما أصدرت سلسلة من الكتب المفيدة .. ولعله من أجل ما قامت به تأليف لجنة للحديث من كبار علماء الجمهورية ، لتجمع الصحيح من حديث الرسول — وهو المصدر الثاني للإسلام بعد الكتاب الكريم — وترتبه وتشرحه الشرح الذي ييسر الاستفادة منه .

وقد اختار سيادة وزير لأوقاف في الإقليم الجنوبي أحمد عبد الله طعيمة ، فضيلة العالم المحدث الشيخ ناصر الدين الألباني من الإقليم الشمالي ليكون عضوا في لجنة الحديث ، ودعاه إلى القاهرة ضيفا على وزارة الأوقاف ليشترك في مداورات اللجنة ، ويبيدي رأيه فيما يعرض من الأبحاث ، وقد أحبت (صوت العرب) وهي

المحرصة على تسجيل كل مظاهر النهضة أن تسجل هذا الجانب العلمي الجليل منها ، فتقدمت بعدد من الأسئلة المهمة إلى فضيلة الأستاذ ناصر الدين الألباني ، فأجاب عليها مشكورا ، وهذه هي الأسئلة والأجوبة .

الأسئلة والأجوبة

١ _ ما هي المهمة التي سافرتم من أجلها إلى القاهرة ؟
 ج _ كان قد صدر قرار وزاري من قبل سيادة وزير الأوقاف أحمد عبد الله طعيمة بانتخابي عضوا في " لجنة الحديث " ، وتفضل سيادته فدعاني لزيارة القاهرة كي يتسنى لي لقاء أعضاء اللجنة والتفاهم معهم فيما هم بصدده .

غاية اللجنة

٢ _ ما هي الغاية من تأليف لجنة الحديث ؟
 ج _ هي كما جاء في المادة الثانية من القرار المشار إليه : جمع الأحاديث الصحيحة ، وتبويبها وشرحها شرحا موجزا .
 ٣ _ ما هي البحوث التي جرت في اجتماعات اللجنة ؟
 ج _ لم يعقد في أثناء وجودي في القاهرة إلا اجتماعان ، جرى البحث فيهما حول المنهج الذي ينبغي جمع الأحاديث الصحيحة على أساسه ، وبعد تداول الرأي في ذلك ، اتفق على الاعتماد على ما ذكره العلماء النقاد من تصحيح وتضعيف ، كالإمام النووي والزيلعي والعسقلاني في كتبهم ، وخاصة كتب التخريج منها .

وأما الأحاديث التي سكت عنها أبو داود والمنذري وكذلك التي صححها الترمذي ، فيعتمد عليهم فيها ، إلا إذا عارضهم في تصحيحها أحد من العلماء النقاد المذكورين .

بعض قرارات اللجنة

٤ _ وما هي القرارات التي اتخذت ؟

ج _ أولاً : أن يكون عمل اللجنة جمع مختارات من الأحاديث الواضحة العبارة لتدل على تعاليم الإسلام في كل موضوع من الموضوعات .

ثانياً : الحديث إن كان في الصحيحين أو في أحدهما اكتفي به من جهة الحكم بالصحة ، وإن كان في جامع الترمذي اكتفي بحكم الترمذي عليه ما لم يوجد ما يعارضه من أقوال الحفاظ ، وإن كان في سنن أبي داود وسكت عنه هو والمنذري ولم يعارض بأقوال الحفاظ ؛ اكتفي به ، وأحاديث النسائي في المجتبى يعتمد عليها ما لم يتعقبها هو أو حافظ آخر ، وأحاديث ابن ماجه يحتاج فيما انفرد به منها إلى مراجعة تلخيص السندي لزوائد البوصيري ، ما لم يعارض بأقوال الحفاظ أيضاً .

ثالثاً : إذا لم يوجد في الباب إلا الحديث الضعيف ، ذكر مع بيان ضعفه .

رابعاً : إذا وجد في الباب أحاديث نص الحفاظ على تحسينها ، ولم توجد في الكتب الستة ؛ تؤخذ مع بيان مصدرها .

خامساً : يرجع عند الجمع إلى الكتب الآتية لمعرفة درجة الحديث : " تلخيص الحبير " لابن حجر العسقلاني ، " نصب الراية " للحافظ الزيلعي ، " تخريج أحاديث الإحياء " للعراقي ، " شرح الإحياء " للزيدي ، " تخريج أحاديث الكشاف " لابن حجر ، " المجموع " للنووي ، " نيل الأوطار " للإمام الشوكاني ،

" فتح الباري " و " الدراية " وكلاهما لابن حجر ، والأخير هو مختصر " نصب الراية " ، " تخريج أحاديث الشفاء " للسيوطي ، وما يتيسر من المراجع .

سادسا : إذا تراءى لبعض اللجان الفرعية رأي في تخريج الحديث خلاف ما نص عليه بعض الحفاظ ، فإنه يُدون هذا الرأي منسوبا إلى قائله ، ثم يعرض على لجنة التنسيق بحضور صاحب الرأي ، لقبوله أو رفضه حسب قواعد علم الحديث .

سابعا : إذا وجد حديث مناسب في غير بابيه الخاص به ، كأن يكون في باب الاستئذان مثلا حديث له صلة واضحة بالصلاة أو الجهاد أو المناقب ، فإن اللجنة تدونه في كراسة للانتفاع به في موضعه المناسب ، وإن ناسب البابين ذكر فيهما أو ذكر في أحدهما ونبه عليه في الآخر .

ثامنا : إذا وجد حديث اختلف الحفاظ في درجته ، ذكرت الأقوال المختلفة مع الاختصار والترجيح إن أمكن .

تاسعا : إذا تعارض حديثان وكل منهما صحيح أو حسن ، أو أحدهما صحيح والآخر حسن ، أزيل التعارض بينهما في الشرح بطريق من طرق الجمع .

عاشرا : الحديث يعزى بلفظه إلى من خرجه مع بيان موضعه في الباب والكتاب ولو بالهامش .

التوصية بطبع كتاب البوصيري

٥ _ هل قدمت اقتراحات من قبل اللجنة إلى وزارة الأوقاف ؟

ج _ نعم ، جاء في محضر اجتماع اللجنة الأول الذي حضرته ما نصه :

(أوصت اللجنة بأن تقوم الوزارة بطبع كتاب زوائد البوصيري ، والنسخة المخطوطة منه موجودة بمكتبة الأوقاف الإسلامية بـ (حلب) .

٦ _ هل هي المرة الأولى التي تسافرون فيها إلى القاهرة ؟

ج _ نعم .

نشاط وزارة الأوقاف في توجيه الشعب إلى الإسلام الصحيح

٧ _ ما هي انطباعاتكم في هذه الرحلة ؟ وإلى من تعرفتم من العلماء ؟

ج _ لم يتيسر لي في المدة القصيرة التي قضيتها في القاهرة وفي الاسكندرية الاتصال إلا بقليل من أهل العلم والفضل ، أذكر منهم على سبيل المثال الكاتب الإسلامي الكبير الأستاذ محب الدين الخطيب ، والأستاذ محمد الغزالي ، والشيخ عبد الرزاق عفيفي ، والشيخ عبد العزيز الراشد ، وبعض شيوخ اللجنة الأفاضل الذين حصل لي شرف التعرف بهم في الجلستين المذكورتين ، ولقد وجدت منهم كل ترحاب وتكريم وتقدير لأسلوبي الخاص في خدمة السنة المطهرة .

والشيء الذي لفت نظري وأخذ بمجامع قلبي ، هو ذلك النشاط الذي لمستته في إدارة الثقافة في وزارة الأوقاف بتوجيه مديرها فضيلة الشيخ السيد سابق ، ومن معه من الأساتذة الأفاضل ، فلقد وجهوا عنايتهم إلى توجيه الشعب عن طريق الخطباء والمدرسين في المساجد ، وتعريف الناس بالإسلام نقياً مما دخل فيه من العقائد الباطلة ، والبدع المشوهة لنضارته ، ولهم في ذلك أنواع من الأساليب ، من ذلك أنهم افتتحوا مكتبات في كل مسجد ، وضعوا فيها مختلف الكتب النافعة ، يستعين بها المصلون على تثقيف أنفسهم وتغذيتها بالعلم الصحيح ، ومن ذلك أيضاً أنهم يشرفون على طبع الكتب ، ويمنعون طبع ما كان منها منافياً للإسلام إلا بعد مراجعته وحذف ما يلزم حذفه .

ولقد رأيت بعيني شيخا في الوزارة تقدم إليه الكتب الإسلامية التي طبعت سابقا ، والتي يراد توزيعها على مكاتب المساجد ليبيدي رأيه فيها ، حتى إذا ما تبين فيها شيء ينافي الإسلام رُدَّ ولم تشتتره الوزارة ، ومن ذلك أنهم يوزعون منشورات دورية فيها توجيه رشيد للناس جميعا ، ولقد وقفت على منشور واحد منها ، فيه تنظيم لحلقات الدروس الدينية في المساجد ، وما ينبغي أن يقرأ المدرس من الكتب على الناس ، ففي التفسير تفسير الحافظ ابن كثير الدمشقي ، وفي الحديث رياض الصالحين ، وفي الفقه كتاب فقه السنة للسيد سابق ، وفي السيرة فقه السيرة للأستاذ الغزالي ، وقد طبع أخيرا مع تحريجي لأحاديثه ، ونور اليقين في سيرة سيد المرسلين وإتمام الوفاء في تاريخ الخلفاء للخضري ، وفي العقائد عقيدة المسلم للأستاذ الغزالي ، وجاء عقبه في النشرة ما نصه : (ولا يجوز بتاتا عرض مشكلات علم الكلام ، ولا المحادلات النظرية للفلسفات القديمة) .

ومما جاء فيها أيضا : (ويستحسن في أثناء هذه الدراسات كلها نقد البدع والخرافات الشائعة ، والتيارات الفكرية الدخيلة) .

وفي النشرة فوائد أخرى مهمة ، وتوجيهات مباركة ، كنت أود إطلاع الناس عليها في هذا الإقليم عسى أن يهتدوا بمهديها ، ولكن ضيق المجال لا يسمح بذلك فإلى مناسبة أخرى إن شاء الله .

ومن ذلك أيضا تأليف كتب نافعة موجهة ، تقوم بطبعها الوزارة وتنشرها على الناس في رسائل متتابعة ، وقد وقفت منها على الرسالة الرابعة (منكرات المآثم والموالد) ، وهي الرسالة الثانية من سلسلة رسائل بعنوان : (تقاليد يجب أن تزول) .

ولهذه الوزارة مجلة شهرية باسم (منبر الإسلام) صدر الجزء الأول ، والثاني منها في محرم وصفر من هذه السنة .

ومن محاسن هذه الوزارة أنها خصصت فندقاً للضيوف الوافدين إليها باسم (دار الضيافة الإسلامية) ، ولما نزلتها وجدت فيها ضيفين كريمين من مسلمي كوريا الذين أسلموا حديثاً على أيدي الجنود الأتراك الذين كانوا في كوريا الجنوبية ، وذلك حين قامت الحرب بين كوريا الشمالية وكوريا الجنوبية ، وقد علمت من المترجم في هذه الدار أن عدد الذين أسلموا من الكوريين نحو ستمائة شخص ، وقد أرسلوا من قبلهم الرجلين المشار إليهما _ وأحدهما صحفي _ إلى القاهرة ، طلباً لمعونة الأوقاف في الإقليم الجنوبي لإنشاء مسجد هناك ، وإرسال بعض الأساتذة والخطباء ، وقد وعدوا خيراً ، وقد سافرت من القاهرة وهما لا يزالان في دار الضيافة على حساب الوزارة .

وقد كان إنشاء هذه الدار فيما علمت في عهد وزير الأوقاف الحالي سيادة أحمد عبد الله طعيمة زاده الله توفيقاً لخدمة الإسلام والأمة .

دراسة المخطوطات في مكتبي القاهرة والاسكندرية

وفي مدة إقامتي في القاهرة كنت أتردد _ كلما سنحت لي الفرصة _ إلى دار الكتب المصرية لدراسة مخطوطات كتب الحديث فيها ، وكذلك فعلت حين سافرت منها إلى الاسكندرية ، فكنت أتردد إلى مكتبتها المعروفة بالمكتبة البلدية ، وقد استفدت من المكتبتين فوائد هامة جمّة ، ونسخت بيدي من المكتبة الثانية رسالة للحافظ ابن حجر العسقلاني يحقق القول فيها في الأحاديث التي استخرجها الحافظ القزويني من كتاب " مصابيح السنة " وحكم عليها بالوضع .

الجمع بين المهنة وخدمة السنة

٨ _ علمت أنكم مع جهودكم العلمية العظيمة في خدمة السنة تعملون في مهنة تصليح الساعات وبيعها ، فهل هذا صحيح ؟ وكيف توفقون بين العاملين ؟

ج _ ذلك صحيح ، ومن توفيق الله تعالى وفضله علي أن وجهني منذ أول شبابي إلى تعلم هذه المهنة ، ذلك لأنها حرة لا تتعارض مع جهودي في علم السنة ، فقد أعطيت لها من وقتي كل يوم ما عدا الثلاثاء والجمعة ثلاث ساعات زمنية فقط ، وهذا القدر يمكنني من الحصول على القوت الضروري لي ولعياي وأطفالي علي طريقة الكفاف طبعاً ، فإن من دعائه عليه الصلاة والسلام (اللهم اجعل رزق آل محمد قوتا) رواه الشيخان ، وسائر الوقت أصرفه في سبيل طلب العلم والتأليف ودراسة كتب الحديث ، وخاصة المخطوطات منها في المكتبة الظاهرية ، ولذلك فإنني ألزم هذه المكتبة ملازمة الموظفين فيها لها ! ويتراوح ما أقضيه من الوقت فيها ما بين ست ساعات وثمان ساعات يومياً ، على اختلاف النظام الصيفي والشتوي في الدوام فيها .

جمع أحاديث المخطوطات في أكثر من أربعين مجلداً

وإن من فضل الله علي أنه يسر لي الاطلاع على ما في المكتبة الظاهرية من نفايس كتب الحديث المخطوطة القيمة ، ودراستها واستخراج ما فيها من الأحاديث النبوية على اختلاف ألفاظها بطرقها وأسانيد الكثرة ، وقد جمعتها في مجلدات جاوزت الأربعين مجلداً ، مرتباً لها على حروف المعجم ليسهل علي الرجوع إليها واستخراج ما يلزمي منها عند الحاجة .

ومن هنا يظهر السر لمن وقف من الأفاضل على بعض مؤلفاتي في مختلف الموضوعات العلمية ، حين يرى أن مؤلفا واحدا مثل " صفة صلاة النبي صلى الله عليه وسلم " _ على لطافة حجمه _ تتجاوز مصادره المخطوطة العشرات من الكتب التي لم يتيسر للأكثرين معرفة أسمائها فقط ، فضلا عن أن يطلعوا عليها ، ويعرفوا ما فيها من الأحاديث والأسانيد والألفاظ والشواهد !

وكذلك يسر الله لي وضع فهرس دقيق شامل لجميع ما في هذه المكتبة العامرة من كتب الحديث على اختلاف أنواعها ، كالمسانيد والمعاجم والمختارات والفوائد والأجزاء والتراجم وغيرها ، منبها فيه على كثير مما لم يذكر في فهارس المكتبة حتى الآن ، ونظمت هذا الفهرس على أسماء المؤلفين ، مرتبا إياهم على حروف المعجم ، وفعلت مثل ذلك في مؤلفاتهم ، فرتبتها على هذا النسق تحت اسم كل واحد منهم ، وترجمت لكل منهم ترجمة مختصرة جدا ، فيها تاريخ الولادة والوفاة وكونه ثقة أو ضعيفا أو نحو ذلك ، ثم وضعت في آخره فهرسا عاما لجميع الكتب مرتبا لها أيضا على حروف المعجم .

السفر إلى حلب كل شهر لدراسة مخطوطات مكتبتها

ومن عادتي منذ بضع سنين أن أسافر إلى حلب أسبوعا من كل شهر ، أفضيه أو أفضي غالبه في مكتبتها الوحيدة العامرة بالمخطوطات ، وهي (مكتبة الأوقاف الإسلامية) ، أفضي فيها ساعات من كل يوم في دراسة مخطوطاتها ، ونسخ ما هو ضروري منها لمشروعاتي العلمية ، وكنت إلى ما قبل سفري إلى القاهرة قد نسخت منها النصف الأول من كتاب " الزوائد " للبوصيري الذي ذكرته سابقا .

وعلاوة على هذا فيني أtdارس السنة وعلومها مع بعض الراغبين في العلم فأقوم بإلقاء عدد من الدروس في كل أسبوع .

بعض المؤلفات المطبوعة

٩ _ ما هي المرلفات التي أخرجتموها للناس ؟

ج _ هي :

الأول : صفة صلاة النبي صلى الله عليه وسلم من التكبير إلى التسليم كأنك تراها .

الثاني : آداب الزفاف في السنة المطهرة .

الثالث : حجة النبي صلى الله عليه وسلم كما رواها جابر رضي الله عنه .

الرابع : خطبة الحاجة التي كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يعلمها أصحابه .

الخامس : حجاب المرأة المسلمة في الكتاب والسنة .

السادس : صلاة التراويح .

السابع : صلاة العيدين في المصلى هي السنة .

الثامن : تحذير الساجد من اتخاذ القبور مساجد .

التاسع : الأحاديث الضعيفة والموضوعة وأثرها السيئ في الأمة (الجزء الأول)

وهو في عشرة أجزاء أو أكثر ، سنحاول نشرها تباعا إذا يسر الله تبارك وتعالى

ذلك .

العاشر : تخريج أحاديث فضائل الشام ودمشق .

ولدي مؤلفات أخرى جاهزة للطبع ، وبعضها في طور الإعداد والتأليف .

مشروع تقريب السنة بين يدي الأمة

وأهم المشروعات العلمية عندي هو ما أسميته " تقريب السنة بين يدي الأمة " ، قصدت فيه جمع ما أمكن من الأحاديث الصحيحة في كتاب واحد ، على طريقة المحدثين وقواعدهم العلمية في تمييز الصحيح والضعيف ، أسأل الله عز وجل أن ييسر لنا تحقيق ذلك .

النصح للأمة

١٠ _ بم تنصحون للأمة في الفترة الراهنة من حياتها ؟

ج _ أنصح لها أن ترجع إلى التمسك بدينها وكتاب ربها وسنة نبيها الصحيحة ، وأن تعمل بأحكامه في كل ميادين الحياة ، وأن تتحلى بفضائله وأخلاقه ، وأن تعرض كل ما تتخذه ديناً على كتاب الله وسنة رسوله ، فتستمسك بما وافقهما ، وتنبذ ما خالفهما ، فإن الأمر كما قال الإمام العظيم مالك بن أنس إمام دار الهجرة :

" من ابتدع في الإسلام بدعة رآها حسنة فقد زعم أن محمداً خان الرسالة ، اقرأ قول الله عز وجل : { اليوم أكملت لكم دينكم وأتممت عليكم نعمتي ورضيت لكم الإسلام ديناً } ، ولا يصلح آخر هذه الأمة إلا بما صلح به أولها " .

موقف طريف مع أحد الوعاظ

قال الشيخ محمد ناصر الدين الألباني (قدس الله رُوحه ونور ضريحه) في كتابه "نقد نصوص حديثية في الثقافة العامة للكتاني" (ص ٣٨-٣٩) :

((منذ بضع سنين جاءني أحد الخطباء في بعض مساجد دمشق ومن الوعاظ المتجولين ، فذكر لي أنه ألف كتاباً ، أورد فيه أحاديث انتقاها من كتب السنة ، وأنه طلب من بعض الأغنياء المحسنين أن يساعده على طبع الكتاب ، قال : فقال لي : إذا كان الأستاذ ناصر الدين يوافق على طبعه فأنا أساعدك على ذلك . ثم طلب موافقتي ، فأبيت حتى أطلع على الكتاب ، فأرسله إليّ .

فلما تصفحته ، وجدت فيه أشياء عجيبة مستنكرة ، من ذلك أنه عزى قول عيسى هذا الذي رواه مالك بلاغاً إلى "صحيح مسلم" من حديث أبي هريرة مرفوعاً إلى النبي قال : قال عيسى !!!

فلما رأيت هذا عجبت منه أشد العجب ؛ لتيقني بأن مثل هذا الحديث لا أصل له في "صحيح مسلم" ولا في غيره من الكتب الستة ، اللهم إلا الجملة الأولى منه ، فهي عند الترمذي من حديث ابن عمر بسند ضعيف كما بينته في "سلسلة الأحاديث الضعيفة"

فاتصلت به هاتفياً ، وذكرت له رأيي في الكتاب ، وما فيه من مآخذ وأخطاء ، أشدها هذا العزو ، ثم قلت له : فمن أين لك هذا !!؟

فسكت برهة ، ثم قال : اصبر قليلاً حتى آتي بالكتاب . ثم هتف إليّ قائلاً - ويالهول ما قال - : ((إن الإمام مالكاً هو الذي عزا هذا الحديث لمسلم في كتاب البر والصلة)) إلخ !!!

فقلت : ما هذا أيها الشيخ ! ألا تعلم أن بين مسلم ومالك مفاوَزَ ! وأن مسلماً متأخر عن مالك ؛ فإن من شيوخ مسلم الإمام أحمد ، ومن شيوخ هذا الإمام الشافعي ، ومن شيوخ الشافعي مالك ، فكيف يعزو مالك الحديث إلى مسلم ، وهو قد مات قبله بسنين !!!
ثم سكتَ متحيراً ، وتكلم بكلمات ، فهتمت منها أن مالكاً قال ذلك في كتابه "الموطأ" !

فقلت : هذا مستحيل ، وسأدرس الموضوع ، وأبين لك الحقيقة إن شاء الله .
فعدت إلى المكتبة الظاهرية ، وراجعت "الموطأ" بتحقيق محمد فؤاد عبد الباقي ، فكان ذلك هو السبب لاكتشاف تلك الخطيئة الفاحشة التي أنبتت أفحش منها ؛ بسبب جهل الناس بالحديث ، وقلة عنايتهم به حتى في المدارس الشرعية والكليات .
. والله المستعان)) انتهى كلام الشيخ الألباني (رحمه الله) .
وقد أشار الشيخ لهذه القصة أيضاً في "السلسلة الضعيفة" (٩٠٨) .

أحداث مثيرة من حياة الإمام الألباني

بقلم الشيخ محمد صالح المنجد

الحمد لله الذي شرف أهل الحديث وجعل لهم مكاناً علياً، واصطفاهم من خلقه وجعل لهم فضلاً ندياً؛ بحفظ سنة النبي -صلى الله عليه وسلم- وما بذلوه من الجهد العظيم في الذب عنها، وتمييز ما دخلها، فهم نجوم الأرض الذين يهتدى بهم؛ كما أن للسماء نجومًا يستضاء بها ويهتدى بها، وهم الذين قيضهم الله -تعالى- واصطفاهم من خلقه، فكان لهم هذا السبق العظيم في حمل السنة وتبليغها، نضر الله -تعالى- وجوههم؛ كما قال -صلى الله عليه وسلم-: (نضر الله امرأ سمع منا شيئاً فبلغه كما سمعه، فرب مبلغ أوعى من سامع) وعلى رأس هؤلاء في هذا العصر المحدث العلامة الشيخ/ محمد ناصر الدين الألباني -رحمة الله عليه- وفي هذه العجالة نتناول شيئاً من سيرته، فإن حق هذا الرجل الإمام العلم الذي علينا أن نتعرف على شيء من حياته، ونشر مآثره؛ فإن العلماء كما هو معلوم من كتب التاريخ والسير التي ألفوها لا يزالون يكتبون عن أهل العلم عبر العصور، مبيينين مناقبهم ومآثرهم، ليقتدى بهم من بعدهم؛ مصداقاً لقوله تعالى: { وَاجْعَلْنَا لِلْمُتَّقِينَ إِمَامًا } (الفرقان: من الآية ٧٤) فهؤلاء أئمة أهل التقوى - رضي الله عنهم - منهم هذا المحدث - رحمه الله - فحياته فيها أحداث كثيرة، وعبر بالغة من أولها إلى آخرها.

مولده:

ولد -رحمه الله تعالى- في عام ١٣٣٣هـ الموافق ١٩١٤م في مدينة (أشقودرة) عاصمة ألبانيا يومئذٍ .

نشأته وبداية تعلمه:

كانت نشأت الأمام الألباني في أسرة متواضعة يغلب عليها الاشتغال بالعلوم الدينية.

وكان والده/ الحاج نوح من كبار مشايخ ذلك البلد تلقى علومه في اسطنبول عاصمة الدولة العثمانية، وعندما بدأت فرض القوانين الغربية تلوح في الأفق، ومضايقة النساء في حجابهن، وإلزام الناس بالقبعة، وكان والد الشيخ إماماً في مسجدٍ في ألبانيا في عهد الملك [أحمد زوغو].

أحس الأب أنه لا بد من الانتقال، فهاجر إلى بلاد الشام، ويمّ شطر دمشق، وذلك لما ورد فيها من الأحاديث، وكان يعرفها من قبل، وكان عمر الشيخ الألباني حين وصل دمشق تسع سنين.

بدأ الألباني تعلمه بدراسة اللغة العربية، ولم يكن يعرف منها شيئاً البتة؛ عندما وصل إلى دمشق، فالتحق هو وإخوته بمدرسة [جمعية الإسعاف الخيري] حتى أشرفوا على نهاية المرحلة الابتدائية.

وتعلم فيها- أي المدرسة- الشيخ مختلطاً بطلاب اللغة العربية، وهذا يبين أن من ابتلي بمصيبة معيشة أولاده في بلاد الغرب ففقدوا اللغة العربية؛ أن من وسائل التعليم المهمة الاختلاط بأصحاب اللسان العربي، وهناك بعض الناس يعيشون في الخارج، وأبناؤهم لا يعرفون العربية مطلقاً؛ كما أن بعض الناس يريدون الذهاب إلى بلاد الغرب ليعيشوا وسط الكفار بزعمهم.

فلما هبت أعاصير الثورة وأصاب المدرسة حريقٌ أتى عليها انتقلوا إلى مدرسة أخرى، ولكن والد الشيخ لم يقتنع بتلك الدراسة فسحب أولاده من المدرسة.

وكان الشيخ قد حصل على الشهادة الابتدائية في أربع سنوات ؛ يقول الشيخ: [يبدو أن الله -عز وجل- فطرنى على حب اللغة العربية، وهذا الحب هو الذي كان سبب كسبٍ ماديٍّ بعد فضل الله أن أكون متميزاً متفوقاً على زملائي من السوريين في علم اللغة العربية ونحوها].

[وأذكر - أيضاً- جيداً أن أستاذ اللغة والنحو حينما كان يكتب جملةً أو بيتاً من الشعر على اللوح، ثم يسأل الطلاب عن إعرابه، فيكون آخر من يطلب منه ذلك - الألباني- وكنت وقتئذ أعرف بالأرنؤوط -؛ لأن كلمة الأرنؤوط اسم شعب مثلما يقال: العرب، ويتفرع منهم بنو تميم، وبنو فلان، وفلان. والأرنؤوط شعب يتفرع منهم: الألبانيون، والبوشناق، وغيرهم.- وكان الأستاذ يؤخرني آخر واحد ؛ فإذا عجز الطلاب عن الإعراب يناديني يا أرنؤوط ماذا تقول؟! فأصيب الهدف بكلمة واحدة فيرجع ويغير الطلاب ويقول: [أليس عيب عليكم هذا أرنؤوطي يتفوق عليكم وهو ليس بعربي ؛ وأنتم العرب لا تعرفون الإعراب!!].

لا شك أن مدرس اللغة العربية له أثر كبير جداً في تحبيب الطالب في اللغة، أو في تنفيره عنها، ولذلك فإن على مدرسي اللغة العربية بالذات مسؤولية كبيرة جداً في تحبيب اللغة إلى النشء، والتي فقد الاهتمام بها في هذا الزمان، وأصبح اللحن الجلي والخفي، وأنواع التكسير في الكلام، وغزو العامية أمراً واضحاً جلياً.

فسحب والد الشيخ ولده من المدرسة، وكانت رمية من غير رام، فلو استمر به تلك السنة فلعل استمراره لم يمكن ليؤدي إلى دراسة الشيخ وتبحره في العلم الشرعي، وكان والد الشيخ سيء الرأي في المدارس النموذجية.

إقباله على علم الحديث:

بدأ الشيخ حياته بالقراءة العادية جداً جداً؛ كما يبدأ الشباب في ذلك الوقت، فكان يشتري من الباعة قصصاً ويقرأها مثل : أرسيلوبين اللص الأمريكي، وعنتر بن شداد، و ذات الهمة والبقال ونحو ذلك، ولكن الله -عز وجل- إذا أراد شيئاً هياً له أسبابه، فلا شك ولا ريب أن توجه الشيخ لعلم الحديث من بعد هذه القصص، أنه منحة إلهية، وتوفيق رباني. ثم بدأ والد الشيخ -رحمه الله- يدرسه الفقه الحنفي، وعلم الصرف .

وحضر عند الشيخ سعيد برهاني قراءة :مراقي الفلاح شرح نور الإيضاح في الفقه الحنفي، وقرأ شيئاً من كتب النحو والبلاغة العصرية، ثم دفعه والده للقراءة في كتب الأحناف، وحثم على والده القراءة تجويداً.

وفي يومٍ من الأيام والشيخ يشتري كتب ألف ليلة وليلة وعنتر بن شداد، إذ به يجد مع بائع الكتب مجلة لفتت نظره، وهي مجلة المنار، والتي كان مسؤولها العلامة الشيخ/ محمد رشيد رضا -رحمه الله- وكان عمر الشيخ حينئذ سبعة عشر سنة فأخذها الشيخ وفتحها فقرأ فيها فصلاً للشيخ محمد رشيد رضا يتكلم فيه عن مزايا كتاب الإحياء للغزالي وينقده من بعض النواحي ؛ كالصوفيات والأحاديث الواهية، وذكر أن لأبي الفضل زين الدين العراقي كتاباً خرج فيه أحاديث الإحياء، وميز صحيحها من سقيمها، وهذا الكتاب اسمه: المغني عن حمل الأسفار في الأسفار في تخريج ما في الإحياء من الأخبار.

الأسفار الأولى معناها: الكتب. والأسفار الثانية: جمع السفر وهي الرحلة. فتلهف الشيخ للكتاب الأصلي - كتاب العراقي - وهذا شيء قذفه الله في قلبه، ولا نستطيع أن نقول أنه أتى بتوجيهه بشر إطلاقاً، فكيف وقع على المجلة وكيف أنه أعجب بما حصلت الإشارة إليه؟! فسعى لاقتناء الكتاب وهو أربع مجلدات، فاستعارها من دار الحلبي؛ لأنه لم يكن يقدر على شرائها؛ فلما حضر وقت إعادتها

كان لا بد له من نسخها، فأخذ يخطها بيده وينسخها باستخدام مسطرة من كرتون مقوى، وخطوط متوازية حتى نسخ الجزء الأول منها، ثم نسخ الكتاب كله، فكتب بيده ألفين واثنى عشرة صفحة، فكيف رزق الجلد لإتمام الكتاب؟! هذا شيء من الله، فتأمل طالب مبتدئ وعمره ثمانية عشرة سنة يطلع على كتاب شرعي ثم يأخذه وينسخ ألفين وإحدى عشر صفحة بيده!! هذا شيء لم نسمع عن مثيله في هذا الزمان!! .

ثم بدأ الشيخ يبحث عن معاني الكلمات الغريبة التي تمر به؛ لأن مستوى كتاب العراقي أعلى من مستوى الشيخ بكثير في ذلك الوقت، فبدأ بالرجوع للمراجع العربية، وبدأ يكتب المعاني ويضع حواشي على هذا الكتاب الذي خطه بيده، وهو موجود في مكتبة الشيخ إلى الآن مع تعليقاته عليه.

ثم إنه لم يكن لأبيه نوح رد فعل إيجابي على ما فعله الشيخ؛ بل كان له رد فعل سلبياً، فلم يجذ اشتغال ولده بالحديث، بل كان يضيق ذرعاً بما يفعله ولده ويقول: [علم الحديث صنعة المثل] وفعالاً أكثر المحدثين كانوا فقراء؛ لأن الحديث يحتاج إلى رحلة، والرحلة تحتاج إلى نفقة وشراء حبر وأقلام، وانصراف عن الدنيا، إلا الشيء اليسير. ولكن لما حجب الله للشيخ هذا العلم انطلق فيه، ولا زال الشيخ يعرف لمحمد رشيد رضا هذا الفضل ويشير إلى ذلك في مؤلفاته.

عمله في النجارة:

لقد اتجه الشيخ في البداية إلى النجارة، فتعلمها من خاله ومن شخص آخر في دمشق يكنى بأبي محمد فعمل بالنجارة سنتين، ثم لاحظ أن هذه الصنعة تهدد القوة وتشغل كثيراً فلم ينحذب إليها؛ ولكن لكسب العيش اشتغل في ترميم البيوت القديمة، وفي الشتاء يتعطل عمل النجارة فيمر على والده في دكان إصلاح

الساعات، وكان أبوه صاحب صنعة في هذا المجال فاقترح والده عليه أنه ما دام في الشتاء يتعطل عمل النجارة ؛ فليعمل معه في إصلاح الساعات فوافق الشيخ فتعلم إصلاح الساعات على يدي أبيه ثم فتح دكاناً خاصاً به.

نبذه للتعصب المذهبي وإقباله على اتباع الدليل:

كان الشيخ يعيش جواً حنيفاً متعصباً ، وكان والده من بني الأرنبوط يعتبر مرجعاً في الفقه الحنفي فيستفتونه ويسألونه، وكان الشيخ قد رزق اتجاهاً آخر؛ ولكن لم يعجب أبوه ذلك كما تقدم، فلم يشجعه على اتجاهه الجديد، وبدأت المفارقات، والاختلافات في التوجهات، فلما رزق الشيخ دراسة السنة والأحاديث بدأ يطلع على الخلل والأخطاء الموجودة أمامه في البيئته على ضوء الأحاديث التي يدرسها ويقرأها؛ فمثلاً: كان يصلي في المسجد الأموي، وفيه قبر، فاطلع الشيخ على أحاديث في تحريم اتخاذ المساجد على القبور، وعند ذلك بدأ يراجع نفسه في الصلاة في المسجد الذي فيه القبر، ثم ترك الصلاة في المسجد الذي فيه ؛ وكتب نواةً لكتابه العظيم: [تحذير الساجد من اتخاذ القبور مساجد].

ثم أتت مسألة أخرى وهي: تعدد الجماعات في المسجد، فجامع التوبة الذي كان بجوار منزل والده، كان يؤم فيه الشيخ: البرهاني الحنفي وإذا غاب وكّل والده، وفي العهد العثماني قديماً كان الأحناف يصلون قبل الشافعية ؛ لأن مذهب العثمانيين كان حنيفاً وهذه من سيئات التعصب المذهبي، فلم يكن المصلون يصلون جماعة واحدة، إنما كل أصحاب مذهب يصلون جماعة منفصلة، وكان في بعض المساجد يوجد أربعة محاريب ؛ لكل مذهبٍ محراب، فلما رأى الشيخ هذا الوضع في مسجد واحد؛ من أنه لا يصلي هؤلاء وراء هؤلاء، ولا هؤلاء وراء هؤلاء!! بحث المسألة فتيين له أنه لا بد أن يصلي في الجماعة الأولى، وكان قد وصل إلى

سدة الحكم / تاج الدين بن بدر الدين الحسيني، وكان يحدث عصره حينئذ، وكان شافعي المذهب فلما صارت له مقاليد الأمور قدم جماعة الشافعية على الأحناف في الصلاة، فصار الشافعية يصلون قبل الأحناف، فكان الشيخ يصلي مع الجماعة الأولى، وهم الشافعية، وأبوه كان يصلي مع الجماعة الثانية، فبدأت المشاكل، فالأب يرى الولد يخالفه، بل ولا يصلي وراءه ويصلي في الجماعة الأخرى فكادت تقوم قيامته ؛ بسبب مخالفة ولده لمذهبهم، ومع هذا كان الشيخ ماض في سبيله ؛ ثم إنه حصل أنه غاب البرهاني فاستتاب والد الشيخ.. فصار إمام الأحناف والد الشيخ فازدادت المسألة سوءاً من أن الولد لا يصلي وراء أبيه، ثم أراد والد الشيخ أن يسافر فأنا اب الألباني، فاعتذر الشيخ وقال: أنت تعرف رأيي أنا أصلي في الجماعة الأولى فكيف أصلي في الجماعة الثانية! وبتحريك من بعض الحاقدين والحاسدين تطورت القضايا وازدادت المشكلات حتى أن الوالد جلس ذات مرة واستدعى ابنه ثم وضعه في زاوية الغرفة ثم قال له: [أسمع ولا تغضب]، ثم قال له: [هل صحيح أنك غيرت مذهبك ولم تعد حنيفياً- وهو يقترب من الشيخ شيئاً فشيئاً ، ويرتفع صوته!- فقال الشيخ: أنا لم أسمع بهذا من قبل - حاول تهدئة الأمور، ولكن في النهاية قال له أبوه- اسمع: إما الموافقة وإما المفارقة] فاستمهله ثلاثة أيام؛ ثم قرر الشيخ أن ينتقل إلى مسكن آخر، وهو لا يملك درهماً ولا ديناراً، فقدم له والده خمساً وعشرين ليرة سورية، وكان الشيخ في ذلك الوقت قد أسس نواةً من أصحابه الدعاة، وكان أحدهم له حانوت يبيع فيه الحبوب، فاستأجر الشيخ في نفس المكان دكاناً له، واقترض مائتي ليرة حتى استطاع استئجار المحل، وبدأ بتصليح الساعات، وكان عمره حينئذ قد جاوز العشرين بسنة أو سنتين، وفي هذا العمر كتب كتاب : الروض النضير في ترتيب وتخريج معجم الطبراني الصغير،

والكتاب لم يطبع إلى الآن، وإنما هو من المخطوطات، والشيخ ينقح ويزيد ويصحح طيلة حياته.

اتباعه للحق ولو خالف أقرب الناس:

إن اتباع الحق مبدأ من مبادئ الإسلام العظيمة، فإنه قد جاء في الحديث الصحيح أن النبي - صلى الله عليه وسلم -: (لا طاعة لمخلوق في معصية الخالق) وكما قدمنا ذلك في نبذ الشيخ للتعصب وإقباله على اتباع الحق ومخالفته لأقرب الناس وهو أبوه، ولكننا نشير هنا إلى مسألة مهمة وهي: أهمية مداراة الأب أو الكبير في العائلة في مثل هذا الظرف الحرج، فبعض الشباب يهدهم الله - عز وجل - في البيوت، يتمسكون بالإسلام ويمتنعون عن المحرمات، ويغشون المساجد، وحلق العلم، ويعملون الطاعات والقربات، وقد لا يروق ذلك لبعض آبائهم الذين يرون أن توجه الولد صار فيه شططا وغلوا، أو أنه تزم في نظرهم! أو أن هذا ليس في مصلحته فيقوم على ولده، فيوبخه ويغلبه ما أشبه ذلك؛ بل ربما لم يعطه بعض حقوقه فما هو الحل؟ الحل أنه لا طاعة لمخلوق في معصية الخالق، ولكن لا بد من مداراة للأب؛ لأنه أب قال الله: ((فلا تطعهما وصاحبهما في الدنيا معروفاً)) ولم تزل علاقة الشيخ بأبيه طيبة، ولم تحصل قطيعة كاملة، ولكن أباه أعلن عن عدم رضاه عن توجه ولده، ثم حوّل الشيخ دكانه إلى مجلس علم، شأنه في ذلك شأن الصحابة الذين لم يكن ينفصل عندهم طلب الرزق عن طلب العلم، وقد حدثني أحد الإخوان وكان حديثه بعد وفاة الشيخ فقال: [كنت أدرس في مدرسة ثانوية داخلية، فلم يكونوا يسمحوا لنا بالخروج إلى أي مكان، وكنا نسمع عن الألباني كثيراً، وكان مما سمعناه عنه أنهم يشوهون سمعته ويقولون: هذا الوهابي وهذا وهذا، ولو علموا أننا نذهب إليه لعاقبونا عقاباً شديداً، فكنا نحتال للذهاب إليه في

الدكان بحجة تصليح الساعات فنقول: الساعة تعطلت وتحتاج إلى إصلاح ثم نذهب إلى الشيخ في الدكان فنجلس عنده، فيسمعنا شيئاً من أحاديث الأربعين النووية، أو شيئاً من كتاب سبل السلام للصنعاني، وإذا كانت الساعة معطلة أصلحها لنا مجاناً، ويرفض أن يأخذ أجرة التصليح مع فقره وحاجته، ويقول: أتمت طلبه علم، كيف آخذ منكم؟! وبعض شبابنا اليوم يقولون: تتعارض الوظيفة مع الدراسة، وتتعارض الأعمال مع طلب العلم، فنقول: لا بد من إيجاد مجالاً للتوفيق، والأعمال الحرة أوسع مجالاً في التوفيق من الأعمال الوظيفية، فقد لا تستطيع أن تقرأ في الوظيفة أشياء من العلم، مع أن بعض الناس يضيعون الأوقات في قراءة الجرائد والأشياء التافهة، وربما قرأ بعضهم الليل كله في هذه الأمور التافهة فيدخل في مواقع الإنترنت ويسرح ويمرح معها ثم تذهب الساعات بلا فائدة! مع أنه قد يوجد في هذه الشبكة من المواقع العلمية - نسأل الله أن تزداد - ما يمكن لصاحب المكتب من أن يطلع في أثناء الفراغ، أو في وقت الغداء إذا كان جاداً وصاحب هممة على شيء كثير فيقرأ ويستفيد.

سعيه لطلب القوت الضروري:

يقول الشيخ: [إن والده كان يمر عليه في الدكان ويطمئن عليه، وفي ذات مرة قال له: أنا لا أنكر أنني استفدت منك] وكان للشيخ أخ يقال له: محمد ناجي يعمل نجاراً مع كونه عامياً؛ ولكنه كان يحفظ كلام أخيه، ثم يذهب إلى المصنع وينشره على الموظفين في المصنع، حتى صار شيخهم من كثرة ما يسمع وينقل عن أخيه.

ولما كبرت الحلقة في الدكان الصغير استأجر الشيخ مع مجموعة من إخوانه محلاً لإلقاء الدروس! فصار عنده شيئاً من الفسحة في محله، يقول الشيخ: [من توفيق الله

- تعالى - وفضله علي أن وجهني منذ أول شبابي إلى تعلم هذه المهنة - وهي إصلاح الساعات - ذلك أنها حرة لا تتعارض مع جهودي في علم السنة، فقد أعطيت لها من وقتي ثلاث ساعات زمنية فقط، ما عدا الثلاثاء والجمعة، وهذا القدر يمكنني من الحصول على القوت الضروري لي وأطفالي] أي على طريقة الكفاف، فإن من دعائه -عليه الصلاة والسلام-: (اللهم اجعل رزق آل محمد قوتاً) فكان رزقه كفافاً لا يزيد ولا ينقص.

الألباني في المكتبة الظاهرية:

لما صار الشيخ يحتاج إلى مزيد من الكتب تيمم شطر المكتبة الظاهرية، والتي كانت خزانة للمخطوطات والكتب، ومستودعاً عظيماً لها، فصار يقرأ فيها، ويمكث الساعات الطوال، من ثمان إلى اثنتي عشرة ساعة في اليوم؛ حدثني تلميذه محمد عيد العباسي فيقول: [إن الشيخ كان يفتح دكانه أحياناً يومين فقط في الأسبوع لكسب العيش، والباقي في المكتبة]، فكان يجلس على طاولة فوقها المخطوطات، والطاولة تتسع لأربعة أشخاص فكان لا يعجب ذلك بعض الحاضرين؛ لأنه لم يبق مكاناً لأحد يجلس عليها، فوجه المسؤولون على المكتبة الظاهرية الشيخ إلى غرفة صغيرة فيها، وأعطوه مفتاحها، فكان يجعل فيها المراجع حتى لا يتعب الموظفون بإحضار الكتب ونقلها، وتركوا عنده بعض المخطوطات، ولعل الجامعة في دمشق كانت قد طلبت منه عمل شيء من البحث، وكانت الغرفة مقابل عمل هذا البحث، وكان مع الشيخ مفتاح فيأتي ويدخل ويقرأ.

وكان الشيخ -رحمه الله- ذا صبر وجلد عظيم على القراءة .

ومشكلة الشباب اليوم أنهم لا يستطيعون ولو جزءاً مما كان يفعله الشيخ -رحمه الله- ولو قلت لواحد: اقرأ ساعة يومياً لقال: لا أستطيع! .

بل وللأسف لقد أغرق الشباب في أشرطة الأناشيد والمسابقات والأشياء الخفيفة، وأعرضوا عن العلم الجاد، وعن القراءة في كتب السلف واكتفوا "بالسندوتشات" من هذه الكتيبات الخفيفة، فهذا حدهم في العلم. ومما لا شك فيه أن هذه كارثة أن يتدهور مستوى الإنسان العلمي فيصبح مجموعة أشرطة أناشيد، وبعض الكتيبات التي حتى لم تعد تطاق وصار زادهم في مطويات جديدة، حضراً وسفراً، ولذلك فإنه يجب أن نحمل أنفسنا على الجلد في طلب العلم النافع، وأن نعلم أن هؤلاء العظماء ما وصلوا إلى ما وصلوا إليه إلا بالجلد في الطلب، وكان الشيخ يقف على سلم المكتبة الظاهرية، ويصعد عليه، ويبحث في الرفوف العلوية، ويقيم ساعات طويلة فوق السلم، وهذه وقفة ليست مريحة على الإطلاق! وإنما هي متعبة أكثر من الوقوف على الأرض، فيقف الشيخ على السلم، ويأخذ، ويقراء، ويبحث، ويدون.

وكان مشغولاً بالكتابة فكان ينقل الأسانيد، فلقد كتب في الكراريس الكبيرة: تقريب السنة بين يدي الأمة؛ ما يقارب أربعين ألف حديث، وعكف على جمع الطرق من هذا الكتاب، ومن ذاك الكتاب؛ قراءة وكتابة! وهكذا وصل الشيخ إلى ما وصل إليه.

رزق القناعة في الدنيا:

هذه مسألة مهمة فإن عدداً من الشباب اليوم لم يعطوا القناعة في الدنيا بل لقد أصبحوا يجرون وراء الدنيا، وإذا جروا وراءها ماذا يبقى للدين والعلم؟! فلو كان عندهم قناعة لم يقلدوا أحداً في التحف التي يضعونها في بيوتهم؛ والإجازات التي يقضونها في البلدان الأخرى، ومحاولة تقليد ما عند فلان وفلان! والتأثر بالزوجات والنساء!! فلو كان هناك قناعة لبقيت أوقات لطلب العلم، ولكن عندما تضيع

الأوقات في اللهو واللعب، وفي الانشغال بالدنيا من جراء عدم القناعة، فإن ذلك سيضعف طلب جانب العلم والجد والقراءة وحضور الدروس.

عالماً وداعية إلى الله:

انطلق الألباني في مسيرته العلمية المباركة في الجمع والقراءة، والكتابة؛ ولكنه رزق اتجاهًا دعويًا عزيزاً في ذلك الوقت، فكان يتجول للدعوة إلى عقيدة السلف من الدكان إلى الدار التي استأجروها؛ إلى الجولة في دمشق، ثم بقية بلدان سورية ومدنها؛ من حلب، وحمص، وحمّاه، واللاذقية، وهكذا، وكان للشيخ دراجة هوائية ينتقل عليها للدعوة، ولم يكن عنده قيمة سيارة في ذلك الوقت، ولأول مرة رأى الدمشقيون شيخاً يعتم عمامة بيضاء مكورة، ويركب دراجة هوائية؛ حتى أنه كان هناك شخص لعله نصراني يصدر مجلة اسمها: المضحك المبكي؛ ذكر في الغرائب والنكت - من المجلة - أن هناك شيخاً يركب دراجة هوائية.

ولما تبين للشيخ أن لبس العمامة ليس سنة عبادة ترك ذلك ولم يكن يلبس اللبس الإفرنجي، وإنما يلبس لبساً مما يلبسه المسلمون.

ومما ساعد الشيخ على التفرغ أن رجلاً فلسطينياً أتى بابه إلى الشيخ في الدكان ثم قال له: [أريد أن يتعلم ولدي هذه الصنعة؛ حتى يسترزق منها؛ فقال الشيخ: أنا أعلمه بشرط أن لا يجلس عندي شهرين، أو ثلاثة ثم يذهب ولكن يساعدي فيما استفاد منه، فإذا أنا غبت يجلس مكاني في الدكان].

فوافق الأب، فكان هذا العامل عنده مساعداً له، فكان الشيخ يذهب ويجيء، وبعد سنين قال له الشيخ: بإمكانك أن تستقل بعملك؛ فذهب وفتح له محلاً.

ولم يكتف الشيخ بالمكتبة الظاهرية فاحتاج إلى شراء كتب، فاتجه إلى مكتبات تجارية مهمة في ذلك الوقت مثل: المكتبة العربية الهاشمية، ومكتبة القصبياتي، وغيرها، فكان يستعير منها، ويقراً ويشترى على قدر طاقته.

وكان له في كل شهر من خمس إلى ستة أيام سفر دعوي إلى بلدٍ آخر، فيذهب مع المقربين من تلاميذه للدعوة، فيتزلون عند أحد الطلاب أو الإخوان في ذلك البلد، ويعقد المجالس العلمية، ويأتي إليه الناس من تلك البلد، فيعلم، ويشرح، ويقراً، ويفتي، ويناظر؛ فكان شيخ علم ودعوة.

وبعض الشباب قد يعكف على الطلب وعلى القراءة، ولكنه لا يزكي ما حصل، فإذا أراد الإنسان أن يكون مؤثراً فلا بد أن يكون عنده نصيب في الدعوة.

الألبي والورقة الضائعة:

في يوم من الأيام أراد الشيخ أن ينسخ كتاباً لابن أبي الدنيا، وكان به مرض، فاكتشف في المخطوطة ورقة مفقودة، وكان قد أشار عليه الأطباء ونصحوه بالراحة؛ لأن وضعه في هذه القراءة قد أصابه بالمرض، فلما رأى هذه الورقة الضائعة عكف على عمل فهرسة لمخطوطات المكتبة الظاهرية كلها، وهذا جهد عظيم جداً، ولعلهم تعب أكثر من قضية الفتح، والقراءة في مخطوطات معينة، وحصلت المكتبة الظاهرية على مخطوطة بيد الألبي وكانت عبارة عن فهرسة لسائر المخطوطات الموجودة من الآلاف المؤلفّة في هذه المكتبة، وهذا يدل على جلد وصبر الشيخ، فعمل فهرسة لمكتبة عتيقة، مكدسة فيها هذه المخطوطات والكتب.

الألبي مع طلابه:

لما انطلق الشيخ للدعوة كان له تلاميذ من الخواص، وكان له عامة يدرسه، وكان من الكتب التي درسها زاد المعاد يقرأ مقطوعاً ويعلق عليه، وكان يمتد الدرس قرابة الساعة، ثم نصف ساعة للأسئلة، ثم طلبوا منه شرح / الروضة الندية في شرح الدرر البهية، فشرحها . ثم شرح / الترغيب والترهيب، ثم درس / الباعث الحثيث، وبعضاً من كتاب / اقتضاء الصراط المستقيم لابن تيمية - رحمه الله - وكان لا يلقي عليهم حديثاً إلا بعد أن يتأكد من صحته. ثم وقف شقة خاصة لإلقاء الدروس فكانت تمتلئ بالزائرين. وكان يخرج مع بعض طلابه في رحلاتهم فيؤم بهم في الصلاة، كما كان يؤم بعدد من الدعاة المشتهرين بالدعوة؛ ولكنهم مالوا إلى الشيخ في طريقته العلمية.

يقول الشيخ محمد عيد العباسي من أقرب تلاميذ الشيخ: [تركنا غيره لسماحته في النقاشات، وفي الخمسينيات الميلادية والستينيات؛ كنا نصير معه من الساعة الثانية عشرة ليلاً في نقاشات علمية، وليس جدلاً وإنما لنقتنع ونفهم، ونرد على شبهات المخالفين، وكان مقر الدرس في حي الشهداء، وكثيراً ما يرجع إلى الكتب أثناء النقاشات]. وهذه قضية مهمة، وهي أن بعض الشباب إذا تناقشوا في مجلس نقاشات علمية، فيغرقون في الجدل بآرائهم وخلفياتهم التي كثيراً ما تكون خاطئة، ولا يكلفون أنفسهم بسحب الكتاب من الرف والقرأة منه، ولذلك ينبغي أن يكون في مجالس النقاشات رجوعاً عند الاختلاف لكتب العلماء؛ بدلاً من الجدل على غير أساس.

وقال أحد تلاميذه: [كنا ندخل عليه في المكتبة الظاهرية في الستينيات فنجده منكباً على الكتب، وكان يقول وقت الغداء: إيت لي معك بجمص فيكتفي بلقم ويعود إلى العمل، ويتابع من الثامنة والنصف صباحاً، وينتهي وقت دوام المكتبة الواحدة والنصف ظهراً، ثم يذهب الموظفون لفترة الغداء، ويرجعون وقت العصر،

وهو لا يذهب وإنما يجلس في المكتبة، يقرأ ويكتب إلى التاسعة مساءً وهو مستمر في الجلوس [، يعني يقرأ ويطلع اثني عشرة ساعة يومياً؛ فهذا الجلد الذي نريد من الشباب أن يتأثروا به، وكان قد خصص يومين لطلب الرزق في الدكان والباقي في المكتبة الظاهرية، وكان متقناً في تصليح الساعات، ومخلصاً فلا يغش ولا يخدع، فكان الزبائن يقصدونه، لأمانته ومع ذلك يضحى بالزبائن، ولا يفتح المحل في هذه الأوقات الطويلة؛ لأنه مشغول بطلب العلم. ويقول الشيخ عيد: كنا نساfer معه إلى المدن في سيارته، وكان معنا من تلاميذه أيضاً محمود الجزائري، ويأبى الشيخ إلا أن يدفع نفقات السفر، ويقول: دعوها تكون خالصة لله، فكنا نحاول أن ندفع فيعزم علينا إلا أن يدفع هو].

لقاءه بالعلماء وثنائهم عليه:

التقى بالشيخ بهجت البيطار علامة الشام - رحمه الله - . والتقى بعلماء كبار مثل: حامد الفقي، وسعيد الجايي.

وكانت له رحلات إلى مصر وغيرها، وكتب عنه محب الدين الخطيب، فقال: [الألباني من إخواننا في الله - الذين لم نرهم - ممن رزقهم الله الدفاع عن السنة، والذب عنها، والاشتغال بالدفاع عن عقيدة السلف].

كما التقى بالشيخ أحمد شاكر - رحمه الله - وأثنى عليه جداً، وكان الشيخ أحمد شاكر المحدث في بلاد مصر؛ كما أن الألباني كان محدثاً في بلاد الشام، واحتفى به أنصار السنة الحمديّة وجعل في لجنة المشاريع الحديثية، يقول تلميذ له: [كان يمثل صورة المربي بيننا، وكان ينبهنا إلى التعود على الاعتراف بالخطأ إذا ظهر]، وكان يأبى أن بعض الأشخاص يرفضون الاعتراف، ويقول: [إذا ظهر لك اعتراف، وصرح بالتراجع] ويقول أيضاً: [استفدت منه في الدعوة، وكنت حليقاً فناصحني

بالحسنى فأطلقت لحياتي] ويقول: [وفي غياب الشيخ في المجالس كنا نحضر الأدلة، ونحشد الأقوال على خلاف ما كان يذهب إليه، فإذا جاء ذكرنا له فكرّ عليها بالنقض].

اشتغاله بالعلوم الأخرى:

لقد تمكن الشيخ من تحصيل علم الحديث، واطلاعه الواسع على السنة، أن صار له اهتمام بفروع كثيرة في مجالات متعددة في العقيدة، والأخلاق، والآداب، والرقائق، الفقه؛ لأن الاشتغال بالسنة يؤدي إلى الإطلاع على كثير من الأحاديث المتنوعة في كل المجالات، ولذلك لم يحصر علم الشيخ في الحديث وإن كان مبرزاً فيه، ولكنه اشتغل بعلوم أخرى كثيرة كالعقيدة، واهتم بعقيدة السلف اهتماماً بالغاً، وهذه منحة ربانية؛ فإن علم الحديث قد اشتغل به أعداد من المبتدعة، فوجد صوفية محدثون، وأشاعرة محدثون ومرجئة محدثون، ولكن الله رزق الشيخ التوجه إلى عقيدة السلف.

ومن خلال هذه الأحاديث وفقه الله -عز وجل- إلى المقارنة بينه وبين الواقع كالإطلاع على حديث رسول الله -صلى الله عليه وسلم-: (لعن الله اليهود والنصارى اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد) ؛ وحديث: (...فلا تتخذوا...) فيقارن على الواقع ثم يتجه إلى تمحيص المسألة، وتتكون عنده قناعة من خلال البحث، وهذا مما جلب عليه نقمة طائفتين عظيمتين: أتباع المذاهب المتعصبة والصوفية، وكانت الشام مملوءة بهم، وكان كثيراً ما يكون الجمع بينهما في أشخاص متعددين جداً، صوفي ومذهبي، وكان الشيخ ينادي بالتححرر من ربة التقليد الأعمى للمذاهب، وينكر على الصوفية ؛ لأن عقائدهم باطلة وفسادة، فاجتمع عليه الأعاجم وأغروا به السفهاء، وأوذى في الله -عز وجل- حتى حبس شهراً، وحبس

سنة أشهر في القلعة التي سجن فيها شيخ الإسلام ابن تيمية - رحمه الله - وأقام فيها صلاة الجماعة والجمعة وأقبل عليه من في السجن حتى قيل: ما حصل في القلعة صلاة جمعة من أيام شيخ الإسلام ابن تيمية ؛ حتى دخلها محمد ناصر الدين فصولاً فيها هذه الصلاة.

دفاعه عن عقيدة السلف:

إذا كنا نحن في بلد الحرمين - والله الحمد - يغلب عليها العقيدة الصحيحة، ودعوة الشيخ / محمد بن عبد الوهاب - رحمه الله - فلا نرى قبوراً في المساجد، ولا نرى توسلات شركية، ولا نرى بدعاً في الشوارع، وهذا في الغالب. وأما الشيخ فكان غريباً وسط أناس من المشركين، بل والكفرة من أصحاب وحدة الوجود ومقدّسي ابن عربي، والمستنجدين به وبقره، وكانت عقيدة ابن عربي الكفر! فأصبح قبره في الشام مزاراً يعبد من دون الله، ويستغاث به! وإقبال الناس على مقامه، واستشفائهم به! وتقربهم إليه وطلب قضاء الحاجات، فهو الشيخ محيي الدين! - بزعمهم - وإلا فهو من المشركين، فعانى الشيخ الألباني كثيراً وكان العامة يعبتون تعبئة خاطئة ضده ؛ يقول أحد تلاميذه: [إلى درجة أن واحداً من العامة المعادين للشيخ قابله مرة في الشارع فبصق في وجهه ؛ فلولا أن الشيخ تنحى جانباً لجاءت البصقة عليه) .

وسبوه و شتموه وقالوا له: يا وهابي! بل ونفروا الناس عنه، فأوذى في الله. إن الإنسان المسلم إذا وجد في بيئة تناقض المعتقدات الصحيحة فعليه أن يصبر، وأن يعلم أن: (الإسلام بدأ غريباً وسيعود غريباً كما بدأ) فإذا ذهب في الإجازة الصيفية إلى أقربائه، وإلى البلد التي جاء منها، فوجد الناس على خلاف ما هو عليه من الحق، فإن عليه أن يثبت، ولا يضعف، وأن ينشر الدين، وأن يعلم الناس ؛ لأن

من الناس من هو جاهل ؛ يقول أحد الإخوان: [سافرت لجنازة والدي، والبلد فيها بدع كثيرة جداً، ويعملون سرادق، وعزاء واجتماعات بدعية، وقارئ يقرأ في الثلاث، والسبع، والأربعينية، فصارت فرصة في اجتماعهم في البيت؛ لتعليم السنة في الدفن، فكم عانينا حتى لا يكتب على شاهد القبر! ولا يجعل كذا، وشيء استطعنا عليه، وشيء لم نستطع عليه] . يقول: [العامة فيهم اتجاه لتعلم الحق خصوصاً الذين لم تتلوث فطرهم فعندما نفتح مثلاً موضوع السنة في الأذكار، ففزت امرأة من القريبات، تقول: إي والله أعطنا من هذا العلم، والله لقد بيست حلوقنا ونحن نقرأ الصمدية مائة ألف مرة] لماذا هذا؟ يقولون: عتق من النار!! .

فالعامة يتساءلون عندما الواحد يفتح لهم باباً إلى الحق، وباباً إلى السنة، وباباً إلى الأذكار الشرعية؛ فيبدأ العامة بالسؤال، ويتحرك المسجد، وهكذا يجب أن يكون الداعية إلى الله مثل المطر أينما وقع نفع.

وقد تجلّى دفاع الشيخ عن عقيدة السلف في عدة مؤلفات؛ منها: / تحذير الساجد من اتخاذ القبور مساجد. و/ التوسل الشركي والبدعي التي بينها في مؤلفه. و تحقيقه لكتاب / العلو للعلو الغفار للذهبي؛ مع صعوبة الوصول إلى رجاله؛ لأن كثيراً منهم متأخرون.

وحقق كتاباً مهماً في العقيدة وهو كتاب / السنة لابن أبي عاصم، فدعا إلى عقيدة السلف الصافية النقية.

سنن أحيائها:

أحيا الله بهذا الشيخ سنناً مهجورة؛ لأنه كان من صميم دعوة الشيخ الدعوة إلى التمسك بالسنة، والدعوة لتطبيقها في وسط كانت السنة فيه مجهولة، والناس على تعصب مذهبي، و على جهل، وعادات وتقاليد ما أنزل الله بها من سلطان،

وأصعب الأشياء أن تغير العادات والتقاليد، فكان الشيخ -رحمه الله- يسعى في إحياء السنن، فمن السنن التي أحيها في بلاد الشام:

أ- صلاة العيدين في المصلى، وأنها ليست في المساجد وأن الأصل أنها تصلى في المصلى، وكانت لا تصلى إلا في المساجد، فلما اطلع على حديث صلاة العيدين في المصلى وأنه هو السنة دعا إخوانه للتطبيق، فأراد تطبيقها والعمل لذلك مباشرة، فقال لأصحابه: [الأحاديث تدل على أن الصلاة في المصلى خارج البلد وليست في المساجد] فبدؤوا بسبعة عشر رجلاً هو ومن معه، فأقاموا السنة لصلاة العيد، والذين يصلون في المصلى الذي أحيا الشيخ سنة الذهاب إليه يبلغ عددهم من خمسة آلاف إلى ستة آلاف شخص. والفضل بعد الله في هذا مع زيادة انتقال هذه السنة إلى الأردن ثم إلى الكويت للشيخ ناصر الدين الألباني. وأحكام الجنائز من كتبه العجبية التي تدل على نضح في التأليف، فأني أوصي باقتنائه وشرائه؛ لأنه فعلاً كتاب يتجلى فيه مقدرة الشيخ على الوصول لكتب السنة، وحشد الأدلة في المسائل المختلفة.

واهتم بشروح العلماء خصوصاً شروح النووي وابن تيمية وابن حجر .
والشيخ لم يكن له علماء كثيرون تتلمذ عليهم، وأنه بسبب ذلك عانى ولكن عصاميته عوضته عن ذلك، فتوجه إلى كتب علماء أفذاذ فتتلمذ على كتبهم.

ب- أحيا سنة العقيقة، وكانت العقيقة غير معروفة عند الناس، قال أحد طلابه: [عندما كان يدرسنا كتاب الروضة الندية في الخميسيات، ووصلنا إلى العقيقة دعا طلابه وأصحابه لتطبيقها].

ج- سنة قيام الليل في رمضان بإحدى عشر ركعة، وكانت ثلاث وعشرين ركعة، وهي أشبه بالتمثيلية، فكيف يصلونها؟! يسردونها سرداً يقرؤون الفاتحة ثم قصار السور وينقرون الركوع والسجود ؛ كما ينقر الغراب الدم، فيصلون- ثلاثاً

وعشرين ركعة - في ربع ساعة، فأحيا الألباني إحدى عشرة ركعة؛ كما جاء ذلك في السنة يطبقها قولاً وعملاً، قال طلابه: [فشرعنا بلذة العبادة] . ويقول الشيخ علي حشان وهو من تلاميذه: [كان يصلي بنا ثلاث ساعات - وهو إمام- إحدى عشر ركعة، ويطيل الركوع حتى يكون قريباً من القيام، ويطيل السجود حتى يكون قريباً إلى الركوع، ويتم الجلسة بين السجدتين، والرفع من الركوع على ما ورد في الأحاديث، وكان يبكي ويبكي من خلفه، فكان رقيق القلب]، وهنا لا بد من التنبيه إلى مسألة مهمة وهي: أن عدداً من الناس إذا قرؤوا ردود الشيخ التي تتميز بالحدة في كثير من الأحيان لا يتصورون أن الشيخ رقيق القلب؛ لأنهم يرون الحدة في الأسلوب. لقد سألت أحد طلابه الذين صلوا معه صلاة التراويح عن آيات بكى الشيخ فيها؟! فقال: [قرأ مرة سورة غافر حتى بلغ قصة المؤمن، والتي فيها: ((وَيَا قَوْمِ مَا لِي أَدْعُوكُمْ إِلَى النَّجَاةِ وَتَدْعُونَنِي إِلَى النَّارِ ج-)) (غافر: ٤١). فسمع نشيجه فيها]. ويقول : [كان يرتاح بعد كل ركعتين، وبعض الطلاب كان يريد انتهاز الفرصة بين كل ركعتين؛ ليتقدم ويسأل الشيخ، فكان الشيخ يقول: هذا وقت عبادة وليس وقت تعلم، ولا يجيب في هذا الوقت].

د- أحيا سنة تسوية الصفوف في الصلاة والتراص فيها، وإنني ألفت النظر إلى أن بعض الإخوة ربما لا يطبقون هذه المسألة بشكل صحيح، وإنما يتشددون في الصفوف، ويلاحقون المصلين بأقدامهم، ويعملون خطأً عسكرياً!! فيقول: أنا أفتح رجلي، وبعضهم يقول: أنا أضم رجلي جداً، وأقرب الرجل هذا بجاني، ثم إذا جاء الناس من الطرف الثاني فتحت رجلي!! فقضيت على الفراغات، فيجب أن يكون تطبيق السنة بفقهاء، مع مراعاة المصلحة الشرعية، ومراعاة المفاصد. والناس إذا لم يألفوا السنة، فلا بد من التمهيد النظري قبل التطبيق العملي، فلو أن إماماً أراد

أن يعمل بسنة في الناس، فعلمهم إياها أولاً نظرياً، وقرأها عليهم، ثم بعد ذلك عمل بها لما أنكر عليه الناس. أما أن يأتي إلى واحد لا يعرف ذلك ولا يطبق أن يمس إنسان قدمه، ولا أصبعه فينشغل جداً بصلاته، ويفسد عليه خشوعه فهذا ما لا ينبغي فعله. فمن أجل العمل بالسنة ومن الحكمة في تنفيذها، وتطبيقها تعليمها الناس ثم العمل بها، وهذا ما ينقص بعض الذين تتلمذوا على كتب الألباني، فربما يؤدي في الوقوع إلى محرم من أجل سنة.

أهم صفاته:

١. العصامية والجلد والصبر، وليس في القراءة فقط، وإنما حتى في أموره الشخصية، فمثلاً: أصابته بعض الأورام فقرأ في كتاب أحد الأطباء أنه إذا صام ولم يأكل شيئاً وإنما يقتصر على الماء أربعين يوماً، فيكون علاجاً، فبقي أربعين يوماً يعيش على الماء، قال: [وكان في هذه المدة يباشر النشاط نفسه في دروسه، ومطالعتة، وقراءته، وكتابته؛ حتى في ذهابه للدعوة في حلب، فيركب الباص وهو صائم عن المأكولات . يقول الشيخ عن نفسه: [ونزلنا في حمص، في محطة الحافلات، وفيها مطعم مشويات، وفتنت فتنه شديدة لرائحة الشواء، وأنا صائم على الماء] ومع ذلك صبر فما تناول شيئاً حتى اقترب وقت إقلاع الحافلة فركب ومشى، فهذه ميزة تميز بها -رحمه الله-.

٢. ومن صفاته سعة الصدر في النقاشات: فقد ناقش مخالفيه له، ومبتدعة، ومتعصبة، وكان في نقاشاته صاحب طريقة فريدة في النقاشات فكان يعمل الخطوات الآتية: يحدد نقطة الخلاف؛ لأن كثيراً من المتحاورين قد لا يكون بينهم خلاف، ولكن في الحقيقة بسبب سوء العبارات، وعدم معرفة المدخل الصحيح في النقاش لا يصلون إلى نتيجة، ولو أنهم حددوا نقطة النقاش والخلاف من بداية

النقاش لما ضيعوا هذه الأوقات، ثم بعد ذلك يعرض كل من الطرفين رأيه ثم يتكلم الشيخ أو الطرف الآخر، ويصغي الشيخ له ولا يقاطعه، ولا يتدخل في كلامه، ثم إذا أراد أن يرد لخص كلام الشخص الآخر؛ حتى يتأكد أنه فهم كلامه بشكل صحيح ثم يكر عليه بالرد. وهكذا.

٣. ومن صفاته الإتقان: (إن الله يحب من أحكم إذا عمل عملاً أن يتقنه) ولذلك تتأخر كتبه في الطبع؛ لأنه يريد أن يدقق ويراجع بنفسه، وكان لا يعتمد على الآخرين لمراجعات، ويدقق حتى في علامات الترقيم: الفاصلة، والنقطة، والسهم، والقوس، حتى نوعية الأقواس وهكذا.

وفي ذات مرة أتوا له بجهاز الحاسوب وقالوا: هذا يأتي بالأحاديث وبالرجال، ولم يكن الشيخ عنده اقتناع بهذا، فقال لمن معه: ابحث لي في هذا الجهاز عن قال فيه ابن حبان: [لا أعرفه ولا أعرف أباه] فكتب أحد الناس في الحاسوب العبارة، فخرجت مجموعة فقال الشيخ: لحظة وأخرج دفتره؛ لأن مثل هذه القواعد يكتبها، وكان الشيخ قد أحصى كل من قال فيه ابن حبان: لا أعرفه ولا أعرف أباه، فقال يوجد خطأ، فإنه توجد مخالفة اثنين بين أوراقي والحاسوب قال: فنظرنا فبحسنا، فوجد أنه قد فاته واحداً فعلاً، وأن الحاسوب أخطأ في الثاني.

٤. واسع الأفق مطلعاً على الكتب؛ حتى التي تسمى فكرية، أو التي تسمى كتباً عصرية ونحو ذلك؛ ومن الكتب التي قرأها مع أنه هو العالم السلفي صاحب الحديث المحدث الكبير/ منهاج الأسد في الحكم - لمحمد أسد- وبعض كتب المودودي، وكتاب: / المعالم لسيد قطب، يقول الشيخ محمد عيد عباسي: [قرأناه في حلقات خاصة مع الشيخ الألباني] وقال الألباني عن الكتاب: [هذا يمثل دعوة السلف بأسلوب عصري] ولعله قال هذا عندما قرأ فصل: [جيل قرآني فريد] وهذا يشهد على عدم تعصبه وعلى إنصافه وأنه إذا رأى حقاً مع أحد حتى لو لم يكن

من المنتسبين للعلم يقر به. وناقش الشيخ -رحمه الله- بعض أخطاء صاحب الظلال -رحمه الله- وبين مزايده، وهذا عين الإنصاف، فإن في الظلال أخطاءً كما يوجد في تفسير: ((قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ)) (الاحلاص: ١). وفي غيرها. فكان صريحاً يتكلم، ولكنه عندما يرى كلاماً طيباً كان يثني عليه ويقبله وهذه شهادته فيه.

٥. التراجع عن الخطأ؛ ومن الأمثلة على ذلك ما قاله في أحد كتب: [وقعت لفظة [صبرة] وهي بالمسند: [صبرة] وهو خطأ مطبعي كنت نقلته هكذا مع الحديث في كتاب/ صفة الصلاة فضل السجود، وقيدته في الحاشية بالضم [صبرة] وفسرته: بالكومة، وهذا والله منتهى الغفلة] يقول هذا الكلام في كتاب ينشر على الملأ! ثم يقول: [لأن هذا المعنى لا صلة له بسياق الحديث كما هو ظاهر، ولا غرابة في ذلك؛ لأنه يؤكد أنني ألباني حقاً، وقد استمر هذا الخطأ في كل طبعات الكتاب، فالمرجو تصحيح هذا الخطأ في هذا الكتاب من كل من عنده نسخة]، ويقول: [ويعود الفضل في تنبيهي إلى هذا الخطأ- بعد الله - إلى فضيلة الشيخ/ بكر بن عبد الله أبو زيد في خطاب تفضل بإرساله إلي في تاريخ كذا جزاه الله تعالى خيراً!]. ثم طبع الكتاب طبعة جديدة في عمان، وصحح الخطأ المذكور والحمد لله. ويقول في موضع آخر في السلسلة الضعيفة: [هذا ما وصل إليه علمي وفوق كل ذي علمٍ عليهم، فمن كان عنده شيء نستفيده منه قدمه إلينا إن شاء الله وجزاه الله خيراً].

٦. ومن صفاته: أنه يعترف لأهل الفضل بالفضل كما رأينا. ولا شك أن هذا يعتبر من أعظم الصفات الأخلاقية للشيخ -رحمه الله-.

٧. أنه كان يأمر بالمعروف وينهى عن المنكر ولو على الأكل. فكان يقول مثلاً: كل بيمينك يا فلان! افعل كذا يا فلان! لا تفعل كذا، ففي ذات مرة جاءه رجلان وجيهان كبيران، فجعل أحدهم يأكل الرز بالخمسة، فسأل الرجل الثاني

الشيخ ناصر فقال: [يا شيخ الأكل بالملعقة أقرب إلى السنة أم الأكل باليد؟] فقال: [أولاً أخبرني عن هذه المهزلة التي يفعلها صاحبك، يجعل ساقية من الرز بينه وبين الصحن!!] فكان عنده قوة، ولم يكن ليدهن، وما كان يعرف اللف والدوران، والمجاملات.

٨. الدقة، والتنظيم، والترتيب: فقد كان عنده حبل في مكتبته يعلق عليه السلسلة الصحيحة والضعيفة؛ لأنه يستخدمها كثيراً، ومن أحب كتبه إليه كتاب/ صحيح الجامع فكان يعدل فيه دائماً، ويكتب وينقل منه من الحديث الصحيح إلى الحديث الضعيف، وهكذا.. فهو يعتبر فهرس لكتبه . فامتاز بالدقة البالغة والتي كانت من أسباب نجاحه، من دقته المحافظة على المواعيد فإذا قال: الساعة الثامنة الموعد فلا زيادة ولا نقصان كما هو حال بعض الناس! يقول: الساعة الثامنة وإذا تأخر عن ذلك قليلاً فإنه لا يتحمل إخلاف الوعد! وكان -رحمه الله تعالى- في الفترة الأخيرة غير متمكن من التدريس لظروف، ولم يكن له طلاب مشهورون في هذه الفترة، للأخذ عنه، والتلقي عنه بشكل واضح.

علاقته بالعلماء:

حج الألباني في عام ١٣٧٣هـ، وكان قبلها في عام ٦١ ميلادي تأسيس الجامعة الإسلامية فاستدعي لتدريس مادة الحديث فيها؛ لنبوغته في ذلك العلم. وكان يتباحث مع العلماء. وكان بينه وبين الشيخ ابن باز -رحمة الله عليهما- أخوة عظيمة، ومن ضمن الأمور التي سأل الألباني فيها ابن باز مسألة: الأموال الربوية المودعة على الأرصد في البنوك ماذا يفعل بها؟ فكتب الشيخ ناصر للشيخ ابن باز رسالة يقول: [إنني توصلت إلى أن هذه الأموال تنفق في وجوه الخير، غير الطعام والشراب واللباس، وتعطى للفقراء- فمثلاً قيمة محروقات، وقيمة بترين، وقيمة حطب، أو مثلاً إصلاح حمامات، وطرق، وطبع كتب، فيسأله عن رأيه في

هذا الاجتهاد - فكتب له الشيخ ابن باز موافقاً له على رأيه، قال: فطبعنا ببعض الأموال الربوية التي جاءتنا كتباً في دعوة السلف ونشرناها].

وكان الشيخ عبد العزيز بن باز -رحمه الله- يحيل على الألباني بعض المسائل فلما طبع أحد مشايخ الباكستان المتعصبين المتحاملين على الإمام أحمد -رحمه الله- كتاباً يطعن في مسند الإمام أحمد ويقول: [إن القطيعي أضاف عليه أحاديث وليست من المسند] أي يشكك في أحاديث المسند، فحوّل الشيخ بن باز هذا إلى الألباني لبيحته، فاستعرض الشيخ الألباني أحاديث مسند أحمد وعددها يزيد على خمسة وعشرين ألف حديثاً فتتبعها حديثاً حديثاً؛ ليتبين هل فيها شيء من روايات القطيعي، ثم كتب كتابه/ الدفاع الأحمد عن مسند الإمام أحمد، ولا زال الكتاب مخطوطاً. وكان بينه وبين الشيخ بن باز مشاورات، وبينهما صداقة أربعين سنة لم تتخللها شحناء، ولا بغضاء.

وكان الألباني يتمنى أن يكتب كتاباً مشتركاً مع ابن باز في مسألة: وضع اليدين على الصدر بعد الرفع من الركوع، فكان يقول: [أريد أن يكون هذا الكتاب نبراساً، ومثلاً يحتذى لطلبة العلم عندما يرون نقاش العلماء مع بعضهم]. وقال: [لنقدم للناس ولطلبة العلم نماذج عملية في أدب العلماء مع بعضهم، وإذا كنا نريد أن نربي الناس فلا بد أن يكون ذلك بالشيء العملي]. ولما كان الألباني في المجلس الأعلى للجامعة الإسلامية بالمدينة، ودرسوا مسألة وكان الشيخ ابن باز والشيخ الشنقيطي موجودين، فاجتمع ثلاثة أقطاب في العلم في الجامعة، ولم يمر على الجامعة وقت مثل وقت اجتماع هؤلاء العلماء، وكانت أيام ما شهدناها، ولكن يتمنى الإنسان لو شهد تلك الأيام، فلقد اجتمع في الجامعة الإسلامية في ذلك الوقت من صفوة العلماء وخيرتهم ما لم يجتمع من قبل، وكان منهم الشيخ/ محمد أمين المصري -رحمه الله - وهو من الأفاضل الجهابذة المعتمدين بالحديث

وعلموه، والذي طبق منهج الألباني في دراسة الأسانيد عملياً على طلاب الدراسات العليا، والطريقة الشجرية في الأسانيد، وكان يعترف للألباني بالعلم، ويقول: [أنت أولى مني بهذا المنصب]، ولكن الشيخ لم يقدر له الاستمرار في الجامعة . وكانت من ضمن المسائل التي حدثت مثلاً: لو أن أحداً من مدرسي الجامعة الإسلامية أو من أهل المدينة ذهب إلى الخارج للدعوة فمات في الخارج، فهل يدفن هناك أم يعاد إلى المدينة؟ فكان رأي الشيخ الألباني أنه يدفن حيث مات، ووافقه الشيخ ابن باز، وحالفهما الغزالي، والقرضاوي، فقالوا: [يعاد للبلد أو نحو ذلك]. وبعد المناقشة بسنة تقريباً أرسل الألباني -رحمه الله- إلى المغرب وبريطانيا والنمسا للدعوة، من قبل الجامعة الإسلامية، وذهب الشيخ محمد أمين المصري لتصوير مخطوطات إسلامية في أوروبا، وحدث الحادث العجيب!! فمن عناية الله -تعالى- وتقديره، ولعلها كرامة من كرامات الشيخ/ محمد أمين المصري -رحمة الله عليه- أن مرض فنقل للعلاج في المستشفى في أوروبا، وتوافق وجود الشيخ الألباني قريباً من ذلك المكان، ثم توفي الشيخ محمد أمين المصري في المستشفى وحضره الشيخ الألباني، وغسله، وكفنه، فكان الذي تولى تغسيله صاحب/ كتاب المسؤولية، والمجتمع الإسلامي، ونظرات في سورة الأنفال، وأحكام الجنائز، وغير ذلك من الكتب النافعة، فهو أعلم الناس بالسنة في هذا الأمر .

ثم اتصل الألباني لكي يسأل عن مقبرة قرية يوارى فيها الشيخ /محمد أمين المصري فقالوا: أقرب مقبرة للمسلمين تبعد خمس أو ست ساعات بالسيارة ؛ فاتصل بالجامعة الإسلامية فقالوا: [أرسلو تذكرة لنقل الشيخ محمد أمين المصري إلى المدينة ليدفن فيها] ، فقال بعضهم: [أنت تخالف فتواك، تقول: يدفن حيث يموت، ثم تقول: انقلوه، فقال: ما وجدنا مقبرة، فإذا كان نقله إلى المدينة يتم في ثلاث ساعات أو أربع، فنحن نحتاج إلى نقله إلى المقبرة خمس أو ست ساعات

بالسيارة، فهذه الرحلة نقطعها إلى بلد إسلامية في نصفها، فإنني قلت ذلك: اضطراراً وليس اختياراً].

والشيخ محمد أمين المصري بينه وبين الشيخ محمد الألباني صحبة قديمة، وكان يدرس عنده ويحضر دروسه في دمشق؛ ولما ألف كتاب/ جلابب المرأة المسلمة كان أول من لبس الجلابب في مدينة دمشق كما بين الشيخ الألباني في كتابه هي زوجة الشيخ محمد أمين المصري، يقول الشيخ محمد عيد العباسي: [أول امرأة لبست الجلابب الشرعي في مدينة دمشق، وكان الحجاب عند نسائها الباطل إلى الركبة، والباقي جوارب!! امرأة الشيخ محمد أمين المصري] ولعلها سنة حسنة سنها الشيخ فله ولزوجها ولها أجر ذلك في كل من تبعها.

وبالمناسبة فإن الشيخ محمد أمين المصري، والشيخ محمد ناصر الدين الألباني عدلاء، فإنهما تزوجا أختين . وكان الشيخ الألباني -رحمه الله- يتنقل في البلدان .

رجوعه إلى أقوال الأئمة:

أدرك الشيخ وهو يدعو إلى الكتاب والسنة، وإلى اتباع الدليل، ولو بعد مرحلة متأخرة، منذ عشرين سنة، أن بعض الشباب في مسالة العودة إلى الكتاب والسنة بدؤوا يخطئون الأئمة بلا علم ويقولون: [الأئمة رجال ونحن رجال فمثل ما يفهم أبو حنيفة والشافعي نحن نفهم كذلك! فعندهم الأحاديث، وعندنا الأحاديث].

ولقد بدأ الشيخ تعلمه ودعوته في وسط مجتمع متعصب مذهبياً؛ ولذلك انتقل إلى الناحية الأخرى؛ لأن الإنكار في هذا الوسط يحتاج إلى قوة دفع، ثم بعد فترة من الزمن أراد أن يعدل مرة أخرى؛ لأنه لاحظ أن بعض الطلاب الذين يدعون الانتساب إليه قد صاروا يفتون، ويتكلمون بطريقة فوضوية جداً، لا ضوابط ولا أصول فقه، ولا رجوع إلى شروح العلماء؛ ولذلك صار عندهم خلط عجيب،

وهذه من القضايا التي ينبغي أن يدقق فيها، وقد تتلمذ بعضهم على كتب الشيخ فأساءوا في كثير من الأمور، وقد أدرك الشيخ ذلك؛ ولذلك كان يقول: [قمنا بجانب كبير من التصفية، ونحن نحتاج إلى التربية ولكن ما عندنا طاقات أو إخوان يكفون للتربية]. وقال: [الله خلقي للعلم ولم أتفرغ للتربية].

وكان يقول في بعض الأحيان: [التقليد خير من التفلت من القيود].

وبعض الشباب لما يقال له: اترك التقليد الأعمى ونبذ التعصب المذهبي يفهم أن المقصود أن يضرب المذاهب كلها عرض الحائط، ولا يريد حنابلة، ولا شافعية، ولا حنفية، وليس المقصود ذلك .

وربما قال بعضهم: نحن نأخذ الحديث من البخاري ومسلم والترمذي وأحمد فنحفظها ثم نشتغل ونعمل بها، وهذه فوضى عارمة حقيقة!!.

لقد أساء مثل هؤلاء إلى دعوة الشيخ الألباني؛ لأنهم قدموا نماذج مشوهة عن الشيخ، والشيخ لم يرد هذه الفوضى، ولكن هؤلاء الذين دخلوا عرضاً بدون أساس، ولم يدرسوا عند العلماء، ولم يتأدبوا بآداب العلماء .

فما الفائدة أن تدرس مصطلح الحديث وتحقق وتخرج أسانيد، ثم تهجم على الأحاديث وتريد أن تفهم منها؛ دون أن يكون عندك أصول فقه؟! لتفهم الناسخ من المنسوخ، فقد يكون هذا الحديث منسوخاً، وقد يكون شاذاً؛ فهذه مصيبة، وكارثة كبيرة حصلت! انتبه لها الشيخ فيما بعد وبدأ يقول عبارات مثل: [لا ينفك الإنسان عن تقليد]؛ حتى العلماء الكبار قد يضطرون في مسألة إلى تقليد غيرهم .

وإذا أردت أن تدرس المذهب، فادرس المذهب، ثم إذا وجدت الحق خارج المذهب فخالقه، وأن من أمثل المذاهب في دراستها فقه الشافعية، وكان له كلام في هذا.

فلم يكن يريد انفلات الضوابط وأن يصل صغار الطلاب إلى الاجتهاد ؛ كما فعل بعضهم وقصدوا إلى الاجتهاد، وأساءوا الفهم، فلا بد من الانضباط بكلام العلماء والدراسة والتلقي عليهم قدر الإمكان، ولم يكن الشيخ في البداية يركز على قضية الضوابط لمعيشته كما قلنا في مجتمع متعصب. ولقد نشأ بعض الناس عندهم عجب وغرور، وأن باستطاعتهم أن يستنبطوا ويجهدوا، فكانت كارثة على عددٍ منهم، وكان الشيخ -رحمه الله- كما قلنا لا يدرس فقط مصطلح!! وإنما كان يدرس العقيدة ، ومن الكتب التي درسها لطلابه كتاب /فتح المجيد في شرح كتاب التوحيد لعبد الرحمن بن حسن - رحمه الله-.

بعض طلابه:

كان من الذين أيضاً عايشهم الشيخ من طلابه في مدينة حلب ويتزل عندهم الشيخ/ ناصر السرمانين، وهذا الرجل ما زال حياً ولكنه متقدم في السن، وسيرته فيها عبرة، فإنه كان سباكاً، ولكن الله هداه - تعالى- إلى اتباع منهج السلف، فدرس على الشيخ الألباني في حلب، وسافر إليه، وتخرج من عنده، وكان من المضحين، وله بيت صغير وضع جزءاً منه مكتبة ومكاناً للحلقة، وكان يبيع الخضار على دابة، وهي تمشي في الشارع، ويمسك الكتاب ويقرأ فيه، ثم صار من كبار طلبة العلم.

ومن تتلمذ أيضاً على يد الشيخ الألباني الشيخ: نافع الشامي شيخ ابنه الذي اقتنع بدعوة السلف، وكان له موقف عظيم في التجرد للحق، فإنه كان يعلم الناس أشياء كثيرة قبل أن يهتدي إلى طريقة السلف، فلما هداه الله إليها صعد المنبر، وقال للناس: [كل ما علمتكم إياه يجب أن تراجعوني فيه؛ لأني تخلت عنه].

ومن كبار تلاميذه/ محمود مهدي الاستنبولي -رحمه الله- ثم صار بعد ذلك من كبار تلاميذ الشيخ/ عبدالرحمن الباني المقيم في الرياض.
ومن طلابه عبدالرحمن النحلاوي، وزهير الشاوش، وراتب النفاخ، وراتب الحموش، وغيرهم.

أقسام طلابه:

كان له صفوة من تلاميذه يذهبون معه في أسفاره، ويمكن أن يقسم تلاميذ الشيخ الألباني إلى ثلاث طبقات:
الطبقة الأولى: من لازموه علماً وعملاً ودعوة، وهؤلاء لا يزيدون على عشرة، والذين اشتهروا بالعلم، ومنهم/ محمد نسيب الرفاعي -رحمه الله- ومحمد عيد العباسي، وخير الدين واني، صاحب كتاب/ إصلاح المساجد من البدع والعقائد، فكان لهم درس خاص مع الشيخ يقرؤون فيه الطحاوية، ومصطلح الحديث، وكان يخرج معهم في مخيم للقراءة، ويعقد لهم درساً خاصاً فيه تفاصيل عقديّة.

الطبقة الثانية : حضروا دروسه بكثرة، وتأثروا بمنهجه، وصاروا دعاة، ولكن ليسوا من أهل العلم الأقوياء.

الطبقة الثالثة: حضروا بعض لقاءاته، وتأثروا بكتبه، وساروا على نهجه في التحقيق، ولكنهم لم يقرؤوا عليه كتباً، ولم يحضروا دروسه في الولاء والبراء، ولم يتربوا على يديه، وهؤلاء فيهم دخن، و مصائب ومشكلات، وفي مثل هؤلاء كان الشيخ يقول: [علمنا وما ربينا].

منن يعترف بها الألباني لأبيه:

يقول: [لأبي عليّ منن، ومن أهمها اثنتان: الهجرة بي إلى دمشق، فخلّصني من جو ألبانيا الشيوعي، ولو قضيت هناك وأنا صغير العمر لما دريت ماذا كان يحدث].

والثانية: أنه علمه صنعة الساعات تكفيه قوت يومه.

بعض مهاراته:

إضافة إلى أنه كان عالم زمانه في علم الحديث إلا أنه كانت له مهارات أخرى منها:

١- النجارة: وقد سبق الحديث عنها.

٢- قيادة السيارة: فهو في قيادتها من أمهر السائقين، وعنده سرعة مع إتقان.

٣- إصلاح السيارات: ولذلك لما تعطلت السيارة بهم عدة مرات في أسفار دعوية كان يصلحها بنفسه ؛ كما حصل في إحدى الأسفار.

٤- السباكة والكهرباء: كان له نظرات حتى في الأشياء الدنيوية مثل السباكة والكهرباء، ولا يقبل التصليح بدون أن يعرف الخلل؛ بل إذا اشترى شيئاً يستفسر من صاحبه ؛ يقول الشيخ عدنان وهو من تلاميذه: [وقفت معه مرة يشتري راديو فيسأل كم الموجات؟ وكم قوتها؟ وكم تستمر البطارية ؟ وكم كذا؟ وأين صنع؟ فقلت له يا شيخ! كل هذا التدقيق على الراديو، قال: أتظن أننا لا ندقق إلا في علم الحديث، إن الدقة في كل الأشياء، ولسنا نرفض التقليد فقط في الدين، وإنما حتى في هذه الأشياء لا نقلد].

٥ - معرفته بالنجوم:

لقد استنتج الشيخ أن التقويم الموجود في بعض البلدان مخطئ في تحديد وقت صلاة الفجر؛ فإنه خرج عدد مرات خارج البلد وقت زوال القمر؛ ليطلع على نور الفجر، وتوقيت صلاة الفجر ووصل إلى قناعة بأن بعض المؤذنين يؤذنون قبل وقت الفجر، كما هو في عمان .

وهذه مسألة خطيرة يترتب عليها صحة صلاة الفجر، وصحة صيام الناس، فلم يكن يقلد حتى الفلكيين، وإنما ينظر بنفسه.

مناظراته:

كانت له مناظرات جميلة، فإنه لا يعرف أحد ناظر مثله في هذا الزمان إطلاقاً، ولو قلنا أن المناظرات ختمت بالألباني لما كان بعيداً، ففي ذات مرة جاء إلى مكان الدرس في بيت الشيخ / ناصر الترماني في حلب رجل صوفي يقول: [أنتم تسبون الصوفية، وأنا من أهل الله، وأعطيكم البرهان، وإذا كنتم من أهل الحق افعلوا مثلي، أنا سأدخل السكين، من الجانب الأيمن، وأخرجه من الجانب الأيسر، ولا يتزل مني قطرة دم واحدة] فقال له الشيخ الألباني: [لا نريد سكيناً ولكن نريد دبوساً ندخله نحن في وجنتك ثم نخرجه من الجهة الثانية!!] فقال: [لا بل بيدي] فقال الشيخ: [لا، أنت من أهل الله، ولا تفرق بأي الأيدي أدخلناه!] فرفض وانهمز وخزي وانصرف، ثم قال له الألباني وهو ذاهب: [قل لشيخك -الصوفي- السلفي لا يمكن أن تضحك عليه].

فهذه الطريقة الرفاعية، إما أن تكون خدعة، وإما أن تكون بتعاون الشياطين معهم، وهذا كثير جداً، وإما أنهم يتمنون على أشياء أو يدخلونها في أماكن معينة، فمهما كان أهل الضلال فيأثم على شفا جرف هار، فلو رأيت الساحر يمشي على الماء أو يطير في الهواء فهو ساحر وضال فلا يمكن أن نصدق أنه من أولياء الله!!.

وناقش الصوفية، ومتعصبة المذاهب، والمعتزلة، ومدعي النبوة، والقاديانية،
والنقاشات العلمية العادية.

ولما ناقش من المبتدعة من تلاميذ حسن السقاف، وهو-أي السقاف- من كبار الدعاة إلى الضلالة في هذا العصر، وهو عند أهل البدعة مقدر جداً، فأرسل أحد تلاميذه لمناقشة الألباني فقال له الشيخ ناصر: [ما هي مصادر التشريع في الإسلام؟ قال: أربعة قال: ما هي؟ قال: الكتاب، والسنة، والإجماع والقياس، قال: هذه في كل شيء من الدين أو تختلف، قال: في كل شيء في الدين، قال: حتى في العقيدة؟! قال: حتى في العقيدة! قال: انتبه يا بني آدم! حتى في العقيدة، قال: حتى في العقيدة، فقال الشيخ: في العقيدة الكتاب والسنة والإجماع فهمنا، ولكن القياس! كيف تقيس العقيدة، والعقيدة لا مدخل لها في القياس؛ لأن هذا من علم الغيب؟ فبهت] .

ولما ناقشه قال له الشيخ: [أين الله؟ فلف ودار، و هو لا يريد أن يقول في السماء، فقال الشيخ: لماذا لا تقول كما قالت الجارية لما سأها النبي -صلى الله عليه وسلم- : (أين الله؟ قالت: في السماء)) قال: لا يا شيخ! أنا لا أريد أن أقول بحديث الجارية، يعني هذا حديث نص في المسألة، واستشهد الشيخ في النقاش ببيت شعر:

غيري جنى وأنا المعذب في ——— كم فكأنني سبابة المنتدم

فأعجب بها ذلك المبتدع أبما إعجاباً، ودخلت عقله وقال: يا شيخ لحظة! أملها عليّ حتى أكتبها، فقال الشيخ: ما استفدت من هذا النقاش كله إلا هذا البيت، ثم بدأ الشيخ ينتقل من نقطة إلى أخرى في النقاش، وإذا بالرجل بدأ يراوغ ويعود؛ مع أنه سلم بأشياء، قال: اكتب هنا مثال جميل: [عادت حليلة إلى عادتھا القديمة!!] .

وناقش الشيخ أحد مدعي النبوة، وهذا رجل يمكن أن يكون عنده انفصام في الشخصية في النقاش يقول ذلك الرجل بالصوت المرتفع، وبعصبية!! فقال له الشيخ: [هون عليك النبي -صلى الله عليه وسلم- خاتم النبيين: (كان هيناً ليناً تأخذه الأمة) وأنت نبي معصّب! ثم سأله هل أنت عالم بعلم الحديث؟! فسكت، فقال: أعيد عليك السؤال؟! هل أنت عالم بعلم الحديث؟ قال: لا، قال: فكيف تعرف الحديث الصحيح من الضعيف، قال: بالعلم الذي يأتي من الله، فقال الشيخ: قوموا يا جماعة ما دام النقاش بهذا الشكل فلا يمكن أن يكون هذا نقاش!!.

وناقش القاديانية في الخمسينيات، وكانت الردود مكتوبة من الطرفين، ولا زال رده على القاديانية مخطوطاً.

وسمع الألباني مرة أن رجلاً يحضر الأرواح فذهب الشيخ إليه لما دخل عليه تلخبط الرجل فقال الألباني: [أريدك أن تحضّر لي روح؟ قال: من تريد؟ قال: أريد روح البخاري، فإنني كتبت أسئلة، وأريد أن أسأل البخاري!!، قال: وماذا تريد من البخاري؟! قال: عندي أسئلة أريد أسألها البخاري، فقال هذا المشعوذ الدجال: اليوم انتهت الأرواح التيحضّرناها! تعال يوم الاثنين! ذهب الشيخ يوم الاثنين، فما وجد الرجل، وليس فقط أغلق المحل؛ بل أنه نقله إلى مكان آخر.

ومن مناقشاته التي حصلت أنه جاءه مرة أناس من الذين اشتغلوا بالتكفير، فقال للألباني: [أنتم مبتدعة، تقولون: الكفر كفران، ما وجدنا هذا في الكتاب ولا في السنة، فالكفر كفر واحد والظلم ظلم واحد، فينبني عليه تكفير أي واحد حلف بغير الله، فقال الشيخ: تقول أنت الظلم واحد؟! قال: نعم، قال: تثبت على هذا، قال: نعم، قال: يا فلان هات المعجم المفهرس لألفاظ الحديث، ففتحه! اقرأ يا فلان! فقرأ قال النبي -صلى الله عليه وسلم-: (اللهم إني ظلمت نفسي ظلماً كثيراً...) فقال الشيخ: تعرف هذا ماذا يكون على كلامك! اللهم إني كفرت

كفراً كبيراً وأشركت شركاً كبيراً فاغفر لي ذنبي]. فتراجع فوراً، والآخر عاندا! فقال الشيخ من يومها: [هذا لا خير فيه] ثم مرت الأيام فصار زنديقاً شيعياً. وتناظر مرة مع الشيخ عبد العزيز بن باز في مسألة وجوب التمتع في الحج، وكان الشيخ ابن باز موجوداً، ولما جاءت مسألة هل التمتع واجب، قال الشيخ ابن باز - رحمه الله -: هل الشيخ ناصر موجود في المجلس؟! لأن الشيخ أعمى فقالوا: موجود فضحك وتكلم الشيخ ابن باز في استحباب التمتع وليس في وجوبه، ثم تكلم الشيخ الألباني في وجوب التمتع وسكتنا، فما كان في مهاترات إطلاقاً.

الألباني يثني على خمسة:

كان يثني على خمسة: ابن باز أولهم وأنه لم ير مثله في العلم. وتقي الدين الهلالي، وصفي الدين المباركفوري شارح المشكاة، وبديع الدين السندي، ولعل الآخر الشنقيطي، وكان الألباني يمدح الشنقيطي في إخلاصه ودينه، ويقول: [كأني أرى ابن تيمية في استحضاره].

ابن باز يشبه أبو بكر والألباني يشبه عمر:

ولو جمعنا تسامح ابن باز في الخلاف بحزم الألباني وصرامته في القضايا، لنشأ مزيج عجيب؛ لأن الشيخ ابن باز - رحمه الله - كان كثيراً ما يقول: [المسألة فيها سعة]، والشيخ الألباني عنده حدة وشدّة، ولو أن الشيخ الألباني أخذ بشيء من السماحة في الرأي المخالف، واتسع عنده الخلاف المعتبر؛ للاقى قبولاً أعظم وأكثر. وإذا كان للشيخ - رحمه الله - شيء من الحدة، فيجب أن لا يتأثر بها سلباً من يقرأ له، فإن بعض الشباب يقرؤون للألباني ويأخذون شيئاً من حدته، وليس عندهم علم بالشيخ؛ بل يأخذون عبارات لا تليق بهم، فالشيخ الألباني بعد عشرات السنين في العلم يقول مثلاً: [فاظفر بهذا البحث فلعلك لا تجده في غير هذا

الموضع]، فيأتي واحد في العشرينات من عمره فيكتب: [فاظفر بهذا البحث لعلك لا تجرد في غير هذا الموضوع]، فهذا هراء وسخافة، ومع الأسف الشديد تأثر بعضهم تأثراً سيئاً عكس ما كان يريد الشيخ تماماً.

وقد يشبه بعض طلبة العلم الشيخين، فيقول: [الشيخ / ابن باز في سيرته أقرب لأبي بكر الصديق رضي الله عنه، والشيخ/ الألباني في سيرته وطريقته أقرب لعمر بن الخطاب رضي الله عنه، فأبو بكر الصديق رضي الله عنه كان في السماحة آية، وعمر بن الخطاب رضي الله عنه كان في الشدة في أمر الله آية].

وامتاز الألباني بأنه كان صريحاً واضحاً، وإذا عرف الحق يطبق على نفسه، وعلى أهله، وعلى الجميع، وإذا كان واسع الصدر في الأشياء العلمية فإنه ربما يكون ضيقاً مع أخطاء الناس.

والشيخ عبد العزيز بن باز - رحمه الله - تميز في المقابل بأنه كان واسع الصدر جداً في أخطاء الناس، ولكنه لا يحب الجدل العلمي، والشيخ الألباني قد يناقش ثلاث ساعات في المجلس مسألة واحدة، الشيخ عبد العزيز كان يقول كلامه ويسكت، فلعل الشيخ عبد العزيز أقرب إلى عصر الصحابة، والشيخ الألباني أقرب إلى عصر الإمام البخاري والإمام أحمد لما كثرت النقاشات ومجادلة أهل البدع، فالبيئة لها دور في طبائع الشعوب، فاحتكاك الألباني مع أهل البدعة وما حصل من النقاشات كان له دور كذلك.

وهذان الرجلان لهما آثارهما في العالم الإسلامي بل كل العالم، يقول أحد الدعاة: [ذهبت إلى سياتل آخر مدينة في أمريكا على الساحل ؛ لأرى أثر ابن باز عملياً في إنشاء مركز الدعوة، وكفالة الدعاة، وطلبة علم، وأرى آثاراً علمية للألباني بكتبه الموجودة هناك، وذهبت إلى الصين فرأيت الشيء نفسه، وفي الحقيقة

أن هذين الرجلين قد قيضهما الله -عز وجل- لتحديد الدين في هذا الزمان فردا الناس إلى السنة، وأيقظا في الناس اتباع الدليل الصحيح، والعقيدة الصحيحة.

متفرقات من حياته:

كان الشيخ -رحمه الله- بعد الغداء إذا أصاب الخمول من حضر عنده يقوم إلى الطاولة مباشرة، ويقول له طلابه: أما تعبت أما أصابك نعاس؟! فيقول: لا. وكان يصلي الفجر بوضوء العشاء أحياناً، ومعدل نومه اليومي أربع ساعات، وإذا زاد عن الحد إلى ست ساعات، ولذلك الرجل أنتج؛ لأنه كان لا يقضي وقتاً طويلاً في النوم، ولا في الأكل، ولا في الذهاب والإياب؛ وإنما كان محافظاً على وقته، وإذا اتصل عليه أحد أو جاءه شخص يقول له: معك خمس دقائق، معك عشر دقائق، والزيارة نصف ساعة من باب المحافظة على وقته.

أصابه شدة في أول أمره وتحمل، يقول: [مرة دعا أحد طلابه إلى وليمة، وقال: لا تقل أي تكلفت لك، والله لقد مضى علي أيام ما كان عندي إلا قنصين - العملة في ذلك الوقت- أشتري بفرنك خبزة، وفرنك مرق الجبن، فما يستطيع أن يشتري جبناً، فيغمس الخبز بمرق الجبن ثم يأكل، هذا الحدث حصل في عام ١٩٥٢م تقريباً.

وكان للشيخ صدقات، وهذه المسألة لا يعرفها أحد، ولكنه كان يقضي بعض ديون تلاميذه، ويرسل بالصدقات لبعض فقراء عمان.

وكان له من اللطائف والغرائب شيئاً كثيراً، فقد كان له مكتب وعلى النافذة يوجد مثل البوري، والزحليقة، أو الزحليطة يضع فيها بقايا الطعام فيتدحرج إلى الأسفل إلى طيور ودجاج كان يربيهما، فيضع الطعام فيتزل مع هذا البوري إلى الطيور والدجاج ليأكله.

ومرة دعوت الشيخ إلى بيبي فأتى أحد الإخوان بطبق فيه نوع من الطعام فأخذه الشيخ وقال: [هذا يدخل الجوف بلا خوف] وهذا من مداعباته على الطعام.

تواضعه:

كان يركب سيارة موديل ثمانية وثلاثين ميلادي ويطوف في الدعوة، وإذا تعطلت بهيصلحها ويمشي.

وكان مقاوماً للترف، وقد وضع له طعام مرة عدة أصناف، فقال لمن معه: [ارفع واترك نوعاً واحداً فقط -، أي تأخذون من هذا قليلاً، ومن هذا قليلاً، هذا لعب بالنعمة! - ننتهي منه ثم نأتي بالآخر.

ومن تواضعه -رحمه الله- أنه مرة زار تلميذاً في الدراسة الثانوية، فمن الهيبة والد التلميذ ذهب واستدعى الولد من الثانوية إلى البيت، وقال عندنا ضيوف، وقال رأيت شيخين أبيضين أو ثلاثة/ محمد نسيب الرفاعي، والألباني، فقال الألباني للأب: [هل تسمح أن يكون بيتك مكاناً للطلب، وللدرس، قال فقفز الابن فقال: لا مانع، فقال الشيخ الألباني: تأدب واسأل أباك، فقلت: أبي لا يمانع، فقال: تأدب واسأل أباك؛ حتى جاءت الموافقة من الأب، ويقول التلميذ: من تواضع الشيخ أنه زارني في البيت يطلبني وأنا طالب ثانوي، وهو شيخ كبير .

وفاته ودفنه:

لما أعياه التعب، ودب إليه المرض نصحه الأطباء بالراحة، ولكنه لم يكن يغفل: (منهمومان لا يشبعان: طالب علم، وطالب دنيا) صححه الألباني في صحيح الجامع.

أخبرني ابنه عبد اللطيف وكان ملازماً لوالده، قال: [جعل أبي المكتبة وقفاً على الجامعة الإسلامية، وأوصى بأن يسرع في الدفن، وعدم انتظار الناس، وأن يقبر في أقرب مقبرة ؛ لئلا يضطروا إلى حمله بالسيارة وإنما يحملونه على الأكتاف؛ لأنه يرى هذه هي السنة، وقبل ساعة من وفاته، كان مستيقظاً، ومن العجائب أنه كان في النوم يقول: هاتوا كتاب العلل، هاتوا كتاب كذا، هاتوا الجرح والتعديل. ومرة قال أثناء النوم وهو يحرك يده كهيئة الساجد، وقال: هاتوا سنن أبي داوود تحل المشكلة، وقال لي مرة ولده : مباشرة أثناء النوم فجأة تكلم، فقال: هات كتاب الترغيب والترهيب المجلد الأول، فأتيته، فقال: افتح، ففتحت، عد واحد، اثنين، ثلاث أحاديث، هذه في الطول تقريباً سواء، قلت له: لا يوجد فيها حديث طويل، قال: واصل القراءة حديث قلت: هذا الحديث السابق طويل، قال: يكفي، من رواه؟! قلت: جابر، فقال: خلاص أعد الكتاب! وهو نائم، ويقول: مرة كان تكلم وهو نائم فاقتربت منه لأسمع كلامه، ففتح عينيه فجأة، وقال: تتجسس عليّ، وضحك.

كان يجمع الصلاة في آخر شهرين أو ثلاثة من عمره، وقال: كنا نرحمه؛ لأنه يسهر الليل بالتأليف والتحقيق، فأذهب للنوم الساعة الحادية عشر ليلاً، ثم استيقظ الساعة الواحدة فأجده قد استيقظ، ثم يقوم إلى الطاولة وإلى الفجر لا ينام، ثم ينام ساعتين في النهار، فمعنى ذلك أنه ينام أربع إلى ست ساعات ويشغل عشرين ساعة، أو ثمانية عشر ساعة، فهذا عمله.

قال: وأقول لك بشكل خاصإننا قد لاحظنا أثر الجلوس الطويل عليه على ظهره أثناء تغسيله.

دُفن الشيخ -رحمه الله- وكان رجلاً قد رأى رؤيا في المنام أن الألباني على درج طويل يلقي إلى قصر طويل، وحوله روضة خضراء، فقال: يا شيخ ! هل

تتعب في الصعود؟! قال: لا فإنني إذا بدأت فيه صعدت بدون كلفة، قال: فاتصلت على أحد تلامذة الشيخ في عمان، فقال: نحن الآن في المقررة ندفن الألباني. وأجريت له عملية قبل موته "بوهنتج" بسبب سرطان الأمعاء، فتحمل الشيخ حتى نزل وزنه إلى ثلاثين كيلو، مع أنه كان رجلاً جسيماً.

بعض ما رثي به :

رثي الشيخ مرات عديدة، ومن ذلك هذه القصيدة:

ما لي أراك تباهي الشمس إمعاناً الموت يخفي وتزهو اليوم إعلاناً
سواك يطمسه موت وأنت به ولدت مرتقباً عرفاً وتيجانا
كأنك الشمس أخفاها السحاب فما ينفك إشعاعها ينداح ألوانا
كأنك النبع دف الماء يصدحه حتى وإن حجبت الغاب أغصانا
كأنك الصبح مهما الليل غالبه إلا وأيقظ أبصاراً وأذاناً
سواك ذكراه في مال وفي نسب وصرت للسنة الغراء عنوانا
وعيت منها جبلاً من مراجعها فكنت بجرأ وكانت فيك حيتاناً
حررت رأيك من أغلال مذهبيها وللأئمة تعلي قدرهم شانا
محصت كل صحيح من شوائبها كما تنقى من الشيطان ذهبانا
نخلتها فاستبانتي في مواطنها حسناً وسقماً وتصحيحاً ونكرانا
طرقت للحق شمساً في مطالعها حتى غدا كل شرطٍ منك وجدانا
جددت للناس في نهر الحديث هوى أودى القلوب فهل أحصيت قتلتانا
أشهدتنا مثلاً للبعقري طوى في كل عصرٍ من الإبداع ميدانا
قالوا وقالوا وما أعيت مقالتهم فما عليك إذا وفيت إحسانا
وما على السيل إن صفت جوانبه لكنه غادر المربع ريانا
أهل الحديث على الأعصار جنتها وكننت في عصرنا عدناً ورضواناً

هذا هو الدين يعلي شأن حامله كانوا من الروم أو فرساً وألبانا
يا ناصر الدين قد صدقت نصرته فما عليك إذا خلقت دنيانا
لولا الرجاء على الآلام يصحبي لاغتالي اليأس من دهري بما كانا

الخاتمة:

ذهب الشيخ إلى ربه ونحن من بعده نستفيد من كتبه ومؤلفاته، ونسأل الله أن يرزقنا الإخلاص والاستقامة والتوفيق، وحسن الخاتمة، وأن يجعلنا ممن يريد الحق ويتبعه، ونحن نذكر أنفسنا بأننا لا نقلد المشايخ تقليداً أعمى، لا الألباني ولا غيره، وإنما نتبع الحق، وإذا رأينا شذوذاً في فتاواه أو في فتاوى غيره فلا نقبلها، وإنما هو يدلنا بكلام العلماء، ونستدل على الحق.

ولا شك أن سيرة الشيخ طويلة وعامرة بالأحداث ولكن أكتفي بهذا القدر.
وأسأل الله -عز وجل- أن يجعلنا من أهل الحق العاملين به الداعين إلى سبيله،
وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

أسماء أولاد الشيخ

إن من توفيق الله عز وجل إياي أن ألهمني أن أعبد له أولادي كلهم وهم: عبد الرحمن وعبد اللطيف وعبد الرزاق من زوجتي الأولى - رحمهما الله تعالى - وعبد المصور وعبد الأعلى من زوجتي الأخرى والاسم الرابع ما أظن أحدا سبقني إليه على كثرة ما وقفت عليه من الأسماء في كتب الرجال والرواة ثم اتبعني على هذه التسمية بعض المحبين ومنهم واحد من فضلاء المشايخ جزاهم الله خيرا أسأل الله تعالى أن يزيدني توفيقا وأن يبارك لي في آلي {ربنا هب لنا من أزواجنا وذرياتنا قررة أعين واجعلنا للمتقين إماما} ثم رزقت سنة ١٣٨٣ هـ وأنا في المدينة المنورة غلاما فسميته محمدا ذكرى مدينته صلى الله عليه وسلم وعملا بقوله صلى الله عليه وسلم " تسموا باسمي، ولا تكنوا بكنيتي " متفق عليه وفي سنة ١٣٨٦ هـ رزقت بأخ له فسميته عبد المهيمن، والحمد لله على توفيقه.

[الضعيفة ١ / ٦٢٩]

عمر الشيخ عند كتابة المجلد الثاني عشر من الضعيفة

وجدت نفسي لا تطمئن لتصحيح هذا الحديث، وإن كان معناه يوافق هوى النفس؛ فقد بلغت الخامسة والسبعين! أضف إلى ذلك أنه لا يلتقي مع قوله صلى الله عليه وسلم:

"أعذر الله إلى امرئ أخر أجله حتى بلغ ستين سنة".

رواه البخاري وغيره. وهو مخرج مع بعض شواهده في "الصحيحة" برقم

(١٠٨٩).

[الضعيفة ٩٦٧/١٢]

عمر الشيخ عند تحقيق صحيح الترغيب

من أجل ذلك فإني أشكر الله تعالى على ما وفقني ويسر لي من تحقيق هذا الكتاب مرة أخرى ، وقد دخلت في الخامسة والثمانين من عمري بالتأريخ الهجري ، فله تبارك وتعالى الثناء والمجد ، وإليه أضرع وأسأل أن يبارك فيما بقي من عمري ووقتي ، وأن يمتعني بسمعي وبصري وقوتي ما أحياني ، ويمدني بمدد من عنده وفضله ، حتى أستمر في خدمة سنة نبيه صلى الله عليه وسلم ، إلى آخر رمق من حياتي ، وأن يلحقني بالصالحين إذا حان أجلي ، إنه سميع مجيب .

[صحيح الترغيب ١٢/١]

بعض ما وقع للشيخ من الفراسة

الإخبار عمن في نفس الغير ليس من الجزئيات القريبة ، بل هو من خصوصيات الله تبارك وتعالى (تعلم ما في نفسي ...) فيستحيل أن يصل إلى هذه المرتبة يتعاطى الرياضة من مؤمن أو كافر ، ونحوه هذا الأخبار بموت الغائب ، أو بقدمه ، نعم هذان الأمران الخيران ونحوهما قد يكون من وحي الشيطان الجني الذي يسترق السمع الي الشيطان الإنسي ، أو يمكنه بحكم جبلته أن يطلع على موت فلان ، قبل أن يطلع عليه البعيد عنه من بني الإنسان ، فيخبر به من يريد أن يضلّه ، من الإنس من هولاء المرتاضين الذين يتحدث عنهم المصنف ، رحمه الله تعالى ، ومثله قدوم الغائب ، ومكان الضالة ، ونحو ذلك فهذه أمور ميسورة للجن ، فيطلعون بعض الإنس بما لأضلالهم (وأنه كان رجال من الإنس يعوذون برجاله من الجن فزادوهم رهقا) واما الأطلاع على ما في الصدور والأخبار به فليس في طوق أحد منهم إلا بإخبار الله عز وجل من شاء من عباده الذين أرتضاهم لرسالته كما قال (عالم الغيب فلا يظهر علي غيبه -أحد الا من أرتضي من رسول) نعم من ليس هذا القبيل ما يلهمه الرجل الصالح ثم يقع كما ألهم ، لأنه لو سئل عنه قبل ذلك لم يستطع الجزم به فلأنه لا يدري أمن الهام الرحمن هو ، أم من وحي الشيطان ؟ بخلاف التي (قالت ، من أنباك هذا قال : نبأني العليم الخبير) وليس منه ايضا ما يتنبأ به الأنسان بفراسته وملاحظته الدقيقة التي لا يتنبه بها له غيره ، وقد وقع لي شخصيا من هذا النوع حوادث كثيرة لولا أنني كنت أبادر إلى الكشف عن أسبابها الطبيعية لظننها الناس كشفا صوفياً ! فمن ذلك أنني كنت يوما في حلقة الدرس أنتظر أن يكتمل الجمع ، إذا قلت لمن عن يميني - وهو حي يرزق - بعد قليل يدخل فلان -

لشباب سميته - فلم يمض سوي لحظات حتى دخل ، فنظر إلى جليسي دهشاً ، كأنه يقول أكشف؟ فقلت لا بل هي الفراسة ز ثم شرحت له سر المسألة ، وذلك أن لشباب المشار إليه أعرف أن له درجة عادية يأتي عليها الدرس . وأعرف أيضا أن الراكب لها إذا أراد التزول عنها أوقف تحريك رجله إذا أقترب من المكان الذي يريد التزول عنه ، وأنه عند ذلك يسمع منها صوت بعض مستناتها، وكانت دراجة الشاب من النوع المعروف ب(السباقية) والصوت الذي يسمع منها عند التزول أنعم من الأخرى ، وكان هو الوحيد الذي يركبها ، من بين الذين يحضرون الدرس عادة ، فلما اراد التزول ، وأوقفى رجله طرق سمعي ذلك الصوت ، فعرفت أنه هو ، وأخبرت جليسي به ، فكان كذلك !

وقد اتفق لي مرارا- ويتفق مثله لغيري - أنني وأنا في صدد تقرير مسأله يقوم بعض الحاضرين يريد أن يسأل ، فأشير إليه بأن تمهل - فإذا فرغت منها قلت له ، الن - فسل. فيقول ما أردت السؤال عنه قد حصل ! فأقول أهذا هو الكشف؟! فمثل هذه الأجابة قد تقع مرة عفوا، وتارة بقصد من المدرس تالذي يحكم من كذه قد ينتبه لما لا ينتبه إليه الحاضرون فيعرف من علامات خاصة تبدو له من الذي يريد السؤال ما هو سؤاله فيجيبه قبل أن يسأل ! فيظن كثيرا من الناس أنه كشف أو أحبار عما يضممر في نفسه ، وإنما هو الظن والفراسة ، ويستغل ذلك بعض الدجالين فيلقون في نفوس مرديهم أنهم يطلعون على الضمائر، وأنهم يعلمون الغيب ، فيقبلون ذلك منهم ببساطة وسلامة قلب ، حتى أن الكثير منهم لا يسافرون، ولا يأتون عملا يهتمهم ، إلا بعد موافقة شيخهم عليه، فكأنه عندهم (بكل شيء عليهم) و الله المستعان . [التنكيل ٢/٢٣٩] .

ذكريات الشيخ في السجن

وكان أول ما صنعته في ذلك أن حققت " مختصر مسلم " المذكور ، ورقمت أحاديثه ، وشرحت غريبه ، وعلقت عليه تعليقات مفيدة ، ثم طبعته في بيروت .

وكان قد تبين لي بعد الفراغ منه أن الحافظ المنذري - رحمه الله - لم يقتصر في اختصاره إياه على حذف أسانيده والمكرر من متونه فقط ، بل حذف منه بعض المتون أيضاً ، فلما بدا لي ذلك تمنيت أن لو متاح لي فرصة ، لأتولى أنا بنفسني اختصاره بطريقتي الخاصة ، وشاء الله تبارك وتعالى ذلك ، حيث قدر عليّ أن أسجن في عام ١٣٨٩هـ الموافق لسنة ١٩٦٩ م مع عدد من العلماء من غير جريرة اقترفناها سوى الدعوة إلى الإسلام وتعليمه للناس ، فأساقُ إلى سجن القلعة وغيره في دمشق ، ثم يُفرج عني بعد مدة لأساقُ مرة ثانية وأنفى إلى الجزيرة ، لأقضي في سجنها بضعة أشهر ، أحسبها في سبيل الله عز وجل .

وقد قدر الله ألا يكون معي فيه إلا كتابي المحبب : " صحيح الإمام مسلم " ، وقلم رصاص وممحاة ، وهناك عكفت على تحقيق أميني ، في اختصاره وتهذيبه ، وفرغت من ذلك في نحة ثلاثة أشهر ، كنت أعمل فيه ليل نهار ، ودون كلل ولا ملل ، وبذلك انقلب ما أراده أعداء الأمة انتقاماً منا إلى نعمة لنا ، يتفياً ظلالتها طلاب العلم من المسلمين في كل مكان ، فالحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات .

كما يسر الله تعالى لي التفرغ لعدد كبير من الأعمال العلمية ما كان متاح لي أن اعطيها الوقت اللازم لو بقيت حياتي تسير على النهج المعتاد ، فقد قامت بعض الحكومات المتعاقبة بمنعي من الخروج على المدن السورية في الزيارات الشهرية التي كنت أقوم بها في الدعوة إلى الكتاب والسنة . وهو نوع مما يسمى في العرف الشائع بـ " الإقامة الجبرية " كما أنني قد مُنعت خلال فترات متلاحقة من إلقاء

دروسي العلمية الكثيرة التي كان التحضير لها يأخذ جزءاً كبيراً من وقتي ، وهذا كله قد صرف عني الكثير من الأعمال ، وحال بيني وبين لقاء عدد كبير من الناس الذين كانوا يأخذون من وقتي الشيء الكبير . [مختصر صحيح البخاري ١/٨ ، ٩]

مرض الشيخ في رمضان ١٤١٨هـ

هذه الزيادة والتي قبلها استدركتها من " المعجم الكبير " ومنه صححت بعض الأخطاء كانت في الأصل . وقد يكون قد فاتني شيء فمعدرة لأني بشر أخطئ وأصيب . أولاً ، وثانياً فإني لا أزال مريضاً من رمضان الماضي سنة (١٤١٨هـ) إلى هذا الشهر / رجب (١٤١٩هـ) ، سائلاً المولى سبحانه أن يعافيني ويعيد إليّ نشاطي في خدمة السنة المطهرة ، إنه سميع مجيب .

[صحيح الترغيب ٣ / ٤٩٥]

ذكر نعم الله على الشيخ

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ:
(أَعْمَارُ أُمَّتِي مَا بَيْنَ السَّبْتَيْنِ إِلَى السَّبْعِينَ وَأَقْلَهُمْ مَنْ يَجُوزُ ذَلِكَ)
قَالَ ابْنُ عَرَفَةَ: وَأَنَا مِنَ الْأَقَلِّ .

علق الشيخ على الحديث فقال : وأنا أيضاً من ذلك الأقل ، فقد تجاوزت الرابعة والثمانين ، سائلاً المولى سبحانه وتعالى أن اكون ممن طال عمره ، وحسن عمله ، ومع ذلك فإني أكاد أتمنى الموت ؛ لما أصاب المسلمين من الانحراف عن الدين ، والذل الذي نزل بهم حتى من الأذلين ، ولكن حاشا أن أتمنى ، وحديث أنس مائل أمامي منذ نعومة أظفاري ، فليس لي إلا أن أقول كما امرني نبيي صلى الله عليه وسلم : " اللهم أحيني ما كانت الحياة خيراً لي ، وتوفني إن كانت الوفاة خيراً لي " ، وداعياً بما علمني عليه الصلاة والسلام : " اللهم متعنا بأسماعنا وأبصارنا وقوتنا ما أحييتنا ، واجعلها الوارث منا " ، وقد تفضل سبحانه فاستجاب ومتعني بكل ذلك ، فهذا أنا إذا لا أزال أبحث وأحقق ، وأكتب بنشاط قلّ مثيله ، وأصلي النوافل قائماً ، وأسوق السيارة بنفسي المسافات الشاسعة و وبسرعة ينصحني بعض الأحبة بتخفيفها ، ولي في ذلك تفصيل يعرفه بعضهم ! أقول هذا من باب " وأما بنعمة ربك فحدث " ، راجياً من المولى سبحانه وتعالى أن يزيدني من فضله ، فيجعل ذلك كله الوارث مني ، وأن يتوفاني مسلماً على السنة التي نذرت لها حياتي دعوة وكتابة ، ويلحقني بالشهداء والصالحين ، وحسن أولئك رفيقاً ، إنه سميع مجيب .

[صحيح موارد الظمان ٢/٤٦٤ ، ٤٦٥]

قصة اختصار كتاب العلو للذهبي

قال رحمه الله :

فبين يدي القارئ الكريم مختصري للكتاب الجليل: "العلو للعلي العظيم وإيضاح صحيح الأخبار من سقيمها" للحافظ أبي عبد الله شمس الدين محمد بن أحمد بن عثمان بن قیماز الدمشقي الأثري المعروف بـ "الذهبي" وهو "كتاب العرش" الذي ذكره ابن العماد في ترجمة الحافظ من "الشذرات" "٨ / ١٥٦" وكذا السفاراني في كتابه "لوامع الأسرار" ونقل عنه مرارا كما رأيت في "مختصره" (١) للشيخ العلامة محمد بن علي بن سلوم.

ويعود الفضل في إقدامي على اختصار هذا الكتاب الجليل فضلا عن نشره إلى أخي في الله تعالى الأستاذ زهير الشاويش فقد كنت في حديث علمي معه والكتب المؤلفة في العقيدة حين جاء ذكر هذا الكتاب (٢) فاقترح علي أن أتولى تحقيقه وتخریجه فزدت عليه قائلا: واختصاره، وحذف الأخبار السقيمة منه، وبينت له ضرورة ذلك وأهميته.

وبعد التداول في ذلك، وإمعان النظر فيه اتفقنا على ذلك، وكان مما شجعني على المضي فيه أنني أعلم وجود نسخة خطية جيدة منه في المكتبة الظاهرية في دمشق يمكننا الاعتماد عليها في التحقيق.

(١) انظر "لوامع الأسرار".

(٢) وذلك في طريقنا لأداء العمرة في رمضان سنة ١٣٩١.

وابتدأت العمل في اختصاره من نسخة سقيمة الطبع والتحقيق، لم يتيسر لنا يومئذ غيرها إذ كنا على سفر. حتى إذا رجعت إلى دمشق انكبت عليه تحقيقاً وتخریجاً وتعليقاً حتى يسر الله تعالى إتمامه بمنه وفضله وكرمه.

ولما بدأت بالتحقيق كان من أول ما شرعت فيه أن قابلت المطبوعة المشار إليها بمخطوطة المكتبة واستعنت على ذلك ما توفر لدي من نسخ أخرى مطبوعة أهمها الطبعة الأولى منها وهي المطبوعة في الهند على الحجر سنة "١٣٠٦"، عن نسخة خطية كتبت من نسخة كتبت من خط المؤلف رحمه الله تعالى كتبها أحمد بن زيد المقدسي كما جاء في آخر النسخة الهندية.

وأما النسخ الأخرى فهي على وفق النسخ الهندية ومأخوذة عنها وهي ثلاث:
الأولى: طبعة المنار للسيد رشيد رضا رحمه الله تعالى قام بطبعها سنة "١٣٣٢"
وأصله فيها الطبعة الهندية، كما صرح بذلك على الوجه الأول من طبعته
الثانية: طبعة أنصار السنة المحمدية في القاهرة طبعت سنة "١٣٥٧" بتعليق الأخ
الفاضل الشيخ عبد الرزاق عفيفي وتصحيح الأستاذ زكريا علي يوسف.
الثالثة: نشر المكتبة السلفية المدينة المنورة. "١٣٨٨" بتقديم وتصحيح الأستاذ
عبد الرحمن محمد عثمان.

وهاتان الطبعتان الأخيرتان أصلهما طبعة السيد رشيد رضا وإن لم يقع التصريح بذلك منهما فإن ذلك بين جلي عند من يقابلهما بما فإن أي نقص أو خطأ أو تحريف وقع فيها فلا بد أنك واجدها فيهما، والأمثلة على ذلك كثيرة، وإنما أكتفي هنا بمثال واحد منها وهو غريب جدا، يدل على أهمية التحقيق أو التصحيح الذي يتجح به بعضهم! وذلك ما نبهت عليه في آخر الكتاب تحت الترجمة "١٦٧ - الشيخ أبو البيان" فقد جاء فيها في طبعة المنار "ص ٣٤٢" ما نصه:
" ... الحنابلة إذا قيل لهم ما الدليل على أن القرآن "ليس" بحرف وصوت؟ "

كذا فيها زيادة "ليس" بين هلالين، وبحرف أصغر من حرف الكتاب، يشير بذلك مصصح الطبعة -ولعله غير السيد رشيد- إلى أنها زيادة باجتهاد من عنده زادها على أصله الذي هو الطبعة الهندية كما سبق وهذه في الواقع خلو منها طبقا للمخطوطة كما بيته هناك.

ثم وقع اجتهاد جديد من مصصح طبعة "الأنصار" فحذف الهلالين المحيطين بلفظ "ليس" ودخل هذا بسبب ذلك في صلب الأصل فتضاعف الخطأ لأنه مع كونه غير ثابت في الأصل كما أشار إليه السيد رشيد فهو مفسد للمعنى أيضا لأن الحنابلة يعتقدون أن القرآن بحرف وصوت كما بيته هناك، وهو الحق خلافا للأشاعرة وغيرهم.

وكما وقعت هذه الزيادة المفسدة للمعنى في الطبعة المذكورة، كذلك وقعت تماما في طبعة السلفية بالمدينة! وهذا مما ينبه اللبيب إلى مبلغ صحة قول مصصح هذه الطبعة تحت اسم الكتاب:

" قدم له وراجع أصوله " " عبد الرحمن...."

ثم وصف النسخ الخطية ، ثم قال :

وجملة القول أنني أرجو الله تعالى أن يكون هذا "المختصر" بما فيه من مادة علمية منقولة أقرب ما يكون مطابقة لما كانت عليه نسخة المؤلف رحمه الله تعالى لاعتمادى على المخطوطة المشار إليها وغيرها من المصادر المذكورة.

وقد جاء عنوان الكتاب في المخطوطة مخالفا بعض الشيء له في المطبوعة، ففي المخطوطة "العلو للعلي العظيم، وإيضاح صحيح الأخبار من سقيمها" وفي المطبوعة "العلو للعلي الغفار في صحيح الأخبار وسقيمها". فآثرت ما في المخطوطة لأمرين: الأول: أنها أصح من المطبوعة كما سبق:

والآخر: أنه جاء في خطبة الكتاب: "الحمد لله العلي العظيم"، فكان ما في المخطوطة أنسب لهذا اللفظ مما في المطبوعة، على أنني أحشى أن يكون العنوان الآخر من المطبوعة قد تصرف به بعض المصححين أو غيره.

وقد التزمت في اختصاره الأمور التالية:

١- حذفت المكرر منه، وهو قليل.

٢- والأحاديث الضعيفة الغرائب التي ليس لها شواهد معتبرة، تمكن تقويتها بها، على ما تقتضيه شروط التقوية المقررة في علم مصطلح الحديث. والمصنف نفسه لم يروها غالبا إلا لتزييفها والكشف عن حالتها كما قال عقب أحدها ص ٢٨ من الأصل. وقال في حديث آخر "ص ٤٥":

"رويته للتحذير منه".

وقد يورد الحديث الضعيف وهو على علم به، لأن فيه ما يشهد له في الآيات والأحاديث الأخرى كما فعل في حديث الأطيظ، فقد قال عقبه "ص ٣٩":

"وهذا الحديث إنما سقناه لما فيه مما تواتر من علو الله تعالى فوق عرشه بما يوافق آيات الكتاب".

قلت: وأما أنا فقد جريت في هذا "المختصر" على حذفه وحذف أمثاله من الأحاديث الضعيفة، لأنها وإن كانت تتضمن بعض الحق الذي ورد في النصوص الصحيحة، فإنها على الغالب لا تخلو من زيادات إن لم تكن باطلة أو منكرة فهي على الأقل غريبة لا يوجد لها من الشواهد ما يدعمها فقد يتوهم بعض القراء من ذكرها أنها ثابتة برمتها دون أن ينتبه لكون الشاهد لها، إنما هو شاهد لبعض ما فيها كما سبق. هذا إذا صلحت النية وإلا فقد يستغلها بعض أهل الأهواء والتعصب الخبيث على أهل الحديث، ويوردها محتجا بما لصرفه دلالة الروايات الصحيحة عن الحق الذي دلت عليه وحملها على معاني باطلة اعتمادا منه على مجرد ذكر المؤلف

لها، وهو إنما أوردتها على سبيل الاستشهاد بها في الجملة لا في التفصيل. من أمثلة ذلك ما صنعه الكوثري المشهور بحديث الجارية الصحيح الآتي برقم "٢"، فإنه استغل أسوأ الاستغلال الرواية الثانية التي أوردتها المصنف في الأصل عقب الحديث المذكور كشاهد لها في الجملة لا في التفصيل، فجاء الكوثري واعتمد عليها جملة وتفصيلاً عازياً إليها للمصنف، موهما القارئ أنها ثابتة عنده، فضرب بها الحديث الصحيح، وأبطل بما دللته الصريحة على مشروعية السؤال بـ "أين الله" لأنه لم يقع فيها هذا اللفظ، وإسنادها ضعيف. كما تراه مشروحاً في التعليق عليه قريباً إن شاء الله تعالى.

من أجل ذلك وغيره أعرضت عن ذكر الرواية المذكورة ونحوها من الأحاديث الضعيفة، ففي ما ثبت منها خير وبركة وغنية.

٣- وقد أحذف ما صرح المؤلف بثبوته أو نقله عن غيره لعله قاذحة ظهرت لي. كحديث أبي هريرة مرفوعاً: "لَمَّا أُلْقِيَ إِبْرَاهِيمُ عَلَيْهِ السَّلَامُ فِي النَّارِ قَالَ: اللَّهُمَّ إِنَّكَ وَاحِدٌ فِي السَّمَاءِ، وَأَنَا فِي الْأَرْضِ وَاحِدٌ أَعْبُدُكَ". قال المؤلف "ص ٢١": "حسن الإسناد".

وأقول: كلا، فإن فيه علتين يبتتهما في "الأحاديث الضعيفة" "١٢١٦". وكحديث الأوعال الذي يروى عن العباس "ص ٤٩-٥٠"، وهو مخرج في "المصدر السابق" "١٢٤٧".

إلى غير ذلك من الأحاديث الضعيفة التي سكت المصنف عنها أو بين ضعفها، أو حسن بعضها، لذاها أو لغيرها، وهي ليست كذلك عندنا، وهو وإن كان أعرض عن بعضها كما يشعر بذلك قوله في الترجمة "١٥٢ - القاضي أبو يعلى": "وسرد كلاماً طويلاً، لكنه ساق أحاديث ساقطة لا يسوغ أن يثبت بمثلها لله صفة" وإني كنت أحب له أن يتره كتابه من الأحاديث التي يراها ضعيفة ولا سيما

مما سكت عليه منها. فإن كثيرا من الأحاديث الضعيفة، لا يتنبه لأثرها السيء في الأمة إلا أفراد قليلون من أهل العلم وقد ذكرنا في "سلسلة الأحاديث الضعيفة" نماذج كثيرة منها. وبيننا مبلغ ضررها وغالبها لا تعلق لها بالعقيدة وإنما هي في الأحكام والأخلاق ونحوها. ومما لا شك فيه أن ما كان منها متعلقا في العقيدة قد يكون أشد ضررا من غيرها لأنها قد تفسد عقيدة بعض من لا علم عنده بالتوحيد ولوازمه أو يتخذ به بعض أهل الأهواء سلاحا لمحاربة أهل التوحيد أنفسهم المثبتين لله تعالى كل صفة ثابتة في الكتاب أو السنة دون تمثيل أو تعطيل واتهامه إياهم بالتشبيه والتجسيم مع علمه تصريح أهل التوحيد بوجود تزيه الله تعالى عن التشبيه والتعطيل معا.

وقد أشار إلى شيء من هذا شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله تعالى، فقد قال في كتابه "مفصل الاعتقاد" ص ٩-٤ مجموعة الفتاوى "من المعلوم أن أهل الحديث يشاركون كل طائفة فيما يتحلون به من صفات الكمال ويمتازون عنهم بما ليس عندهم فإن المنازع لا بد أن يذكر فيما يخالفهم فيه طريقا أخرى مثل المعقول والقياس والرأي... وكل هذه الطرق لأهل الحديث صفوتها وخلاصتها فهم أكمل الناس عقلا، وأعددهم قياسا، وأصوبهم رأيا، وأصحهم نظرا، وأهداهم استدلالا وأقومهم جدلا وأتمهم فراسة... " ثم قال "ص ٢٣":

"وإذا قابلنا بين الطائفتين -أهل الحديث وأهل الكلام- فالذي يعيب بعض أهل الحديث وأهل الجماعة بحشو القول إنما يعيبهم بقلة المعرفة أو بقلة الفهم. أما الأول فبأن يحتجوا بأحاديث ضعيفة وموضوعة، أو بآثار لا تصلح للاحتجاج.

وأما الثاني: فبأن لا يفهموا معنى الأحاديث الصحيحة، بل قد يقولون القولين المتناقضين، ولا يهتدون للخروج من ذلك. والأمر راجع إلى شيئين: إما رواية

"الأصل: زيادة" أقوال غير مفيدة يظن أنها مفيدة كالأحاديث الموضوعة، وإما أقوال مفيدة لكنهم لا يفهمونها إذا كان إتباع الحديث يحتاج أولاً إلى صحة الحديث وثانياً إلى فهم معناه كإتباع القرآن والجهل يدخل عليهم من ترك إحدى المقدمتين ومن عاجهم من الناس فإنما يعيبيهم بهذا.

ولا ريب أن هذا موجود في بعضهم، يحتجون بأحاديث موضوعة في مسائل الأصول والفروع وبآثار مفتعلة وحكايات غير صحيحة ويذكرون من القرآن والحديث ما لا يفهمون معناه وربما تأولوه على غير تأويله ووضعوه على غير موضعه.

ثم إنهم بهذا المنقول الضعيف والمعقول السخيف قد يكفرون ويضللون ويبدعون أقواماً من أعيان الأمة ويجهلونهم، ففي بعضهم من التفريط في الحق والتعدي على الخلق ما قد يكون بعضه خطأ مغفوراً وقد يكون منكراً من القول وزوراً، وقد يكون من البدع والضلالات التي توجب غليظ العقوبات. فهذا لا يذكره إلا جاهل أو ظالم وقد رأيت لهذا عجائب.

لكنهم بالنسبة إلى غيرهم في ذلك كالمسلمين بالنسبة إلى بقية الملل، ولا ريب أن في كثير من المسلمين من الظلم والجهل والبدع والفجور ما لا يعلمه إلا من أحاط بكل شيء علماً، لكن كل شر يكون في بعض المسلمين فهو في غيرهم أكثر، وكل خير يكون في غيرهم فهو فيهم أعلى وأعظم، وهكذا أهل الحديث بالنسبة إلى غيرهم".

ثم شرع في تفصيل ذلك وبيانه بما يدل على مزية أهل الحديث على غيرهم من الفرق، فراجعها فإنك لن تراه عند غيره رحمه الله تعالى.

والمقصود من ذلك أن رواية الأحاديث الضعيفة من بعض الحديثين هو مما يعاب عليهم من قبل المخالفين لهم، وإن كان هؤلاء يفعلون ما هو أسوأ من ذلك كما أوضحه شيخ الإسلام في الكلام الذي أحلناك عليه آنفاً.

ومن أشهر من أخذ ذلك عليهم في هذا العصر ويتخذه حجة في تسخيفهم وتضليلهم الشيخ الكوثري المعروف بعذائه الشديد لأهل السنة والحديث ونيزه إياهم بلقب الحشوية والمجسمة، وهو في ذلك ظالم لهم مفتر ولكن -والحق يقال- قد يجد أحياناً في ما يرويه بعضهم من الأحاديث والآثار ما يدعم به فريته مثل الحديث المروي في تفسير قوله تعالى: {عَسَى أَنْ يَبْعَثَكَ رَبُّكَ مَقَامًا مَحْمُودًا} قال: يجلسني على العرش. رواه المصنف "ص ٧٤-٧٥" عن ابن مسعود مرفوعاً، وضعفه جدا بقوله: "مرسله الأحمر متروك الحديث". ورواه "ص ٩٩" عن ابن عباس مثله موقوفاً. وقال: "إسناده ساقط وعمر بن مدرك الرازي متروك وهذا مَشْهُورٌ مِنْ قَوْلِ مُجَاهِدٍ وَيُرْوَى مَرْفُوعاً وَهُوَ بَاطِلٌ".

وقد خرجت الحديثين في "الضعيفة" " ٨٧١".

وقال في ترجمة محمد بن مصعب العابد كما يأتي:

"فأما قضية قعود نبينا على العرش، فلم يثبت في ذلك نص، بل في الباب حديث واه، وما فسر به مجاهد الآية كما ذكرناه".

قلت: ولو أن المصنف رحمه الله تعالى وقف عند هذا البيان الواضح في أنه ليس في الباب نص ملزم للأخذ به، لكان قد أحسن، وسد بذلك الطريق على أهل الأهواء أن يتخذوا ذلك ذريعة للطعن في أهل السنة والحديث كما فعل الكوثري هنا بالذات في مقدمته لكتاب "تبيين كذب المفتري فيما نسب إلى الإمام أبي الحسن

الأشعري "ص ٦٤" فقد قال فيهم بعد أن نبزهم بلقب الحشوية -أسوة بسلفه من الجهمية- وغيرهم(١):

"ويقولون في الله مالا يجوز الشرع ولا العقل من إثبات الحركة له "تعالى" والنقطة "ويعني بهما التزول" والحد والجهة "يعني العلو" والقعود والإقعاد ". فيعني هذا الذي نحن في صدد بيانه عدم ثبوته.

أقول: لو أن المؤلف رحمه الله وقف عند ما ذكرنا لأحسن، ولكنه لم يقنع بذلك، بل سود أكثر من صفحة كبيرة في نقل أقوال من أفتى بالتسليم بأثر مجاهد في تفسير قوله تَعَالَى: {عَسَى أَنْ يَبْعَثَكَ رَبُّكَ مَقَامًا مَحْمُودًا} قال: يجلسه أو يقعده على العرش. بل قال بعضهم: "أنا منكر على كل من رد هذا الحديث وهو عندي رجل سوء متهم..". بل ذكر عن الإمام أحمد أنه قال: هذا تلقته العلماء يقبول إلى غير ذلك من الأقوال التي تراها في الأصل ولا حاجة بنا إلى استيعابها في هذه المقدمة. وذكر في "مختصره" المسمى بـ "الذهبية" أسماء جمع آخرين من الحديثين سلموا بهذا الأثر ولم يتعقبهم بشيء هناك. وأما هنا فموقفه مضطرب أشد الاضطراب فبينما تراه يقول في آخر ترجمة محمد بن مصعب العابد عقب قول من تلك الأقوال "ص ١٢٦":

" فأبصر -حفظك الله من الهوى- كيف آل الفكر بهذا المحدث إلى وجوب الأخذ بأثر منكر ... "

فأنت إذا أمعنت النظر في قوله هذا، ظننت أنه ينكر هذا الأثر ولا يعتقده، ويلزمه ذلك ولا يتردد فيه، ولكنك ستفاجأ بقوله "ص ١٤٣" بعد أن أشار إلى هذا الأثر عقب ترجمة حرب الكرماني:

(١) انظر كلام المحافظ أبي حاتم الرازي في ترجمته "ص ٧٧".

" وغضب العلماء لإنكار هذه المنقبة العظيمة التي انفرد بها سيد البشر ويعد أن يقول مجاهد ذلك إلا بتوقيف ... "

ثم ذكر أشخاصا آخرين ممن سلموا بهذا الأثر غير من تقدم، فإذا أنت فرغت من قراءة هذا، قلت: لقد رجعت الشيخ من إنكاره إلى التسليم به، لأنه قال: إنه لا يقال إلا بتوقيف! ولكن سرعان ما تراه يستدرك على ذلك بقوله بعد سطور:

"ولكن ثبت في "الصحيح" أن المقام المحمود هو الشفاعة العامة الخاصة بنبينا صلى الله عليه وسلم".

قلت: وهذا هو الحق في تفسير المقام المحمود دون شك ولا ريب للأحاديث التي أشار إليها المصنف رحمه الله تعالى، وهو الذي صححه الإمام ابن جرير في "تفسيره" "١٥ / ٩٩" ثم القرطبي "١٠ / ٣٠٩" وهو الذي لم يذكر الحافظ ابن كثير غيره، وساق الأحاديث المشار إليها. بل هو الثابت عند مجاهد نفسه من طريقين عنه عند ابن جرير. وذاك الأثر عنه ليس له طريق معتبر، فقد ذكر المؤلف "ص ١٢٥" أنه روي عن لَيْثِ بْنِ أَبِي سُلَيْمٍ وَعَطَاءِ بْنِ السَّائِبِ وَأَبِي يَحْيَى الْقَتَاتِ وَجَابِرِ بْنِ يَزِيدٍ .

قلت: والأولان مختلطان والآخران ضعيفان بل الأخير متروك متهم. ولست أدري ما الذي منع المصنف -عفا الله عنه- من الاستقرار على هذا القول، وعلى جزمه بأن هذا الأثر منكر كما تقدم عنه، فإنه يتضمن نسبة القعود على العرش لله عز وجل، وهذا يستلزم نسبة الاستقرار عليه الله تعالى، وهذا مما لم يرد، فلا يجوز اعتقاده ونسبته إلى الله عز وجل، ولذلك ترى المؤلف رحمه الله أنكر على من قال ممن جاء بعد القرون الثلاثة: إن الله استوى استواء استقرار" كما تراه في ترجمة "١٤٠ - أبو أحمد القصاب". وصرح في ترجمة "١٦١ - البغوي" أنه لا يعجبه تفسير "استوى" بـ "استقر".

بل إنه بالغ في إنكار لفظة "بذاته" على جمع ممن قال: "هو تعالى فوق عرشه بذاته" لعدم ورودها عن السلف، مع أنها مفسرة لقولهم باستواء الله على خلقه حقيقة استواء يليق بجلاله وكماله، واعتبرها من فضول الكلام، فانظر ترجمة "١٣٦ - ابن أبي زيد" و"١٤٤ - يحيى بن عمار" و"١٤٦ - أبو عمر الطلمنكي" و"١٤٩ - أبو نصر السجزي".

وهذه اللفظة "بذاته"، وإن كانت عندي معقولة المعنى، وأنه لا بأس من ذكرها للتوضيح فهي كاللفظة الأخرى التي كثر ورودها في عقيدة السلف وهي لفظة "بائن" في قولهم "هو تعالى على عرشه بائن من خلقه". وقد قال هذا جماعة منهم كما ستراه في هذا "المختصر" في التراجم الآتية "٤٥ - عبد الله بن أبي جعفر الرازي" و"٥٣ - هشام بن عبيد الله الرازي" و"٥٦ - سنيد بن داود المصيبي الحافظ" و"٦٧ - إسحاق بن راهويه عالم خراسان" وذكره عن ابن المبارك و"٧٧ - أبو زرعة الرازي" و"٨٧ - أبو حاتم الرازي" وحكياه عن العلماء في جميع الأمصار. و"٧٩ - يحيى بن معاذ الرازي" و"٨٤ - عُثْمَانُ بْنُ سَعِيدِ الدَّارِمِيِّ الحَافِظُ" و"١٠٣ أبو جعفر ابن أبي شيبة" وكل هؤلاء من القرون الثلاثة المشهود لهم بالخيرية ثم "١٠٨ - حماد البوشنجي الحافظ" وحكاه عن أهل الأمصار "١٠٩ - إمام الأئمة ابن خزيمة". و"١٢٥ - أبو القاسم الطبراني" و"١٣٣ - ابن بطة" و"١٤١ - أبو نعيم الأصبهاني" وعزاه إلى السلف. و"١٤٢ - معمر بن زياد" و"١٥٥ - الفقيه نصر المقدسي" و"١٥٨ - شيخ الإسلام الأنصاري" و"١٦٤ - ابن موهب".

قلت: ومن هذا العرض يتبين أن هاتين اللفظتين: "بذاته" و"بائن" لم تكونا معروفين في عهد الصحابة رضي الله عنهم. ولكن لما ابتدع الجهم وأتباعه القول

بأن الله في كل مكان، اقتضى ضرورة البيان أن يتلفظ هؤلاء الأئمة الأعلام، بلفظ "بائن" دون أن ينكره أحد منهم.

ومثل وهذا تماما قولهم في القرآن الكريم أنه غير مخلوق، فإن هذه الكلمة لا تعرفها الصحابة أيضا، وإنما كانوا يقولون فيه: كلام الله تبارك وتعالى لا يزيدون على ذلك، وكان ينبغي الوقوف فيه عند هذا الحد، لولا قول جهم وأشياعه من المعتزلة: إنه مخلوق، ولكن إذا نطق هؤلاء بالباطل، وجب على أهل الحق أن ينطقوا بالحق ولو بتعابير وألفاظ لم تكن معروفة، من قبل وإلى هذه الحقيقة أشار الإمام أحمد رحمه الله تعالى حين سئل عن الواقفة الذين لا يقولون في القرآن إنه مخلوق أو غير مخلوق هل لهم رخصة أن يقول الرجل: "كلام الله" ثم يسكت؟ قال: ولم يسكت؟ لولا ما وقع فيه الناس كان يسعه السكوت، ولكن حيث تكلموا فيما تكلموا، لأي شيء لا يتكلمون؟! (١) سمعه أبو داود منه كما في "مسائله" ص ٢٦٣-٢٦٤.

قلت: والمقصود أن المؤلف رحمه الله تعالى، أقر لفظة "بائن" لتتابع أولئك الأئمة عليها دون نكير من أحد منهم، وأنكر اللفظة الأخرى وهي "بذاته" لعدم تواردها في أقوالهم. إلا بعض المتأخرين منهم، فأنكر ذلك مبالغة منه في المحافظة على نهج السلف، مع أن معناها في نفسه سليم وليس فيها إثبات ما لم يرد، فكنت أحب له رحمه الله أن لا يتردد في إنكار نسبة القعود إلى الله تعالى وإقاعده مُحَمَّدًا صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ على عرشه ما دام أنه لم يأت به نص ملزم عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، ومعناه ليس له شاهد في السنة، ومعناه ولفظه لم يتوارد على السنة الأئمة، وهذا هو الذي يدل عليه بعض كلماته المتقدمة حول هذا الأثر، ولكنه لما رأى

(١) قلت: ولو أن الشيخ القبلي تنبه لهذا لما قعقع على الإمام أحمد بما قعقع به.

كثيرا من علماء الحديث أفروه لم يجرؤ على التزام التصريح بالإنكار، وإنما تارة وتارة، والله تعالى يغفر لنا وله.

ومن العجيب حقا أن يعتمد هذا الأثر الإمام ابن القيم رحمه الله تعالى فإنه نقل كلام القاضي أبي يعلى فيه وبعض أسماء القائلين به، ثم قال ابن القيم رحمه الله: "قلت: وهو قول ابن جرير الطبري وإمام هؤلاء كلهم مجاهد إمام التفسير وهو قول أبي الحسن الدارقطني ومن شعره فيه".

ثم ذكره مثلما ذكره المصنف فيما يأتي في ترجمة "١٣٤ - الدراقطني" وزاد بيتا رابعا لعل المصنف تعمد حذفه:

"ولا تنكروا أنه قاعد... ولا تنكروا أنه يقعه!"

قلت: وقد عرفت أن ذلك لم يثبت عن مجاهد، بل صح عنه ما يخالفه كما تقدم. وما عزاه للدارقطني لا يصح إسناده كما بيناه في "الأحاديث الضعيفة" ٨٧٠" وأشارت إلى ذلك تحت ترجمة الدارقطني الآتية. وجعل ذلك قولاً لابن جرير فيه نظر، لأن كلامه في "التفسير" يدور على إمكان وقوع ذلك كما سبق لا أنه وقع وتحقق، ولذلك قال الإمام القرطبي في "تفسيره" "٣١١ / ١٠":

"وعضد الطبري جواز ذلك بشطط من القول، وهو لا يخرج إلا على تلطف في المعنى وفيه بعد، ولا ينكر مع ذلك أن يروى، والعلم يتأوله"

ثم بين وجه تأويله، بما لا حاجة بنا إلى ذكره والنظر فيه، ما دام أنه أثر غير مرفوع، ولو افترض أنه في حكم المرفوع، فهو في حكم المرسل الذي لا يحتج به في الفروع فضلا عن الأصول، كما ذكرت ذلك أو نحوه فيما يأتي من التعليق على قوله بعضهم: "ولا نتكلم في حديث فيه فضيلة للنبي صلى الله عليه وسلم بشيء!" التعليق "٢٦٥".

- ولعل المصنف رحمه الله تعالى يشير إلى ذلك بقوله في ترجمة "١٦٥ - القاضي العلامة أبو بكر بن العربي" وقد نقل عنه القول بهذا القعود معه على العرش: قال: "وما علمت للقاضي مستندا في قوله هذا سوى قول مجاهد".
- وخلاصة القول: إن قول مجاهد هذا - وإن صح عنه - لا يجوز أن يتخذ دينا وعقيدة، ما دام أنه ليس له شاهد من الكتاب والسنة، فيا ليت المصنف إذ ذكره عنده جزم برده وعدم صلاحيته للاحتجاج به، ولم يتردد فيه، فإنه هو اللائق به، وبتورعه من إثبات كلمة "بذاته" والله المستعان.
- ٤ - وحذفت أيضا ما جازمت بأنه من الإسرائيليات، ولو كان صحيح الإسناد، إلا إذا كان معناه موافقا للكتاب والسنة.
- ٥ - وتسامحت في إيراد بعض الآثار والأقوال التي في السند إلى أصحابها ضعف أو جهالة، لأنها ليست كالأحاديث المرفوعة التي يجب الاحتجاج بها واتخاذها دينا، وإنما ذكرت للاستئناس بها والاستشهاد فقط.
- ٦ - وحذفت من إسناد الحديث والآثر ما لا فائدة فيه بالنسبة لعامة القراء لا سيما في هذا "المختصر"، وإنما أبقيت الضروري منه كاسم الصحابي، أو التابعي، أو غيرهما ممن نسب القول إليه في السند.
- ٧ - وقد رقت أحاديث الكتاب وآثاره برقم متسلسل من أوله إلى آخره. وكذلك رقت تراجم الأئمة الذين روى المصنف أو نقل عنهم القول بأن الله على العرش، رقتها بأرقام متسلسلة، ووضعت بجانبها الأيسر بين معكوفتين [] سنة ولادة المترجم ووفاته، لأيسر بذلك على القراء متابعة تسلسل القول بذلك من إمام إلى إمام، ومن سنة إلى ما بعدها، حتى آخر القرن السادس.
- ٨ - وخرجت أحاديث الكتاب وآثاره، وعزوت كل قول من الأقوال المذكورة فيه إلى مصدره الذي عزاه المصنف إليه، مطبوعا كان أو مخطوطا بقدر

الإمكان، وعلقت عليه بتعليقات مفيدة، أكثرها في تحقيق الكلام على أسانيد تلك الآثار والأقوال، للثبوت من ما صح منها نسبة إلى قائلها وما لم يصح، فتبين لنا أن أكثرها صحيح ثابت -والحمد لله- على طريقة أهل الحديث ونقدمهم للأسانيد.

٩- وقد رأيت من تمام الفائدة أن أضع تعليقات مفيدة على أخباره، أهمها تخريج أحاديثه وآثاره، مع ترقيمها بأرقام متسلسلة من أول الكتاب إلى آخره.

موضوع الكتاب وخطورته

اعلم أيها القارئ الكريم أن هذا الكتاب قد عالج مسألة هي من أخطر المسائل الاعتقادية التي تفرق المسلمون حولها منذ أن وجدت المعتزلة حتى يومنا هذا، ألا وهي مسألة علو الله عز وجل على خلقه، الثابتة بالكتاب والسنة المتواترة المدعم بشاهد الفطرة السليمة، وما كان لمسلم أن ينكر مثلها في الثبوت، لولا أن بعض الفرق المنحرفة عن السنة فتحوا على أنفسهم وعلى الناس من بعدهم باب التأويل، فلقد كاد الشيطان به لعدوه الإنسان كيذا عظيما، ومنعهم به أن يسلكوا صراطا مستقيما، كيف لا وهم قد اتفقوا على أن الأصل في الكلام أن يحمل على الحقيقة، وأنه لا يجوز الخروج عنها إلى المجاز إلا عند تعذر الحقيقة، أو لقرينة عقلية أو عرفية أو لفظية كما هو مفصل في محله، ومع ذلك فإنك تراهم يخالفون هذا الأصل الذي أصلوه، لأنفه الأسباب، وأبعد الأمور عن منطلق الإنسان المؤمن بكلام الله وحديث نبيه حقا، فهل يستقيم في الدنيا فهم أو تفاهم إذا قال قائل مثلا: "جاء الأمير" فيأتي متأول من أمثال أولئك المتأولين، فيقول في تفسير هذه الجملة القصيرة: يعني جاء عبد الأمير، أو نحو ذلك من التقدير. فإذا أنكرت عليه ذلك أجابك بأن هذا مجاز

فإذا قيل له: الجواز لا يصار إليه إلا عند تعذر الحقيقة وهي ممكنة هنا أو لقرينة لا قرينة هنا (١) سكت أو جادل بالباطل.

وقد يقول قائل: وهل يفعل ذلك عاقل؟ قلت: ذلك ما صنعه كل الفرق المتأولة، الذين ينكرون حقائق الأسماء والصفات الإلهية من المعتزلة وغيرهم ممن تأثر بهم من الخلف، ولا نبعد بك كثيرا بضرب الأمثال وإنما نقتصد مثلين من القرآن الكريم، أحدهما يشبه المثال السابق تماما، والآخر له صلة بصلب موضوع الكتاب.

الأول: قوله تعالى: {وَجَاءَ رَبُّكَ وَالْمَلَكُ صَفًّا صَفًّا} فقيل في تأويلها: "وجاء ربك"! وقيل غير ذلك من التأويل. ونحو كذلك أولوا قوله تعالى: {هَلْ يَنْظُرُونَ إِلَّا أَنْ يَأْتِيَهُمُ اللَّهُ فِي ظُلَلٍ مِنَ الْغَمَامِ وَالْمَلَائِكَةُ وَقُضِيَ الْأَمْرُ}. فقال بعضهم: يأتيهم الله بظلل. فنفى بذلك حقيقة الإتيان اللائق بالله تعالى بل غلا بعض ذوي الأهواء فقال: "قوله تعالى: {هَلْ يَنْظُرُونَ} حكاية عن اليهود، والمعنى أنهم لا يقبلون دينك إلا أن يأتيهم الله في ظلل من الغمام ليروه جهرة، لأن اليهود كانوا مشبهة يجوزون على الله المجيء والذهاب"! نقله الكوثري في تعليقه على "الأسماء والصفات" ص ٤٤٧-٤٤٨ عن الفخر الرازي وأقره!!

فتأمل -هداني الله وإياك- كيف أنكر مجيء الله الصريح في الآيتين المذكورتين. وهو إنما يكون يوم القيامة كما جاء في تفسير ابن جرير لقوله تعالى: {هَلْ يَنْظُرُونَ

(١) قرأتين الجواز الموجبة للعدول إليه عن الحقيقة ثلاث: العقلية كقوله تعالى: {وَأَسْأَلُ الْقَرْيَةَ الَّتِي كُنَّا فِيهَا وَالْعَيْرَ الَّتِي أَقْبَلْنَا فِيهَا} أي أهلها. ومنه: {وَاحْفَظْ لَهُمَا جَنَاحَ الذُّلِّ}. الثانية: الفوقية مثل {يَا هَامَانَ ابْنِ لِي صَرَحًا} أي مر من بيني، لأن مثله مما يعرف أنه لا بيني. الثالثة: نحو "مثل نوره" فإنها دليل على أن الله غير النور. قال أهل العلم: وأمارة الدعوة الباطلة تجردها عن أحد هذه القرائن، انظر: "إيثار الحق على الخلق" ص ١٦٦-١٦٧ للعلامة المرتضى اليماني.

إِلَّا أَنْ تَأْتِيَهُمُ الْمَلَائِكَةُ أَوْ يَأْتِيَ أَمْرٌ رَبِّكَ} فذكر "١٢ / ٢٤٥-٢٤٦" في قوله: {أَوْ يَأْتِيَ أَمْرٌ رَبِّكَ} عن قتادة وابن جريج: يوم القيامة، ونحوه عن ابن مسعود وغيره. في "الدرر المنثور" "١ / ٢٤١" وانظر كلمة الإمام ابن راهويه في إثبات المحيء في الفقرة الآتية من الكتاب "٢١٣".

فنفى هذا المتأول بركة التأويل إتيان الله ومجيئه يوم القيامة الثابت في هذه الآيات الكريمة، والأحاديث في ذلك أكثر وأطيب، ولم يكتف بهذا بل نسب القول بتجويز المحيء على الله إلى اليهود، وأن الآية نزلت في حقهم! ضلال وكذب، أما الضلال فواضح من تحريف الآيات المستلزم الطعن في الأئمة الذين يؤمنون بمجيء الله تعالى يوم القيامة. وأما الكذب فإن أحدا من العلماء لم يذكر أن الآية نزلت في اليهود، بل السياق يدفع ذلك، قال الله تعالى: {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا ادْخُلُوا فِي السَّلَامِ كَافَّةً وَلَا تَتَّبِعُوا خُطُواتِ الشَّيْطَانِ إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُبِينٌ، فَإِنْ زَلَلْتُمْ مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَتْكُمُ الْبَيِّنَاتُ فَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ، هَلْ يَنْظُرُونَ إِلَّا أَنْ يَأْتِيَهُمُ اللَّهُ فِي ظُلَلٍ مِنَ الْعَمَامِ ...} . [سورة البقرة: ٢٠٨-٢١١]

قلت: فأنت ترى أن الخطاب موجه للمؤمنين، ولذلك قال ابن جرير في تفسيره "٤ / ٢٥٩" لقوله تعالى: {فَإِنْ زَلَلْتُمْ..} :

" يعني بذلك جل ثناؤه، فإن أخطأتم الحق فضللتم عنه وخالفتم الإسلام وشرائعه من بعد ما جاءكم حججتي، وبينات هداي، واتضح لكم صحة أمر الإسلام بالأدلة التي قطعت عذرکم أيها المؤمنون - فاعلموا أن الله ذو عزة ... ". نعم قد روى ابن جرير "٤ / ٢٥٥" عن عكرمة قوله {ادْخُلُوا فِي السَّلَامِ كَافَّةً} قال: نزلت في ثعلبة وعبد الله بن سلام وو ... كلهم من يهود، قالوا: يا رسول الله يوم السبت كنا نعظمه فدعنا فلنسبت فيه ... فترلت "

قلت: وهذا مع أنه في مؤمني اليهود لا يصح إسناده لإرساله، ولو صح لم يجوز القول بأنها "نزلت في حق اليهود" لأنها تعني عند الإطلاق كفرهم، والواقع خلافه! فتأمل هذا رحمتنا الله وإياك، هل تجد في هذه الآيات المصراحة بإتيان الله ومجيئه قرينة من تلك القرائن الثلاث تضطر السامع إلى فهم ذلك على المجاز لا الحقيقة؟ كلا، ثم كلا، ولكنهم لما فهموا مجئ الله تعالى مجيئاً على نحو مجيء المخلوق، وهذا تشبيهه حقاً اضطربهم هذا الفهم الخاطئ إلى إنكاره ونسبته إلى اليهود! وصاروا إلى التأويل. وكان بوسعهم أن يثبتوا لله تعالى هذه الصفة كما أثبتها السلف دون تشبيه كما قال تعالى: {لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ} ، وإلا فهم على ذلك سيتأولون السمع والبصر أيضاً، لأن الله تعالى قد أثبت للمخلوق سمعاً وبصراً، في القرآن والسنة، فقد يقولون إننا إذا أثبتنا السمع والبصر لله شبهناه بمخلوقاته! وهذا ما فعلته المعتزلة تماماً، فإنهم تأولوهما بالعلم تزيها له تعالى عن المشاهدة، زعموا، وبذلك آمنوا بالطرف الأول من الآية {لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ} ولم يؤمنوا بالطرف الآخر منها {وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ} وأما الأشاعرة وغيرهم من الخلف، فقد آمنوا بكل ذلك هنا فجمعوا بين التزيه والإثبات قائلين سمعه ليس كسمعنا، وبصره ليس كبصرنا. فهذا هو الحق وكان عليهم طرد ذلك في كل ما وصف الله به نفسه، فيقال: مجيئه تعالى حق ولكنه ليس كمجئتنا، ونزوله إلى السماء الدنيا حق لتواتر الأحاديث بذلك كما يأتي في الكتاب ولكن ليس كترولنا، وهكذا في كل الصفات، ولكنهم لم يفعلوا ذلك مع الأسف في كثير من الصفات، منها ما نحن فيه فتأولوه بما سبق، أو بغيره (١) ومنها الاستواء الآتي ذكره قريباً.

هذا هو المثال الأول:

(١) انظر "الأسماء والصفات" للبيهقي "ص ٤٤٨-٤٤٩".

وأما المثال الآخر فقوله تعالى: {إِنَّ رَبَّكُمُ اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَىٰ عَلَى الْعَرْشِ} وقوله فتأولوه "الله الذي رفع السماوات بغير عمد ترونها ثم استوى على العرش". فقد تأول الخلف الاستواء المذكور في هاتين الآيتين ونحوهما بالاستيلاء وشاع عندهم في تبرير ذلك إيرادهم قول الشاعر:

قد استوى بشر على العراق بغير سيف ودم مهبraq!

متجاهلين اتفاق كلمات أئمة التفسير والحديث واللغة على إبطاله، وعلى أن المراد بالاستواء على العرش إنما هو الاستعلاء والارتفاع عليه، كما ستري أقوالهم مروية في الكتاب عنهم بالأسانيد الثابتة قرنا بعد قرن، وفيهم من نقل اتفاق العلماء عليه. مثل الإمام إسحاق بن راهويه "الترجمة ٦٧"، والحافظ ابن عبد البر "الترجمة ١٥١" وكفى بهما حجة في هذا الباب.

ومع ذلك فإننا لا نزال نرى علماء الخلف -إلا قليلا منهم- سادرين في مخالفتهم للسلف في تفسيرهم لآية الاستواء وغيرها من آيات الصفات وأحاديثها.

وقد يتساءل بعض القراء عن سبب ذلك فأقول:

ليس هو إلا إعراضهم عن اتباع السلف، ثم فهمهم -خطأ- الاستعلاء المذكور في الآيات الكريمة، أنه الاستعلاء اللائق بالمخلوق، ولما كان هذا منافيا للتزوية الواجب لله اتفاقا فروا من هذا الفهم، إلى تأويلهم السابق، ظنا منهم أنهم بذلك نجوا من القول على الله تعالى بما لا يليق به سبحانه.

ولقد كان من كبار هؤلاء العلماء القائلين بالتأويل المذكور برهة من الزمن جماعة من أهل العلم. منهم الإمام أبو الحسن الأشعري كما سيأتي بيانه في ترجمته من الكتاب "١٢٠". ومنهم العلامة الجليل أبو محمد الجويني الشافعي والد إمام الحرمين المتوفى سنة "٤٣٨" ثم هداه الله تعالى إلى اتباع السلف في فهم الاستواء وسائر الصفات، ثم ألف في ذلك رسالة نافعة قدمها نصيحة لإخوانه في الله كما

صرح بذلك في مقدمتها. وقد وصف فيها وصفا دقيقا تحيره وتردده في مرحلة من مراحل حياته العلمية بين اتباع السلف، وبين اتباع علماء الكلام في عصره الذين يؤولون الاستواء بالاستيلاء، فقال رحمه الله تعالى "ص ١٧٦-١٧٧":

"اعلم أنني كنت برهة من الدهر متحيرا في ثلاث مسائل:

١- مسألة الصفات.

٢- مسألة الفوقية.

٣- ومسألة الحرف والصوت في القرآن المجيد.

وكنت متحيزا في الأقوال المختلفة الموجودة في كتب أهل العصر في جميع ذلك، من تأويل الصفات وتحريفها، أو إمرارها والوقوف فيها، أو إثباتها بلا تأويل ولا تعطيل، ولا تشبيه ولا تمثيل. فأجد النصوص في كتاب الله تعالى وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم ناطقة منبئة بحقائق هذه الصفات وكذلك في إثبات العلو والفوقية، وكذلك في الحرف والصوت.

ثم أجد المتأخرين من المتكلمين في كتبهم منهم من يؤول الاستواء بالقهر والاستيلاء ويؤول التزول بتزول الأمر، ويؤول اليمين بالقدرتين أو نعمتين، ويؤول القدم بقدم صدق عند ربهم، وأمثال ذلك، ثم أجدهم مع ذلك يجعلون كلام الله تعالى معنى قائما بالذات بالأحرف بلا صوت، ويجعلون هذه الحروف عبارة عن ذلك المعنى القائم!

وممن ذهب إلى هذه الأقوال أو بعضها، قوم لهم في صدري منزلة مثل طائفة من فقهاء الأشعرية الشافعيين، لأنني على مذهب الشافعي -رضي الله عنه- عرفت فرائض ديني وأحكامه، فأجد مثل هؤلاء الشيوخ الأجلة يذهبون إلى مثل هذه الأقوال وهم شيوخني، ولي فيهم الاعتقاد التام، لفضلهم وعلمهم. ثم إنني مع ذلك أجد في قلبي من هذه التأويلات حزازات لا يطمئن قلبي إليها، وأجد الكدر

والظلمة منها، وأجد ضيق الصدر وعدم انشراحه مقرونا بها، فكنت كالمتحير المضطرب في تحيره. المتململ من قلبه في تقلبه وتغيره.

وكنت أخاف من إطلاق القول بإثبات العلو والاستواء والنزول، مخافة الحصر والتشبيه ومع ذلك فإذا طالعت النصوص الواردة في كتاب الله، وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم أجدها نصوصا تشير إلى حقائق هذه المعاني، وأجد الرسول الله صلى الله عليه وسلم قد صرح بها مخبرا عن ربه، واصفا له بها. وأعلم بالاضطرار أنه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كَانَ يَحْضُرُ مَجْلِسَ الشَّرِيفِ الْعَالَمِ وَالْجَاهِلِ، وَالذَّكِي وَالْبَلِيدِ، وَالْأَعْرَابِي وَالْجَافِي، ثم لا أحد شيئا يعقب تلك النصوص التي كان يصف ربه بها، لا نصا ولا ظاهرا مما يصرفها عن حقائقها ويؤولها، كما تأولها هؤلاء مشايخي الفقهاء المتكلمين، مثل تأويلهم الاستيلاء للاستواء، ونزول الأمر للنزول، وغير ذلك. ولم أجد عنه صلى الله عليه وسلم أنه كان يحذر الناس من الإيمان بما يظهر من كلامه في صفته لربه من الفوقية واليدين وغيرها، ولم ينقل عنه مقالة تدل على أن لهذه الصفات معاني آخر باطنة، غير ما يظهر من مدلولها، وأجد الله عز وجل يقول ... ".

ثم ذكر بعض الآيات في الاستواء والفوقية والأحاديث في ذلك، مما هو جزء يسير مما سيأتي في الكتاب ثم قال "ص ١٨١" (١):

"إذا علمنا ذلك واعتقدناه تخلصنا من شبهة التأويل، وعمادة التعطيل، وحماسة التشبيه والتمثيل، وأثبتنا علو ربنا سبحانه وفوقيته واستواءه على عرشه كما يليق بجلاله وعظمته، والحق واضح في ذلك، والصدور تنشرح له، فإن التحريف تأباه العقول الصحيحة، مثل تحريف الاستواء بالاستيلاء وغيره، والوقوف في ذلك جهل

(١) "مجموعة الرسائل المنيرة".

وعني، مع كون أن الرب تعالى وصف لنا نفسه بهذه الصفات لنعرفه بها، فوقوفنا عن إثباتها ونفيها عدول عن المقصود منه في تعريفنا إياها، فما وصف لنا نفسه بها إلا لثبت ما وصف به نفسه لنا، ولا نقف في ذلك. وكذلك التشبيه والتمثيل حماقة وجهالة. فمن وفقه الله تعالى للإثبات بلا تحريف، ولا تكييف، ولا وقوف، فقد وقف على الأمر المطلوب منه إن شاء الله تعالى".

ثم شرع يبين السبب الذي حمل علماء الكلام على تأويل "الاستواء" بالاستيلاء فقال "ص ١٨١-١٨٣":

"والذي شرح الله صدري في حال هؤلاء الشيوخ الذين أولوا الاستواء بالاستيلاء و... هو علمي بأنهم ما فهموا في صفات الرب تعالى إلا ما يليق بالخلقين، فما فهموا عن الله استواء يليق به ولا... فلذلك حرفوا الكلام عن مواضعه، وعطلوا ما وصف الله تعالى نفسه به. ونذكر بيان ذلك إن شاء الله تعالى. لا ريب أنا نحن وإياهم متفقون على إثبات صفات الحياة والسمع، والبصر، والعلم، والقدرة، والإرادة، والكلام لله. ونحن قطعاً لا نعقل من الحياة إلا هذا العرض الذي يقوم بأجسامنا. وكذلك لا نعقل من السمع والبصر إلا أعراضاً تقوم بجوارحنا، فكما أنهم يقولون: حياته ليست بعرض، وعلمه كذلك، وبصره كذلك هي صفات كما تليق به، لا كما تليق بنا، فكذلك نقول نحن: حياته معلومة، وليست مكيفة، وعلمه معلوم وليس مكيفاً، وكذلك سمعه وبصره معلومان، ليس جميع ذلك أعراضاً بل هو كما يليق به.

ومثل ذلك بعينه فوقيته واستواؤه ونزوله، ففوقيته معلومة، أعني ثابتة كثبوت حقيقة السمع وحقيقة البصر، فإنهما معلومان ولا يكيفان. كذلك فوقيته معلومة ثابتة غير مكيفة كما يليق به، واستواؤه على عرشه معلوم غير مكيف بحركة أو انتقال يليق بالخلق، بل كما يليق بعظمته، وجلال صفاته معلومة من حيث

الجملة والثبوت، غير معلومة من حيث التكييف والتحديد، فيكون المؤمن بها مبصرا بها من وجه، أعمى من وجه مبصرا من حيث الإثبات والوجود، أعمى من حيث التكييف والتحديد. وبهذا يحصل الجمع بين الإثبات لما وصف الله تعالى نفسه به، وبين نفى التحريف والتشبيه والوقوف، وذلك هو مراد الرب تعالى منا في إبراز صفاته لنا، لنعرفه به، ونؤمن بحقائقها، وننفي عنها التشبيه، ولا نعطلها بالتحريف والتأويل، ولا فرق بين الاستواء والسمع، ولا بين التزول والبصر، الكل ورد به النص.

فإن قالوا لنا في الاستواء: شبهتم نقول لهم في السمع: شبهتم، ووصفتهم ربكم بالعرض! فإن قالوا: لا عرض بل كما يليق به. قلنا في الاستواء والفوقية: لا حصر، بل كما يليق به. فجميع ما يلزمونا به في الاستواء والتزول واليد والوجه والقدم والضحك والتعجب من التشبيه نلزمهم به في الحياة والسمع والبصر والعلم. فكما لا يجعلونها هم أعراضا. كذلك نحن لا نجعلها جوارح، ولا ما يوصف به المخلوق، وليس من الإنصاف أن يفهموا في الاستواء والتزول والوجه واليد صفات المخلوقين فيحتاجوا إلى التأويل والتحريف.

ومن أنصف عرف ما قلنا واعتقده، وقبل نصيحتنا، ودان الله بإثبات جميع صفاته هذه وتلك، ونفى عن جميعها التشبيه والتعطيل والتأويل والوقوف. وهذا مراد الله منا في ذلك؛ لأن هذه الصفات وتلك جاءت في موضع واحد وهو الكتاب والسنة، فإذا أثبتنا تلك بلا تأويل وحرطنا هذه وأولناها، كنا كمن آمن ببعض الكتاب وكفر ببعض، وفي هذا بلاغ وكفاية إن شاء الله تعالى".

قلت: لقد وضح من كلام الإمام كالجويني رحمه الله تعالى السبب الذي حمل الخلف -إلا من شاء الله- على مخالفة السلف في تفسير آية "الاستواء"، وهو أنهم

فهموا منه - خطأ كما قلنا - استواء لا يليق إلا بال مخلوق وهذا تشبيهه فنفوه بتأويلهم إياه بالاستيلاء!

ومن الغريب حقا أن الذي فروا منه بالتأويل، قد وقعوا به فيما هو أشد منه بكثير، ويمكن حصر ذلك بالأمور الآتية:

الأول: التعطيل، وهو إنكار صفة علو الله على خلقه علوا حقيقيا يليق به تعالى. وهو بين في كلام الإمام الجويني.

الثاني: نسبة الشريك لله في خلقه يضاده في أمره، فإن الاستيلاء لغة لا يكون إلا بعد المغالبة كما ستراه في ترجمة الإمام اللغوي ابن الأعرابي، فقد جاء فيها:

أن رجلا قال أمامه مفسرا الاستواء معناه: استولى. فقال لهم الإمام: اسكت، العرب لا تقول للرجل: "استولى على الشيء حتى يكون له فيه مضاد، فأيهما غلب قيل: استولى. والله تعالى لا مضاد له". وسنده عنه صحيح كما بينته هناك في التعليق "٢١٠" واحتج به العلامة نبطويه النحوي في "الرد على الجهمية" كما ستراه في ترجمته "١١٩".

فنسأل المتأولة: من هو المضاد لله تعالى حتى تمكن؟! "الله تعالى من التغلب عليه والاستيلاء على ملكه عنه؟!"

وهذا إلزام لا مخلص لهم منه إلا برفضهم لتأويلهم، ورجوعهم إلى تفسير السلف، ولما تنبه لهذا بعض متكلميهم جاء بباقة أخرى! وذلك أنه تأول "الاستيلاء" الذي هو عندهم المراد من "الاستواء" بأنه استيلاء مجرد عن معنى المغالبة!^(١)

(١) نقله الكوثري في تعليقه على "الأسماء والصفات" ص ٤٠٦ عن ابن المعلم!

قلت: وهذا مع كونه مخالفاً لغة كما سبق عن ابن الأعرابي فإن أحسن ما يمكن أن يقال فيه: إنه تأويل للتأويل!! وليت شعري ما الذي دخل بهم إلى هذه المآزق، أليس كان الأولى بهم أن يقولوا: استعلى استعلاء مجرداً عن المشابهة. هذا لو كان الاستعلاء لغة يستلزم المشابهة. فكيف وهي غير لازمة؟ لأن الاستواء في القرآن فضلاً عن اللغة قد جاء منسوباً إلى الله تعالى كما في آيات الاستواء على العرش، وقد مضى بعضها، كما جاء منسوباً إلى غيره سبحانه كما قال في سفينة نوح "استوت على الجودي" وفي النبات "استوى على سوقه"، فاستواء السفينة غير استواء النبات. وكذلك استواء الإنسان على ظهر الدابة، واستواء الطير على رأس الإنسان واستواؤه على السطح، فكل هذا استواء ولكن استواء كل شيء بحسبه، تشترك في اللفظ، وتختلف في الحقيقة، فاستواء الله تعالى هو استواء واستعلاء يليق به تعالى ليس كمثلته شيء.

وأما الاستيلاء فلم يأت إطلاقه على الله تعالى مطلقاً إلا على السنة المتكلمين! فتأمل ما صنع الكلام بأهله، لقد زين لهم أن يصفوا الله بشيء هو من طبيعة المخلوق واختصاصه، ولم يرضوا أن يصفوه بالاستعلاء الذي لا يماثله شيء وقد قال به السلف، فلا عجب بعد ذلك أن اجتمعوا على ذم الكلام وأهله، وتأتيك بعض النقول عنهم في الكتاب ووافقهم على ذلك بعض الخلف، فقال السبكي في مقدمة رسالة "السيف الصقيل" "ص ١٢":

"وليس على العقائد أضر من شيئين: علم الكلام والحكمة اليونانية ...

وجميع الفرق الثلاث في كلامها مخاطرة، إما خطأ في بعضه، وإما سقوط هيئته، والسالم من ذلك كله ما كان عليه الصحابة والتابعون، وعموم الناس الباقيون على الفطرة السليمة".

وبعد فإن ضرر التأويل على أهله، وحمله إياهم على الانحراف عن الشرع مما لا حدود له في نظري، فلولا له لم يكن للقائلين بوحدة الوجود اليوم وجود، ولا لإخوانهم القرامطة الباطنية من قبل، الذين أنكروا الشريعة وكل ما فيها من حقائق كالجنة والنار، والصلاة والزكاة والصيام والحج، ويتأولونها بتأويل معروفة. قال العلامة المرتضى اليماني في "إيثار الحق على الخلق" في صدد بيان قبح التأويل "ص ١٣٥":

"فإن المعتزلة والأشعرية إذا كفروا الباطني بإنكار الأسماء الحسنی والجنة والنار، يقول لهم الباطني: لم أجحدها، إنما قلت: هي مجاز، مثلما أنكم لم تجحدوا الرحمن الرحيم الحكيم، وإنما قلتم: إنها مجاز! وكيف كفاكم المجاز في الإيمان بالرحمن الرحيم وهما أشهر الأسماء الحسنی أو من أشهرها، ولم يكفني في سائرهما وفي الجنة والنار مع أنهما دون أسماء الله بكثير؟ وكم بين الإيمان بالله وبأسمائه والإيمان بمخلوقاته؟! فإذا كفاكم الإيمان المجازي بأشهر الأسماء الحسنی فكيف لم يكفني مثله في الإيمان بالجنة والنار والمعاد؟!".

قلت: ونحوهم طائفة القاديانية اليوم الذين أنكروا بطريق التأويل كثيرا من الحقائق الشرعية المجمع عليها بين الأمة كقولهم ببقاء النبوة بعد النبي صلى الله عليه وسلم متأسين في ذلك بنبيهم ميرزاغلام أحمد، ومن قبله ابن عربي في "الفتوحات المكية" وتأولوا قوله تعالى: {وَلَكِنْ رَسُولَ اللَّهِ وَخَاتَمَ النَّبِيِّينَ} بأن المعنى زينة النبيين وليس آخرهم! وقوله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: "لا نبي بعدي" بقولهم: أي معي! وأنكروا وجود الجن مع تردد ذكرهم في القرآن الكريم، فضلا عن السنة وتنوع صفاتهم فيهما، وزعموا أنهم طائفة من البشر! إلى غير ذلك من ضلالاتهم، وكلها من بركات التأويل الذي أخذ به الخلف في آية الاستواء وغيرها من آيات الصفات.

وليس أدل على ضرر التأويل على أصحابه المغرمين به من القول الذي شاع بينهم ولهجت به ألسنتهم كلما أثير بحث الصفات والإيمان بها على حقائقها أو على تأويلها ألا وهو قولهم:

"مذهب السلف أسلم ومذهب الخلف أعلم وأحكم"

والشباب المثقف اليوم الذي لم تتلوث ثقافته الشرعية بشيء من علم الكلام ربما لا يصدق أن أحدا من الخلف يقول مثل هذا القول! وحق له ذلك لخطورته وفضاعته ولكنه - مع الأسف - هو الواقع المعروف لدى طلبة الشريعة، وإليك مثالا واحدا على ذلك مما يقرؤونه على مشايخهم قال الباجوري في حاشيته "ص ٥٥" تحت قول صاحب "الجوهرة":

وكل نص أوهم التشبيها... أوله أو فوض ورم تترتها

"وطريقة الخلف أعلم وأحكم، لما فيها من مزيد الإيضاح، والرد على الخصوم، وهي الأرجح، ولذلك قدمها المصنف، وطريقة السلف أسلم لما فيها من السلامة من تعيين معنى قد يكون غير مراد له تعالى!"

وكلام الكوثري المشهور بعدائه الشديد لأهل السنة والحديث في تعليقاته كلها يدور على هذا المعنى من التفصيل المزعوم، وفي تعليقه على "السيف الصقيل" التصريح بذلك "ص ١٣٢".

وهذا القول إذا تدبره الإنسان وجدته في غاية الجهالة، بل في غاية الضلالة! قال ابن تيمية في "العقيدة الحموية": "كيف يكون هؤلاء المتأخرون لا سيما والإشارة بالخلف إلى ضرب من المتكلمين الذين كثر في باب الدين اضطرابهم وغلظ عن معرفة الله حجائهم، وأخبر الواقف على نهاية إقدامهم بما انتهى إليه من مرامهم حيث يقول:

لعمري قد طفت المعاهد كلها... وسيرت طرفي بين تلك المعالم

فلم أر إلا واضعا كف حائر ... على ذقن أو قارعا سن نادم
وأقروا على أنفسهم بما قالوا، متمثلين به، أو منشئين له فيما صنفوه من كتبهم،
مثل قول بعض رؤسائهم:

نهاية إقدام العقول عقال ... وأكثر سعي العالمين ضلال
وأرواحنا في وحشة من جسمونا ... وحاصل دنيانا أذى ووبال
ولم نستفد من بختنا طول عمرنا ... سوى أن جمعنا فيه قيل وقالوا
ويقول الآخر منهم:

" أكثر الناس شكا عند الموت أصحاب الكلام".

ثم إذا حق عليهم الأمر لم يوجد عندهم من حقيقة العلم بالله وخالص المعرفة به
خير، ولا وقعوا من ذلك على عين وعلى أثر.

كيف يكون هؤلاء المنقصون المحجوبون الحيارى المتهوكون أعلم بالله وآياته من
السابقين الأولين من المهاجرين والأنصار، والذين اتبعوهم بإحسان من ورثة الأنبياء
وخلفاء الرسل، وأعلام الهدى ومصايح الدجى، الذي بهم قام الكتاب وبه قاموا،
الذين وهبهم الله من العلم والحكمة ما برزوا به على سائر أتباع الأنبياء وأحاطوا
من حقائق المعارف وبواطن الحقائق بما لو جمعت حكمة غيرهم إليها لاستحيا من
يطلب المقابلة.

ثم كيف يكون خير قرون الأمة أنقص في العلم والحكمة لا سيما العلم بالله
وأحكام أسمائه وآياته من هؤلاء الأصاغر بالنسبة إليهم؟ أم كيف يكون أفراخ
المتفلسفة وأتباع الهند واليونان أعلم بالله من ورثة الأنبياء وأهل القرآن والإيمان؟! "
وقال العلامة السفاريني في "شرح العقيدة" "١ / ٢١ - مختصره":

" فمن المحال أن يكون المخالفون أعلم من السالفين كما يقوله بعض من لا
تحقيق له به ممن لا يقدر قدر السلف ولا عرف الله تعالى ولا رسوله ولا المؤمنين

به؛ حق المعرفة المأمور بها، أن طريقة السلف أسلم [وطريقة الخلف] (١) أعلم وأحكم.

وهؤلاء إنما أتوا، من حيث ظنوا أن طريق السلف هي مجرد الإيمان بألفاظ القرآن والحديث؛ من غير فقه ذلك، بمتزلة الأئمة أو أن طريقة الخلف هي استخراج معاني النصوص المصروفة عن حقائقها بأنواع المجازات، وغرائب اللغات. فهذا الظن الفاسد، أوجب تلك المقالة التي مضمونها نبذ الإسلام وراء الظهر. وقد كذبوا وأفكوا على طريقة السلف، وضلوا في تصويب طريقة الخلف فجمعوا بين باطلين: الجهل بطريقة السلف في الكذب عليهم، والجهل والضلال بتصويب طريقة غيرهم".

ثم استشهد على ذلك بكلام للحافظ ابن رجب في كتابه "فضل علم السلف على علم الخلف" فليراجعه من شاء.

والظن الذي أتوا منه المخالفون هو مما يكرر ذكره بعض المؤيدين لمذهب الخلف على مذهب السلف، ويتوهم صحته بعض الكتاب الإسلاميين الذين لا علم عندهم بأقوال السلف، ويسمونهم بـ"التفويض"، وهو مما يكثر الكوثري عزوه إليهم زورا، فيقول في تعليقه على "السيف الصقيل" "ص ١٣": "الذي كان عليه السلف إجراء ما ورد في الكتاب والسنة المشهورة؟" في صفات الله سبحانه على اللسان، مع التزييه بدون خوض في المعنى، ومن غير تعيين المراد!"

وأعاد هذا المعنى مواضع أخرى منه "ص ١٣١ و ١٤٥"، وجر على منواله قرينه المتعاون معه على تحريف نصوص كتاب "الأسماء والصفات" للبيهقي ذاك في التعليق عليه، وهذا في التقديم له في كتابه الذي سماه "فرقان القرآن بين صفات الخالق

(١) سقطت من "المختصر" واستدركتها من "اللوامع" ٢٥ / ١.

وصفات الأكوان" أعني الشيخ سلامة القضاعي العزامي، فقد ذكر نحوه في مواطن منه غير أنه قال: "أكثر السلف على الكف عن بيان المعنى المراد اللائق بالحق تعالى" كذا قال "ص ٩٤". ونحوه "ص ٨١ و٥"، فقد نسب إلى أكثر السلف تترهيم عن بيان المعنى اللائق بالحق تعالى. فهل كان ذلك جهلا منهم بالله، أم كتما للعلم؟! فبأيهما أحاب، فهو كما قيل: أحلاهما مر. وصدق الله العظيم: {ذَلِكَ مَبْلَغُهُمْ مِنَ الْعِلْمِ} !

وجملة القول في التأويل الذي تمسك به الخلف أنه كما قال ابن القيم رحمه الله تعالى في منتصف قصيدته الرائعة "الكافية الشافية في الانتصار للفرقة الناجية" المعروفة بالنونية:

" هذا وأصل بلية الإسلام من ... تأويل ذي التحريف والبطلان".

ثم أفاض في سرد أضراره نظما بما لا تجده عند غيره نثرا، فراجعه فإنه هام جدا. وانظرها مع شرحها للشيخ أحمد بن عيسى المسمى بـ"توضيح المقاصد وتصحيح القواعد بشرح قصيدة ابن القيم".

ثم إن عجي لا يكاد ينتهي من الكوثري وأمثاله الذين ينسبون السلف الصالح في آيات الصفات إلى التفويض وعدم البحث عن المراد منها كما سبق النقل الصريح بذلك عنه فإنه إن لم يجد في قلبه من التعظيم للسلف وعلمهم ما يزرعه عن التلفظ بما بما يمس مقامهم في المعرفة بالله تعالى وصفاته أفلم يقف على ما نقله العلماء عنهم من العبارات المختلفة لفظا والمتحدة معنى وكلها تلتقي حول شيء واحد وهو إثبات الصفات مع الرد على المعطلة النافين لها والمثلة المشبهين لها بصفات الخلق، وإليك بعض النصوص في ذلك مما ستره في الكتاب في تراجمهم إن شاء الله تعالى.

١- قال الوليد بن مسلم: سألت الأوزاعي ومالك بن أنس وسفيان الثوري والليث بن سعد: عن الأحاديث التي في الصفات؟ فكلهم قالوا لي: أمروها كما جاء بلا تفسير. وفي رواية: بلا كيف.

٢- قال ربيعة الرأي، ومالك وغيرهما: "الاستواء غير مجهول، والكيف غير معقول، والإيمان به واجب".

قال شيخ الإسلام ابن تيمية في "الفتوى الحموية" ص ١٠٩ مطبعة السنة المحمدية".

"فقول ربيعة، ومالك: الاستواء غير مجهول... " موافق لقول الباقيين، "أمروها كما جاءت بلا كيف"؛ فإنما نفوا علم الكيفية، ولم ينفوا حقيقة الصفة. ولو كان القوم آمنوا باللفظ المجرد من غير فهم لمعناه على ما يليق بالله لما قالوا: "الاستواء غير مجهول والكيف غير معقول" ولما قالوا: "أمروها كما جاءت بلا كيف، فإن الاستواء حينئذ لا يكون معلوما، بل مجهولا بمتزلة حروف المعجم!"

وأیضا فإنه لا يحتاج إلى نفي علم الكيفية، إذا لم يفهم عن اللفظ معنى، وإنما يحتاج إلى نفي علم الكيفية إذا أثبت الصفات.

وأیضا، فإن من ينفي الصفات الجزئية -أو الصفات مطلقا- لا يحتاج إلى أن يقول "بلا كيف" فمن قال: "إن الله ليس على العرش" لا يحتاج أن يقول "بلا كيف"، فلو كان مذهب السلف نفي الصفات في نفس الأمر، فلما قالوا: "وبلا كيف".

وأیضا فقولهم "أمروها كما جاءت" يقتضي إبقاء دلالتها على ما هي عليه فإنها جاءت ألفاظا دالة على معاني فلو كانت دلالتها منتفية لكان الواجب أن يقال: "أمروا لفظها مع اعتقاد أن المفهوم منها غير مراد. أو أمروا لفظها مع اعتقاد أن من

الله لا يوصف بما دلت عليه حقيقة" وحينئذ تكون قد أمرت كما جاءت ولا يقال حينئذ "بلا كيف" إذا نفى كيف عما ليس بثابت لغو من القول".

٣- قال الإمام الخطابي:

" مذهب السلف في الصفات إثباتها وإجرائها على ظاهرها، ونفي الكيفية والتشبيه عنها".

٤- قال الحافظ ابن عبد البر:

" أهل السنة مجمعون على الإقرار بالصفات الواردة في الكتاب والسنة، وحملها على الحقيقة لا على المجاز، إلا أنهم لم يكتفوا شيئاً من ذلك. وأما الجهمية والمعتزلة والخوارج فكلهم ينكرها ولا يحمل منها شيئاً على الحقيقة، ويزعمون أن من أقر بها مشبه، وهم عند من أقر بها نافون للمعبود".

قلت: فهذا قل من جل النصوص التي سنها في الكتاب، وهي كلها متفقة على أن السلف كانوا يفهمون آيات الصفات، ويفسرونها ويعينون المعنى المراد منها، على ما يليق به تبارك وتعالى.

فلماذا لا يرفع الكوثري وأمثاله من الخلف رؤوسهم إلى هذه النصوص، ويظنون يصرون على أن السلف كانوا لا يفهمونها وإنما كانوا يجرونها على ألسنتهم فقط، دون تدبر لها وبيان لمعناها؟!!

والجواب: أحسن أحواله أن يكون حاله كحال الجويني الذي كان متأثراً بشيوخه من علماء الكلام، ولكنه لما كان مخلصاً في علمه لله تعالى هداه الله تبارك وتعالى إلى عقيدة السلف في الاستواء وغيره مصداقاً لقوله تعالى: {وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا} ، فهل كان الكوثري وأمثاله من الطاعنين في أئمة الحديث والسلف مخلصين أيضاً؟

من الصعب جدا أن نجيب عن هذا بالإيجاب لكثرة ما نرى من عدائه الشديد -في كل تعليقاته- لأئمة السلف والتوحيد واستمراره على اتهامهم بالتجسيم والتشبيه وبصورة خاصة لابن تيمية منهم مع رد هذا على المجسمة ومبالغته في سائر كتبه، فلا نكاد نراه في صدد الرد على المعطلة، إلا ويشرك معهم في الرد المجسمة، كما يعرف ذلك كل من له دراسة لكتبه رحمه

الله تعالى، ومن كلامه في هذا الصدد قوله في "الحموية" ص ١٦٠:

" فمن قال: لا أعقل علما ويدا إلا من جنس العلم واليد المعهودين. قيل له: فكيف تعقل ذاتا من غير جنس ذوات المخلوقين؟ ومن المعلوم أن صفات كل موصوف تناسب ذاته، وتلائم حقيقته فمن لم يفهم من صفات الرب الذي ليس كمثلته شيء إلا ما يناسب المخلوق فقد ضل في عقله ودينه".

قلت: وهذا قليل من كثير من كلامه الذي يدل دلالة قاطعة على أن شيخ الإسلام ابن تيمية هو متره وليس بمشبهه أو مجسم كما يفترى الكوثري. وقد نقل صديقه (١) العلامة أبو زهرة في كتابه "ابن تيمية" نصوصا كثيرة من كلام ابن تيمية في موضع الصفات الإلهية، ولخص عقيدته فيها تلخيصا جيدا لا تحامل فيه، بل إنه قد برأه مما اتهمه الكوثري فقال "ص ٢٦٤":

" وليس في ذلك ما يتنافى مع التثريه، أو يخالف التوحيد، أو يثبت مشابهة بينه سبحانه وبين الحوادث ". ثم قال "ص ٢٦٦":

" وينتهي بلا ريب إلى أن يثبت لله سبحانه وتعالى الاستواء واليد وغير، ذلك ولكن يقول: إن هذا كله بما يليق بذاته تعالى لا نعرف حقيقته وعلينا الإيمان به"

(١) كما صرح به في "المذاهب الإسلامية" ص ٢٩٠.

ولكنه عاد فنقل عن كتاب "رد شبه التشبيه" لابن الجوزي كلاما له ينتصر فيه للتأويل ويرد به على من يرميهم بالتشبيه فقال أبو زهرة "ص ٢٧٢" عقبه: "وهو مؤدى كلامهم ومهما حاولا نفي التشبيه فإنه لاصق بهم وإذا جاء ابن تيمية من بعده بأكثر من قرن وقال: إنه اشترك في الاسم لا في الحقيقة فإنهم إن فسروا الاستواء بظاهر اللفظ فإنه الاقتعاد والجلوس الجسمية لازمة لا محالة وإن فسروه بغير المحسوس فهو تأويل، وقد وقعوا فيما نھوا عنه!"

فأقول: "رويدك يا فضيلة الشيخ، فأنت تعلم أن ابن تيمية لا يفسر الاستواء بشيء مما ذكرت، وإنما بالعلو، وكتبه طافحة بذلك، فلماذا أوهمت القراء خلاف الواقع، فهلا جريت على سننك في نقل أقوال ابن تيمية وأنت تشرح عقيدته ورأيه، أم ضقت ذرعا بالتزام النقل الصحيح فأخذت تنسب إليه ما ليس بصحيح، تارة بالتلويح، كما فعلت هنا، وتارة بالتصريح كما فعلت في كتابك الآخر "المذاهب الإسلامية" إذ قلت في بحث "السلفية" والإمام ابن تيمية "ص ٣٢٠":

"وهكذا يثبتون كل ما جاء في القرآن والسنة عن أوصافه سبحانه... ويثبتون الاستقرار على العرش!"

فأين رأيت ابن تيمية يقول بالاستقرار على العرش، علما بأنه أمر زائد على العلو، وهو مما لم يرد به الشرع، ولذلك رأينا مؤلفنا الحافظ الذهبي قد أنكر على بعض القائلين بصفة العلو التعبير عنها بالاستقرار كما نراه في الترجمة "١٥٨، الفقرة ٣٢٢" ويقول أبو زهرة أيضا "ص ٣٢٢" من كتابه المذكور:

"يقرر ابن تيمية أن مذهب السلف: هو إثبات كل ما جاء في القرآن من فوقية، وتحتية، واستواء على العرش!" وقال في الصفحة التي قبلها: "فيكرر هذا المعنى فيقول مؤكدا أن الله يتزل ويكون في فوق وتحت من غير كيف!"

فأين قرر ابن تيمية وأثبت لله تعالى صفة التحتية؟! غالب الظن أن الشيخ أبا زهرة فهم من أحاديث التزول التحتية المزعومة، ثم عزا ذلك لابن تيمية كما فهم من آيات الاستواء: الاستقرار ثم عزاه إليه، وكل ذلك خطأ عليه كما يعلم ذلك من درس كتبه دراسة تفهم ووعي لا دراسة سريعة من أجل النقل عنه في ترجمته، وتسويد صفحاتها!

ومثل هذا العزو منه لابن تيمية دلني على أنه لم يفهم ابن تيمية وعقيدته وأفكاره فهما جيدا، بل لعله لم يقرأ كل ما لابن تيمية من البحث والتحقيق في المسائل التي أثارها الشيخ أبو زهرة في ما طبع من كتب ابن تيمية فضلا عن المخطوطة منها ككتابة المطبوع في المكتب الإسلامي: "شرح حديث التزول" فإن ابن تيمية رحمه الله قد قرر فيه أنه لا يلزم من نزوله تعالى أن يصير العرش فوقه تعالى، وهو تحت العرش، فإن هذا من طبيعة المخلوق، والله ليس كمثل شيء كما سيأتي الإشارة إلى ذلك في ترجمة الإمام إسحاق بن راهويه من الكتاب تعليقا على الفقرة "٢١١" (١)، "١" بل قد قال ابن تيمية في "منهاج السنة" "٢ / ٢٤٨":

"ومن ظن من الجهال أنه إذا نزل إلى سماء الدنيا كما جاء الحديث سيكون العرش فوقه ويكون محصورا بين طبقتين من العالم فقله مخالف لإجماع السلف مخالف للكتاب والسنة كما قد بسط في موضعه".

وإن مما يؤكد ما ذكرته من عدم فهمه لابن تيمية أنه لم يقتنع بما لخصه هو نفسه عن ابن تيمية "ص ٢٧٦" من كتابه "ابن تيمية" فقال:

"إن ابن تيمية يرى أن الألفاظ في اليد والتزول والقدم والوجه والاستواء على ظاهرها، ولكن بمعان تليق بذاته الكريمة كما نقلنا من قبل"

(١) الصفحة "١٨١".

لم يقتنع بصواب رأي ابن تيمية هذا مع أنه الحق الصراح بل أخذ يرد عليه بكلام هزيل مضطرب لا طائل تحته - وهذا أحسن ما يقال فيه فقال عقبه:

"ومن هنا نقف وقفة: إن هذه الألفاظ وضعت في أصل معناها لهذه المعاني الحسية، ولا تطلق على وجه الحقيقة على سواها، وإذا أطلقت على غيرها سواء أكان معلوما أم مجهولا فإنها قد استعملت في غير معناها، ولا تكون بحال من الأحوال مستعملة في ظواهرها، بل تكون مؤولة، وعلى ذلك يكون ابن تيمية قد فر من التأويل ليقع في تأويل آخر، وفر من التفسير المجازي ليقع في تفسير مجازي آخر"

فقل لي بريك -أيها القارئ اللبيب- هل يقول هذا في ابن تيمية عالم كآبي زهرة فهم كلام ابن تيمية الذي نقله هو نفسه أكثر من مرة كقوله أنه لا يلزم من الاشتراك في الاسم الاشتراك في الحقيقة. ويبين ذلك ما نقله "ص ٢٦٥" عن "التدمرية" لابن تيمية "ص ١٢" أنه قال:

"إذا كان من المعلوم بالضرورة أن في الوجود ما هو قديم واجب بنفسه وما هو محدث ممكن يقبل الوجود والعدم، فمعلوم أن هذا مجود وهذا موجود ولا يلزم من اتفاقهما في مسمى الوجود أن يكون وجود هذا مثل وجود هذا بل وجود هذا يخصه ووجود هذا يخصه واتفاقهما في اسم عام لا يقتضي تماثلهما في مسمى ذلك الاسم عند الإضافة والتخصص والتقيد فلا يقول عاقل إذا قيل له: إن العرش شيء موجود وإن البعوض شيء موجود: "إن هذا مثل هذا لاتفاقهما في مسمى الشيء والوجود [وإذا قيل هذا موجود وهذا موجود فوجود كل منهما يخصه. لا يشركه غيره مع أن الاسم حقيقة في كل منهما]" (١)

(١) زيادة من "التدمرية" ص "١٣-١٤" طبع المكتب الإسلامي.

ثم علق أبو زهرة على هذا الكلام بما يوضحه قال:

"ولذا يقول ابن تيمية في هذا المقام:

"قد سمي الله نفسه حيا فقال سبحانه: {اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ} وسمى بعض خلقه حيا فقال: {يُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَيِّتِ وَيُخْرِجُ الْمَيِّتَ مِنَ الْحَيِّ} ، وليس هذا الحي مثل هذا الحي لأن قوله "الحي" اسم لله مختص به وقوله "يخرج الحي من الميت" اسم للحي المخلوق مختص به وإنما يتفقان إذا أطلقا وجردا عن التخصيص ..."

فهل تجد أيها القارئ أثرا للتأويل الذي زعمه أبو زهرة في تفسيره لهذه الأسماء والآيات، أم هو يصرح بأنها كلها حقائق تناسب مع ذواتها، وتختلف حقائقها باختلاف ذواتها، غير أن ما في الأمر أن ما كان منها محسوسا فمن الممكن أن نعرف حقيقته بخلاف ما كان غائبا عنا كصفات الله تعالى بل والجنة والنار، فلا نعرف حقيقته، فقد ضرب لك أمثلة توضح للناس هذا الموضوع الخطير الذي كان الجهل به سببا كبيرا لانحراف الناس في الصفات عن طريق السلف. فنحن جميعا نقول: "الله موجود" كما نقول: "الخلق موجود". ووجود كل منهما حقيقة تتناسب مع ذواتهما، ونقول: "الله حي" و"أنا حي" حياة كل منهما حقيقة تتناسب مع ذواتهما، وهكذا طرد ذلك في جميع الأسماء والصفات، تجد كلام شيخ الإسلام واضحا بينا مقنعا لكل ذي لب.

وإذا كان الشيخ أبو زهرة لم يفهم كلام ابن تيمية، وبناء عليه نسب إليه التأويل خطأ، فهذا الخطب فيه سهل جدا بالنسبة لخطأ آخر في كلامه السابق فإنه إذا كان يعتقد "أن هذه الألفاظ وضعت في أصل معناها لهذه المعاني الحسية ولا تطلق على وجه الحقيقة على سواها، وإذا أطلق على غيرها سواء أكان معلوما أم مجهولا فإنها قد استعملت في غير معناها ... " إلخ كلامه السابق.

أقول: إذا كان الشيخ يعتقد هذا، فإن معنى كلامه -لو كان يدري ما يقول- وهو يجادل شيخ الإسلام متأثراً بعلم الكلام أن وجود المخلوق وحياته وعلمه واستواءه وغير ذلك كله حقيقة، وأما وجود الخالق سبحانه وحياته وعلمه واستواءه وغير ذلك من صفاته فهي مجاز! وليست بحقيقة، ولازمه أن الله غير موجود، وليس بحج، ولا هو يعلم ولا هو مستو على العرش، ولا ولا... إلخ إلى ما هنالك من أساليب معروفة يقول بها الفلاسفة، وبعض من تأثر بهم من المعتزلة وعلماء الكلام نقول هذا الآن الشيخ -هدانا الله وإياه قال: "إن هذه الألفاظ وضعت في أصل معناها لهذه المعاني الحسية" ووجوده الله وعلمه وحياته وسائر صفاته ليست حسية وعليه فلا تطلق عليهما كما قال إلا مجازاً فهل أحس الشيخ أين طوحت به كلمته هذه؟ فإن كنت لا تدري... فأقول: قد عرفنا معنى الوجود المحسوس والحياة المحسوسة والعلم المحسوس، والاستواء المحسوس، فما هو معنى هذه الأسماء إذا أضيفت إلى الله تعالى وهو غير محسوس؟ فالجواب: إنه لا معاني لها وإنما هي أسماء له فقط كما تقوله المعتزلة تماماً كما حكاها الشيخ نفسه عنهم فإنه قال في "المذاهب" ص ٣٠٣:

"نفى المعتزلة الصفات كما قررنا، وأثبتها الأشعري وقالوا إنها شيء غير الذات، فقد أثبتوا القدرة والإرادة والعلم والحياة والسمع والبصر والكلام وقالوا: إنها غير الذات وقال المعتزلة لا شيء غير الذات وإن المذكور في القرآن من مثل قوله تعالى: "عليم وخبير وحكيم وسميع وبصير هو أسماء له تعالى".

أي لا معاني لها، وإنما هي كالأعلام المحضة المترادفة، ولذلك نعى ذلك عليهم العلماء ونسبوهم إلى التعطيل كما هو مبين في كتب شيخ الإسلام وغيره.

فهل يلتزم فضيلة الشيخ أبو زهرة ما لزمه من كلامه السابق من التعطيل الذي حكى مثله عن المعتزلة، فيكون على ذلك مثلهم منكرات لصفات الله تعالى الثابتة

بالقرآن والسنة، أم يتراجع عن تلك الكلمة، لأنها زلة لسان، ويلتزم المذهب الذي شرحه ابن تيمية شرحاً ليس من السهل الاستدراك عليه فيه، ومنه الاستواء، فيؤمن به على أنه صفة حقيقية لله تعالى تليق به كما ينبغي أن يؤمن كذلك بجميع صفاته عز وجل كالعلم والكلام ولا يصرفها إلى المجاز فيقع في التعطيل؟ كنت أرجو أن أعتبر تلك الكلمة منه زلة لسان صدرت منه ولكن صديني عن ذلك هو نفسه حيث رأته قد مال كما سيأتي إلى تفسير "الاستواء" بالمعنى المجازي وهو السلطان الكامل وتفسير التزول بفيوض النعم الإلهية دون أن يتنبه الشيخ المسكين أن مثل هذا التفسير لازمه الكفر لأن تمام حديث التزول - كما يعلم - فيقول: ألا هل من داع فاستجيب له ألا ... ألا ... فهل القيوض هي التي تستجيب، وتغفر، وتعطي أم الله عز وجل لا شريك له؟

وجملة القول فيما نقله الكوثري عن ابن تيمية أنه أراد أن يكون معه نزيهاً أديباً غير متأثر بموقف صاحبه الكوثري منه، ولكنه - مع الأسف تغلب عليه أثر الصحبة، فأخذ يطعن في عقيدة ابن تيمية، ولكن تلويحاً لا تصريحاً كما يفعل صاحبه وينسب إليه صراحة ما لم يقله كما تقدم بيانه، ولا أقول إنه فعل ذلك عمداً كصاحبه لا وإنما أتى من سوء فهمه لكلام ابن تيمية رحمه الله تعالى. ومما يؤكد ذلك قوله عقب ما سبق نقله من كلامه الذي فيه "وعلى ذلك يكون ابن تيمية قد فر من التأويل ليقع في تأويل آخر ...". فقال "ص ٢٧٧":

" ثم ما المأل وما الغاية من التفسير الظاهري أيؤدي إلى معرفة حقيقة أم لا يؤدي إلا إلى متاهات أخرى إنه يقول "يعني ابن تيمية": إن الحقيقة غير معروفة فيقول: إن الله له وجه غير معروفة الماهية ... وله استواء غير معروف الماهية، ويد ... و إنما بلا شك إذا فسرنا تلك المعاني "كذا قال ولعله سبق قلم، وإنما أراد الألفاظ" بتفسيرات لا تجعلنا نحمله على مجهولات يكون ذلك التفسير أخرى

بالقبول، ما دامت اللغة تتسع له وما دام المحاز بينا فيها، كنتفسير اليد بمعنى القوة أو النعمة، والاستواء بمعنى السلطان الكامل، وتفسير التزول بفيوض النعم الإلهية إلخ، ولا يعترض بأمن ذلك ليس فيه أخذ بالظاهر، لأن الذي اختاره ليس فيه أخذ بالظاهر!"

كذا قال، ولو أردنا أن نبين ما تحته من الخطأ والبعد عن جادة الصواب الذي لا يجوز أن يقع فيه عالم مثله لطلال بنا المقام أكثر مما تتحمله هذه المقدمة ولكني أقول للشيخ كلمة موجزة:

ألا يكفيك يا فضيلة الشيخ مآلا وغاية أن تفهم أن الاستواء هو صفة لله غير صفة التزول، وأن هذه الصفة غير صفة السيطرة والإنعام وهكذا، كما يكفيك - فيما أرجو - أن تعتقد أن صفة السمع غير صفة البصر وأنهما غير صفة العلم وأن لا تعطلهما وتنكر وجودهما بتأويلك إياهما بما يعود إلى أن المراد بهما صفة العلم كما يقوله بعض المعتزلة، وإن كان كثيرون منهم ينكرون جميع صفات الذات لله تبارك وتعالى كما نقلناه عنهم فيما سبق؟

بلى إنه يكفيك هذا وإلا فما الفرق بين تفسيرنا تبعاً للسلف لهذه الصفات على ظاهرها مع اعتقاد أن حقيقتها لا يعلمها إلا المتصف بها سبحانه وتعالى، وبين إنكارك الاستواء مثلاً وإيمانك - فيما أظن بتفسيرنا لسائر الصفات ككونه حياً قديراً مريداً حكيماً ... إلخ صفاته تعالى تفسيراً لها على ظاهرها دون تأويل أيضاً مع اعتقاد أن حقيقتها لا يعلمها إلا الله؟

الذي أعتقده وأقطع به: أن كل عاقل من أهل العلم لا بد من أن يسلم بأنه لا فرق بين هذا وهذا أبداً، إذ الكل يعود إلى صفات ذات الله تعالى، فكما أننا نؤمن بذاته تعالى دون أن نعلم كنهها وحقيقتها، فكذلك القول في صفاته سبحانه ولا فرق، وإذا كان الأمر كذلك فيما أن يؤمن الشيخ معنا بحقائق الصفات ومنها

الاستواء على ما شرحنا وإما أن يتأولها كلها، وبذلك يُلزم بإنكار وجود الله تعالى لأنه لا يعرف حقيقته، وكل ما لا يعرف حقيقته كالأستواء فهو يتأوله!!! وهذا ما وقع فيه الباطنية وكثير من الفلاسفة وقارب ذلك المعتزلة ومن تأثر بهم من علماء الكلام كما فصل ذلك شيخ الإسلام رحمه الله تعالى في كتبه الكثيرة، جزاه الله عن الإسلام خيرا.

وهنا يطيب لي بهذه المناسبة أن أنقل من بعض المخطوطات فصلا رائعا من كلام بعض علماء السلف مما لم يطبع حتى الآن فيما علمت وهو للخطيب البغدادي الحافظ المؤرخ المشهور، وقد ذكر المصنف طرفا منه في ترجمته كما يأتي، فرأيت أن أذكره هنا بنصه، إتماما للحجة على الخلف الذين يتوهم الكثير منهم، أن القول بوجوب الإيمان بحقائق الصفات ومعانيها كما يليق بالله تعالى هو مذهب تفرد به ابن تيمية ومن اقتدوا به فيها، ولم يعلموا أنه رحمه الله تابع لهم في ذلك، وإنما فضله في بيانه وشرحه له وإقامة الأدلة عليه بالمنقول والمعقول، ودفع الشبهات عنه، وإلا فهو سلفي المعتقد، وهو الواجب على كل مسلم، ولذلك بادرنا إلى نشر كتاب الذهبي هذا الذي بين يديك لتعلم به ما قد يكون خافيا عليك كما خفي على غيرك، فكان ذلك سببا قويا من أسباب الابتعاد عن العقيدة السلفية والطريقة المحمدية.

قال الحافظ الخطيب رحمه الله تعالى:

" أما الكلام في الصفات؛ فإن ما روي منها في السنن الصحاح؛ مذهب السلف رضوان الله عليهم إثباتها وإجراؤها على ظواهرها، ونفي الكيفية والتشبيه عنها. وقد نفاها قوم فأبطلوا ما أثبتته الله سبحانه. وحققها من المثبتين قوم فخرجوا في ذلك إلى ضرب من التشبيه والتكييف. والقصد إنما هو سلوك الطريقة المتوسطة بين الأمرين ودين الله بين الغالي فيه والمقصر عنه.

والأصل في هذا أن الكلام في الصفات فرع علي الكلام في الذات ويحتذى في ذلك حذوه ومثاله. فإذا كان معلوماً أن إثبات رب العالمين عز وجل إنما هو إثبات وجود لا إثبات كيفية، فكذلك إثبات صفاته إنما هو إثبات وجود لا إثبات تحديد وتكييف.

فإذا قلنا: لله تعالى يد، وسمع، وبصر؛ فإنما هي صفات أثبتها الله تعالى لنفسه، ولا نقول: أن معنى اليد القدرة، ولا إن معنى السمع والبصر العلم، ولا نقول: إنها جوارح ولا نشبهها بالأيدي والأسماع والأبصار التي هي جوارح وأدوات للفعل ونقول: إنما وجب إثباتها لأن التوقيف ورد بها ووجب نفي التشبيه عنها لقوله تبارك وتعالى {لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ} وقوله عز وجل {وَلَمْ يَكُنْ لَهُ كُفُوًا أَحَدٌ} .

ولما تعلق أهل البدع على عيب أهل النقل بروايتهم هذه الأحاديث ولبسوا على من ضعف علمه بأنهم يروون ما لا يليق بالتوحيد ولا يصح في الدين، ورموهم بكفر أهل التشبيه، وغفلة أهل التعطيل أحيوا بأن في كتاب الله تعالى آيات محكمات يفهم منها المراد بظواهرها، وآيات متشابهات لا يوقف على معناها إلا بردها إلى المحكم، ويجب تصديق الكل والإيمان بالجميع؛ فكذلك أخبار الرسول صلى الله عليه وسلم جارية هذا المجرى، ومترلة على هذا الترتيل، يرد المتشابه منها إلى المحكم، ويقبل الجميع.

وتنقسم الأحاديث المروية في الصفات ثلاثة أقسام:

أ- منها أخبار ثابتة أجمع أئمة النقل على صحتها، لاستفاضتها وعدالة ناقلها. فيجب قبولها، والإيمان بها، مع حفظ القلب أن يسبق إليه اعتقاد ما يقتضي تشبيهها لله بخلقه، ووصفه بما لا يليق به من الجوارح والأدوات، والتغير والحركات.

ب- القسم الثاني: أخبار ساقطة، بأسانيد واهية، وألفاظ شنيعة، أجمع أهل العلم بالنقل على بطولها، فهذه لا يجوز الاشتغال بها ولا التعرّيج عليها.

ج- والقسم الثالث: أخبار اختلف أهل العلم في أحوال نقلتها، فقبلهم البعض دون الكل، فهذه يجب الاجتهاد والنظر فيها لتلحق بأهل القبول، أو تجعل في حيز الفساد والبطول".

قلت: فاحفظ هذا الأصل من الكلام في الصفات وافهمه جيدا، فإنه مفتاح الهداية والاستقامة عليها، وعليه اعتمد الإمام الجويني حين هداه الله تعالى لمذهب السلف في الاستواء وغيره كما تقدم ذكره عنه، وهو عمدة المحققين كلهم في تحقيقاتهم لهذه المسألة كابن تيمية وابن القيم وغيرهما، قال ابن تيمية في "التدمرية" ص ٢٩: "طبع المكتب الإسلامي:

" القول في الصفات كالقول في الذات فإن الله ليس كمثله شيء، لا في ذاته، ولا في صفاته، ولا في أفعاله فإذا كان له ذات حقيقة لا تماثل الذوات فالذات متصفة بصفات حقيقية لا تماثل سائر الصفات.

فإذا قال السائل؛ كيف استوى على العرش؟ قيل له كما قال ربيعة ومالك وغيرهما رضي الله عنهم: "الاستواء معلوم، والكيف مجهول، والإيمان به واجب، والسؤال عن الكيفية بدعة" لأنه سؤال عما لا يعلمه البشر، ولا يمكنهم الإجابة عنه. وكذلك إذا قال: كيف يتزل ربنا إلى السماء الدنيا؟ قيل له: كيف هو؟ فإذا قال: لا أعلم كيفيته. قيل له: ونحن لا نعلم كيفية نزوله. إذ العلم بكيفية الصفة يستلزم العلم بكيفية الموصوف وهو فرع له وتابع له، فيكف تطالبي بالعلم بكيفية سمعه وبصره، وتكليمه واستوائه ونزوله، وأنت لا تعلم كيفية ذاته؟ وإذا كنت تقر بأن له حقيقة ثابتة في نفس الأمر مستوجبة لصفات الكمال، لا يماثلها شيء فسمعه وبصره، وكلامه ونزوله واستواؤه ثابت في نفس الأمر وهو متصف بصفات

الكمال التي لا يشابهه فيها سمع المخلوقين وبصرهم وكلامهم ونزوله واستواؤهم
...".

وقال في "الحموية" ص ٩٩ "بعد أن ذكر مختصر ما تقدم:

"ومذهب السلف بين التعطيل وبين التمثيل، فلا يمثلون صفات الله بصفات خلقه، كما لا يمثلون ذاته بذات خلقه، ولا ينفون عنه ما وصفه بنفسه، ووصفه به رسوله، فيعطلوا أسماءه الحسنی، وصفاته العليا، ويجرفوا الكلم عن مواضعه، ويلحدوا في أسماء الله وآياته.

وكل واحد من فريقَي التعطيل والتمثيل، فهو جامع بين التعطيل والتمثيل. أما المعطلون فإنهم لم يفهموا من أسماء الله وصفاته إلا ما هو اللائق بالمخلوق، ثم شرعوا في نفي تلك المفهومات. فقد جمعوا بين التعطيل والتمثيل، مثلوا أولاً، وعطلوا آخراً. وهذا تشبيه وتمثيل منهم للمفهوم من أسماء وصفاته بالمفهوم من أسماء خلقه وصفاتهم، وتعطيل لما يستحقه هو سبحانه من الأسماء والصفات اللائقة به سبحانه وتعالى، فإنه إذا قال القائل: لو كان الله فوق العرش للزم إما أن يكون أكبر من العرش، أو أصغر، أو مساوياً، وكل ذلك من المحال - ونحو ذلك من الكلام - فإنه لم يفهم من كون الله على العرش إلا ما يثبت لأي جسم كان على أي جسم كان. وهذا اللازم تابع لهذا المفهوم، إما استواء يليق بجلال الله، ويختص به فلا يلزمه شيء من اللوازم الباطلة التي يجب نفيها، كما يلزم سائر الأجسام. وصار هذا مثل قول الممثل: إذا كان للعالم صانع، فإما أن يكون جوهرًا أو عرضًا، إذ لا يعقل موجود إلا هذا وقوله: إذا كان مستويا على العرش فهو مماثل لاستواء الإنسان على السرير والفلك، إذ لا يعلم الاستواء إلا هكذا. فإن كليهما مثل وكليهما عطل حقيقة ما وصف الله به، وامتاز الأول بتعطيل كل اسم للاستواء الحقيقي، وامتاز الثاني بإثبات استواء هو من خصائص المخلوقين.

والقول الفصل هو ما عليه الأمة الوسط، من إن الله مستو على عرشه استواء يليق بجلاله ويختص به. فكما أنه سبحانه موصوف بأنه بكل شيء عليم وعلى كل شيء قدير، وأنه سميع بصير، ونحو ذلك، ولا يجوز أن يثبت للعلم والقدرة خصائص الأغراض التي لعلم المخلوقين وقدرتهم، فكذلك هو سبحانه فوق العرش، ولا يثبت لفوقيته خصائص فوقية المخلوق على المخلوق وملزوماتها. واعلم أنه ليس في العقل الصريح، ولا في شيء من النقل الصحيح، ما يوجب مخالفة الطريقة السلفية أصلاً.

وأقول: أما النقل الصحيح، فهو موضوع مختصر كتاب الحافظ الذهبي الذي بين يديك، فستجد فيه ما يجعلك على مثل اليقين مؤمناً بأن الآيات القرآنية، والأحاديث النبوية والآثار السلفية متفقة كلها على أن الله تعالى فوق عرشه بذاته، بائناً من خلقه، وهو معهم بعلمه. وسترى إن شاء الله تعالى أن أئمة المذاهب المتبعة وأتباعهم الأولين ومن سار على نهجهم من التابعين لهم حتى أواخر القرن السادس من الهجرة قد اتفقت فتاواهم وكلماتهم على إثبات الفوقية لله تعالى على عرشه وخلقه وعلى كل مكان وأن ذلك كما أنه متواتر عن رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ (١) فهو مجمع عليه من السالفين والأئمة الماضين من المحدثين والفقهاء والمفسرين واللغويين وغيرهم، وستراهم بأسمائهم وأقوالهم الثابتة عنهم في ذلك، حتى قاربوا في عددهم المائتين، وهم في الواقع يبلغون المئات، ولكن ذلك ما تيسر جمعه للمؤلف رحمه الله تعالى (١)، فإذا وقف الطالب المخلص للحق على كلماتهم تيقن

(١) صرح بتواتر ذلك الحافظ الذهبي في "صفات رب العالمين" ١ / ١٧٥ / ٢ .

(١) وذكر ابن القيم - رحمه الله تعالى - في "اجتماع الجيوش الإسلامية" جماعة آخرين من العلماء فراجع إن شئت.

أنه يستحيل أن يكونوا قد أجمعوا على الضلال، ولعلم أن مخالفهم هو في الضلال، وما أحسن ما قاله المصنف رحمه الله تعالى في "صفات رب العالمين" بعد أن ذكر قليلا مما أشرنا

إليه من النقول "١٨٧ / ١-٢":

" ولو ذكرنا قول كل من له كلام في إثبات الصفات من الأئمة لا تسع الخرق، وإذا كان المخالف لا يهتدي بمن ذكرنا أنه يقول: الإجماع على إثباتها من غير تأويلها أو لا يصدقه في نقله فلا هداه الله. ولا خير والله فيمن رد على مثل الزهري، ومكحول، والأوزاعي، والثوري، والليث بن سعد ومالك، وابن عيينة، وابن المبارك، ومحمد بن الحسن، والشافعي، والحميدي، وأبي عبيد، وأحمد بن حنبل، وأبي عيسى الترمذي وابن سريج. وابن جريج الطبري وابن خزيمة وزكريا الساجي وأبي الحسن الأشعري أو يقول مثل قولهم من الإجماع مثل الخطابي وأبي بكر الإسماعيلي وأبي القاسم الطبراني وأبي أحمد العسال ... "فذكر غيرهم مما سيأتي" والشيخ عبد القادر الجيلي "الإمام في كل عصر" -الذين هم قلب اللب ونقاؤه.

قلت: والعقل الفطري السليم يشهد لهؤلاء الأئمة وما معهم من نصوص الكتاب والسنة، وبيان ذلك:

لا خلاف بين المسلمين جميعا أن الله تعالى كان ولا شيء، معه لا عرش ولا كرسي ولا سماء ولا أرض، ثم خلق الله تعالى الخلق. كما سيأتي في حديث عمران بن حصين.

فإذا كان كذلك فمما لا شك فيه؛ أن مخلوقاته تعالى، إما أن يكون خلقها في ذاته تعالى فهي حالة فيه، وهو حال فيها وهذا كفر لا يقول به مسلم، وإن كان

هو لازم مذهب الجهمية وغلاة الصوفية الذين يقول قائلهم: "كل ما تراه بعينك فهو الله" تعالى عما يقول الظالمون علوا كبيرا.

وإذا كان الأمر كذلك، فمخلوقاته تعالى بائنة عنه غير مختلطة به. وحينئذ فيما أن يكون الله تعالى فوق مخلوقاته، وإما أن تكون مخلوقاته فوقه تعالى وهذا باطل بداهة فلم يبق إلا أن الله تبارك وتعالى فوقها، وهو المطلوب المقطوع ثبوته في الكتاب والسنة، وأقوال السلف ومن جاء بعدهم من الأئمة على اختلاف اختصاصاتهم، ومذاهبهم كما ستراه مفصلا في الكتاب إن شاء الله تعالى.

ومن هنا نعلم مبلغ ضلال الجهمية ومن تأثر بهم من الخلف الذين أنكروا جميعا أن يكون الله تعالى على عرشه فوق خلقه، ثم انقسم هؤلاء على مذهبين:

الأول: مذهب الجهمية الذين ذهبوا إلى أن الله تعالى في كل مكان مخلوق ١. وقد جادلهم الإمام أحمد رحمه الله تعالى. فأحسن جدالهم

وكشف به عوارهم، فقال في رسالة "الرد على الجهمية"^(١):

"وإذا أردت أن تعلم أن الجهمي كاذب على الله سبحانه وتعالى حين زعم أنه في كل مكان، ولا يكون في مكان دون مكان، فقل له: أليس كان الله ولا شيء؟ فيقول: نعم. فقل له: فحين خلق الشيء خلقه في نفسه أو خارجا عن نفسه؟ فإنه يصير إلى أحد ثلاثة أقاويل:

أ- إن زعم أن الله تعالى خلق الخلق في نفسه كفر، حين زعم أن الجن والإنس والشياطين وإبليس في نفسه!

(١) وحكاها الأشعري في "مقالات الإسلاميين" ص ٢١٢ عن بعض المعتزلة، وتبرأ منه في "الإبانة" كما ستراه في ترجمته، وجزم بأنه تعالى مستو على عرشه وهذا خلاف اعتقاد أتباعه المنتسبين إليه كما سترى قريبا.

ب- وإن قال: خلقهم خارجا من نفسه، ثم دخل فيهم، كفر أيضا، حن زعم أنه دخل في كل مكان وحش وقدر.

ج- وإن قال خلقهم خارجا من نفسه، ثم لم يدخل فيهم. رجع عن قوله أجمع، وهو قول أهل السنة" (٢).

والمذهب الآخر قول بعض غلاة النفاة للعلو:

"الله، لا فوق، ولا تحت ولا يمين ولا يسار ولا أمام ولا خلف لا داخل العالم ولا خارجه" (٣) ويزيد بعض فلاسفتهم:
" لا متصلا بالعالم ولا منفصلا عنه!"

قلت: وهذا النفي معناه - كما هو ظاهر- أن الله غير موجود، وهذا هو التعطيل المطلق، والجحد الأكبر، تعالى الله عما يقول الظالمون علوا كبيرا. وما أحسن ما قال محمود بن سبكتكين لمن وصف الله بذلك: ميز لنا بين هذا الرب الذي تثبته وبين المعدوم! " ذكره في "التدمرية" ص ٤١".

وهذان المذهبان الباطلان أحدهما -ولا بد- لازم لكل من أنكر صفة العلو لله على عرشه، كما سبق بيانه.

وإن مما يؤسف له شديد الأسف أن المذهب الأول منهما هو السائد اليوم على ألسنة الناس في هذه البلاد عامتهم وخاصتهم فما تكاد تجلس في مجلس يذكر الله فيه، إلا بادرك بعض الجالسين فيه بقوله: "الله موجود في كل مكان!" وقد يقول آخر: "الله موجود!" في كل الوجود" فإذا سارعت إلى بيان بطلان هذا الكلام، لما

(٢) اجتماع الجيوش الإسلامية ص ٧٦-٨٠ ومثله في رسالة "المعرفة" للشيخ عبد الكريم الرفاعي -رحمه الله-

(٣) كذا في "حاشية البيجوري على "الجوهرة" ص ٥٨" وقد سمعت هذا النفي من بعض المشايخ على المنبر يوم الجمعة يعلم المسلمين الإيمان برب العالمين!

فيه من نسبة ما لا يجوز إلى الله من كونه مظلوماً لخلقه، وما فيه من المخالفة لصفة علوه على عرشه سارع بعض المتعلمين إلى تأويل ذلك القول بضم جملة "بعلمه" إليه. كأنما هو آية من كتاب الله، أو حديث عن رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لا بد من تأويله! ولم يدر هؤلاء المساكين أنها كلمة الجهمية والمعتزلة وعقيدتهم على ما يدل عليه ظاهر هذا القول دون أي تأويل، فإذا سمعت تأويلهم إياه بقولهم "بعلمه" ظننت خيراً، ولكن سرعان ما يجيب ظنك حينما توجه السؤال الموروث عن النبي المعصوم الكاشف عن إيمان المرء أو مبلغ معرفته بالله تعالى أو العكس ألا وهو قوله صلى الله عليه وسلم للجارية: "أين الله" قالت: في السماء. قال: "أعتقها فإنها مؤمنة" - فأنت إذا وجهت مثل هذا السؤال إلى العامة والخاصة وجدتهم يحملون بأعينهم مستنكرين إياه جاهلين أو متجاهلين أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ هو الذي سنه لنا ثم تراهم مع ذلك حيارى لا يدرون بماذا يجيبون كأن الشريعة الإسلامية لم تتعرض لبيانه مطلقاً لا في الكتاب ولا في السنة مع أن الأدلة فيهما متواترة على أن الله تعالى في السماء. ولذلك فالجارية لما أجابت على السؤال بقولها: في السماء شهد لها النبي صلى الله عليه وسلم بأنها مؤمنة لأنها أجابت بما هو معروف في الكتاب والسنة فيا ويح من لا يشهد له الرسول صلى الله عليه وسلم بالإيمان ويا ويل من يأبى بل يستنكر ما جعله صلى الله عليه وسلم دليلاً على الإيمان وهذا والله من أعظم ما أصاب المسلمين من الانحراف عن عقيدتهم أن لا يعرف أحدهم أن ربه الذي يعبده ويسجد له أهو فوق خلقه أم تحتهم بل لا يدري إذا كان خارجاً عنه أو في داخله حتى صدق فيهم قول بعض المتقدمين من أهل العلم: أضاعوا معبودهم وهم مع ذلك لم يبلغوا في الضلال شأن أولئك الذين حكموا عليه بالعدم حين قالوا: "لا فوق ولا تحت ... " إلخ فحق فيهم قول بعضهم: "المعطل يعبد عدماً والجسم يعبد صنماً". يشير بذلك إلى الجهمية المعطلة

النفاة وإلى المحسمة الممثلة الذين يثبتون الصفات مع التجسيم والتشبيه والحل وسط بينهما كما تقدم

ومع خطورة هذه المسألة وبالغ أهميتها، وشدة الخلاف القائم فيها بين أهل السنة من جهة، والجهمية والمعتزلة وغيرهم من النفاة من جهة أخرى حتى قال ابن القيم رحمه الله تعالى في "الجوش الإسلامية" ص ٩٦: "بل الذي بين أهل الحديث والجهمية من الحرب أعظم مما بين عسكر الكفر وعسكر الإسلام".

أقول: مع هذا كله، نرى أغلب الدعاة الإسلاميين اليوم، لا يقيمون لهذه المسألة ولا لأمثالها من مسائل الاعتقاد وزنا، ولا يلقون لها بالا، فلا تسمع لها في محاضراتهم ولا في مجالسهم الخاصة فضلا عن العامة ذكرا، ويكتفون من المدعويين أن يؤمنوا إيمانا مجملا، ألا ترى إلى ذلك الدكتور الذي قال في مقدمة رسالة "باطن الإثم" وهو يرسم للمسلمين المتفرقين المتدابرين الدواء بزعمه:

"وما أظن إلا أننا جميعا مؤمنون بالله إلهنا واحدا لا شريك له بيده الخير والملك وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ!"

نعم نحن مؤمنون بالله... ولكن إيمان المؤمنين يختلف بعضه عن بعض أشد الاختلاف، وما نحن فيه من صفة العلو أوضح مثال، فإن كان الدكتور يعتقدها على طريقة السلف المثبتين لها بدون تشبيه ولا تعطيل، فالناس الذين وضع لهم هذه الرسالة لا يشاركونه في ذلك الاعتقاد، إن كان هو ليس شريكا لهم في اعتقادهم! فماذا يفيد هذا الإيمان وهو ليس على ما شرعه الله وبينه، وقد أشار إلى هذه الحقيقة الإمام أبو محمد الجويني في مقدمة رسالته السابقة "الاستواء والفوقية" بعد أن ذكر الله تعالى ببعض صفاته كالسمع والبصر والكلام واليدين والقبضتين:

"استوى على عرشه، فبان من خلفه، لا يخفى عليه منهم خافية علمه بهم محيط وبصره بهم نافذ، وهو في ذاته وصفاته لا يشبهه شيء من مخلوقاته، ولا يمثل بشيء من جوارح مبتدعاته. هي صفات لا تفتقر بجلاله وعظمته، لا تتخيل كيفيتها الظنون، ولا تراها في الدنيا العيون. بل نؤمن بحقائقها وثبوتها، واتصاف الرب تعالى بها، وننفي عنها تأويل المتأولين، وتعطيل الجاحدين، وتمثيل المشبهين، تبارك الله أحسن الخالقين.

فبهذا الرب نؤمن، وإياه نعبد، وله نصلي ونسجد. فمن قصد بعبادته إلى إله ليست له هذه الصفات فإنما يعبد غير الله، وليس معبوده ذلك بإله."

والإمام الجويني رحمه الله تعالى حينما يقول ذلك، ويصدر هذا الحكم العدل على النفاة إنما تلقى ذلك عن أئمة السلف^(١)، فسيأتي في ترجمة الإمام عبد الله بن المبارك قوله في الجهمية: "إنهم يزعمون أن إلهك الذي في السماء ليس بشيء". في ترجمة عباد بن العوام: "آخر كلامهم ينتهي أن يقولوا ليس في السماء شيء، أرى أن لا يناكحوا أو يتوارثوا". ونحوه في ترجمة عبد الرحمن بن مهدي، ووهب بن جرير، والقعني وأبو معمر القطيعي وغيرهم من الأئمة، لكنهم لا يكفرون بالجهم بها أحداً إلا بعد انتهائها إليه كما سيأتي في ترجمة الإمام ابن جرير الطبري.

ولذلك فإني أعتب أشد العتب على الكتاب الإسلاميين اليوم -إلا القليل منهم- الذين يكتبون عن الإسلام كل شيء ما عدا العقيدة السلفية والطريقة المحمدية، وأخص بالذكر منهم أولئك الذين يتولون توجيه النشء الجديد إلى

(١) وهذا معنى ما جاء في رسالة "المعرفة" للشيخ عبد الكريم الرفاعي رحمه الله "ص ١٢: "ومن اعتقد أعتقاداً غير مطابقاً للواقع كاعتقاد النصارى بالتثليث والوثنية بالتنجيم، وغير ذلك من المعتقدات الباطلة فهو كافر بإجماع المسلمين".

الإسلام، وتربيتهم بتربيته، وتثقيفهم بثقافته، فإنهم لا يحاولون مطلقاً أن يوحدوا مفاهيمهم حول الإسلام الذي اختلف فيه أهله أشد الاختلاف، لا كما يظن بعض المغفلين منهم أو المتغافلين أن الخلاف بينهم في الفروع فقط دون الأصول، والأمثلة في ذلك كثيرة يعلمها من كان له دراسة في كتب الفرق، أو كان على علم بأفكار المسلمين اليوم، ويكفينا الآن مثلاً على ما نحن فيه من البحث، ألا وهو علو الله على خلقه، فنحن تبعاً للسلف نؤمن بما قاطعين حازمين، وغيرنا ينكرها أو يشك فيها تبعاً للخلف والشك مما ينفي الإيمان بما قطعاً ومع ذلك فنحن جميعاً مؤمنون بالله... كما قال ذلك الدكتور فأينا المؤمن حقيقة؟ أما الجواب فهو معروف لدى كل طائفة وإن كنا لسنا في صدده، وإنما الغرض إبطال تلك الخرافة في الفروع فقط! والنصح بتثقيف الشباب المسلم في دينه أصولاً وفروعاً على ضوء الكتاب والسنة، ونهج السلف الصالح.

وإني لن أنسى - ما حييت - تلك المناقشة التي كانت جرت منذ نحو عشر سنين في المدينة المنورة بيني وبين أحد الخطباء والوعاظ، الذين يحبون أن يتصدروا المجالس، ويستقلوا بالكلام فيها، فقد دخل علينا نحن في سهرة لطيفة جمعت نخبة طيبة من طلاب العلم من السلفيين أمثالي، فلم يقم له أحد من الجالسين سوى صاحب الدار مرحباً ومستقبلاً، فصافح الشيخ الجالسين جميعاً واحداً بعد واحد، مبتدئاً بالأيمن فالأيمن، فأعجبني ذلك منه، حتى انتهى إلي وكنت آخرهم مجلساً، ولكني رأيت وقرأت في وجهه عدم الرضى بتركهم القيام له، فأحببت أن ألطف وقع ذلك عليه فبادرته متلطفاً معه بقولي وهو يصافحني: عزيز بدون قيام يا أستاذ، كما يقولون عندنا بالشام في مثل هذه المناسبة، فأجاب وهو يجلس وملامح الغضب بادية عليه - بما معناه:

لا شك أن القيام للداحل إكراما وتعظيما ليس من السنة في شيء، وأنا موافق لك على ذلك ولكننا في زمن أحاطت فيه الفتن بالمسلمين من كل جانب، وهي فتن تمس الإيمان والعقيدة في الصميم. ثم أفاض في شرح ذلك، وذكر الملاحدة والشيعيين والقوميين وغيرهم من الكافرين فيجب أن نتحد اليوم جميعنا لمحاربة هؤلاء ودفع خطرهم عن المسلمين، وأن ندع البحث والجدال في الأمور الخلافية كمسألة القيام والتوسل ونحوهما!

فقلت: رويدك يا حضرة الشيخ، فإن لكل مقام مقالا، فنحن الآن معك في مثل هذه السهرية الأخوية لم نجتمع فيها لبحث خاص، ولا لوضع الخطة لمعالجة المسائل الهامة من الرد على الشيعيين وغيرهم، وأنت ما كدت تجلس بعد ثم إن طلبك ترك البحث في الأمور الخلافية هكذا على الإطلاق، لا أظنك تقصده، لأن الخلاف يشمل حتى المسائل الاعتقادية، وحتى في معنى شهادة أن لا إله إلا الله. فأنت تعلم أن أكثر المشايخ اليوم يجيزون الاستغاثة بغير الله تعالى. والطلب من الأموات وذلك مما ينافي معنى شهادة التوحيد عندنا جميعا - أشير إلى أنه في هذه المسألة معنا- فهل تريدنا أن لا نبحت حتى في تصحيح معنى الشهادة بحجة أن المسألة فيها خلاف؟! قال: نعم. حتى هذا يجب أن يترك موقتا في سبيل تجميع الصفوف وتوحيد الكلمة، لدرء الخطر الأكبر: الإلحاد و... قلت: وماذا يفيد مثل هذا التجمع - لو حصل - إذا لم يقيم على أساس التوحيد وعدم الإلحاد بالله عز وجل. وأنت تعلم أن العرب في الجاهلية كانوا يؤمنون بالله تعالى خالقا، ولكنهم كانوا يكفرون بكونه الإله الحق {إِنَّهُمْ كَانُوا إِذَا قِيلَ لَهُمْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ يَسْتَكْبِرُونَ}، فلم يفدهم إيمانهم ذلك شيئا، ولم ينجمهم من محاربة الرسول إياهم. فقال: نحن نكتفي اليوم بجمع الناس تحت كلمة لا إله إلا الله. قلت: ولو بمفهوم خاطئ؟! قال: ولو أقول: فهذه المناقشة تمثل لنا في الحقيقة واقع كثير من الدعاة

المسلمين اليوم، وموقفهم السلبي تجاه تفرق المسلمين في فهمهم للدين، فإنهم يدعون كل من ينتمي إليهم على أفكاره وآرائه، دون أن يحملوهم بالعلم والحجة من الكتاب والسنة على توحيدها، وتصحيح الخطأ منها، وجل اهتمامهم إنما هو في توجيههم إلى الأخلاق الإسلامية، وآخرون منهم، لا شغل لهم إلا تثقيف أتباعهم بالسياسة والاقتصاد، ونحو ذلك مما يدور عليه كلام أكثر الكتاب اليوم حوله، ونرى فيهم من لا يقيم الصلاة! ومع ذلك فهم جميعا يسعون إلى إيجاد المجتمع الإسلامي، وإقامة الحكم الإسلامي. وهيئات هيئات! إن مجتمعا كهذا لا يمكن أن يتحقق إلا إذا بدأ الدعوة بمثل ما بدأ به رسول الله صلى الله عليه وسلم من الدعوة إلى الله، حسبما جاء في كتاب الله، وبينه رسول الله صلى الله عليه وسلم.

ومن البديهي، أن مثل هذه الدعوة لا يمكن النهوض بها، بعدما دخل فيها ما ليس منها من طريق الدس على النبي صلى الله عليه وسلم باسم الحديث، والدس على تفسير القرآن باسم التأويل، فلا بد من الاهتمام الجدي العلمي لتصفية المصدرين المذكورين مما دخل فيهما لنتمكن من تصفية الإسلام من مختلف الأفكار والآراء والعقائد المنتشرة في الفرق الإسلامية، حتى ممن ينتسب إلى السنة منهم. وأعتقد أن كل دعوة لا تقوم على هذا الأساس الصحيح من التصفوية فسوف لا يكتب لها النجاح اللائق بدين الله الخالد.

ولقد تنبه لهذا أخيرا بعض الدعاة الإسلاميين، فهذا هو الأستاذ الكبير سيد قطب رحمه الله تعالى، فإنه بعد أن قرر تحت عنوان "جيل قرآني فريد" أن هذه الدعوة أخرجت جيلا مميذا في تاريخ الإسلام كله، وفي تاريخ البشرية جميعه، وأنها لم تعد تخرج من ذلك الطراز مرة أخرى، تساءل عن السبب مع أن قرآن هذه الدعوة لا يزال وحديث الرسول وهديه العملي وسيرته الكريمة كلها بين أيدينا

كما كانت بين يدي ذلك الجيل الأول ولم يغب إلا شخص رسول الله صلى الله عليه وسلم؟ فأجاب بأنه:

"لو كان وجود شخص رسول الله صلى الله عليه وسلم حتمياً لقيام الدعوة وإيائها ثمراتها ما جعلها الله دعوة للناس كافة، وما جعلها آخر رسالة، وما وكل إليها أمر الناس في هذه الأرض إلى آخر الزمان".

ثم نظر في سبب عدم تكرار المعجزة عدة عوامل طرأت، أهمها ما أشرنا إليه من اختلاف في طبيعة النبع فقال:

"كان النبع الأول الذي استقى منه ذلك الجيل هو نبع القرآن، القرآن وحده، فما كان حديث رسول الله وهدية إلا آثاراً من آثار ذلك النبع فعندما سئلت عائشة رضي الله عنها عن خلق رسول الله قالت: كان خلقه القرآن.

كان القرآن وحده إذن هو النبع الذين يستقون منه، ويتكيفون به ويتخرجون عليه، ولم يكن ذلك كذلك لأنه لم يكن للبشرية يوماً حضارة، ولا ثقافة، ولا علم، ولا مؤلفات، ولا دراسات كلاً فقد كانت هناك حضارة الرومان وثقافتها وكتبها وقانونها الذي ما تزال أوروبا تعيش عليه، أو على امتداده. وكانت هناك مخلفات الحضارة الإغريقية ومنطقها وفلسفتها وفنّها، وهو ما يزال ينبوع التفكير الغربي حتى اليوم، وكانت هناك حضارة الفرس وفنّها وشعرها وأساطيرها وعقائدها ونظم حكمها كذلك وحضارات أخرى قاصية ودانية: حضارة الهند وحضارة الصين إلخ. وكانت الحضارتان الرومانية والفارسية تحفان بالجزيرة العربية من شمالها ومن جنوبها. كما كانت اليهودية والنصرانية تعيشان في قلب الجزيرة، فلم يكن إذن عن فقر في الحضارات العالمية والثقافات العالمية يقصر ذلك الجيل على كتاب الله وحده.. في فترة تكونه... وإنما كان ذلك عن تصميم مرسوم ونهج مقصود. يدل على هذا القصد غضب رسول الله صلى الله عليه وسلم وقد رأى في

يد عمر بن الخطاب رضي الله عنه صحيفة من التوراة، وقوله: "إنه والله لو كان موسى حيا بين أظهركم ما حل له إلا أن يتبعني"^(١).

كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يريد صنع جيل خالص القلب. خالص العقل. خالص التصور. خالص الشعور. خالص التكوين من أي مؤثر آخر غير المنهج الإلهي، الذي يتضمنه القرآن الكريم.

ذلك الجيل استقى إذن من ذلك النبع وحده، فكان له في التاريخ ذلك الشأن الفريد، ثم ما الذي حدث؟

اختلطت الينابيع! صبت في النبع الذي استقت منه الأجيال التالية فلسفة الإغريق ومنطقهم، وأساطير الفرس وتصوراتهم، وإسرائيليات اليهود، ولاهوت النصراني، وغير ذلك من رواسب الحضارات والثقافات، واختلط هذا كله بتفسير القرآن الكريم، وعلم الكلام، كما اختلط بالفقه والأصول أيضا. وتخرج على ذلك النبع المشوب سائر الأجيال بعد ذلك الجيل، فلم يتكرر ذلك الجيل أبداً.

ثم ذكر - رحمه الله - عاملين آخرين ثم قال "ص ١٧":

"نحن اليوم في جاهلية كالجاهلية التي عاصرها الإسلام أو أظلم. كل ما حولنا جاهلية... تصورات الناس وعقائدهم، عاداتهم وتقاليدهم، موارد ثقافتهم، فنونهم وآدابهم، شرائعهم وقوانينهم. حتى الكثير مما نحسبه ثقافة إسلامية، ومراجع إسلامية، وفلسفة إسلامية وتفكيراً إسلامياً... هو كذلك من صنع هذه الجاهلية. لذلك لا تستقيم قيم الإسلام في نفوسنا، ولا يتضح تصور الإسلام في عقولنا، ولا ينشأ فينا جيل ضخم من الناس من ذلك الطراز الذي أنشأه الإسلام أول مرة.

(١) قلت؛ هو حديث حسن أخرجه الدارمي، وأحمد وغيرهما وقد خرجته في "إرواء الغليل في تخريج أحاديث منار السبيل" ١٥٨٩ "

فلا بد إذن في منهج الحركة الإسلامية أن نتجرد في فترة الحضارة والتكوين من كل مؤثرات الجاهلية التي نعيش فيها، ونستمد منها. لا بد أن نرجع ابتداءً إلى النبع الخالص الذي استمد منه أولئك الرجال. النبع المضمون الذي لم يختلط ولم تشبهه شائبة، نرجع إليه نستمد منه تصورنا لحقيقة الوجود كله ولحقيقة الوجود الإنساني ولكافة الارتباطات بين هذين الوجودين وبين الوجود الكامل الحق: وجود الله سبحانه... ومن ثم نستمد تصوراتنا للحياة وقيمنا وأخلاقنا، ومفاهيمنا للحكم والسياسة والاقتصاد وكل مقومات الحياة.

ثم لا بد لنا من التخلص من ضغط المجتمع الجاهلي والتصورات الجاهلية، والتقاليد الجاهلية والتقاليد الجاهلية في خاصة نفوسنا... ليست مهمتنا أن نصطلح مع واقع هذا المجتمع الجاهلي ولا أن ندين بالولاء له، فهو بهذه الصفة... صفة الجاهلية... غير قابل لأن نصطلح معه. إن مهمتنا أن نغير من أنفسنا أولاً لنغير هذا المجتمع أخيراً.

وسنلقى في هذا عننا ومشقة، وستفرض علينا تضحيات باهظة، ولكننا لسنا مخيرين إذا نحن شئنا أن نسلك طريق الجيل الأول الذي أقر الله به منهجه الإلهي ونصره على منهج الجاهلية".

من أجل ذلك كان لا بد للعاملين من أجل الدعوة الإسلامية أن يتعاونوا جميعاً على الخلاص من كل ما هو جاهلي مخالف للإسلام، ولا سبيل إلى ذلك إلا بالرجوع إلى الكتاب والسنة، كما يشير إلى ذلك قوله صلى الله عليه وسلم: "تركت فيكم أمرين لن تضلوا ما إن تمسكتم بهما: كتاب الله وسنتي، ولن يتفرقا حتى يردا علي الحوض". فإذا هم فعلوا ذلك فقد وضعوا الأساس لقيام المجتمع الإسلامي وبدونه لا يمكن أن تكون لهم قائمة، أو تنشأ لهم دولة مسلحة.

وإني لأعجب أشد العجب من بعض الكتاب والدكاترة الذين يؤلفون في معالجة بعض أمراض النفوس، كمؤلف رسالة "باطن الإثم الخطر الأكبر في حياة المسلمين" ثم لا يقنع بذلك حتى يكشف عن جهل كبير بالخطر الحقيقي الذي يحيط بالمسلمين وهو ما أشار إليه الأستاذ سيد قطب -رحمه الله تعالى- في كلامه المتقدم:

فإن الدكتور المشار إليه لم تعجبه هذه الحقيقة، فأخذ يغمز منها ومن المذكر بها تحت عنوان له في الرسالة المذكورة "ص ٨٥":
 "مشكلتنا أخلاقية وليست فكرية". قال:
 "ومعنى كل هذا الذي ذكرناه أننا نعاني من مشكلة تتعلق بالخلق والوجدان وليس لها أي تعلق بالقناعة أو الفكر"

كذا قال! ثم تعجب من الناس الذين يشعرون بمشكلته، ويتنبهون إلى ما سماه بالخطر الأكبر في حياة المسلمين، ولكنهم بدلا من أن يعالجوه بالسبل التي ذكرها هو في رسالة يعالجونه بمزيد من الأبحاث الفكرية... ثم قال مشيرا إلى كلام سيد قطب رحمه الله:

"فماذا يجدي أن نسهب في شرح "المجتمع الجاهلي" أو نتفنن في كشف المخططات العدوانية التي يسير عليها أعداء الإسلام وأرباب الغزو الفكري، أو نهتم بعرض المزيد من منهجية الفكر الإسلامي والدعوة الإسلامية، وأن البلاء الذي يعانيه المسلمون ليس الجهل بشيء من هذا كله وإنما هو المرض العضال الذي يستحكم بنفوسهم"؟!

ليس بالمسلمين حاجة بعد اليوم إلى أي مزيد من هذه الدراسات الفكرية، فالمسلمون على اختلاف ثقافتهم أصبحوا يملكون من الوعي في هذه النواحي ما يتيح لهم الحصانة الكافية لو أن الأمر كان موكولا إلى الوعي وحده.

وإنما هم بحاجة بعد اليوم إلى القوة الهائلة التي تدفع إلى التنفيذ، وهيئات أن يكون أمر التنفيذ بيد الفكر أو العقل وحده.

والقوة الهائلة التي يحتاجونها إنما هي قوة الأخلاق".

هكذا يقول الدكتور العليم "!" وفي كلامه من المغالطات والخطيئات ما لا يتسع المجال لبسط القول في بيانها، فإن أحدا من الإسلاميين لا يتصور أن يقول أن الوعي والفكر وحده يكفي لحل المشكلة، خلافا لما أوهمه كلامه، ولكن المشكلة التي أنكرها الدكتور هي الأصل لقوة الأخلاق ألا وهو الإيمان والتوحيد الصحيح والعقيدة الصحيحة، ولذلك كانت الأنبياء والرسل عليهم الصلاة والسلام وأتباعهم أول ما يبدؤون من الدعوة إنما هو توحيد الله عز وجل، فلم يكونوا يعالجون بادئ الأمر المشاكل الأخلاقية ولا الاقتصادية وغير ذلك مما افتتن بمعالجته كثير من الكتاب اليوم مع الغفلة عن المشكلة الأساسية، وهي انحراف الكثير من المسلمين اليوم وما قبل عن العقيدة الصحيحة، ولكتب الكلام التي يسمونها بكتب التوحيد ضلع كبير في ذلك، وأنا أسأل الدكتور العليم سؤالا واحدا: هل يمكن لفرد أو أفراد أو جماعة أو أمة أن يحفظوا بالقوة الهائلة التي يحتاجونها اليوم وهي قوة الأخلاق إذا كانت عقيدتهم غير صحيحة فإذا أجاب بعدم الإمكان فنسأله فهل الذي يعلمه هو أن هناك أمة مسلمة لا تزال عقيدتهم صحيحة، كما كانت عليه في عهد السلف على الرغم من أن فيهم من هو على عقيدة المعتزلة النفاة والجبرية وغلاة المتصوفة الذي منهم اليوم، وفي بلدنا خاصة من يقول بأن المسلم ليس بحاجة إلى أن يتعلم الكتاب والسنة والعلوم التي تساعد على فهمهما، وإنما يكفي في ذلك تقوى الله ويحتجون من القرآن بما هو حجة عليهم لو كانوا يعلمون كقوله تعالى: {وَاتَّقُوا اللَّهَ وَيُعَلِّمُكُمُ اللَّهُ} وبناء على ذلك ينكرون كثيرا من الحقائق الشرعية كالشفاعة الثابتة للأنبياء والرسل وبخاصة نبينا مُحَمَّدٍ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، ونزول

عيسى وخروج الدجال وغير ذلك كثير، وفي مصر والهند أناس يسمون بالقرآنيين الذين يفسرون القرآن دون الاستعانة على تفسيره بأحاديث النبي صلى الله عليه وسلم وأقوال الصحابة والتابعين والأئمة المجتهدين، بل وبدون التزام للقواعد العلمية العربية.

فإن أجاب الدكتور بأن عقيدة المسلمين اليوم هي كما كانت في عهد السلف، فنسأله هل هذا الذي ذكرته من العقائد الباطلة موجود اليوم وفي بلده خاصة، فإن أجاب بالإيجاب كما هو الظن به، فكيف يتجرأ على القول المتقدم: "ليس بالمسلمين حاجة بعد إلى أي مزيد من هذه الدراسات الفكرية، فالمسلمون اليوم على اختلاف ثقافتهم أصبحوا يملكون من الوعي في هذه النواحي ما يتيح لهم الحصانة الكافية"؟!

وإذا كابر وجحد ورجع إلى القول بأن المسلمين فيهم الخير والبركة من هذه الحيشية سقطت مخاطبته لأن الأمر كما قال الشاعر:

وَلَيْسَ يَصِحُّ فِي الْأُدْهَانِ شَيْءٌ ... إِذَا احْتَجَّ النَّهَارُ إِلَى دَلِيلٍ

وأخيراً لا بد من أن أواجه إلى حضرة الدكتور السؤال الذي يكشف له إن شاء الله عن خطئه الذي وضع له ذلك العنوان الخاطيء إن كان لم يتبين له حتى الآن، نحن نسألك بسؤال الرسول صلى الله عليه وسلم للجارية: أين الله؟ فإن أجبت بالجواب الذي نؤمن به وجعله الرسول صلى الله عليه وسلم دليل إيمان الجارية ألا وهو قولنا: في السماء وفهمه على الوجه الذي فهمه السلف أنه تبارك وتعالى على العرش، فقد أصبت الحق، واتفقت معنا في هذه المسألة التي علاقتها بالأفكار والعقائد، وليس بالأخلاق! ولكنك في الوقت نفسه خالفت جماهير المسلمين حتى المشايخ والأساتذة والدكاترة الذين درست عليهم الشريعة، فإنهم لا يوافقونك على هذا الجواب الحق، وما عهدك بالكوثري وأبي زهرة ببعيد.

وإن أنت أنكرت توجيه هذا السؤال الذي سنه لنا الرسول صلى الله عليه وسلم وأبيت أن تجيب عليه بجواب إيجابي، أو أجبت بجواب المعتزلة: الله موجود في كل مكان. وهذا معناه القول باتحاد الخالق والمخلوق، وهو الكفر بعينه، أو تجيب بما في "الجوهرة" وحاشيتها وغيرها من كتب الكلام التي درستها وتمعنت بثقافتها حتى "أصبحت تملك من الوعي ما ينسج لك الحصانة الكافية"! فقد خالف الكتاب والسنة وإجماع الأمة كما سبق أن أشرنا إلى بعض النقول عن بعض الأئمة الموثوق بهم عندنا جميعا ونحن على مذهبهم في ذلك وباختصار فسواء كنت معنا أو ضدنا في هذه العقيدة، فكل من الطائفتين يمثل ملايين المسلمين منذ مئات السنين حتى اليوم، وفي الطائفة التي تؤمن بالسؤال والجواب الوارد في الحديث المشار إليه آنفا شيخ الإسلام ابن تيمية وتلميذه المحقق ابن قيم الجوزية، وجميع إخواننا الحنابلة اليوم الذي هم من أتباع الشيخ محمد بن عبد الوهاب، وكل من الطائفتين هم بلا شك مما يشملهم ظنك الواسع الذي عبرت عنه بقولك في الرسالة السابقة "ص ٩":

" وما أظن إلا أننا جميعا مؤمنون بالله إلهنا واحدا لا شريك له بيده الخير ... "

وأما أنا فأعتقد أن كلا من الطرفين إذا تمسك بأداب الإسلام سيقول بلسان حاله أو قاله للطائفة المخالفة: "وإنا وإياكم لعلى هدى أو في ضلال مبين".

والدكتور يعلم فيما أعتقد أن إحدى الطائفتين أيا كانت فهي على ضلالة، وليس هي، بلا شك من حيث الخلق، وإنما من جهة الفكرة والعقيدة وكل من الطائفتين يمثل ملايين المسلمين اليوم في هذه المسألة وغيرها من مسائل الاعتقاد، أفليس هؤلاء المختلفون بحاجة يا دكتور إلى الدراسات الفكرية، ولا أقول كما قلت: "إلى مزيد من الدراسات الفكرية"؟!

لأن الإنسان العاقل يطمع في المزيد عندما يجد المزيد عليه فكيف وهو مفقود أو في حكم المفقود، فهو يطمع فيه ثم في المزيد عليه! أليس هؤلاء جميعا بحاجة ملحة

إلى تلك الدراسات حتى يتبين الحق للطائفة الضالة أيا كانت هذه الطائفة، فتنضم إلى الطائفة المحقة، وتزداد هذه إيماناً على إيمان بحقها وصوابها، ومعرفة بملتها والدعوة إليها، وبذلك نسير إلى المجتمع الإسلامي المنشود، وهو لا ينافي إذا قام به بعض الدعاة، أن يقوم آخرون بمعالجة أمراض النفوس وأخلاقها كما فعل الدكتور في رسالته السابقة الذكر "باطن الإثم" ولكن بشرط أن لا ينكر على الأولين جهادهم الأكبر ولا أن يدعوهم بأن يسلكوا سبيلهم في معالجة المشكلة المدعاة "ولكل وجهة هو موليها فاستبقوا الخيرات". [مقدمة مختصر العلو]

قصة ساعة مسجد قباء

وقد أحدثت في هذا العصر أجراس متنوعة لأغراض مختلفة نافعة، كجرس ساعة المنبه الذي يوقظ من النوم، وجرس الهاتف "التليفون"، وجرس دوائر الحكومة، والدور، ونحو ذلك، فهل يدخل هذا في الأحاديث المذكورة وما في معناها؟ وجوابي: لا، وذلك لأنه لا يشبه الناقوس لا في صوته ولا في صورته. والله أعلم.

وهذا بخلاف أجراس بعض الساعات الكبار التي تعلق على الجدران، فإن صوتها يشبه صوت الناقوس تماماً، ولذلك فهذا النوع من الساعات لا ينبغي للمسلم أن يدخلها إلى داره، ولا سيما أن بعضها تعزف ما يشبه الموسيقى قبيل أن يدق جرسها! مثل ساعة لندن التي تسمع من إذاعتها والمعروفة باسم "بك بن".

ومما يؤسف له أن هذا النوع من الساعات قد أخذ يغزو المسلمين حتى في مساجدهم، بسبب جهلهم بشريعتهم! وكثيراً ما سمعنا الإمام يقرأ في الصلاة بعض الآيات التي تندد بالشرك والتثليث، والناقوس يدق من فوق رأسه منادياً ومذكراً بالتثليث! والإمام وجماعته في غفلتهم ساهون.

ولقد كنت كلما دخلت مسجداً فيه مثل هذه الساعة، عطلت ناقوسها دون أن أمس آلتها بسوء؛ لأنني ساعاتي ماهر والحمد لله، وما كنت أفعل ذلك إلا بعد أن ألقى كلمة أشرح فيها وجهة نظر الشرع في مثل هذا الناقوس، وأقنعهم بضرورة تطهير المسجد منه، ومع ذلك فقد كانوا أحياناً -مع اقتناعهم- لا يوافقون على ذلك، بحجة أن الشيخ فلان والعالم فلان وفلان صلوا في هذا المسجد، وما أحد منهم اعترض!.

هذا في سورية، وما كنت أظن أن مثل هذه الساعة التي تذكر بالشرك تغزو بلاد التوحيد "السعودية"، حتى دخلت مع شقيقي منير مسجد قباء في موسم الحج "سنة ١٣٨٢"، فدهشنا حين سمعنا دق الناقوس من ساعتها! فكلمنا بعض القائمين على المسجد، ولعل إمامه كان فيهم، وأقنعناهم بعدم جواز استعمال هذه الساعة وخصوصاً في المسجد، وسرعان ما اقتنعوا، ولكننا لما طلبنا منهم أن يسمحوا لنا بتعطيل ناقوسها أبوا، وقالوا: هذا ليس من اختصاصنا، وسنرفع المسألة إلى أولي الأمر! فقلنا: شتان بين أمس واليوم. وصدق رسول الله -صلى الله عليه وسلم: "ما من عام إلا الذي بعده شر منه حتى تلقوا ربكم". "الصحيحة" ١٢١٨.

وهذه ذكرى و {الذِّكْرَى تَنْفَعُ الْمُؤْمِنِينَ} .

[جلباب المرأة المسلمة ١٦٩]

قصة حديث

" كونوا في الدنيا أضيافا، واتخذوا المساجد بيوتا، وعودوا قلوبكم الرقة، وأكثروا التفكير والبكاء، ولا تختلفن بكم الأهواء، تبنون ما لا تسكنون، وتجمعون ما لا تأكلون، وتأملون ما لا تدركون ".

ضعيف جدا

قلت: سمعت هذا الحديث من فم شيخ دمشقي يلقيه على منبر مسجد مضايا يوم الجمعة الواقع في ٧١/١١/١٨ هـ وقد جعله محور خطبته! فاستنكرت الحديث في نفسي، ولكني ما كان تقدم مني تخريجه، فخرجته بعد يوم فتحقق ظني وأنه منكر،

والحمد لله على توفيقه، ووفق مشايخنا لتحري الصحيح من حديث رسوله صلى الله عليه وسلم، وحفظهم أن يقولوا عليه ما لم يقل.

[الضعيفة ٣/٣٢٧]

يطلق أصابعه وهو مجنب الشيخ

وقد صدق ابن القيم رحمه الله فإن أثر السماع في المبتلين به ظاهر ومشاهد كما تقدمت الإشارة إلى ذلك وحسبي أن أذكر لك مثالا واحدا مما شهدته بنفسي مما يجسد في الأذهان المعنى الصحيح لقوله تعالى: {لَهُوَ الْحَدِيثُ} فقد كنت في المسجد يوم الجمعة أستمع إلى الخطبة وبجاني شاب في نحو الثلاثين من العمر وقد جلس متربعا وهو يطلق بأصابعه على الأرض كما لو كان يسمع أغنية فهو يرقص أصابعه معها وأشرت إليه بالامتناع والاستماع إلى الخطبة.

فهذه الحادثة من حوادث كثيرة تدل دلالة قاطعة على أن السماع قد صد أهله عن ذكر الله - كالخمر - وعن الاستماع إليه والله عز وجل يقول: {وَإِذَا قُرِئَ الْقُرْآنُ فَاسْتَمِعُوا لَهُ وَأَنْصِتُوا لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ} ومن المعلوم أن الآية تشمل الجمعة كما في بعض الآثار وهو اختيار ابن كثير فقد صددهم الله عن الذكر والاستماع إليه والله المستعان.

[تحريم آلات الطرب ١٥٧]

اعتذار الشيخ إلى منضدي كتاب جلاب المرأة

ثم إنني لما عزمت على وضع هذه المقدمة؛ كان الإخوة الذين نضدوا حروف الكتاب في "مركز دار الحسن لصف الكمبيوتر" قد قدموه إلينا مخرجاً، منتظرين منا أن نقدم إليهم المقدمة لينضدوها أيضاً ويضموها إلى الكتاب، ولكني بسبب الاضطرار المذكور في أول المقدمة تبين لي أن الكتاب نشره، ولذلك وجدت نفسي ألحق بالكتاب المنضد والمخرج فوائد جديدة أخرى غير التي كانت نضجت من قبل، كنت أعثر عليها في أثناء تحضير "الرد"، ولا تسمح نفسي إلا أن أطلع القراء عليها، أفعل هذا وأنا ذاكر أن مثل هذا الإلحاق -والكتاب مخرج- مما لا يستسيغه المنضدون، من أجل ذلك فإنني أقدم اعتذاري إلى الإخوة الأفاضل القائمين على المركز مرتين: لهذا الإلحاق أولاً، ولا سيما وقد بلوا منا بنحوه سابقاً فتحملونا جزاهم الله خيراً، ولهذا التأخير الذي لا عهد لنا ولا لهم بمثله ثانياً، ولكنه مشيئة الله وقدره، فنعتذر إليهم، والعذر عند كرام الناس مقبول.

[جلاب المرأة المسلمة ٢٣]

مقدمة الطبعة الثانية من كتاب جلباب المرأة المسلمة

الحمد لله رب العالمين، وصلاة الله وسلامه على أفضل رسله، وخاتم أنبيائه، وعلى آله وأصحابه، وإخوانه^(١)؛ المتمسكين بسنته، والمتهدين بهديه، إلى يوم الدين.

أما بعد؛ فهذه هي الطبعة الثانية لكتابنا "حجاب المرأة المسلمة"، يصدرها المكتب الإسلامي -جزى الله صاحبه خيراً- بعد أن مضى على الطبعة الأولى منه عشر سنوات؛ ازددنا فيها إيماناً بضرورة نشره وإذاعته بين المسلمين، وخصوصاً النساء اللاتي اغتررن بالمدينة الأوربية الزائفة، وانجرفن وراء بهارجها ومفاتها، فتبرجن تبرج الجاهلية الأولى، وكشفن من أبدانهم أمام الرجال الأجانب؛ ما كانت إحداهن من قبل لا تتجرأ أن تظهره أمام أبيها ومحارمها!

ولقد علمت أن كتابنا هذا كان له الأثر الطيب -والحمد لله- عند الفتيات المؤمنات، والزوجات المحصنات، فقد استجاب لما تضمنه من الشروط الواجب توفرها في جلباب المرأة المسلمة الكثيرات منهن، وفيهن من بادرت إلى ستر وجهها أيضاً، حين علمت منه أن ذلك من محاسن الأمور، ومكارم الأخلاق، مقتديات فيه بالنساء الفضليات من السلف الصالح، وفيهن أمهات المؤمنين رضي الله عنهن.

(١) قال صلى الله عليه وسلم: "وددت أنا قد رأينا إخواننا، قالوا: أولسنا إخوانك يا رسول الله؟ قال: أنتم أصحابي، وإخواننا الذين لم يأتوا بعد". رواه مسلم عن أبي هريرة، ولغيره بلفظ: "إخواني الذين آمنوا بي ولم يروني"، وهو مخرج في الصحيحة ٢٩٢٧.

ومع ذلك، فإن بعض أهل العلم وطلابه، ولا سيما المقلدين منهم -فإنهم مع إعجابهم بالكتاب وأسلوبه العلمي، وقوة حجته، ونصاعة برهانه- لم يرقهم ما جاء فيه من التصريح بأن وجه المرأة ليس بعورة، وقد كتب إلي بذلك أحد الأساتذة في المدارس الثانوية، وشافهني به آخرون هنا في سورية، وفي الحجاز أيضاً، وهؤلاء فريقان:

الأول:

من لا يزال يرى أن الوجه عورة، وليس ذلك عن دراسة الأدلة الشرعية، وتتبعها من مصادرها الأصلية، وإنما تقليداً لمذهبه الذي نشأ عليه، أو البيئة التي عاش فيها، وفيها بعض المتحمسين لذلك أشد الحماسة بحسن نية، وعاطفة إسلامية، وغير دينية. وقد جلست إلى أحد هؤلاء الفضلاء جلسة دامت ساعات، تباحثنا فيها حول المسألة، وكان ذلك بطلب مني، لعلي أجد عنده، ما يؤيد رأيه، فلم أحظ بشيء من ذلك، وكل الذي سمعته منه، إنما هي شبهات عرضت له على بعض أدلة الكتاب، صدته عن الاقتناع بها، وتبني لازمها، فأجبتُه ليلتئذٍ عن شبهاته بما يسر الله، ثم فكرت بعد ذلك في المسألة مرة أخرى، وأجملت النظر في أدلتها، وما وردني من شبهات حولها، فازددت بذلك اقتناعاً بصواب رأبي، وخطأ الرأي المخالف له، كيف لا، ورأينا هو ما ذهب إليه جماهير العلماء من المفسرين والفقهاء؛ كما هو مشروح في هذا الكتاب، وقد أوردت تلك الشبهات، وما فتح الله علي من الجواب في هذه الطبعة منه.

الثاني:

من يذهب معنا إلى أن الوجه ليس بعورة، ولكنه يرى مع ذلك أنه لا يجوز إشاعة هذا المذهب نظراً لفساد الزمان، وسدّاً للذريعة، فألي هؤلاء أقول:

إن الحكم الشرعي الثابت في الكتاب والسنة لا يجوز كتمانها وطيه عن الناس؛ بعلّة فساد الزمان أو غيره، لعموم الأدلة القاضية بتحريم كتمان العلم، مثل قوله تعالى: {إِنَّ الَّذِينَ يَكْتُمُونَ مَا أَنْزَلْنَا مِنَ الْبَيِّنَاتِ وَالْهُدَىٰ مِنْ بَعْدِ مَا بَيَّنَّاهُ لِلنَّاسِ فِي الْكِتَابِ أُولَٰئِكَ يَلْعَنُهُمُ اللَّهُ وَيَلْعَنُهُمُ اللَّاعِنُونَ} [البقرة: ١٥٩].
وقوله -صلى الله عليه وسلم: "من كتم علماً أجمه الله يوم القيامة بلجام من نار". رواه ابن حبان في صحيحه، والحاكم، وصححه هو والذهبي، وغير ذلك من النصوص الرادعة عن كتم العلم.

فإذا كان القول بأن وجه المرأة ليس بعورة حكماً ثابتاً في الشرع كما نعتقد، فكيف يجوز القول بكتمانها، وترك تعريف الناس به؟! اللهم غفراً.
نعم؛ من كان يرى أنه مع ذلك لا يجوز العمل به سداً للذريعة، فعليه هو بدوره أن يبين ذلك الذي يراه للناس ولا يكتمه، ويأتي بالأدلة التي تؤيد رأيه، وهيئات هيهات! فهذا رسول الله -صلى الله عليه وسلم- يرى الفضل بن العباس رضي الله عنه يلتفت إلى المرأة الخثعمية، وكانت امرأة حسناء ينظر إليها، وتنظر إليه، وهي غير محرمة -كما سأبينه- ثم لا يكون منه عليه الصلاة والسلام أكثر من أن يصرف وجه الفضل عنها، ولا يأمرها أن تستر وجهها عنه، فأى ذريعة ووسيلة أوضح من هذه، وهو -صلى الله عليه وسلم- القائل بهذه المناسبة: "رأيت شاباً وشابة، فلم آمن الشيطان عليهما"^(١).

فهذا الحديث الصحيح، يقرر أن كشف المرأة عن وجهها -ولو كانت جميلة- حق لها، إن شاءت أن تأخذ به فعلت، وليس لأحد أن يمنعها من ذلك، بزعم

(١) راجع ص ٦٢.

خشية الافتتان بها، فمثل هذا الحديث منعنا من أن نقول برأي الفريق المذكور، وأوجب علينا إشاعة الرأي الصواب في المسألة.

على أنه لم يفتنا أن نلفت نظر النساء المؤمنات إلى أن كشف الوجه وإن كان جائزاً، فستره أفضل، وقد عقدنا لذلك فصلاً خاصاً في الكتاب "الصفحة ١٠٤".

وبذلك أدينا الأمانة العلمية حق الأداء، فبينما ما يجب على المرأة، وما يحسن بها، فمن التزم الواجب فيها ونعمت، ومن أخذ بالأحسن فهو أفضل.

وهذا هو الذي التزمته عملياً مع زوجتي، وأرجو الله تعالى أن يوفقي لمثله مع بناتي حين يبلغن أو قبيل ذلك.

ومن الغريب ما جاء في كتاب الأستاذ الذي سبقت الإشارة إليه:

"وقد يلحظ أحدهم، أو يسمع حرصك الحسن على ستر أهلِكَ الستر المطلوب دون السماح بإظهار الوجه، معاذ الله! فإذا قرأ ما كتبت، قال: خالفت فتواه تقواه، ورماك بما لا يجمل!".

وقد كنت أرسلت إليه جواب كتابه بتاريخ "٢٣ / ٩ / ٧٤هـ" (١)، ومما فيه جواباً على هذه الفقرة؛ قولي:

"إن رماني أحدهم ظلماً" بما لا يجمل"، فإن لي أسوة حسنة بالأنبياء والصالحين صولات الله عليهم أجمعين، الذين لم يرمهم أعداؤهم "بما لا يجمل" فقط، بل وبما يقبح، ومما لا شك فيه عندي؛ أن الرامي بما أشار إليه حضرة الكاتب، معتد ظالم، أو جاهل ينبغي أن يعلم، وذلك لأمرين.

(١) أرسل الجواب المذكور إلى مجلة التمدن الإسلامي لينشر فيها يومئذ، فأبى الردود عليه ذلك، وقنع بالاطلاع عليه هو نفسه فقط!

الأول: أن غاية ما قررته في الكتاب أن وجه المرأة ليس بعورة، وأنه يجوز أن تظهره بالشرط المذكور فيه، وهذا ليس معناه أنه يلزم القائل به أن يكشف وجهه وزوجه ولا بد؛ لأن هذا ليس من شأن الأمر الجائز، بل هو من لوازم الأمر الواجب، إذ إن كل واحد يعلم أن الجائز هو ما يجوز فعله، كما يجوز تركه، فإذا أنا أخذت بالترك أو أخذت بالفعل؛ فعلى الحالتين لم أخرج عما أفتيت به من الجواز. فتبين من ذلك أن من قال في: "خالفت فتواه تقواه"؛ كان بعيداً جداً عن الفهم السليم، أو العدل.

والآخر: أنني بجانب تقرير أن الوجه ليس بعورة، قد قررت أيضاً أن الستر هو الأفضل، ووردت فيه "ص ١٠٤" على من زعم أن الستر بدعة وتنطع في الدين؛ بأحاديث وآثار أوردتها، ثم ختمتهما بما نصه "ص ١١٤":
فيستفاد مما ذكرنا أن ستر المرأة لوجهها بirqع أو نحوه مما هو معروف اليوم عند النساء المحصنات، أمر مشروع محمود، وإن كان لا يجب ذلك عليها، بل من فعل فقد أحسن، ومن لا فلا حرج".

فهذا مني نص صريح في تفضيل الستر، ورد على الطائفتين المتشدتين: القائلين منهم بوجوبه، والقائلين منهم ببدعته، و"خير الأمور أوساطها"^(١).

وحقيقة الأمر عندي؛ أنه وإن كان قلبي ليكاد يتفطر أسى وحرزاً من السفور المزري، والتبرج المخزي، الذي تهاقت عليه النساء في هذا العصر، تهاقت الفراش على النار، فإنني لا أرى أبداً أن معالجة ذلك يكون بتحريم ما أباح الله لهن من

(١) حديث ضعيف الإسناد، ولذلك لم أستحز عزوه إلى النبي -صلى الله عليه وسلم، لا سيما وقد رواه أبو يعلى من قول وهب بن منبه بنحوه، وسند جيد.

الكشف عن الوجه، وأن نوجب عليهن ستره بدون أمر من الله ورسوله. بل إن حكمة التشريع، والتدرج فيه، وبعض أصوله التي منها بقوله -صلى الله عليه وسلم: "يسروا ولا تعسروا"، وأصول التربية الصحيحة، كل ذلك ليوجب على فقهاء الأمة ومربيها ومرشديها، أن يتلطفوا بالنساء، ويأخذوهن بالرفق لا بالشدة، ويتساهلوا معهن فيما يسر الله فيه، ولا سيما ونحن في زمن قل فيه من يأخذ بالعزائم من الأمور والفرائض، فضلاً عن المستحبات والنوافل!

فإذا كان بعض العلماء اليوم يرون أن في كشف المرأة عن وجهها مع سترها لما سواه من بدنها مما أمرها الله به خطراً عليها -زعموا- فنرى أنه لا يليق بهم أن يكتفوا من المسألة بإظهار الإنكار الشديد على من يخالفهم في الرأي، واتخاذ القرار بمنع دخول الكتاب إلى بلادهم، بل إن عليهم أمرين اثنين لا بد لهم من القيام بهما: الأول: أن يبينوا للناس حكم الله فيها، مستدلين عليه بالكتاب والسنة، لا تقليداً للمذهب، أو اتباعاً للتقاليد، وبذلك فقط؛ يظهر للناس الصواب من الخطأ، بل الحق من الباطل {فَأَمَّا الزَّبَدُ فَيَذْهَبُ جُفَاءً وَأَمَّا مَا يَنْفَعُ النَّاسَ فَيَمْكُثُ فِي الْأَرْضِ} [الرعد: ١٧]. إنهم إن فعلوا ذلك استجاب لهم النساء المؤمنات، فهل يفعلون؟!

والآخر: أن يُعَنِّوا بتربية الفتيات المسلمات تربية إسلامية صحيحة، وخصوصاً في المدارس والمساجد والجامعات، بتعليمهن وتنقيفهم الثقافة الشرعية النافعة، ومنع المجالات الخليعة أن تتسرب إليهن، وتفسد عليهن أخلاقهن، ونحو ذلك من الوسائل المبدولة في العصر الحاضر، مما يمكن استعماله في الشر والخير، {وَتَبْلُوكُمْ بِالشَّرِّ وَالْخَيْرِ فِتْنَةً} [الأنبياء: ٣٥].

يمثل هذا وذاك يمكن أن يوجد جيل من النساء المؤمنات اللاتي إذا سمعن مثل قول الله تعالى: {يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ قُلْ لِأَزْوَاجِكَ وَبَنَاتِكَ وَنِسَاءِ الْمُؤْمِنِينَ يُدْنِينَ عَلَيْهِنَّ مِنْ جَلَابِيبِهِنَّ} [الأحزاب: ٥٩] ؛ بادرن إلى امتثال أمره كما فعلت نساء الأنصار -رضي الله عنهن- حين نزل قوله عز وجل: {وَلْيَضْرِبْنَ بِخُمُرِهِنَّ عَلَىٰ جُيُوبِهِنَّ} [النور: ٣١] ، بادرن فاختمرن بما تيسر لهن من الأزر كما هو مذكور في موضعه من الكتاب "الصفحة ٧٨".

فمثل هذه النسوة يمكن أن تؤمر بستر الوجه إن كان واجباً، وأما أمر السواد الأعظم من النساء بذلك، في مثل بلادنا السورية، وغيرها كمصر ونحوها من البلدان الأخرى التي انتشر، أو بدأ ينتشر فيها التبرج والخلاعة بأبشع صورته، مما لم تنج منه مع الأسف حتى بلاد التوحيد التي كنا نأمل أن تكون الحصن الحصين للمسلمين من هذا التبرج، فأمر هذا الجنس من النساء بستر الوجه الذي لم يأمر الله به، وهن لا استعداد عندهن أن يسترن نحورهن وصدورهن وما هو أكثر من ذلك؛ مما لا يذهب إليه من كان عنده ذرة من رائحة فقه الكتاب والسنة.

فمن الحكمة إذن، أن يقنع العلماء في هذا العصر بأن يستجيب النساء لما أمر الله به من حجب البدن كله؛ حاشا الوجه والكفين، فمن حجبهما أيضاً منهن، فذلك ما نستحبه لهن، وندعو إليه. وأما إيجاب ذلك عليهن، فهو عندي تشدد في الدين، وتنطع لا يحبه الله، وخصوصاً على النساء اللاتي وصانا بهن رسول الله -صلى الله عليه وسلم- خيراً، في أحاديث كثيرة، منها قوله عليه الصلاة والسلام: "رفقاً بالقوارير".

ويوم يستجيب النساء المسلمات لأمر الله؛ إلا من شذ منهن، وتكون غريبة مهينة بين المستجيبات، فيومئذ يعود إلى المسلمين عزهم ومجدهم، وتقوم لهم دولتهم، وينصرهم الله على عدوهم {وَيَوْمَئِذٍ يَفْرَحُ الْمُؤْمِنُونَ، بَنَصْرِ اللَّهِ} [الروم:

[٤] ، ولن يكون ذلك إلا إذا استجاب لأمره تعالى الرجال قبل النساء، وعسى أن يكون ذلك قريباً. { يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اسْتَجِيبُوا لِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُمْ لِمَا يُحْيِيكُمْ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ يَحُولُ بَيْنَ الْمَرْءِ وَقَلْبِهِ وَأَنَّهُ إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ } [الأنفال: ٢٤]

دمشق ٢٥ / ٧ / ١٣٨٥ هـ

بيان للتاريخ

وبهذه المناسبة يحق لي أن أقول بياناً للتاريخ، وشكراً لوالدي - رحمه الله تعالى - :
وكذلك في الحديث بشري لنا: آل الوالد الذي هاجر بأهله من بلده
(أشقودرة) عاصمة (ألبانيا) يومئذ؛ فراراً بالدين من ثورة (أحمد زوغو) أزاغ
الله قلبه، الذي بدأ يسير في المسلمين الألبان مسيرة سلفه (أتاتورك) في الأتراك،
فجنيت - بفضل الله ورحمته - بسبب هجرته هذه إلى (دمشق الشام) ما لا أستطيع
أن أقوم لربي بواجب شكره، ولو عشت عمر نوح عليه الصلاة والسلام؛ فقد
تعلمت فيها اللغة العربية السورية أولاً، ثم اللغة العربية الفصحى ثانياً، الأمر الذي
مكنني أن أعرف التوحيد الصحيح الذي يجمله أكثر العرب الذين كانوا من حولي -
فضلاً عن أهلي وقومي -؛ إلا قليلاً منهم، ثم وفقني الله - بفضل وكرمه دون توجيه
من أحد منهم - إلى دراسة الحديث والسنة أصولاً وفقهاً، بعد أن درست على
والدي وغيره من المشايخ شيئاً من الفقه الحنفي وما يعرف بعلوم الآلة، كالنحو
والصرف والبلاغة، بعد التخرج من مدرسة (الإسعاف الخيري) الابتدائية، وبدأت
أدعو من حولي من إخواني وأصحابي إلى تصحيح العقيدة، وترك التعصب المذهبي،
وأحذرهم من الأحاديث الضعيفة والموضوعة، وأرغبهم في إحياء السنن الصحيحة
التي أماتها حتى الخاصة منهم، وكان من ذلك إقامة صلاة العيدين في المصلى في
دمشق، ثم أحيائها إخواننا في حلب، ثم في بلاد أخرى في سوريا، واستمرت هذه
السنة تنتشر حتى أحيائها بعض إخواننا في (عمان/ الأردن)؛ كما حذرت الناس
من بناء المساجد على القبور والصلاة، وألفت في ذلك كتابي "تحذير الساجد من
اتخاذ القبور مساجد"، وفاجأت قومي وبني وطني الجديد بما لم يسمعوا من قبل،

وتركت الصلاة في المسجد الأموي، في الوقت الذي كان يقصده بعض أقاربي؛ لأن قبر يحيى فيه كما يزعمون! ولقيت في سبيل ذلك- من الأقارب والأبعد- ما يلقاه كل داعية للحق لا تأخذه في الله لومة لائم، وألفت بعض الرسائل في بعض المتعصبين الجهلة، وسُجِنْتُ مرتين بسبب وشاياهم إلى الحكام الوطنيين والبعثيين، وبتصريحهم لبعضهم حين سئلت: لا أؤيد الحكم القائم؛ لأنه مخالف للإسلام، وكان ذلك خيراً لي وسبباً لانتشار دعوتي.

ولقد يسر الله لي الخروج للدعوة إلى التوحيد والسنة إلى كثير من البلاد السورية والعربية، ثم إلى بعض البلاد الأوروبية، مع التركيز على أنه لا نجاة للمسلمين مما أصابهم من الاستعمار والذل والهوان، ولا فائدة للتكتلات الإسلامية، والأحزاب السياسية إلا بالتزام السنة الصحيحة وعلى منهج السلف الصالح- رضي الله عنهم-؛ وليس على ما عليه الخلف اليوم- عقيدة وفقهاً وسلوكاً-؛ فنفخ الله ما شاء ومن شاء من عباده الصالحين، وظهر ذلك جلياً في عقيدتهم وعبادتهم، وفي بنائهم لمساجدهم، وفي هيئاتهم وألبستهم، مما يشهد به كل عالم منصف، ولا يحجده إلا كل حاقد أو مخرف، مما أرجو أن يغفر الله لي بذلك ذنوبي، وأن يكتب أجر ذلك لأبي وأمي، والحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات: (ربّ أوزعني أن أشكر نعمتك التي أنعمت علي وعلى والدي وأن أعمل صالحاً ترضاه وأدخلني برحمتك في عبادك الصالحين) ، ربّ .. وأصلح لي في ذريتي إني تبت إليك وإني من المسلمين). [الصحيحة ٦١٦/٧]

مدافعة الألباني عن الشيخ علي الطنطاوي

بلغ جهل بعض الناس بالتاريخ والسيره النبوية في هذا العصر أن أحدهم طبع منشورا يرد فيه على صديقنا الفاضل الأستاذ علي الطنطاوي طلبه من الإذاعة أن تمتنع من إذاعة ما يسمونه بالأناشيد النبوية، لما فيها من وصف جمال النبي صلى الله عليه وسلم بعبارات لا تليق بمقامه صلى الله عليه وسلم، بل فيها ما هو أفظع من ذلك من مثل الاستغاثة به صلى الله عليه وسلم من دون الله تبارك وتعالى، فكتب المشار إليه في نشرته ما نصه بالحرف (ص ٤) : "وها هي (!) الصحابة الكرام رضي الله عنهم كانوا يستصحبون بعض نساءهم لخدمة أنفسهم في الغزوات والحروب، وكانوا يضمّدون (!) الجرحى ويهيئون (!) لهم الطعام، وكانوا يوم ذي قار عند اشتداد وطيس الحرب بين الإسلام والفرس كانت النساء تهزج أهازيج وتبعث الحماس في النفوس بقولها: إن تقبلوا نعانق ونفرش النمارق. أو تدبروا ففارق فراق غير وامق. فانظر إلى هذا الجهل ما أبعد مداه! .

فقد جعل المعركة بين الإسلام والفرس، وإنما هي بين المشركين والفرس، ونسب النشيد المذكور لنساء المسلمين في تلك المعركة! وإنما هو لنساء المشركين في غزوة أحد! كن يحمسن المشركين على المسلمين كما هو مروى في كتب السيرة! فقد خلط بين حادثتين متباينتين، وركب منهما ما لا أصل له البتة بجهله أو تجاهله ليتخذ من ذلك دليلا على جواز الأناشيد المزعومة، ولا دليل في ذلك - لو ثبت - مطلقا إذ أن الخلاف بين الطنطاوي ومخالفيه ليس هو مجرد مدح النبي بل إنما هو فيما يقترن بمدحه مما لا يليق شرعا كما سبقت الإشارة إليه وغير ذلك مما لا مجال الآن لبيان، ولكن صدق من قال: "حبك الشيء يعمي ويصم" فهؤلاء

أحبوا الأناشيد النبوية وقد يكون بعضهم مخلصا في ذلك غير مغرض فأعماهم ذلك عما اقترن بها من المخالفات الشرعية. ثم إن هذا الرجل اشترك مع رجلين آخرين في تأليف رسالة ضدنا أسماها "الإصابة في نصرة الخلفاء الراشدين والصحابة" حشوها بالافتراءات والجهالات التي تنبئ عن هوى وقلة دراية، فحملني ذلك على أن ألقت في الرد عليهم كتابا أسميته "تسديد الإصابة إلى من زعم نصرة الخلفاء الراشدين والصحابة" موزعا على ست رسائل صدر منها الرسالة الأولى وهي في بيان بعض افتراءاتهم وأخطائهم، والثانية في "صلاة التراويح" والثالثة في أن "صلاة العيدين في المصلى هي السنة" ثم أصدرنا الخامسة بعنوان "تحذير الساجد من اتخاذ القبور مساجد". [الضعيفة ٤٩/٢]

كلمة توجيهية لإذاعة السعودية

ولقد كان من البواعث على تخريج الحديث^(١) هنا وتحرير القول فيه أني سمعته في ضحى هذا اليوم (الأربعاء ٢٢ جمادى الأولى سنة ١٤١٠) من الإذاعة السعودية، فتمنيت أن تتميز عن سائر الإذاعات بأن يختار المتكلمون فيها الأحاديث الثابتة عن النبي صلى الله عليه وسلم لينشروا على الأمة الثقافة الصحيحة النافعة!

[الضعيفة ١٣ / ٢٧]

(١) وهو : (يا معشر النساء! إذا سمعتن أذان هذا الحبشي وإقامته؛ فقلن كما يقول، فإن لكن بكل حرف ألف ألف درجة. فقال عمر: هذا للنساء؛ فما للرجال؛ قال: ضعفان يا عمر!).

قيمة كتابي «الإشاعة في أخبار الساعة» و «الإذاعة ...» العلمية.

[سئل الشيخ عن كتاب «الإشاعة في أخبار الساعة»، فأجاب:]

الشيخ: الإشاعة أو الإذاعة في اثنين، في كتابين: في إشاعة وفي إذاعة؛ الإشاعة للحسيني والإذاعة لصديق حسن خان. لا شك أن الكتاب الثاني الإذاعة خير من الإشاعة، لأن صديق حسن خان من أهل الحديث، أما الحسيني هذا فمن الفقهاء المتأخرين وله مع الأسف يعني حملات على من كانوا يسمون قديماً وأحياناً حديثاً بالوهابية، فله حملات عليهم لأنه كان مفتياً في مكة.

المهم أن كتاب الإشاعة جمع فأوعى، ولم يهتم بتمييز الصحيح من الضعيف عند الروايات التي حشرها وجمعها، بخلاف صديق حسن خان في الإذاعة فإن له شيئاً من هذه العناية في التصحيح والتضعيف وإن كان أنه لم يبلغ في ذلك الغاية، لكنه خير من الإشاعة. نعم.

"الهدى والنور" (٣١٦ / ٥٠ : ٣٤ : ٠٠).

مناظرة مع شيخ أزهري

وقد وقع هذا، فإني ناظرت شيخا متخرجاً من الأزهر في مسألة لا أذكرها الآن فاحتد في أثنائها، فأنكرت عليه حديثه، فاحتج علي بهذا الحديث^(١)! فأخبرته بأنه ضعيف، فزاد حدة وافتخر علي بشهادته الأزهريّة، وطالبي بالشهادة التي تؤهلي لأن أنكر عليه! فقلت: قوله صلى الله عليه وسلم: " من رأى منكم منكراً ... " الحديث!

[الضعيفة ١٠٤/١]

(١) وهو: " خيار أمتي أحداؤهم الذين إذا غضبوا رجعوا ".

من عجائب التحريفات

من عجائب التحريفات التي مرت بي أن لفظة "البعير" في هذا الحديث تحرفت في "ضعفاء ابن حبان" إلى "العبد"! والظاهر أنه تحريف قديم؛ فإنه كذلك وقع في "تذكرة المقدسي"، فإنه كثير النقل عن "ضعفاء ابن حبان" حديثاً وتعليلاً، بل لعل أحاديثه كلها منه، لكن الأمر يحتاج إلى تتبع. وأعجب من هذا التحريف ما وقع في "كامل ابن عدي" (طبع دار الفكر البيروتية):

"لا يعاد القبر ...!"

كذا وقع في طبعات الدار الثلاثة، وما أسوأها من دار نشر، مع ادعاء التحقيق لما تنشر، ولا شيء منه يذكر، وها هو المثال بين يديك! وما أكثر الأمثلة لو تتبعت؛ لكانت مجلداً! وكذلك وقع الحديث محرفاً في فهرس "الكامل" الذي نشرته الدار المذكورة تحت اسم: "معجم الكامل"! وفيه العجب العجيب من الأخطاء علاوة على الأخطاء الواردة في الأصل الذي وضع له هذا المعجم: "الكامل". والله المستعان. [الضعيفة ١٣ / ٤٩٦]

قصة طريفة في إحدى مدارس دمشق

ويذكرني هذا بقصة طريفة في بعض المدارس في دمشق، فقد كان أحد الأساتذة المشهورين من النصارى يتكلم عن حركة محمد بن عبد الوهاب في الجزيرة العربية، ومحاربتها للشرك والبدع والخرافات ويظهر أنه أطرى في ذلك فقال بعض تلامذته: يظهر أن الأستاذ وهايي!

[الصحيحة ١/١٥٣]

فوائد وردود هامة جدا في مسألة تارك الصلاة

وفي الحديث رد على استنباط ابن أبي جمرة من قوله - صلى الله عليه وسلم -
فيه:

"لم تغش الوجه"، ونحوه الحديث الآتي بعده: "إلا دارات الوجوه": أن من
كان مسلماً ولكنه كان لا يصلي لا يخرج؛ إذ لا علامة له! ولذلك تعقبه الحافظ
بقوله (٤٥٧/١١):

"لكن يحمل على أنه يخرج في القبضة؛ لعموم قوله: "لم يعملوا خيراً قط"؛
وهو مذكور في حديث أبي سعيد الآتي في (التوحيد)". يعني هذا.

وقد فات الحافظ رحمه الله أن في الحديث نفسه تعقباً على ابن أبي جمرة من
وجه آخر؛ وهو أن المؤمنين كما شفّعهم الله في إخوانهم المصلين والصائمين
وغيرهم في المرة الأولى، فأخرجوهم من النار بالعلامة، فلما شُفّعوا في المرات
الأخرى، وأخرجوا بشراً كثيراً؛ لم يكن فيهم مصلون بداهة، وإنما فيهم من الخير
كل حسب إيمانه. وهذا ظاهر جداً لا يخفى على أحد إن شاء الله تعالى.

وعلى ذلك؛ فالحديث دليل قاطع على أن تارك الصلاة - إذا مات مسلماً
يشهد أن لا إله إلا الله - لا يخلد في النار مع المشركين، ففيه دليل قوي جداً أنه
داخل تحت مشيئة الله تعالى في قوله: (إن الله لا يغفر أن يشرك به ويغفر ما دون
ذلك لمن يشاء) [النساء/٤٨؛ ١١٦] ، وقد روى الإمام أحمد في "مسنده"
(٢٤٠/٦) حديثاً صريحاً في هذا من رواية عائشة رضي الله عنها مرفوعاً بلفظ:
"الدواوين عند الله عز وجل ثلاثة.. "الحديث، وفيه:

" فأما الديوان الذي لا يغفره الله؛ فالشرك بالله، قال الله عز وجل: (ومن يشرك بالله فقد حرم الله عليه الجنة) [المائدة/٧٢]

وأما الديوان الذي لا يعبأ الله به شيئاً؛ فظلم العبد نفسه فيما بينه وبين ربه؛ من صوم يوم تركه؛ أو صلاة تركها؛ فإن الله عز وجل يغفر ذلك ويتجاوز إن شاء.."

الحديث. وقد صححه الحاكم (٥٧٦/٤)، وهذا وإن كان غير مُسَلَّمٍ عندي - لما بينته في "تخريج شرح الطحاوية" (رقم: ٣٨٤) -؛ فإنه يشهد له هذا الحديث الصحيح: حديث الترجمة. فتنبه.

إذا عرفت ما سلف يا أخي المسلم! فإن عجيبي حقاً لا يكاد ينتهي من إغفال جماهير المؤلفين الذين توسعوا في الكتابة في هذه المسألة الهامة؛ ألا وهي: هل يكفر تارك الصلاة كسلاً أم لا؟ لقد غفلوا جميعاً - فيما اطلعت - عن إيراد هذا الحديث الصحيح مع اتفاق الشيخين وغيرهما على صحته، لم يذكره من هو حجة له، ولم يجب عنه من هو حجة عليه، وبخاصة منهم الإمام ابن القيم رحمه الله تعالى، فإنه مع توسعه في سوق أدلة المختلفين في كتابه القيم: "الصلاة"، وجواب كل منهم عن أدلة مخالفه؛ فإنه لم يذكر هذا الحديث في أدلة المانعين من التكفير؛ إلا مختصراً اختصاراً محلاً لا يظهر دلالته الصريحة على أن الشفاعة تشمل تارك الصلاة أيضاً، فقد قال رحمه الله:

" وفي حديث الشفاعة: "يقول الله عز وجل: وعزتي وجلالي لأخرجن من النار من قال: لا إله إلا الله". وفيه: "فيخرج من النار من لم يعمل خيراً قط ...".

قلت: وهذا السياق ملفق من حديثين؛ فالشطر الأول هو في آخر حديث أنس المتفق عليه؛ وقد سبق أن ذكرت (ص ١٣١) الطرف الأخير منه؛ والشطر الآخر هو في حديث الترجمة:

" فيقبض قبضة من النار ناساً لم يعملوا لله خيراً قط ...".

وأما أن اختصاره اختصار محل؛ فهو واضح جداً إذا تذكرت أيها القارئ الكريم ما سبق أن استدرسته على الحافظ (ص ١٣٢) متمماً به تعقيبه على ابن أبي حمزة؛ مما يدل على أن شفاعة المؤمنين كانت لغير المصلين في المرة الثانية وما بعدها؛ وأنهم أخرجوهم من النار؛ فهذا نص قاطع في المسألة؛ ينبغي أن يزول به النزاع في هذه المسألة بين أهل العلم الذين تجمعهم العقيدة الواحدة؛ التي منها:

عدم تكفير أهل الكبائر من الأمة الحمدية؛ وبخاصة في هذا الزمان الذي توسع فيهم بعض المنتمين إلى العلم في تكفير المسلمين؛ لإهمالهم القيام بما يجب عليهم عمله مع سلامة عقيدتهم؛ خلافاً للكفار الذين لا يصلون تديناً وعقيدة؛ والله سبحانه وتعالى يقول: (أفجعل المسلمين كالمجرمين. ما لكم كيف تحكمون)؟! [القلم/٣٥-٣٦]

لما تقدم كنت أحب لابن القيم رحمه الله أن لا يغفل ذكر هذا الحديث الصحيح كدليل صريح للمانعين من التكفير؛ وأن يجيب عنه إن كان لديه جواب؛ وبذلك يكون قد أعطى البحث والإنصاف للفريقين دون تحيز لفتة.

نعم؛ إنه لمّا يجب علي أنوه به أنه عقد فصلاً خاصاً " في الحكم بين الفريقين؛ وفصل الخطاب بين الطائفتين "؛ يساعد الباحث على تفهم نصوص الفريقين؛ فهماً صحيحاً؛ فإنه حقق فيه تحقيقاً رائعاً ما هو مسلم به عند العلماء؛ أنه ليس كل كفر يقع فيه المسلم يخرج به من الملة. فمن المفيد أن أقدم إلى القارئ فقرات أو خلاصات من كلامه تدل على مرامه؛ ثم أعقب عليه بما يلزم مما يلتقي مع هذا الحديث الصحيح؛ ويؤيد المذهب الرجيح.

لقد أفاد رحمه الله أن الكفر نوعان: كفر عمل، وكفر جحود واعتقاد.

وأن كفر العمل ينقسم إلى ما يضاد الإيمان، وإلى ما لا يضاده، فالسجود للصنم، والاستهانة بالمصحف، وقتل النبي وسبه؛ يضاد الإيمان.

وأما الحكم بغير ما أنزل الله، وترك الصلاة؛ فهو من الكفر العملي قطعاً.
 (قلت: قد يكون ذلك من الكفر الاعتقادي أحياناً، وذلك إذا اقترن به ما يدل
 على فساد عقيدته؛ كاستهزائه بالصلاة والمصلين، وكإيثاره القتل على أن يصلي إذا
 دعاه الحاكم إليها، كما سيأتي، فتذكر هذا؛ فإنه مهم. ثم قال:) ولا يمكن أن يُنفى
 عنه اسم الكفر بعد أن أطلقه الله ورسوله عليه؛ ولكن هو كفر عمل لا كفر
 اعتقاد.

وقد نفى رسول الله - صلى الله عليه وسلم - الإيمان عن الزاني، والسارق،
 وشارب الخمر، وعمن لا يأمن جاره بوائقه، وإذا نفى عنه اسم الإيمان؛ فهو كافر
 من جهة العمل، وانتفى عنه كفر الجحود والاعتقاد.

(قلت: لكني أرى أنه لا يصح أن يطلق على أمثال هؤلاء لفظة الكفر؛ فيقال
 مثلاً: من زنى فقد كفر، فضلاً عن أنه لا يجوز أن يقال: فهو كافر، حتى على تارك
 الصلاة وعلى غيره ممن وصف في الحديث بالكفر، وقوفاً مع النص - ودفعاً لإيهام
 الوصف بالكفر الاعتقادي-)، ومن باب أولى أن لا يقال: كافر حلال الدم!

قال بعد أن ذكر الحديث الصحيح: "سباب المسلم فسوق، وقتاله كفر" :
 ومعلوم أنه إنما أراد الكفر العملي لا الاعتقادي، وهذا الكفر لا يخرج من
 الدائرة الإسلامية والملة بالكلية؛ كما لا يخرج الزاني والشارب من الملة، وإن زال
 عنه اسم الإيمان.

وهذا التفصيل هو قول الصحابة الذين هم أعلم الأمة بكتاب الله، وبالإسلام
 والكفر ولوازمهما.

ثم ذكر الأثر المعروف عن ابن عباس في تفسير قوله تعالى: (ومن لم يحكم بما
 أنزل الله فأولئك هم الكافرون) : ليس بالكفر الذي تذهبون إليه.

(قلت: زاد الحاكم: إنه ليس كفراً ينقل عن الملة، كفر دون كفر. وصححه هو (٣١٣/٢) والذهبي. وهذا قاصمة ظهر جماعة التكفير وأمثالهم من الغلاة. ثم قال ابن القيم رحمه الله:) والمقصود أن سلب الإيمان عن تارك الصلاة أولى من سلبه عن مرتكب الكبائر، وسلب اسم الإسلام عنه أولى من سلبه عن من لم يسلم المسلمون من لسانه ويده، فلا يسمى تارك الصلاة مسلماً ولا مؤمناً؛ وإن كان معه شعبة من شعب الإسلام والإيمان.

(قلت: نفي التسمية المذكورة عن تارك الصلاة فيه نظر؛ فقد سمي الله تعالى الفئة الباغية بالمؤمنة في الآية المعروفة: (وإن طائفتان من المؤمنين اقتتلوا فأصلحوا بينهما..). مع قوله - صلى الله عليه وسلم - في الحديث المتقدم: "وقتاله كفر"، فكما لم يلزم من وصف المسلم الباغي بالكفر نفي اسم المؤمن عنه فضلاً عن اسم المسلم، فكذلك تارك الصلاة؛ إلا إن كان يقصد بذلك أنه مسلم كامل، وذلك بعيد. قال:)

نعم، يبقى أن يقال: فهل ينفعه ما معه من الإيمان في عدم الخلود في النار؟ فيقال: ينفعه إن لم يكن المتروك شرطاً في صحة الباقي واعتباره، وإن كان المتروك شرطاً في اعتبار الباقي لم ينفعه.

فهل الصلاة شرط لصحة الإيمان؟ هذا سر المسألة.

(قلت: ثم أشار إلى الأدلة التي كان ذكرها للفريق الأول المكفر، ثم قال:) وهي تدل على أنه لا يقبل من العبد شيء من أعماله إلا بفعل الصلاة.

(فأقول: يبدو لي جلياً أن ابن القيم رحمه الله بعد بحثه القيم في التفريق بين الكفر العملي والكفر الاعتقادي، وأن المسلم لا يخرج من الملة بكفر عملي؛ لم يستطع أن يحكم للفريق المكفر بترك الصلاة؛ مع الأدلة الكثيرة التي ساقها لهم؛ لأنها

كلها لا تدل إلا على الكفر العملي. ولذلك لجأ أخيراً إلى أن يتساءل: هل ينفعه إيمانه؟ وهل الصلاة شرط لصحة الإيمان؟

وإن كل من تأمل في جوابه على هذا التساؤل يلاحظ أنه حاد عنه إلى القول بأن الأعمال الصالحة لا تقبل إلا بالصلاة، فأين الجواب عن كون الصلاة شرطاً لصحة الإيمان؟ أي: ليس فقط شرط كمال؛ فإن الأعمال الصالحة كلها شرط كمال عند أهل السنة؛ خلافاً للخوارج والمعتزلة القائلين بتخليد أهل الكبائر في النار؛ مع تصريح الخوارج بتكفيرهم، فلو قال قائل بأن الصلاة شرط لصحة الإيمان، وأن تاركها مخلد في النار؛ فقد التقى مع الخوارج في بعض قولهم هذا، وأخطر من ذلك أنه خالف حديث الشفاعة هذا كما تقدم بيانه.

ولعل ابن القيم رحمه الله بحيدته عن ذلك الجواب أراد أن يشعر القارئ بأهمية الصلاة في الإسلام من جهة؛ وأنه لا دليل على أنها شرط لصحة الإيمان من جهة أخرى.

وعليه؛ فتارك الصلاة كسلاً لا يكفر عنده إلا إذا اقترن مع تركه إياها ما يدل على أن كفره كفر اعتقادي، فهو في هذه الحالة فقط يكفر كفراً يخرج به من الملة؛ كما تقدمت الإشارة بذلك مني. وهو ما يشعر به كلام ابن القيم في آخر هذا الفصل؛ فإنه قال:

" ومن العجب أن يقع الشك في كفر من أصر على تركها ودعي إلى فعلها على رؤوس الملأ، وهو يرى بارقة السيف على رأسه، ويشد للقتل، وعصبت عيناه، وقيل له: تصلي وإلا قتلناك؟ فيقول: اقتلوني ولا أصلي أبداً! .."

قلت: وعلى مثل هذا المصير على الترك والامتناع عن الصلاة - مع تهديد الحاكم له بالقتل - يجب أن تحمل كل أدلة الفريق المكفر للتارك، وبذلك تجتمع أدلتهم مع أدلة المخالفين؛ ويلتقون على كلمة سواء: أن مجرد الترك لا يكفر؛ لأنه

كفر عملي لا اعتقادي؛ كما تقدم عن ابن القيم، وهذا ما فعله شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله - أعني أنه حمل تلك الأدلة هذا الحمل -، فقال في "مجموع الفتاوى" (٤٨/٢٢) - وقد سئل عن تارك الصلاة من غير عذر هل هو مسلم في تلك الحال؟

فأجاب رحمه الله ببحث طويل مليء علماء؛ لكن المهم منه الآن ما يتعلق منه بحدیثنا هذا؛ فإنه بعد أن حكى أن تارك الصلاة يقتل عند جمهور العلماء: مالك والشافعي وأحمد؛ قال:-

"وإذا صبر حتى يقتل؛ فهل يقتل كافراً مرتداً؛ أو فاسقاً كفساق المسلمين؟ على قولين مشهورين حكيا روايتين عن أحمد؛ فإن كان مقراً بالصلاة في الباطن معتقداً لوجوبها؛ يمتنع أن يصبر على تركها حتى يقتل ولا يصلي، هذا لا يعرف من بني آدم وعادتهم، ولهذا لم يقع هذا قط في الإسلام، ولا يعرف أن أحداً يعتقد وجوبها، ويقال له: إن لم تصل وإلا قتلناك. وهو يصبر على تركها مع إقراره بالوجوب، فهذا لم يقع قط في الإسلام.

ومتى امتنع الرجل من الصلاة حتى يقتل لم يكن في الباطن مقراً بوجوبها ولا ملتزماً بفعلها، فهذا كافر باتفاق المسلمين؛ كما استفاضت الآثار عن الصحابة بكفر هذا، ودلت عليه النصوص الصحيحة؛ كقوله - صلى الله عليه وسلم -: "ليس بين العبد وبين الكفر إلا ترك الصلاة". رواه مسلم... فمن كان مقراً على تركها حتى يموت لا يسجد لله سجدة قط فهذا لا يكون قط؛ مسلماً مقراً بوجوبها، فإن اعتقاد الوجوب، واعتقاد أن تاركها يستحق القتل؛ هذا داع تام إلى فعلها، والداعي مع القدرة يوجب وجود المقدور، فإن كان قادراً ولم يصل قط؛ علم أن الداعي في حقه لم يوجد، والاعتقاد التام لعقاب التارك باعث على الفعل. لكن هذا قد يعارضه أحياناً أمور توجب تأخيرها، وترك بعض واجباتها، وتفويتها

أحياناً. فأما من كان مصراً على تركها لا يصلي قط، ويموت على هذا الإصرار والترك؛ فهذا لا يكون مسلماً.

لكن أكثر الناس يصلون تارة، ويتركونها تارة، فهؤلاء ليسوا يحافظون عليها، وهؤلاء تحت الوعيد، وهم الذين جاء فيهم الحديث الذي في "السنن"، حديث عبادة عن النبي - صلى الله عليه وسلم -؛ أنه قال: "خمس صلوات كتبهن الله على العباد في اليوم والليلة؛ من حافظ عليهن كان له عهد عند الله أن يدخله الجنة، ومن لم يحافظ عليهن لم يكن له عهد عند الله؛ إن شاء عذبه؛ وإن شاء غفر له".

فالمحافظ عليها: الذي يصليها في مواقيتها كما أمر الله تعالى.

والذي يؤخرها (الأصل: ليس يؤخرها) أحياناً عن وقتها، أو يترك واجباتها؛ فهذا تحت مشيئة الله تعالى. وقد يكون لهذا نوافل يكمل بها فرائضه كما جاء في الحديث " .

وعلى هذا المحمل يدل كلام الإمام أحمد أيضاً؛ الذي شهر عنه بعض أتباعه المتأخرين القول بتكفير تارك الصلاة دون تفصيل، وكلامه يدل على خلاف ذلك " بحيث لا يخالف هذا الحديث الصحيح، كيف وهو قد أخرجه في "مسنده" كما أخرج حديث عائشة بمعناه كما تقدم؟! فقد ذكر ابنه عبد الله في "مسائله" (٥٥) قال: " سألت أبي رحمه الله عن ترك الصلاة متعمداً؟ قال:

والذي يتركها لا يصليها، والذي يصليها في غير وقتها؛ أدعوه ثلاثاً؛ فإن صلى وإلا ضربت عنقه، هو عندي بمثلة المرتد.. " .

قلت: فهذا نص من الإمام أحمد بأنه لم يكفر بمجرد تركه للصلاة، وإنما بامتناعه من الصلاة مع علمه بأنه سيقتل إن لم يصل، فالسبب هو إيثاره القتل على الصلاة، فهو الذي دل على أن كفره كفر اعتقادي، فاستحق القتل.

ونحوه ما ذكره المجد ابن تيمية - جد شيخ الإسلام ابن تيمية - في كتابه " المحرر في الفقه الحنبلي " (ص ٦٢) :

" ومن آخر صلاة تكاسلاً لا جحوداً أمر بها؛ فإن أصر حتى ضاق وقت الأخرى؛ وجب قتله "

قلت: فلم يكفر بالتأخير، وإنما بالإصرار المنبئ عن الجحود. ولذلك قال الإمام أبو جعفر الطحاوي رحمه الله في "مشكل الآثار" في باب عقده في هذه المسألة، وحكى شيئاً من أدلة الفريقين، ثم اختار أنه لا يكفر؛ قال (٢٢٨/٤) :

" والدليل على ذلك أنا نأمره أن يصلي، ولا نأمر كافرأ أن يصلي، ولو كان بما كان منه كافرأ لأمرناه بالإسلام؛ فإذا أسلم أمرناه بالصلاة؛ وفي تركنا لذلك وأمرناه إياه بالصلاة؛ ما قد دل على أنه من أهل الصلاة؛ ومن ذلك أمر النبي - صلى الله عليه وسلم - الذي أفطر في رمضان يوماً متعمداً بالكفارة التي أمره بها وفيها الصيام؛ لا يكون الصيام إلا من المسلمين. ولما كان الرجل يكون مسلماً إذا أقر بالإسلام قبل أن يأتي بما يوجب الإسلام من الصلوات الخمس؛ ومن صيام رمضان كان كذلك؛ ويكون كافرأ بجحوده لذلك؛ ولا يكون كافرأ بتركه إياه بغير جحود منه له؛ ولا يكون كافرأ إلا من حيث كان مسلماً، وإسلامه كان بإقراره بالإسلام؛ فكذلك رده لا تكون إلا بجحوده الإسلام "

قلت: وهذا فقه جيد، وكلام متين لا مرد له، وهو يلتقي تماماً ما تقدم من كلام الإمام أحمد رحمه الله الدال على أنه لا يكفر بمجرد الترك؛ بل بامتناعه من الصلاة بعد دعائه إليها، وإن مما يؤكد ما حملت عليه كلام الإمام أحمد؛ ما جاء في كتاب " الإنصاف في معرفة الراجح من الخلاف على مذهب الإمام المجل أحمد بن حنبل " للشيخ علاء الدين المرادوي؛ قال رحمه الله (٤٠٢/١) - كالشارح لقول أحمد المتقدم آنفاً: " أدعوه ثلاثاً " - :

" الداعي له هو الإمام أو نائبه، فلو ترك صلوات كثيرة قبل الدعاء لم يجب قتله، ولا يكفر على الصحيح من المذهب، وعليه جماهير الأصحاب، وقطع به كثير منهم ".

ومن اختار هذا المذهب أبو عبد الله بن بطة، كما ذكر ذلك الشيخ أبو الفرج عبد الرحمن بن قدامة المقدسي في كتابه " الشرح الكبير على المقنع " للإمام موفق الدين المقدسي (٣٨٥/١) ، وزاد أنه أنكر قول من قال بكفره. قال أبو الفرج: " وهو قول أكثر الفقهاء؛ منهم: أبو حنيفة ومالك والشافعي.. ".

ثم استدل على ذلك بأحاديث كثيرة أكثرها عند ابن القيم، ومنها حديث عبادة المتقدم في كلام شيخ الإسلام ابن تيمية، فقال عقبه: " ولو كان كافراً لم يدخله في المشيئة ".

قلت: ويؤكد ذلك حديث الترجمة وحديث عائشة تأكيداً لا يدع لأحد شكاً أو شبهة، فلا تنسى. ثم قال أبو الفرج: " ولأن ذلك إجماع المسلمين؛ فإننا لا نعلم في عصر من الأعصار أحداً من تاركي الصلاة ترك تغسيله والصلاة عليه، ولا منع ميراث مورثه، ولا فرّق بين زوجين لترك الصلاة من أحدهما - مع كثرة تاركي الصلاة! - ولو كفر لثبتت هذه الأحكام، ولا نعلم خلافاً بين المسلمين أن تارك الصلاة يجب عليه قضاؤها مع اختلافهم في المرتد^(١) . وأما الأحاديث المتقدمة (يعني: التي احتج بها المكفرون كحديث: " بين الرجل وبين الكفر ترك الصلاة "؛ فهي على وجه التغليظ والتشبيه بالكفار لا على الحقيقة؛ كقوله - صلى الله عليه وسلم - : " سباب المسلم فسوق، وقتاله كفر " .. وأشباه هذه مما أريد به التشديد

(١) قلت: الراجح أنه لا يقضي؛ كما حققه ابن تيمية رحمه الله (٤٦/٢٢) .

في الوعيد. قال شيخنا رحمه الله (يعني: الموفق المقدسي) : وهذا أصوب القولين. والله أعلم."

قلت: ونقله الشيخ سليمان بن الشيخ عبد الله بن الشيخ محمد بن عبد الوهاب رحمهم الله في حاشيته على "المقنع" لابن قدامة (١/٩٥ - ٩٦) مقرأً له. ومع تصريح الإمام الشوكاني في "السييل الجرار" (١/٢٩٢) بتكفير تارك الصلاة عمداً، وأنه يستحق القتل، ويجب على إمام المسلمين قتله؛ فقد بين في "نيل الأوطار" أنه لا يعني كفرةً لا يغفر، فقال بعد أن حكى أقوال العلماء واختلافهم، وذكر شيئاً من أدلتهم (١/٢٥٤ - ٢٥٥) :

"والحق أنه كافر يقتل، أما كفره؛ فلأن الأحاديث صحت أن الشارع سمي تارك الصلاة بذلك الاسم (!) وجعل الحائل بين الرجل وبين جواز إطلاق هذا الاسم عليه هو الصلاة، فتركها مقتضى لجواز الإطلاق.

ولا يلزمنا شيء من المعارضات التي أوردها الأولون؛ لأننا نقول: لا يمنع أن يكون بعض أنواع الكفر غير مانع من المغفرة واستحقاق الشفاعة؛ ككفر أهل القبلة ببعض الذنوب التي سماها الشارع كفرةً. فلا مُلجئ إلى التأويلات التي وقع الناس في مضيقها."

ولقد صدق رحمه الله. لكن ذهابه إلى جواز إطلاق اسم (الكافر) على تارك الصلاة؛ هو توسع غير محمود عندي، لأن الأحاديث التي أشار إليها ليس فيها الإطلاق المدعى، وإنما فيها: "فقد كفر"، وما أظن أن أحداً يستجيز له أن يشتق منه اسم فاعل فيقول فيه: (كافر)، إذن؛ لزمه أن يطلقه أيضاً على كل من قيل فيه: "كفر"؛ كالذي يحلف بغير الله، ومن قاتل مسلماً، أو تبرأ من نسب، ونحو ذلك مما جاء في الأحاديث.

نعم؛ لو صح ما رواه أبو يعلى وغيره عن ابن عباس مرفوعاً بلفظ:

" عُرى الإسلام وقواعد الدين ثلاثة؛ عليهن أسس الإسلام؛ من ترك واحدة منهن فهو بها كافر حلال الدم: شهادة أن لا إله إلا الله، والصلاة المكتوبة، وصوم رمضان ".

أقول: لو صح هذا؛ لكان دليلاً واضحاً على جواز إطلاقه على تارك الصلاة، ولكنه لم يصح كما كنت بينته في " السلسلة الضعيفة " (٩٤) .
والخلاصة؛ أن مجرد الترك لا يمكن أن يكون حجة لتكفير المسلم، وإنما هو فاسق، أمره إلى الله، إن شاء عذبه؛ وإن شاء غفر له، وحديث الترجمة نص صريح في ذلك لا يسع مسلماً أن يرفضه.

وأن من دعي إلى الصلاة، وأنذر بالقتل؛ إن لم يستجب فقتل؛ فهو كافر يقيناً حلال الدم، لا يُصلّى عليه، ولا يدفن في مقابر المسلمين، فمن أطلق التكفير فهو مخطئ، ومن أطلق عدم التكفير فهو مخطئ، والصواب التفصيل.

فهذا الحق ليس به خفاءً فدعني عن بنيات الطريق وبعد؛ فإن أخشى ما أخشاه أن يبادر بعض المتعصبين الجهلة إلى رد هذا الحديث الصحيح؛ لدلالته الصريحة على أن تارك الصلاة كسلاً مع الإيمان بوجوبها داخل في عموم قوله تعالى: (ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء)؛ كما فعل بعضهم أخيراً بتاريخ (١٤٠٧ هـ) ، فقد تعاون اثنان من طلاب العلم: أحدهما سعودي، والآخر مصري، فتعقباني في بعض الأحاديث من المئة الأولى من " سلسلة الأحاديث الصحيحة "؛ منها حديث حذيفة بن اليمان رضي الله عنه المتقدم برقم (٨٧) ولفظه:

" يَدْرُسُ الْإِسْلَامَ كَمَا يَدْرُسُ وَشْيُ الثَّوْبِ حَتَّى لَا يُدْرَى مَا صِيَامٌ؛ وَلَا صَلَاةٌ وَلَا نَسْكَ، وَلَا صَدَقَةٌ، وَكَيْسَرَى عَلَى كِتَابِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ فِي لَيْلَةٍ؛ فَلَا يَبْقَى مِنْهُ آيَةٌ، وَتَبْقَى طَوَائِفُ مِنَ النَّاسِ: الشَّيْخُ الْكَبِيرُ، وَالْعَجُوزُ؛ يَقُولُونَ: أَدْرَكْنَا آبَاءَنَا عَلَى هَذِهِ الْكَلِمَةِ: " لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ "، فَنَحْنُ نَقُولُهَا " .

قال صلة بن زفر لحذيفة: ما تغني عنهم " لا إله إلا الله " وهم لا يدرون ما صلاة، ولا صيام، ولا نسك، ولا صدقة؟! فأعرض عنه حذيفة، ثم ردها عليه ثلاثاً، كل ذلك يعرض عنه حذيفة. ثم أقبل عليه في الثالثة فقال: يا صلة! تنجيهم من النار (ثلاثاً) .

قلت: فسودا في تضعيف هذا الحديث ثلاث صفحات كبار في الرد عليّ لتصحيحه إياه، لم يجد ما يتعلقان به لتضعيفه؛ إلا أنه من رواية أبي معاوية محمد بن خازم الضرير؛ بحجة أنه كان يرى الإرجاء! وأن الحديث موافق لبدعة الإرجاء!!

وهذا من الجهل البالغ، ولا مجال الآن لبيانه إلا مختصراً، فإن أبا معاوية مع كونه ثقة محتجاً به عند الشيخين؛ فإنه قد توبع من ثقة مثله، ثم إن الحديث لا صلة له بالإرجاء مطلقاً، وهما إنما ادعيا ذلك لجهلها بالعلم، وكيف يكون كذلك وقد صححه الحاكم والذهبي، وكذا ابن تيمية والعسقلاني والبوصيري؟! ولئن جاز في عقلهما أنهم كانوا في تصحيحهم إياه جميعاً مخطئين فهل وصل الأمر بهما أن يعتقدوا بأنهم يصححون ما يؤيد الإرجاء؟! تالله إنها لإحدى الكبر؛ أن يتسلط على هذا العلم من لا يحسنه، وأن يضعف ما يصححه أهل العلم!

وهذا الحديث الصحيح يستفاد منه؛ أن الجهل قد يبلغ ببعض الناس أنهم لا يعرفون من الإسلام إلا الشهادة، وهذا لا يعني أنهم يعرفون وجوب الصلاة وسائر الأركان ثم هم لا يقومون بها؛ كلا، ليس في الحديث شيء من ذلك، بل هم في ذلك ككثير من أهل البوادي والمسلمين حديثاً في بلاد الكفر لا يعرفون من الإسلام إلا الشهادتين، وقد يقع شيء من ذلك في بعض العواصم، فقد سألتني أحدهم هاتفياً عن امرأة تزوجها، وكانت تصلي دون أن تغتسل من الجماع! وقریباً سألتني إمام مسجد ينظر إلى نفسه أنه على شيء من العلم يسوغ له أن

يخالف العلماء! سألتني عن ابنه أنه كان يصلي جنباً بعد أن بلغ مبلغ الرجال واحتلم؛ لأنه كان لا يعلم وجوب الغسل من الجنابة! وقد قال ابن تيمية رحمه الله في "مجموع الفتاوى" (٤١ / ٢٢) :

" ومن علم أن محمداً رسول الله فآمن بذلك، ولم يعلم كثيراً مما جاء به؛ لم يعذبه الله على ما لم يبلغه؛ فإنه إذا لم يعذر على ترك الإيمان بعد البلوغ، فإنه [أن] لا يعذبه على بعض شرائطه إلا بعد البلوغ أولى وأحرى، وهذه سنة رسول الله - صلى الله عليه وسلم - المستفيضة عنه في أمثال ذلك ."

ثم ذكر أمثلة طيبة؛ منها: المستحاضة؛ قالت: إني أستحاض حيضة شديدة تمنعني الصلاة والصوم؛ فأمرها بالصلاة زمن دوام الاستحاضة، ولم يأمرها بالقضاء. قلت: وهذه المستحاضة هي فاطمة بنت أبي حبيش رضي الله عنها، وحدثها في "الصحيحين" وغيرهما، وهو مخرج في "صحيح أبي داود" (٢٨١) .

ومثلها: أم حبيبة بنت جحش زوجة عبد الرحمن بن عوف، واستحيضت سبع سنين، وحدثها عند الشيخين أيضاً، وهو مخرج في "صحيح أبي داود" أيضاً (٢٨٣) .

وثمة ثالثة؛ وهي حمنة بنت جحش، وهي التي أشار إليها ابن تيمية؛ فإن في حديثها: "إني أستحاض حيضة كثيرة شديدة؛ فما ترى فيها؛ قد منعتني الصلاة والصوم.. " الحديث. أخرجه أبو داود وغيره من أصحاب "السنن" بإسناد حسن، وصححه جمع، وهو مخرج في "صحيح أبي داود" (٢٩٣)، و"الإرواء" (١٨٨) .

هذا؛ وهناك نص آخر للإمام أحمد كان ينبغي أن يضم إلى ما سبق نقله عنه؛ لشديد ارتباطه به ودلالته أيضاً على أن تارك الصلاة لا يكفر بمجرد الترك، ولكن هكذا قُدِّر؛ قال عبد الله بن أحمد في "مسائله" (ص ١٩٥/٥٦) :

" سألت أبي عن رجل فرط في صلوات شهرين؟ فقال:

يصلي ما كان في وقت يحضره ذكر تلك الصلوات؛ فلا يزال يصلي حتى يكون آخر وقت الصلاة التي ذكر فيها هذه الصلوات التي فرط فيها؛ فإنه يصلي هذه التي يخاف فوقها؛ ولا يضيع مرتين؛ ثم يعود فيصلّي أيضاً حتى يخاف فوت الصلاة التي بعدها؛ إلا إن كثر عليه؛ ويكون ممن يطلب المعاش؛ ولا يقوى أن يأتي بها؛ فإنه يصلي حتى يحتاج إلى أن يطلب ما يقيمه من معاشه؛ ثم يعود إلى الصلاة؛ لا تجزئه صلاة وهو ذاكر الفرض المتقدم قبلها، فهو يعيدها أيضاً إذا ذكرها وهو في صلاة.

فانظر أيها القارئ الكريم! هل ترى في كلام الإمام أحمد هذا إلا ما يدل على ما سبق تحقيقه؛ أن المسلم لا يخرج من الإسلام بمجرد ترك الصلاة؛ بل صلوات شهرين متتابعين! بل وأذن له أن يؤجل قضاء بعضها لطلب المعاش. وهذا عندي يدل على شيئين: أحدهما - وهو ما سبق - أنه يبقى على إسلامه، ولو لم تبرأ ذمته بقضاء كل ما عليه من الفوائت.

والآخر: أن حكم القضاء دون حكم الأداء؛ لأنني لا أعتقد أن الإمام أحمد - بل ولا من هو دونه في العلم - يأذن بترك الصلاة حتى يخرج وقتها لعذر طلب المعاش. والله سبحانه وتعالى أعلم.

واعلم أخي المسلم! أن هذه الرواية عن الإمام أحمد - وما في معناها - هو الذي ينبغي أن يعتمد عليه كل مسلم لذات نفسه أولاً؛ ولخصوص الإمام أحمد ثانياً؛ لقوله رحمه الله: " إذا صح الحديث فهو مذهبي "؛ وبخاصة أن الأقوال الأخرى المروية عنه على خلاف ما تقدم مضطربة جداً؛ كما تراها في كتاب " الإنصاف " (٣٢٧/١٠-٣٢٨) وغيره من الكتب المعتمدة؛ ومع اضطرابها؛ فليس في شيء منها التصريح بأن المسلم يكفر بمجرد ترك الصلاة؛ وإذ الأمر كذلك؛ فيجب حمل

الروايات المطلقة عنه على الروايات المقيدة والمبنية لمراده رحمه الله؛ وهي ما تقدم نقله عن ابنه عبد الله.

ولو فرضنا أن هناك رواية صريحة عنه في التكفير بمجرد الترك؛ وجب تركها والتمسك بالروايات الأخرى؛ لموافقتها لهذا الحديث الصحيح الصريح في خروج تارك الصلاة من النار بإيمانه ولو مقدار ذرة. وبهذا صرح كثير من كبار علماء الحنابلة المحققين؛ كابن قدامة المقدسي - كما تقدم في نقل أبي الفرج عنه -، ونص كلام ابن قدامة:

" وإن ترك شيئاً من العبادات الخمس تهاوناً؛ لم يكفر".

كذا في كتابه "المقنع"، ونحوه في "المغني" (٢/٢٩٨ - ٣٠٢) في بحث طويل له؛ ذكر الخلاف فيه وأدلة كل فريق؛ ثم انتهى إلى هذا الذي في "المقنع"؛ وهو الحق الذي لا ريب فيه؛ وعليه مؤلف "الشرح الكبير" و"الإنصاف" كما تقدم وإذا عرفت الصحيح من قول أحمد؛ فلا يرد عليه ما ذكره السبكي في ترجمة الإمام الشافعي؛ من "طبقات الشافعية الكبرى" (١/٢٢٠)، قال:

" حكى أن أحمد ناظر الشافعي في تارك الصلاة؛ فقال له الشافعي: يا أحمد! تقول: إنه يكفر؟ قال: نعم. قال: إذا كان كافراً فيم يسلم؟ قال: يقول: لا إله إلا الله محمد رسول الله. قال: فالرجل مستديم لهذا القول لم يتركه!! قال: يسلم بأن يصلي. قال: صلاة الكافر لا تصح ولا يحكم بالإسلام بها. فانقطع أحمد وسكت".

فأقول: لا يرد هذا على أحمد رحمه الله لأمرين:

أحد هما: أن الحكاية لا تثبت، وقد أشار إلى ذلك السبكي رحمه الله بتصديده إياها بقوله: "حكى"، فهي منقطعة.

والآخر: أنه ذكر بناءً على القول بأن أحمد يكفر المسلم بمجرد ترك الصلاة؛ وهذا لم يثبت عنه كما تقدم بيانه؛ وإنما يرد هذا على بعض المشايخ الذين لا يزالون يقولون بالتكفير بمجرد الترك! وأملني أنهم سيرجعون عنه بعد أن يقفوا على هذا الحديث الصحيح؛ وعلى قول أحمد وغيره من كبار أئمة الحنابلة الموافق له؛ فإنه لا يجوز تكفير المسلم الموحد بعمل يصدر منه؛ حتى يتبين منه أنه جاحد ولو بعض ما شرع الله؛ كالذي يدعى إلى الصلاة فإن استجاب وإلا قتل كما تقدم. ويعجبني بهذه المناسبة ما نقله الحافظ في "الفتح" (٣٠٠/١٢) عن الغزالي أنه قال:

"والذي ينبغي الاحتراز منه: التكفير؛ ما وجد إليه سبيلاً، فإن استباحة دماء المسلمين المقرين بالتوحيد خطأ، والخطأ في ترك ألف كافر في الحياة أهون من الخطأ في سفك دم لمسلم واحد".

هذا؛ وقد بلغني أن بعضهم لما أُوقِف على هذا الحديث؛ شك في دلالة على نجاة المسلم التارك للصلاة من الخلود في النار مع الكفار، وزعم أنه ليس له ذكر في كل الدفعات التي أخرجت من النار. وهذه مكابرة عجيبة تذكرنا بمكابرة متعصبة المذاهب في رد دلالات النصوص انتصاراً للمذهب، فإن الحديث صريح في أن الدفعة الأولى شملت المصلين بعلامة أن النار لم تأكل وجوههم، فما بعدها من الدفعات ليس فيها مصلون بداهة، فإن لم ينفع مثل هذا بعض المقلدين الجامدين؛ فليس لنا إلا أن نقول: (سلام عليكم لا نبتغي الجاهلين).

(تنبيه): ابن قدامة رحمه الله من جملة الذين فاتهم الاستدلال بهذا الحديث الصحيح للمذهب الصحيح في عدم تكفير تارك الصلاة كسلاً. لكن العجيب أنه ذكر حديثاً آخر لو صح لكان قاطعاً للخلاف؛ لأن فيه أن مولى للأنصار مات وكان يصلي ويدع، ومع ذلك أمر - صلى الله عليه وسلم - بغسله والصلاة عليه ودفنه، وهو وإن كان قد سكت عنه؛ فإنه قد أحسن بذكره مع إسناده من رواية

الخلال، الأمر الذي مكّني من دراسته والحكم عليه بما يستحق من الضعف والنيكارة، ولذلك أودعته في الكتاب الآخر: "الضعيفة" (٦٠٣٦).

بعد كتابة ما تقدم بأيام أطلعني بعض إخواني على كتاب بعنوان هام: "فتح من العزيز الغفار بإثبات أن تارك الصلاة ليس من الكفار" تأليف عطاء بن عبد اللطيف بن أحمد، ففرحت به فرحاً كبيراً، وازداد سروري حينما قرأته، وتصفحت بعض فصوله، وتبين لي أسلوبه العلمي وطريقته في معالجة الأدلة المختلفة التي منها - بل هي أهمها - تخريج الأحاديث وتتبع طرقها وشواهداها، وتمييز صحيحها من ضعيفها؛ ليتسنى له بعد ذلك إسقاط ما لا يجوز الاشتغال به لضعفه، والاعتماد على ما ثبت منها، ثم الاستدلال به أو الجواب عنه، وهذا ما صنعه الأخ المؤلف جزاه الله خيراً؛ خلافاً لبعض المؤلفين الذي يحشرون كل ما يؤيدهم دون أن يتحروا الصحيح فقط؛ كما فعل الذين ردوا علي في مسألة وجه المرأة من المؤلفين في ذلك من السعوديين والمصريين وغيرهم. أما هذا الأخ (عطاء)؛ فقد سلك المنهج العلمي في الرد على المكفرين؛ فتتبع أدلتهم، وذكر ما لها وما عليها، ثم ذكر الأدلة المخالفة لها على المنهج نفسه، ووفق بينها وبين ما يخالفها بأسلوب رصين متين، وإن كان يصحبه أحياناً شيء من التساهل في التصحيح باعتبار الشواهد، ثم التكلف في التوفيق بينه وبين الأحاديث الصحيحة الدالة على عدم كفر تارك الصلاة؛ كما فعل في حديث أبي الدرداء في الصلاة: "فمن تركها فقد خرج من الملة". فإنه بعد أن تكلم عليه وبين ضعف إسناده؛ عاد فقواه بشواهد، وهي في الحقيقة شواهد قاصرة لا تنهض لتقوية هذا الحديث، ثم أغرب فتأول الخروج المذكور فيه بأنه خروج دون الخروج!! وله غير ذلك من التساهل والتأويل؛ كالحديث المخرج في "الضعيفة" (٦٠٣٧).

والحق؛ أن كتابه نافع جداً في بابه؛ فقد جمع كل ما يتعلق به سلباً أو إيجاباً، قبولاً أو رفضاً؛ دون تعصب ظاهر منه لأحد أو على أحد، وأحسن ما فيه الفصل الأول من الباب الثاني؛ وهو كما قال: " في ذكر أدلة خاصة تدل على أن تارك الصلاة لا يخرج من الملة "! وعدد أدلته المشار إليها (١٢) دليلاً، ولقد ظننت حين قرأت هذا العنوان في مقدمة كتابه أن منها حديث الشفاعة هذا؛ لأنه قاطع للتراع كما سبق بيانه، ولكنه - مع الأسف - قد فاته كما فات غيره من المتقدمين على ما سلف ذكره.

غير أنه لا بد لي من التنويه بدليل من أدلته لأهميته وغفلة المكفرين عنه؛

ألا وهو قوله - صلى الله عليه وسلم -:

" إن للإسلام صُوىً ومناراً كمنار الطريق.. " الحديث، وفيه ذكر التوحيد، والصلاة وغيرها من الأركان الخمسة المعروفة والواجبات، ثم قال - صلى الله عليه وسلم -:

" فمن انتقص مِنْهُنَّ شيئاً؛ فهو سهم من الإسلام تركه؛ ومن تركهن؛ فقد نبذ الإسلام وراءه ".

وقد خرج المومى إليه تخريجاً جيداً، وتتبع طريقه؛ وبين أن بعضه صحيح الإسناد، ثم بين دللته الصريحة على عدم خروج تارك الصلاة من الملة. فراجع الكتاب كله؛ إن كان عندك شك في المسألة.

وقد كنت خرجته قديماً برقم (٣٣٣) منذ أكثر من ثلاثين سنة، واستفاد هو منه - كما هو شأن المتأخر مع المتقدم - ولكنه لم يشر إلى ذلك أدنى إشارة، ولقد كان يحسن به ذلك؛ ولا سيما أنه خصني بالنقد في بعض الأحاديث، وذلك مما لا يضرني البتة؛ بل إنه لينفعني أصاب أم أخطأ، وليس الآن مجال تفصيل القول في ذلك.

والخلاصة؛ أن حديثنا هذا حديث الشفاعة حديث عظيم، ومن ذلك دلالته القاطعة على أن تارك الصلاة- مع إيمانه بوجوبها- لا يخرج من الملة، وأنه لا يخلد في النار مع الكفرة الفجرة.

ولذلك؛ فإني أرجو مخلصاً كل من وقف على هذا الحديث وغيره مما في معناه أن يتراجع عن تكفير المسلمين التاركين للصلاة مع إيمانهم بها، والموحدين لله تبارك وتعالى؛ فإن تكفير المسلم أمر خطير جداً كما تقدم. وعليهم فقط أن يذكروا بعظمة منزلة الصلاة في الإسلام بما جاء في ذلك في الكتاب والأحاديث النبوية، والآثار السلفية الصحيحة، فإن الحكم قد خرج- مع الأسف- من أيدي العلماء، فهم لذلك لا يستطيعون أن ينفذوا حكم الكفر والقتل في تارك واحد الصلاة؛ بله جمع من التاركين؛ ولو في دولتهم فضلاً عن الدول الإسلامية الأخرى! فإن قتل التارك للصلاة بعد دعوته إليها إنما كان لحكمة ظاهرة، وهو لعله يتوب إذا كان مؤمناً بها، فإذا آثر القتل عليها؛ دل ذلك على أن تركه كان عن جحد، فيموت- والحالة هذه- كافراً؛ كما تقدم عن ابن تيمية، فامتناعه منها في هذه الحالة دليل عملي على خروجه من الملة. وهذا مما لا سبيل إلى تحقيقه اليوم مع الأسف، فليقنع العلماء- إذن من الوجهة النظرية- على ما عليه جمهور أئمة المسلمين؛ بعدم تكفير تارك الصلاة مع إيمانه بها، وقد قدمنا الدليل القاطع على ذلك من السنة الصحيحة؛ فلا عذر لأحد بعد ذلك (فليحذر الذين يخالفون عن أمره أن تصيبهم فتنة أو يصيبهم عذاب أليم) [النور/٦٣].

ثم طَبَعْتُ هذا البحث في رسالة خاصة بعنوان "حكم تارك الصلاة" فنفع الله بها من شاء من عباده، واستنكر بعض المؤلفين ما فيه من الحكم: أن تارك الصلاة كسلاً- مع إيمانه بها- ليس بكافر؛ لمخالفته إياه عقيدة، فهو بهذا الاعتبار مخالف له؛ وهو عمل قلبي؛ والله عز وجل ضمن أن لا يضيعه؛ كما قال أبو سعيد في

الحديث هذا: " فمن لم يصدق بهذا الحديث؛ فليقرأ هذه الآية: (إن الله لا يظلم مثقال ذرة..) ". وبالنظر إلى تركه الصلاة فهو مشابه للكفار عملاً؛ الذين يتحسرون يوم القيامة؛ فيقولون وهم في سقر: (لم نك من المصلين. ولم نك نطعم المسكين)؛ فكفره كفر عملي؛ لأنه عمل عمل الكفار؛ فهو كالتارك للزكاة؛ وقد صح الحديث أيضاً أن مانع الزكاة يعذب يوم القيامة بماله الذي كان منعه، ثم يساق إما إلى الجنة وإما إلى النار، ولكن المؤلف المشار إليه - هداية الله وإياه - تأول هذا الحديث كما تأول حديث المانع للزكاة تأويلاً عطل دلالاته الصريحة على ما ذهبنا إليه من الفرق بين الكفر الاعتقادي والكفر العملي؛ مع أنه قد صح هذا عن ابن عباس وبعض تلامذته، وجرى عليه من بعدهم من أتباع السلف؛ كابن القيم وشيخه؛ كما تقدم في هذا البحث؛ ومع ذلك لم يعرج عليه المومى إليه مطلقاً ولو رده؛ ولا سبيل له إليه! والله عز وجل يقول: (أفنجعل المسلمين كالمجرمين.

مالكم كيف تحكمون)؟ وكذلك صرف المؤلف المذكور نظره عن حديث: " إن للإسلام صوى.. الصريح في التفريق بين: " من ترك سهماً؛ فهو سهم من الإسلام تركه "؛ وبين " من ترك الأسهم كلها؛ فقد نبذ الإسلام كله "؛ فلم يتعرض له بجواب. ولا أستبعد أن يحاول تأويله أو تضعيفه؛ كما فعل بغيره من الأحاديث الصحيحة.

وبالجملة؛ فمجال الرد عليه واسع جداً، ولا أدري متى تسنح لي الفرصة للرد عليه، وبيان ما يؤخذ عليها فقهاً وحديثاً؟ وإن كنت أشكر له أدبه ولطفه وتبجيله لكاتب هذه الأحرف، ودفاعه عن عقيدة أهل الحديث في أن الإيمان يزيد وينقص؛ وإن كان قد اقترن به أحياناً شيء من الغلو والمخالفة؛ والاهتمام بالإرجاء؛ مع أنه يعلم أنني أخالفهم مخالفة جذرية؛ فأقول: الإيمان يزيد وينقص؛ وإن الأعمال الصالحة من الإيمان، وإنه يجوز الاستثناء فيه؛ خلافاً للمرجئة، ومع ذلك رماني أكثر

من مرة بالإرجاء! فقلب بذلك وصية النبي - صلى الله عليه وسلم -: " وأتبع السيئة الحسنة تمحها.. " ! فقلت: ما أشبه اليوم بالبارحة!

فقد قال رجل لابن المبارك: " ما تقول فيمن يزني ويشرب الخمر؛ أمؤمن هو؟ قال: لا أخرج من الإيمان. فقال الرجل: على كبر السن صرت مرجئاً! فقال له ابن المبارك: إن المرجئة لا تقبلني! أنا أقول: الإيمان يزيد وينقص. والمرجئة لا تقول ذلك. والمرجئة تقول: حسناتنا متقبلة. وأنا لا أعلم تُقبلت مني حسنة؟ وما أحوجك إلى أن تأخذ سبورة فتحالس العلماء ". رواه ابن راهويه في "مسنده " (٦٧٠/٣ - ٦٧١) .

قلت: ووجه المشابهة بين الاتهامين الظالمين هو الإشراك بالقول مع المرجئة في بعض ما يقوله المرجئة؛ أنا بقولي بعدم تكفير تارك الصلاة كسلاً؛ وابن المبارك في عدم تكفير مرتكب الكبيرة ولو أردت أن أقابله بالمثل لرميته بالخروج؛ لأن الخوارج يكفرون تارك الصلاة وبقيّة الأركان الأربعة! و (أعوذ بالله أن أكون من الجاهلين) .

[مقدمة المجلد السابع من الصحيحة]

اختصار الشيخ لكتاب " تحفة المودود "

كان الداعي إلى تخريج الحديث: أنني شرعت قريبا في أواسط شهر الله المحرم سنة (١٤٠٤) في اختصار كتاب ابن قيم الجوزية: "تحفة المودود في أحكام المولود"، فمر بي هذا الحديث، وقد عزاه في موضع لابن أبي خيثمة، وفي آخر لأبي عمر بن عبد البر في "الاستذكار"؛ ساكتا عليه فيهما، فتذكرت أن شيخه ابن تيمية كان قد ذكر طرفا منه في كتابه "الكلم الطيب" الذي كنت حققته وخرجت أحاديثه، ثم طبعته سنة (١٣٨٥) في المكتب الإسلامي، ذكره مع أحاديث أخرى (ص ١٢٥-١٢٧) قاتلا:

"هذه الأحاديث في (الصحاح)".

فعلقت عليه يومئذ بأنني لم أعثر عليه، وأبدت شككي في كونه في "الصحاح"! والآن تأكدت من خطأ عزوه إليها، وتبينت أن إسناد الحديث ضعيف جدا: والله تعالى هو الموفق الهادي.

[الضعيفة ١١/٧٧٣]